

الدليل الكامل إلى

السينما الإيطالية

تأليف: هوارد هيوز
ترجمة: أكرم الحمصي

الفن السابع 247



الفن السابع | ٢٤٧ |

الدليل الكامل

إلى السينما الإيطالية

تأليف : هوارد هيوز

ترجمة: أكرم الحمصي

منشورات وزارة الثقافة - المؤسسة العامة للسينما

في الجمهورية العربية السورية - دمشق ٢٠١٤م

العنوان الأصلي للكتاب:

The Complete Guide From Classics To Cult
Cinema Italiano

Howard Hughes

الدليل الكامل إلى السينما الإيطالية / تأليف هوارد هيوز ؛ ترجمة أكرم الحمصي .- دمشق: المؤسسة العامة للسينما، ٢٠١٤م .- ٥٦٠ ص؛ ٢٤ سم.

(الفن السابع ؛ ٢٤٧)

١- ٧٩١,٤٣٠٩٤٥ هـ ي و د ٢- العنوان ٣- هيوز
٤- الحمصي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

فن وخـداع

مقدمة إلى السينما الإيطاليـة

قال بازان ذات مرة: «ما نراه يدفعنا إلى القول إن السينما ترسي عالماً يطابق رغباتنا». وكتاب «السينما الإيطالية» هذا يروي قصة هذا العالم.

احتلت السينما الإيطالية، في سنوات ذروتها- التي بدأت في أواخر الخمسينيات واستمرت عشرين عاماً- المركز الثاني بعد هوليوود بوصفها مصنعاً لإنتاج الأفلام الجماهيرية وكانت، خلال تلك السنوات، تصدر الأحلام السينمائية إلى مختلف أنحاء العالم. فقد صنع المخرجون الإيطاليون، مدعومين بتمويل دولي وبممثلين متعددي الجنسيات، أفلاماً درامية وأفلام رعب وأفلام وسترن وأفلام جاسوسية وملاحم تاريخية وأفلام مغامرات وأفلاماً حربية وأفلاماً بوليسية وأفلام خيال علمي وأفلام تشويق سياسية وأفلاماً كوميدية ببراعة وأسلوب لا يضاهيان. وقد حقق الكثير من هذه الأفلام نجاحات كبيرة على المستوى الدولي على الرغم من المقولة الشائعة التي مفادها أن السينما الإيطالية تقلد أفلاماً أخرى وتتبنى أفكاراً وحبكات راسخة وممثلين معروفين وأنها تستولي على أنواع سينمائية برمتها وتنسبها لنفسها. ومن الانتقادات الشائعة للمخرجين الإيطاليين أن أفلامهم لا تتمتع بجودة أفلام هوليوود التي يقلدونها على الرغم من أن النسخة تفوقت على الأصل في العديد من الحالات.

يناقش كتاب «السينما الإيطالية» هذا السينما الإيطالية بنوعيها: الجماهيرية والنخبوية. فنحلل في هذا الكتاب ملاحم السيف والصندل الميثولوجية وأفلام الرعب القوطي وأفلام الخيال العلمي والأفلام البوليسية وأفلام السباغيتي وسترن إلى جانب

أفضل ما صنعه مخرجون مثل لوكينو فيسكونتي وفيديريكو فيليني وميكيلانجيلو أنطونيوني. تعتبر بعض الأفلام التي تتم دراستها في هذا الكتاب معروفة وبعضها الآخر غير معروف في حين يمكن تصنيف البعض منها على أنها جواهر منسية. وقد جهدت في هذا الكتاب أن أبرهن أن في أعمال مخرجين من العيار الثقيل على المستوى العالمي - فيليني وسواه - ما هو مشترك مع أعمال مخرجين شعبويين مثل سرجيو ليونيه وداريو أرجنتو. وقد حاولت، في هذا السياق، أن أتعامل مع الجميع على قدم المساواة بدءاً من بيير باولو بازوليني حتى جيانفرانكو باروليني، ومن «النمر» - The Leopard إلى «الرجل الكوغار» - Puma Man.

إن قصة السينما الإيطالية هي، من حيث الجوهر، قصة سلسلة من الانفجارات الإبداعية تخللتها فترات خمول واستنفاد جماهيري. فما إن ينجح أحد الأفلام على المستوى الجماهيري حتى تليه عشرات الأفلام التي تقلده بقصد جمع المال من شبابيك التذاكر في إيطاليا وحول العالم على حد سواء. وكان هذا الاستغلال المكثف لكل بدعة سينمائية جديدة يفضي في غالبية الأحيان إلى ديمومة محدودة لأن الرضا الجماهيري كان يصل إلى مرحلة التخمة والإشباع بسرعة. وبذلك، فإن المخرجين الموهوبين وكبار النجوم وأصحاب الخيال الأكثر إبداعاً هم وحدهم الذين نجحوا في الاستمرار. كانت أفلام الأبطال الميثولوجيين مفتولي العضلات التي لعب فيها ستيف ريفز دور هرقل النوع السينمائي الإيطالي الأول الذي حقق نجاحاً جماهيرياً كبيراً على المستوى العالمي. وقد استمرت هذه الموجة بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٤ تلتها موجة السباغيتي وسترن التي انطلقت عام ١٩٦٥ - مع النجاح الباهر الذي حققته سلسلة أفلام «الدولارات» التي أخرجها سرجيو ليونيه والتي لعب فيها كلينت إيستوود دور «الرجل الذي لا اسم له» - ودامت حتى عام ١٩٧٠ عندما قادت الأفلام الكوميدية وأفلام الرعب (gialli) والأفلام البوليسية (Poliziotteschi) جمهور المتفرجين إلى ميادين جديدة. وحققت أفلام الرعب القوطي نجاحاً جماهيرياً في إيطاليا بين عامي ١٩٦٠ و١٩٦٥ كما كانت أفلام جيمس بوند مصدر إلهام لحلقة من أفلام الجاسوسية الإيطالية دامت بين

عامي ١٩٦٣ و١٩٦٧. وقد ظهرت، في كل من هذه الحلقات المسعورة، أفلام هجينة أبرزت أفضل ما يعتمل في الخيال المحموم للمخرجين الإيطاليين. وفي جميع الأحوال، فإننا نستطيع الحديث عن وجود نزعة واضحة تتمثل في هوس السينما الإيطالية بالأبطال الجبابرة ذوي العباءات. بل إننا نجد أن أكثر الجبابرة الإيطاليين ارتزاقاً يقف إلى جانب «الخير» ويساعد المستغلين والمسحوقين والضحايا. لذلك ليس من قبيل المصادفة أن يكون جميع الأبطال الإيطاليين- من هرقل حتى الرجل الذي لا اسم له- يرتدون عباءات.

كان الإلهام الأولي، في معظم هذه الانفجارات الإبداعية، يأتي من مكان آخر خارج إيطاليا. فقد لجأ المخرجون الإيطاليون إلى استنساخ الأفلام الحديثة التي حققت نجاحات جماهيرية كبيرة بغض النظر عن بلد منشئها- تقدم أفلام الرعب القوطي وأفلام الجاسوسية البوندية نماذج جيدة على هذا النوع من الممارسة من حيث كونها مستلهمة بجملتها من نماذج عالمية راسخة. كما أن الملاحم الميثولوجية وأفلام السباغيتي وسترن والأفلام البوليسية كانت، بالإجمال، تكرارات لأفلام هوليوودية. وكانت الأفلام التي لعبت دور الصاعق في إطلاق كل موجة- «هرقل»- Hercules (١٩٥٨)، «من أجل حفنة من الدولارات»- A Fistful of Dollars (١٩٦٤)، «الطائر ذو الريش الكريستالي»- The Bird With The Crystal Plumage (١٩٦٩)- تختلف إلى حد كبير عن نظيراتها الهوليوودية. من جهة أخرى ، كان أي فيلم أو نوع سينمائي يحقق نجاحاً جماهيرياً يتحول بسرعة إلى هدف للتهكم. فقد سخر المهرج الإيطالي توتو من فيلم «الحياة الحلوة»- La Dolce Vita (١٩٦٠) في فيلم «توتو، بيبينو والحياة الحلوة» - Totò, Peppino and La Dolce Vita (١٩٦٠) لسرجيو كوربوتشي كما أن أفلام الثنائي فرانكي وإنغراسيا كانت جميعها أفلاماً تهكمية. يتابع كل فصل من فصول هذا الكتاب كيفية نشوء نوع سينمائي محدد وازدهاره ثم أفوله ويحلل، من أجل كل حلقة، أهم أفلامها وأكثرها تأثيراً ونجاحاً من الناحية المادية مع عرض موجز للحبكة والممثلين ومواقع التصوير والتفاصيل المتعلقة بإنتاج هذه الأفلام وتوزيعها وعرضها.



النجمة الناشئة سيلفيا رانك (أنيتا إيكبرغ) ورفاقها

في فيلم فيديريكو فيليني »الحياة الحلوة« (١٩٦٠) الذي أثار ذات يوم فضيحة

تفوقت السينما الإيطالية، في سنوات الذروة التي امتدت طيلة عقد الستينيات وبداية عقد السبعينيات، على نظيرتها الهوليوودية من حيث عدد الأفلام التي تم إنتاجها. فقد أنتجت السينما الإيطالية عام ١٩٦٢، مثلاً، ٢٤٢ فيلماً مقابل ١٧٤ في الولايات المتحدة وبلغ عدد الأفلام الإيطالية، عام ١٩٦٦، ٢٤٥ فيلماً مقابل ١٦٨ فيلماً أمريكياً و٢٣٧ فيلماً مقابل ١٥٦، عام ١٩٧٤. وصنع خط الإنتاج الإيطالي- في استديوهات مثل شينيشيتا وتيتانوس ودينوشيتا ودي باوليوس وإيليوس- كل شيء من الأفلام الملحمية العالمية الباذخة إلى الأفلام المبتذلة ذات التكلفة المنخفضة وأفلام الحركة. وبالإضافة إلى الأفلام الإيطالية نفسها، أنفقت شركات الإنتاج الأمريكية بين عامي ١٩٥٧ و١٩٦٧ حوالي خمسة وثلاثين مليون دولار سنوياً لتمويل أفلام إيطالية أو لشراء حقوق توزيعها أو لإنتاج أفلام خاصة بها مستخدمة الاستديوهات الإيطالية كقاعدة للإنتاج. وقد سمح ذلك للمخرجين الأمريكيين بالاستفادة من المناخ المتوسطي ومواقع التصوير الرائعة في إيطاليا وإسبانيا وشمال أفريقيا ويوغسلافيا السابقة. كما استخدم الممثلون والفنيون الأوروبيون أسماء إنكليزية مستعارة لتضليل المتفرجين في إيطاليا وخارجها. وكان يجري، في بعض الأحيان، إخراج الأفلام بصورة مشتركة عبر مخرج إيطالي يعمل جنباً إلى جنب مع نظيره الهوليوودي. وكان الفيلم، في نسخته الإيطالية، ينسب إلى المخرج الإيطالي فيما يبرز اسم المخرج الهوليوودي في النسخة الدولية.

اتخذت استثمارات شركات الإنتاج الأمريكية، في كثير من الأحيان، شكل أفلام تم إنتاجها بصورة مشتركة مع شركاء إيطاليين، بل ومع ممولين فرنسيين وألمانٍ غربيين وإسبانٍ ويوغسلافيين. كما شارك في هذه الأفلام ممثلون من تلك البلدان في جهد يهدف إلى تحقيق أكبر رواج ممكن وكانت الملصقات الترويجية تتغير من بلد إلى آخر. قدمت إيطاليا في عقدي

الخمسينيات والستينيات عدداً كبيراً من النجوم يعتبر كل من مارشيلو ماستروياني وصوفيا لورين من أبرزهم. ويذكر من النجوم الإيطاليين الذين حققوا اختراقات دولية - بل وظهروا في بعض الأحيان في أفلام هوليوودية- جينا لولوبريجيدا وكلوديا كاردينالي وماريو جيروتي/«تيرانس هيل» وسيلفانا مانغانو وأليدا فالي ومونيكا فيتي وفرانكو نيرو.

لكن المال الأمريكي جلب معه كذلك نجوماً أمريكيين. وكان من بين هؤلاء بعض من أساطير هوليوود الحقيقيين- بيرت لانكستر («النمر»، «موسى»، «١٩٠٠») وأورسون ويلز («داوود وجولياث»، «التتار»، «تيبيبا») وهنري فوندا («حدث ذات مرة في الغرب»، «اسمي لا أحد»)- لكنه جلب أيضاً ممثلين ثانويين ونجوماً أقل أهمية ومشاهير أقل شأناً، على شاكلة هنري سيلفا وتشارلز برونسون وستيف ريفز وغاي ماديسون وجاك بالانس، نفحتهم السينما الإيطالية أجور نجوم ونالوا تقدير المعجبين وعرفوا حياة مهنية مزدهرة تشهد عليها عائدات شبابيك التذاكر في أوروبا. ويعتبر كاميرون ميتشيل مثالاً جيداً: فهو ممثل مسرحي ونجم هوليوودي ثانوي سافر إلى إيطاليا عام ١٩٦١ ولعب دور البطولة في عدد من أفلام الفايكينغ ولم يلتفت إلى الوراء قط. كما تمتع عدد من النجوم الذين نسيتهم هوليوود - مثل برودريك كراوفورد وجوزيف كوتون وستيوارت غرينجر وألان لاد - بحياة مهنية متجددة في إيطاليا، وتمت دبلجة أفلامهم الإيطالية إلى اللغة الإنكليزية من أجل الجمهور في الولايات المتحدة وبريطانيا وكثيراً ما عرضت بوصفها أفلاماً هوليوودية زائفة. وعرف العديد من الممثلين البريطانيين- بطل كمال الأجسام ريغ بارك والممثلة المولودة في ويرال بربارا ستيل والممثل المسرحي إدموند برودوم- الشهرة في إيطاليا التي صنعت من كلينت إيستوود (وهو ممثل تلفزيوني أصبح بين ليلة وضحاها نجم أفلام الوسترن الإيطالية) نجماً عالمياً.



الملصق الأمريكي المزدوج لفيلمي «المتوحشة» (١٩٦٥ - بطولة بربارة ستيل) لمايكل ريفز و«المحنط» (١٩٦٥) لدينو تافيلا

وضع مايكل ج. ويلدون، في دليله المتكامل لأفضل الأعمال السينمائية في العالم والمعنون باسم Psychotronic Video Guide، لائحة بالمخرجين العشرة الأوائل الأغزر إنتاجاً. يتصدر اللائحة المخرج الإسباني خيسوس فرانكو وتتضمن أسماء لامعة مثل آل آدامسون وفريد أولن راي ووليام بودين وجيم وينورسكي. ويلاحظ ويلدون أن اللائحة «لا تتضمن مخرجين إيطاليين» على الرغم من أن إيطاليا كانت قد أنتجت من الأفلام السينمائية التي حازت على إعجاب الجمهور أكثر مما فعل أي بلد آخر في العالم. هكذا، وضعت، أثناء تأليف هذا الكتاب، لائحة بالأفلام الإيطالية العشرين الأولى التي أعتقد أنه لا يجوز لأية مكتبة أفلام أن تغفلها وهي:

«الحياة الحلوة»- La Dolce Vita (فيليني، ١٩٦٠)، «قناع الشيطان»- The Mask of Satan (بافا، ١٩٦٠)، «هرقل يغزو أتلانتيس»- Hercules Conquers Atlantis (كوتافافي، ١٩٦١)، "سر الدكتور هتشكوك الرهيب"- The Horrible Secret of Dr Hichcock (فريدا، ١٩٦٢)، «النمر»- The Leopard (فيسكونتي، ١٩٦٣)، «العار»- Contempt (غودار، ١٩٦٣)، «الإنجيل بحسب القديس متى»- Gospel According to St Matthew (بازوليني، ١٩٦٤)، «قلعة الدم»- Castle of Blood (مارغريتي، ١٩٦٤)، «القبضتان في الجيب»- Fists in The Pocket (بيلوكيو، ١٩٦٥)، «معركة الجزائر»- Battle of Algiers (بونتيكورفو، ١٩٦٦)، «الانفجار»- Blowup (أنتونيوني، ١٩٦٦)، «الجيد، السيئ والقبيح»- The Good, The Bad And The Ugly (ليونيه، ١٩٦٦)، «الصمت الكبير»- The Big Silence (كوربوتشي، ١٩٦٧)، «ديابوليك»- Diabolik (بافا، ١٩٦٨)، «الطائر ذو الريش الكريستالي»- The Bird With The Crystal Plumage (أرجنتو، ١٩٧٠)، «الملتزم»- The Conformist (برتولوتشي، ١٩٧٠)، «المدينة العنيفة»- Violent City (سوليما، ١٩٧٠)، «رابط مرسيليا»- The Marseilles Connection (كاستيلاري، ١٩٧٣)، «الجثث الشهيرة»- Illustrious Corpses (روسي، ١٩٧٥)، «سوسبيريا»- Suspiria (أرجنتو، ١٩٧٧).

كما أعددت لائحة أخرى بأفلام غريبة الأطوار بعضها أقل شهرة من الأسماء سالفة الذكر وتمثل أعمال مخرجين بارعين تركوا أثرهم في عالم السينما. وقد قدمت هذه الأفلام موضوعات متنوعة تراوحت بين المخلوقات الفضائية ذات الأذرع الأربعة والمقاتلين الذين يغادرون توابيتهم والمجرمين القساة والأساطير الإغريقية والأموات العائدين إلى الحياة والعملاء السريين والأخطبوطات العملاقة وانحطاط الإمبراطورية الرومانية الماجنة وأفلام الحرب العالمية الثانية والرعب القوطي وكوميديا التهريج والأبطال غير الأكفياء والأفلام التي تمزج الميثولوجيا بالرعب وبطل السباغيتي الوسترن الأول (والأخير) الذي يواجه مغاربة ورجال فايكينغ:

«حصان طروادة»- The Trojan Horse (فيروني، ١٩٦١)، «ماشيستيه في الجحيم»- Maciste in Hell (فريدا، ١٩٦٢)، «أبناء الرعد»- Sons of Thunder (تيساري، ١٩٦٢)، «دم وجلد أسود»- Blood and Black Lace (بافا، ١٩٦٤)، «قلعة الأحياء الأموات»- The Castle of Living Dead (كيفر، ١٩٦٤)، «آخر الرجال في الأرض»- The Last Men on Earth (سلاكو/ راغونا، ١٩٦٤)، «الكوكب المتوحش»- The Wild, Wild Planet (مارغريتي، ١٩٦٦)، «دجانغو»- Django (كوربوتشي، ١٩٦٦)، «مهمة خاصة لليدي تشابلن»- Special Mission Lady Chaplin (دي مارتينو، ١٩٦٦)، «اقتل يا دجاغنو»- Djagno, Kill! (If You Live Shoot!) (كويستي، ١٩٦٧)، «فيليني ساتيريكون»- Fellini Satyricon (فيليني، ١٩٦٩)، «يدعونني ترينيتي» - They Call Me Trinity (باربوني، ١٩٧٠)، «عيار ٩»- Milan Calibre 9 (دي ليو، ١٩٧٢)، «الأحمر العميق»- Deep Red (أرجنتو، ١٩٧٥)، «كن حقيراً»- Get Mean (بالدي، ١٩٧٦)، «المجسات»- Tentacles (أسونيتيس، ١٩٧٦)، «الأوغاد غير المجيدين»- The Inglorious Bastards (كاستيلاري، ١٩٧٧)، «آكلو لحم البشر»- Zombie Flesh Eaters

(فولتشي، ١٩٧٩)، «الرجل الكوغار»- Puma Man (دي مارتينو، ١٩٨٠)، «١٩٩٠: محاربو البرونكس»- 1990: The Bronx Warriors (كاستيلاري، ١٩٨٢).

أما الفيلم الإيطالي النموذجي، فيجب، برأيي الشخصي، أن يكون من إخراج إنزو كاستيلاري أو أنطونيو مارغريتي أو سرجيو كوربوتشي وأن يكون بطله فرانكو نيرو أو توماس ميليان أو كلاوس كينسكي أو جاك بالانس. كما كنت لأشرك فيه واحداً على الأقل من الثنائي جوستيريني وبروكس مع موسيقى تصويرية لإينيو موريكونيه أو الأخوين دي أنجيليس وكنت لأصوره في أحد مقالع لاتسيو. لم يعد أحد اليوم يطلب هذا النوع من الأفلام إلا هواة النوع على الرغم من أنه كان من الممكن للمرء، في يوم مضى، أن يتابع أحدها على إحدى محطات التلفزيون في ساعة متأخرة من الليل. أما اليوم فيستطيع الهواة أن يشاهدوا نسخاً أصلية نقية وكاملة من الأفلام التي سيناقشها هذا الكتاب على الأقراص المدمجة التي أصبحت شائعة في أيامنا هذه- أين منها تلك النسخ ذات الجودة الرديئة ذات الصورة المشوشة والباهتة التي كان هواة السينما مرغمين على اقتنائها في الثمانينيات والتسعينيات. يتضمن كتاب «تاريخ السينما الإيطالية» أفلاماً قد يكون القارئ قد شاهدها في يوم مضى، وأخرى قد يرغب في متابعتها أو قد يعرض عنها، إلا أنني آمل، في جميع الأحوال أن يبث كتاب «السينما الإيطالية» الرغبة (أو أن يعيد إحياء الرغبة) في هذه السينما الساحرة.

هوارد هيوز

الفصل الأول

هرقل يغزو شباك التذاكر

الملاحم الميثولوجية

على الرغم من أن الإيطاليين صنعوا، منذ حقبة السينما الصامتة، أفلاماً مبهرة حول العصور القديمة، إلا أن جنونهم بالملاحم الميثولوجية لم يبدأ إلا عام ١٩٥٨. وكان إنتاج هذه الملاحم، جزئياً، وسيلة لاستخدام الأزياء والديكورات التي خلفتها وراءها الأفلام الهوليوودية- بما فيها «كوفاديس» (١٩٥١) و«هيلين طروادة» (١٩٥٥)- التي تم تصويرها في استديوهات شينيشيتا في روما، التي لقبت باسم «هوليوود التيبر»، وهي مجمع استديوهات ضخم دشنه موسوليني عام ١٩٣٧. وقد استثمرت الأفلام الإيطالية في الرواج الكبير الذي عرفته أفلام العصور القديمة (ذهبت الدعاية الترويجية لفيلم "هيلين طروادة" إلى حد القول إن «الشاشة الكبيرة تتطلب موضوعات كبيرة») وذلك من خلال تبنيها نوعاً سينمائياً رائجاً- ملاحم السيف والصندل. وقد أطلق النقاد الفرنسيون على هذا النوع من الأفلام مصطلح «بيبلوم» (مفرد كلمة «بيبلا») المشتق من الكلمة اليونانية «بيبلوس» التي تطلق على التنورات القصيرة التي يرتديها الأبطال.

كان ستيف ريفز وريغ بارك وغوردون سكوت أكثر النجوم شعبية: وهم رجال مفتولو العضلات عوضت ضخامة أجسامهم وحضورهم الطاغي

على الشاشة عن ضعف مهاراتهم التمثيلية. وقد كان العديد من هؤلاء الرجال الأقوياء- بمن فيهم ميكي هارغيتاي وريغ لويس وغوردون ميتشيل ودان فاديس- من أبطال كمال الأجسام الذين كانوا يشاركون في أعمال ماي ويست الاستعراضية في الولايات المتحدة. وكان هنالك، كذلك، عدد كبير من الإيطاليين مفتولي العضلات حملوا أسماء مستعارة- منهم مثلاً رجل الأعمال الخطرة سرجيو شياني الذي صار اسمه ألان ستيل وقائد الجندول السابق أدريانو بيليني الذي صار اسمه كيرك موريس. وقد لعب هؤلاء الرجال أدوار أبطال حملوا أسماء على شاكلة هرقل وجولياث وأورسوس وشمشون وماشيستيه. لم يكن أورسوس وماشيستيه مألوفين لدى الجمهور الناطق بالإنكليزية لذلك تم تغيير اسميهما في النسخ الناطقة بالإنكليزية إلى هرقل وجولياث. أطلقت شركة إمباسي بيكتشرز عدة أفلام من سلسلة «أبناء هرقل» كانت تتميز بأغنية المقدمة الهادرة التي تقول كلماتها: «على البر، وفي البحر، وطالما اقتضت الحاجة، فإنهم سيبقون أبناء هرقل!». وفي حين كان يعرف عن أفلام الملاحم الكتابية التي صنعها المخرج الهوليوودي سيسيل ديميل تقديمها لعشاق السينما أكثر مما أنفقوه، فقد كان جمهور أفلام البيبلوم يحس في بعض الأحيان أن المقايضة مجحفة بحقه.

كانت حرية الإنسان التيمة المركزية في أفلام البيبلوم، حيث غالباً ما نصادف في هذه الأفلام حاكماً يظلم شعبه ويستعبده، فينتفض العبيد على أغلالهم بمساعدة البطل في فعل يرمز إلى الحرية التي كانت سمة مميزة في هذا النوع من الأفلام. كما نصادف في أغلب الأحيان ملكة مراوغة مفلسة أخلاقياً (تشتهي البطل) وبطلة فاضلة (يكون عليه إنقاذها). ويعتبر التعذيب واختبارات القوة والكوارث (عادة ما تكون هزات أرضية) والملهى الذي يضم مجموعة من الراقصات ويروح البطل فيه عن نفسه من العناصر التي يتكرر ظهورها في هذه الأفلام. كما يوضع البطل، في بعض الأحيان، خارج سياقه الميثولوجي- يحط فيلم «هرقل ضد أبناء الشمس» ببطله في أمريكا اللاتينية

في حين تدور أحداث فيلم «ماشيستيه في الجحيم» في اسكتلندا- لكن الأمر، إذا أردنا اقتباس أوسكار وايلد، هو أنه يمكن تصديق أي شيء شريطة أن يكون لا يصدق.

هرقل الجبار

كان فيلم «هرقل»- Hercules (١٩٥٨) لبييترو فرنشيسكي الفيلم الذي لعب دور الصاعق الذي أطلق كل هذه الملاحم. وهو فيلم «مقتبس بتصرف» من رواية أرغونوتيكا التي ألفها أبولونيوس رودوس في القرن الثالث قبل الميلاد ولعب دور هرقل فيه الأمريكي ستيف ريفز الحائز على بطولة العالم بكمال الأجسام إلى جانب النجمة اليوغسلافية الناشئة سيلفيا كوسينا بدور إيول، ابنة الملك بيلياس. وكان فرنشيسكي قد حقق نجاحاً في فيلم «أتيلا ملك الهون»- Attila The Hun (١٩٥٤) الذي جمع أنطوني كوين وصوفيا لورين. يدعو بيلياس (إيفو غاراني) هرقل للذهاب إلى مدينة إيوكلوس في ثيساليا كي يعلم ولي عهده المتبجح إفيسوس (ميمو بالميرا) فنون القتال. لكن أسداً يقتل إفيسوس بوحشية بينما كان برعاية هرقل، فيتخلى البطل عن خلوده. يتم إرسال ياسون (فابريتسيو ميوني) الوارث الشرعي لعرش بيلياس لاسترجاع الصوفة الذهبية من كولخيس. فيجمع ياسون، على متن السفينة أرغو التي بناها أرغوس (ألدو فيوريلي)، عدداً من الأرغوناتيين- أورفيوس الموسيقي (جينو ماتيرا) والتوأمين كاستور وبولوكس (فلوفيو كارارا وويلي كولومبيني) ويوليسيس (غابرييل أنتونيني) ابن لارتيس (أندريا فانتازيا) وتيفي القبطان (ألدو بيني) وهرقل. لكن يوريثيوس (أرتورو دومينيتشي)، رجل بيلياس، يخرب الرحلة فيحط المسافرون رحالهم في جزيرة النساء التي تدعى ليمنوس حيث يقع ياسون في حب أنتيا (جيانا ماريا كاناليه)، ملكة الأمازونيات الفاتنة. ثم يقع الأرغوناتيون في شرك نصبه رجال قرود في كولخيس ويحارب ياسون تنيناً يحرس الصوفة الذهبية قبل أن يعود إلى إيوكلوس كي يطالب بعرشه.

تم تصوير فيلم «هرقل» بنظام إيستمانكولور وبعدسة فرنسية واسعة من طراز ديااليسكوب ورافقته موسيقى تصويرية ألفها إنزو ماسيتي. ويمكن، في هذا الصدد، الإشارة إلى مقطوعة الشارة الثرية والموسيقى الرشيقة المرافقة للمباريات الرياضية وكورس البحارة المفعم بالحيوية بقيادة أورفيوس وصفير آلة الثيرمين ومقطوعة الحب التي تعزف لهرقل وإيول ولياسون وأنتيا. لعبت ليديا ألفونسي دور العرافة ولوشيانا بالوتسي، فتاة جيمس بوند المقبلة، دور وصيفة إيول. صورت المناظر الخارجية في المحمية الطبيعية وعلى الشاطئ في تور كالدارا وفي رأس أنزيو، أما مناظر القصر الداخلية فصورت في استديوهات تيتانوس في روما. صور مشهد وداع هرقل لإيول أمام نوافير مقنطرة في مقاطعة أور في روما كما صورت المباريات الرياضية التي يقوم خلالها هرقل بإذلال إيفيسوس في مقاطعة أور نفسها. وقد قدم ماريو بافا إضاءة ومؤثرات خاصة مبهرة، كما يمكننا أن نشير في هذا الصدد إلى بعض المواقع التي لا تنسى: جزيرة ليمنوس البركانية (جنة استوائية من أشجار النخيل والببغاوات والأزهار المتدفقة) والمسقط المائي المتدرج في مونتي جيلاتو في وادي تريجا في لاتسيو. تتدلى من كهف أنتيا المتألق نوازل كلسية وأزهار (تقديم ساغرافاتي في روما) وما يبدو أنه أشرطة وامضة رقيقة. يمكن ترجمة الاسم الإيطالي للفيلم- Le Fatiche di Ercole - إلى «مهام هرقل» على الرغم من أن الفيلم لا يعرض سوى اثنتين من المهام الاثنتي عشرة: خنق الأسد النيمي وأسر الثور الكريتي (تم تمثيله في الفيلم بثور أمريكي شمالي).

حقق فيلم «هرقل» نجاحاً باهراً ولاسيما في الولايات المتحدة التي جمع الفيلم فيها عشرين مليون دولار عام ١٩٥٩ حيث اشترى المنتج المستقل جوزيف ليفاين حقوق توزيعه بمائة وعشرين ألف دولار وأنفق مليوناً ومائتي ألف دولار على حملة إعلانية في التلفزيون وصفها وليام

غولدمان بأنها «الحملة الأكثر عدوانية التي عرفها أي فيلم على الإطلاق». وقد تمت دبلجة الفيلم إلى اللغة الإنكليزية بنسختين: حيث تفتتح النسخة البريطانية بالتيترات على صورة إفريز إغريقي في حين تظهر في النسخة الأمريكية صور كونية متحركة كما كانت نوعية الدوبلاج فيها أفضل. قامت شركة وورنر برادرز بتوزيع فيلم هرقل الذي مثل أحد أكبر نجاحات الشركة في ذلك العام. وأسس ليفاين، نتيجة لهذا النجاح، شركة إمباسي بيكتشرز (تغير اسمها لاحقاً إلى أفكو إمباسي) وأنتج فيما بعد الفيلمين الحائزين على جائزة أوسكار وهما «الخريج»- The Graduate (١٩٦٧) و«الأسد في الشتاء»- The Lion in Winter (١٩٦٨).

استند فيلم «هرقل طليقاً»- Hercules Unchained (١٩٥٩) لفرنشيسكي، وهو أحد حلقات سلسلة أفلام هرقل، إلى كتاب «أوديب في كولونوس» لسوفوكليس (رواية للساعات الأخيرة في حياة الملك أوديب) و«سبعة ضد طيبة» لإسخيلوس (سرد لحروب طيبة) و«أساطير هرقل وأومفال» وهي مؤلفات اقتبسها فرنشيسكي مرة أخرى بتصرف. يحل هرقل وزوجته إيول (ريفز وكوسينا) مع أوليسيس (غابرييل أنطونيني) في أتيكا موطن هرقل كي يجدوا الملك أوديب (شيزاري فانتوني) على خلاف مع ولديه إيتيوكليس (سرجيو فانتوني) وبولينيسيس (ميمو بالميرا). وكان أوديب قد سن مرسوماً يتناوب بموجبه ابناه على حكم مدينة طيبة بحيث يحكمها كل منهما مدة عام واحد. لكن إيتيوكليس يرفض التنازل عن السلطة فيفرض بولينيسيس حصاراً على المدينة مستعيناً بمرتزقته الأرغوسيين. وفي هذه اللحظة، يدخل فرنشيسكي هرقل على خط القصة مسنداً إليه مهمة مبعوث السلام. فيحمل هرقل وأوليسيس اقتراح هدنة من إيتيوكليس إلى بولينيسيس لكن الرجلين يقعان، في الطريق، في قبضة جنود ليديين يغسلون دماغ هرقل باستخدام «ماء النسيان»، فيتحول هرقل إلى عبد جنسي لأومفال، ملكة ليديا (سيلفيا لوبيز). وكانت أومفال تحول

عشاقها، بعد أن تستنفد أغراضها منهم، إلى تماثيل بشرية، عبر عملية تزجيج بالبخار، مستعينة في ذلك بساحرها المصري. وقد لاحظ أحد النقاد، في هذه المناسبة، أن «مصيراً كهذا لم يكن له أن يحدث كبير فرق في أداء ريفز». ثم يجرد الملك لايتريس حملة إنقاذ بقيادته لتحرير هرقل الذي يسارع إلى طيبة حيث تكون إيول على وشك أن تصبح طعاماً للنمر في حلبة إيتيوكليس.



ستيف ريفز يستعرض عضلاته في فيلم «هرقل طليقاً» (١٩٥٩) لبييترو فرنشيسكي الذي يعتبر بمثابة الجزء الثاني للفيلم الناجح «هرقل» (١٩٥٨)

يتفوق فيلم «هرقل طليقاً» على سابقه من حيث إحكام الحبكة وقوة مشاهد الحركة والأداء التمثيلي الأكثر براعة. ظهر كارلو دانجيلو في دور كريون، كبير كهنة طيبة ودانيال فارغاس في دور جنرال أرغوسي وجياني لوتي في دور ساندون (قائد حرس أومفاليا) ونجما أفلام البيبلوم القادمان ألان ستيل وجيوليانو جيما كضابطين. وأدت راقصة الباليه كولين

بينيت دور الراقصة الليدية المنفردة في البلاط وباتريتسيا ديلا روفيريه دور بينيلوبيه، فتاة أوليسيس. تعزف إيول لهرقل على قيثارة أورفيوس وتحرك فمها في أغنية «نجم المساء» التي أدتها جون فالي بصوتها (كلمات ميتشيل باريش) والتي استخدم لحنها نفسه في المقطوعة التي تعزف في مقدمة الفيلم مع التيترات. يقاتل هرقل، في طريقه إلى طيبة، أنتايوس، ابن إلهة الأرض (لعب دوره البطل العالمي في الملاكمة والمصارعة بريمو كارنيرا). يتميز الفيلم بخاتمته المبهرة التي تشهد معركة عنيفة يجر الأرغوسيون خلالها أبراج الحصار إلى بوابات طيبة، فيقود هرقل هجوماً مضاداً عبر الهضبة مستخدماً عربات تجرها الخيول ويحطم الأبراج الأرغوسية.

ومرة أخرى، كلف ماريو بافا بمهمة الإضاءة والمؤثرات وتم تصوير الفيلم بعدسة دياليسكوب ونظام إيستمانكولور. تعتبر المناظر الخارجية الإيطالية المشمسة- شواطئ، جروف، وديان، مدن وغابات - من أفضل ما قدمته أفلام البيبلوم. تم تصوير المناظر الخارجية في لاتسيو (بما في ذلك شاطئ تور كالدارا ووادي تريجا)، في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات تيتانوس أبيا. وكانت مناظر مدينة ليديا الغرائبية هي الموضع الذي برع الإنتاج فيه بحق. فعندما يشرب هرقل الماء من نبع مسحور في الغابة، نجد شجرة متكورة على هيئة جني ذي شكل غريب يتدفق الماء من عينه وتتلألأ الطحالب التي تكسوه بطريقة سحرية. زين شلال مونتي جيلاتو، الواقع على نهر تريجا، بالأزهار من أجل لقاءات هرقل وأومفال العاطفية الهادئة. أما أومفال، فهي، كما جسدتها الممثلة الفرنسية سيلفيا لوبيز، امرأة جذابة ذات شعر أحمر تتبختر بمجموعة من الأثواب الشفافة وأردية سباحة مزينة من تصميم إيستر وليامز وترتدي، لدى استيقاظها من النوم، ثوب نوم طويلاً ورقيقاً، في حين يغمر بافا مواقع التصوير بشهوانيتها المشعة. وقد كان لأداء لوبيز دور الملكة

المشؤومة أثراً عاطفياً بالغاً ولا سيما على أثر وفاتها، في تشرين الثاني ١٩٥٩، بسرطان الدم عن ثمانية وعشرين عاماً. ومرة أخرى، اشترى ليفاين حقوق توزيع الفيلم وقام بتوزيعه في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا عام ١٩٦٠ من خلال شركة وورنر براذرز. وقد حقق الفيلم ثروة حقيقية من خلال حملة إعلانية تلفزيونية كثيفة ساهمت في جذب الجمهور إلى صالات العرض.

وعاد فرنشيسكي، مرة أخرى، إلى ملحمة هرقل مع فيلم «هرقل، شمشون وأوليسيس» - Hercules, Samson and Ulysses (١٩٦٣). في إيثاكا، يستقل هرقل (كيرك موريس) وأوليسيس وعدد آخر من الأفراد سفينة في حملة لقتل وحش البحر الكبير. تحط الحملة رحالها في اليهودية حيث يجد أفراد الحملة أنفسهم متورطين في انتفاضة ضد الحاكم الشرير سيران (ألدو جيوفريه) الذي يقاتل عدوه شمشون (إيلوش خوشابيه الذي استخدم اسماً آخر أسهل لفظاً هو ريتشارد لويد). وفي واحد من أشد مشاهد البيبلوم عنفاً، يأمر سيران بتدمير قرية كانت تؤوي شمشون وصلب العديد من سكان القرية على جدران منازلهم في عمل وحشي أسرف في ممارسته جنود سيران الذين يعتمرون خوذات على طراز الخوذات الألمانية في الحرب العالمية الثانية. وفي خاتمة الفيلم، التي تم تصويرها على شاطئ تور كالدارا (الذي تم زرعه بأشجار نخيل زائفة)، يوحد هرقل وشمشون قواهما لتدمير معبد داغون الذي يتداعى ويدفن جيش سيران تحت أنقاضه. تحاول دليلة (ليانا أورفي الجميلة المخادعة) إغواء هرقل كي يستحم معها في شلال مونتي جيلاتو، لكنه يصدها بتهذيب قائلاً: «ليس الآن يا دليلة». لقد كان واضحاً، إذن، أن هرقل وشمشون يفضل واحدهما صحبة الآخر. ظهر جسد شمشون في الفيلم زلقاً إلى درجة يبدو فيها معها مطلياً بالورنيش. وخلال المعركة الكبيرة بين هرقل وشمشون يتراشق الاثنان بصخور ضخمة وبأعمدة مصنوعة من الورق المقوى.

بطولات جبارة: على خطى هرقل

بين فيلم فرنشيسكي الأول وفيلمه الأخير عن هرقل، تبعثرت أفلام البيبلوم الإيطالية في مختلف الاتجاهات. يقدم فيلم «هرقل في مواجهة الهيدرا» - The Loves of Hercules (١٩٦٠) لكارلو لودوفيكو القصة دون ادعاءات كبيرة ودون أدنى اكتراث بالأسطورة الأصلية أو حتى بمنطق الأمور. يلعب بطل العالم السابق في كمال الأجسام، المجري ميكي هارغيتاي وزوجته ذات الصدر الناهد وقنبلة هوليوود الجنسية جاين مانسفيلد دور هرقل وديانارا ملكة أكاليا. تقتل ميغارا زوجة هرقل، وأوريثيوس والد ديانارا، على يد ليكو (ماسيمو سيراتو) وتابعه الأمين فيلوكتيتيس (أندريا أوريلي) اللذين يخططان لاغتصاب عرش أكاليا، في حين يتهم هرقل كذباً بقتل أخيل (جيل فيدال) عشيق ديانارا. ثم يقتل هرقل الهيدرا ذات الرؤوس الثلاثة ويقع أسير سحر هيبوليتا ملكة الأمازون (مانسفيلد مرة أخرى) التي تجعل من نفسها نسخة حية من ديانارا. لكن هرقل يتفلت من تأثيرها ويسارع عائداً إلى حصن أكاليا كي يقود انتفاضة الشعب ضد ليكو.

لجأت مانسفيلد إلى تصوير الفيلم في إيطاليا عندما رفضت هوليوود توظيف هارغيتاي كشريك لها في البطولة. وكان عليها أن تخضع لحمية غذائية لإخفاء حقيقة حملها بطفلها الثاني. لكنها بقيت مع ذلك رائعة الجمال بأثوابها الفضفاضة الملونة وشعرها الأشقر الذي كانت تخفيه تحت غطاء رأس أسود أو أرجواني (في دور ديانارا) أو تحت شعر مستعار أحمر صقيل (في دور هيبوليتا). لعب جيوليو دونيني دور كبير كهنة ليكو المخادع وأندريا سكوتي دور تيمانثوس، رفيق هرقل المخلص وحامل درعه. رافقت الفيلم موسيقى تصويرية مهيبة لكارلو إينوشينزي وتم تصوير الفيلم في الريف الإيطالي (بنيت بوابات أكاليا المبهرة بجانب

شلالات مونتي جيلاتو) وفي قلب ديكور ضخم يمثل مدينة أكاليا تم بناؤه في استديوهات شينيشيتا، وقد تضمن الفيلم عدداً من مشاهد الحركة التي لا تنسى، حيث ينقذ هرقل ديانارا من ثور وحشي (كان ينبغي حقنه بمادة مهدئة قبل أن يتمكن هارغيتاي من مواجهته) ومن هالكيون، وهو قرد ذو أسنان ناتئة، قبل أن يقطع هرقل رأس هيدرا تنفث ناراً (دمية تنين) بأسلوب لاعبي الهوكي في مشهد استعاده، عام ١٩٦٨، فيلم وثائقي بعنوان «عالم جاين مانسفيلد الوحشي» - Wild, Wild World of Jane Mansfield (تم إنتاجه إثر وفاة الممثلة التي فصل رأسها عن جسدها في حادث سيارة عام ١٩٦٧). وتمثلت مفاجأة الفيلم السوريالية في غابة الموت الواقعة تحت سيطرة هيبوليتا التي تحول الرجال الذين أحبتهم إلى مخلوقات شجرية منتحبة. لكن واحداً من تلك المخلوقات الملعونة ينتقم من الملكة الشريرة ويخنقها بأحد أغصانه. وقد تم بناء وادي الرجال الأشجار المشؤوم هذا، الذي يقدم في الواقع واحداً من أقل مشاهد الفيلم تبلداً، في تور كالدارا.

وكما كانت الحال مع فيلمي «هرقل» لفرنشيسكي، فقد استلهم ريكاردو فريدا فيلم «عمالقة ثيساليا» - The Giants of Thessaly (١٩٦١) من أسطورة الصوفة الذهبية نفسها. تجري أحداث الفيلم عام ١٢٥٠ قبل الميلاد، عندما يجرد ياسون، ملك ثيسالي (رولاند كاري) حملة بحث عن قطعة الصوف هذه- فإن أخفق في العثور عليها، فإن الآلهة سوف تدمر إيولكوس بثورة بركانية. لعبت زيفا رودان دور الملكة كروزا زوجة ياسون، وماسيمو جيروتي دور أورفيوس ولوشيانو مارين دور أوريثيوس. أما ألبرتو فارنيزيه فجسد شخصية أدراستيس المستبد ذي اللحية المدببة المولع بكروزا («فتنتها متقدة في داخلي كفرن مشتعل») ويلعب راف بالداساريه دور أدراستيس، رجل أنتيوس. يحط الأرغوناتيون رحالهم في جزيرة للساحرات تحكمها

الملكة غايا (نادين ساوندرز)، وهي ساحرة حولت رفاق ياسون إلى خرفان ناطقة. تعبر غايا وياسون بركة يغلي ماؤها تقع في قلب كهف باستخدام عرش عائم شبيه بالقوارب الإغريقية. ينقذ الأرغوناتيون إحدى المدن من غوريلا عملاقة ذات عين واحدة (المؤثرات الخاصة لكارلو رامبالدي) ويزحزح ياسون تمثالاً عملاقاً لاستعادة الصوف الذهبي. صورت المناظر الداخلية في استوديوهات شينيشيتا وفي معهد الثقافة السينمائية، أما المناظر الخارجية فصورت على أعتاب قصر المدينة في مقاطعة أور في روما (مشهد اجتياح قصر إيولكوس). وكان ختام الفيلم رائعاً. ففيما كان أدراستيس على وشك الزواج بكروزا، يندفع الأرغوناتيون من قلب مجموعة من التماثيل وسط ألسنة اللهب.

حملت نسخة شركة كولومبيا بيكتشرز من أسطورة الصوف الذهبي اسم «ياسون والأرغوناتيون» - Jason and The Argonauts (١٩٦٣) وقد تم تصويرها في مواقع رائعة في منطقة كامبانيا الإيطالية وفي استديوهات سافا في روما. وتميز الفيلم باستخدام راي هاريهاوزن تقنية الستوب موشن بنظام إيستمانكولور وظهر فيه نايجل غرين بدور هرقل وتود أرمسترونغ بدور ياسون.

احتل جولياث المرتبة الثانية من حيث الشعبية في الولايات المتحدة خلف هرقل وقد كان فيلم «جولياث والتنين» - Goliath and The Dragon (١٩٦٠) لفيتوريو غوتافافي واحداً من أكثر أمثلته نجاحاً. أما النسخة الإيطالية (بعنوان «انتقام هرقل») فكانت حلقة من سلسلة أفلام هرقل التي صورها فرنشيسكي. ينحدر إيميليوس الجبار، «جولياث طيبة» (مارك فورست)، إلى كهف الرعب لاستعادة ماسة الدم لصالح إلهة الانتقام ويقاتل سيربيروس، كلب الجحيم ذا الرؤوس الثلاثة التي تنفث نيراناً (دمية)، ويصارع خفاشاً عملاقاً (رجل بزي خفاش). يرغب الطاغية أوريثيوس

(بروديريك كراوفورد)، ملك أوكاليا ذو الوجه المشوه، بالاستيلاء على طيبة، فيقتل والدي جولياث ويسجن شقيقه إيلوس (ساندرو موريتي). تتنبأ العرافة (كارلا كالو) أن إيلوس سيصبح ملكاً على أوكاليا لكن ذلك سيكلف جولياث حياة زوجته ديانيرا (ليونور روفو). جسد كراوفورد في الفيلم شخصية الشرير النموذجي ويموت في حلبة مصارعة الأفاعي التي يملكها هو نفسه أثناء مصارعته ثعباناً مطاطياً عملاقاً. لعب غابي أندريه دور إيسمين الشرير الذي يتحالف مع تيندار، مستشار أوريثيوس (جيانكارلو سبرالاي). كما لعبت وانديسا غيدا دور أنسيون، الأمة التي يرسلها أوريثيوس لدس السم لجولياث ولعبت فيديريكا رانكي دور ثيا، ابنة أوريثيوس. وكان سالفاتوريه فورناري قد جسد شخصية القزم رفيق جولياث، وهو في الواقع وجه معروف في أفلام البيبلوم شارك مراراً في أفلام كوتافافي. يصارع جولياث دباً وينقذ إيليوس من الموت سحقاً تحت قائمة فيل ثم يهدم منزله عندما يكتشف عجزه عن الفوز بحياة البشر المائتين وهو يصرخ: «فلتتداع أيها البيت كأحلامي المكسورة!». يتسلل جولياث إلى كهوف المدينة الواقعة تحت الأرض ويحطم أعمدتها الكلسية الداعمة متسبباً بانهيار أوكاليا. تختطف ديانيرا على يد السنتور بوليمورفوس (كلاوديو أونداري) وهو مخلوق نصفه إنسان ونصفه أيل لم يكن ظهوره في الفيلم مقنعاً على الرغم من أن مشهد بلوغه شلالات مارموريه في أومبريا كان مبهراً. هكذا يفر بوليمورفوس وسط سحابة من الدخان الأرجواني مصطحباً ديانيرا. يحمل جولياث على التنين في مشهد ظهر الوحش فيه فجأة باستخدام أسلوب الستوب موشن (على يد جيم دانفورث) وتتخلله لقطات مقربة لفورست وهو يحارب دمية في كهوف دي سالوني الصخرية تحت الأرضية في لاتسيو. استبدلت النسخة الأمريكية من الفيلم بالموسيقى التصويرية الأصلية التي ألفها ألكسندر ديريفيتسكي موسيقى ألفها ليس باكستر.

يتنبأ العرافون، في فيلم «هرقل يغزو أتلانتيس» - Hercules Conquers Atlantis (١٩٦١) لكوتافافي، أن اليونان ستتعرض للتدمير على يد خطر مجهول قادم من البحر. يقود أندروكليس ملك طيبة (إيتوريه ماني) حملة يرافقه فيها هرقل (بطل كمال الأجسام البريطاني ريغ بارك). تحط الحملة رحالها في أتلانتيس التي تحكمها الملكة أنتينيا (فاي سباين) التي خلقت جنساً من المحاربين الذين لا يقهرون. أما أنتينيا نفسها، فتكتسب قوتها من دم الإله أورانوس، الذي يتخذ الآن شكل صخرة مدفونة عميقاً في جبال الموت- يدمر هرقل الصخرة بشعاع شمسي متسبباً بدمار أتلانتيس وإنقاذ العالم الذي نعرفه اليوم.

صور كارلو كارليني الفيلم بأسلوب رائع باستخدام نظام تكنيكولور وعدسة عريضة قياس ٧٠ ملم من طراز سوبر تكنيراما، ويعتبر الفيلم أحد أثرى ملاحم الستينيات من الناحية البصرية ويمكن مقارنته بنظيراته من أفلام هوليوود. صور الفيلم في تور كالدا في إيطاليا (التي تثور فيها دوامة من الدخان الكبريتي الأصفر) وفي كهوف سالونيه (استخدمت بوصفها معبد النبي تريسياس الواقع تحت الأرض وأعماق مملكة أتلانتيس) وفي عدد من مناجم الكلس والشواطئ، أما المناظر الداخلية فصورت في استديوهات شينيشيتا. بنيت سفينة أندروكليس في حوض نيتونو الجاف لبناء السفن. تعتبر ديكورات الفيلم لفرانكو لولي من بين الأفضل تصميماً في كافة أفلام أتلانتيس حيث ينوء تمثال أتلانتيس، الموجود داخل المعبد، تحت ثقل سقف المعبد المقنطر، في حين تجعل بوابات المعبد العملاقة أي شخص يبدو قزماً أمامها حتى ولو كان هذا الشخص هرقل نفسه. يؤدي بارك دور هرقل، الذي كان أفضل الأدوار التي لعبها، بصورة شخص متراخ لا تظهر قوته التي لا تقهر إلا عندما يهب للقتال كما في المعارك التي خاضها باسم طيبة ضد وحوش ورجال. وهرقل، كما أداه بارك، شخص ماكر: إذ نراه يبصق النبيذ المسموم الذي قدمته له الملكة في حين

كان ريفز ليبتلعه دون أدنى شك. لعب لوشيانو مارين دور هيليوس، ابن هرقل وسالفاتوريه فورناري دور تيموثيوس، رفيقه القزم. قدم مجلس مدينة طيبة مينو دورو بدور رئيس المجلس، في حين ظهر كل من جينا ماريا فولونتيه وإيفو غاراني وإنريكو ماريا ساليرنو كضيوف شرف في دور ملوك إغريقيين. ولعبت لورا ألتيان دور إيسمين، ابنة أنتينيا- التي إن عمرت أكثر من أمها تتعرض أتلانتيس للدمار. لكن هرقل يجنب إيسمين التضحية بها للإله بروسيوس (ماوريتسيو كافاريلي) الذي يحول نفسه، كي يواجه هرقل، إلى أفعى وأسد ونسر وسحلية ذات قرنين. لعب ماريو بيتري دور زينيت، كاهن أورانوس وميمو بالميرا دور حارس أنتينيا ذي الوجه الذي يشبه مخلوقات الزومبي والذي يرتدي عباءة سوداء اللون. يقوم محاربو أتلانتيس الذين لا يقهرون بقتل الأسرى البائسين المسجونين في واد والذين كانوا يتغذون على جيف الحيوانات. لكن هرقل يتمكن من القضاء على هؤلاء المحاربين باستخدام النفط المشتعل ويدمر حجر الدم مطلقاً بذلك سلسلة من الكوارث، إذ يثور البركان وتجتاح المياه المدينة مدمرة عمرانها ومحيلة إياها إلى أنقاض- المؤثرات الخاصة لغاليانو وريتشي، مع الاستعانة بثوران بركاني حقيقي صوره هارون تيرزييف الذي استخدمت لقطاته في الكثير من أفلام البيبلوم.

حملت النسخة الأمريكية من الفيلم اسم «هرقل والأسيرات»- Hercules and The Captive Women ونفذت شركة وولنر براذرز عمليات المونتاج والتقطيع على الفيلم الأصلي. يبدأ الفيلم، بطبعته الأمريكية، بسرد قصصي بصوت ليون سلزنيك. كما قام غوردون زالر بتنقيح الموسيقى التصويرية وإدخال مقطوعات «ملحمية» عليها: وتعتبر موسيقى أرماندو تروفاجولي العاطفية التي ترافق الرحلة البحرية للحملة مثالاً على ذلك حيث أدخلت عليها في النسخة الأمريكية نغمات أبواق انتصارية.

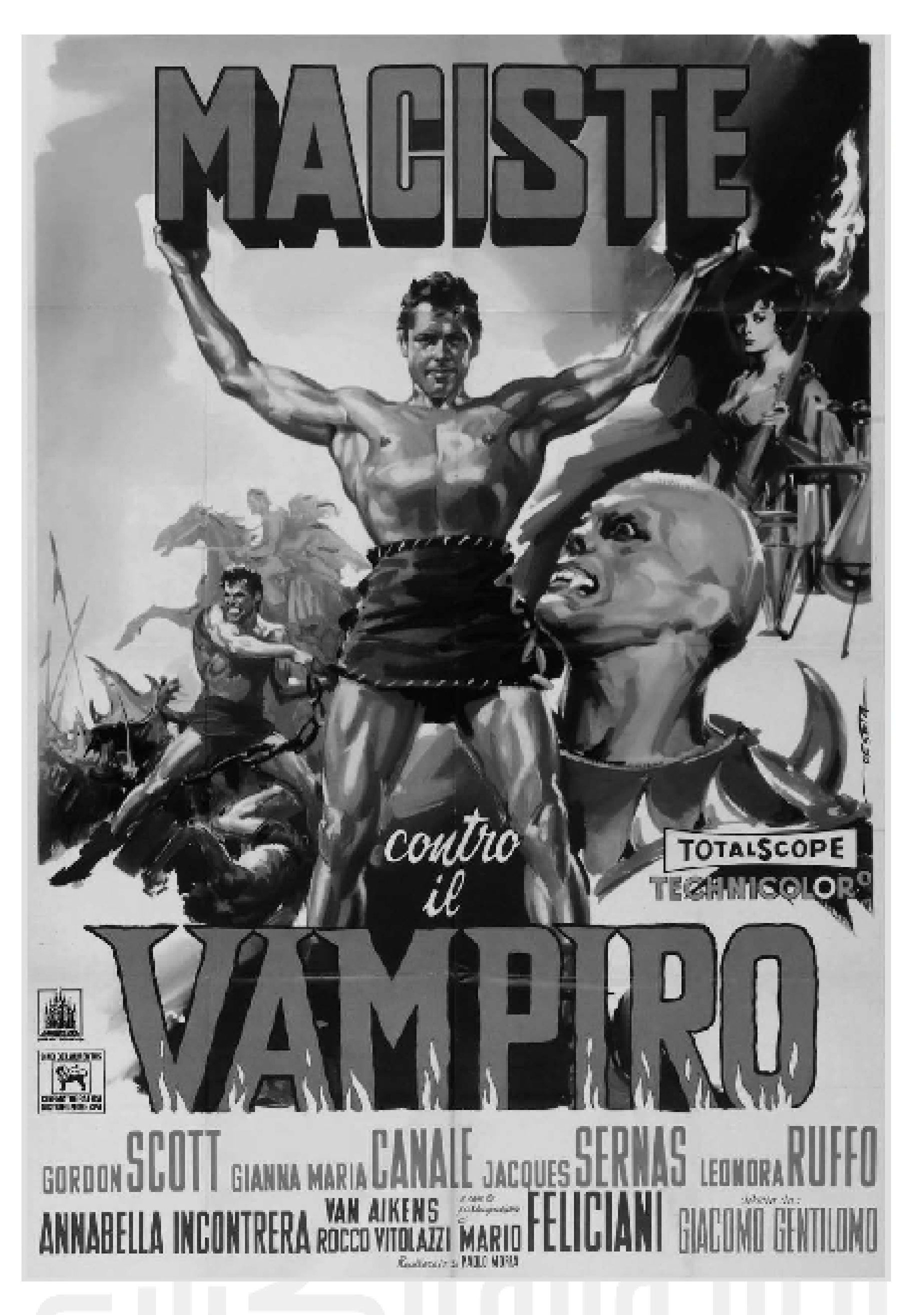
العوالم المظلمة: بيبلوم الرعب

كان مزج أنواع سينمائية متباعدة، من حيث المبدأ، واحداً من المجالات التي برع بها ماريو بافا. لذلك، عندما عرض عليه إخراج فيلم عن هرقل، لم يكن مفاجئاً أن تكون النتيجة فيلماً هجيناً. كان عنوان الفيلم المؤقت هو «هرقل في عالم الأموات»، لكن عنوانه النهائي، بنسخته البريطانية، كان «هرقل في مركز الأرض» - Hercules in The Centre of The Earth (١٩٦١). يعود هرقل (ريغ بارك) إلى إيكاليا كي يجد أن زوجته ديانار (إيليونورا روفو) قد وقعت تحت تأثير سحر الملك ليكو (كريستوفر لي). يحذره المستشار كيروس (مينو دورا) أن المدينة واقعة تحت لعنة قوى الشر كما تخبره العرافة ميديا أن عليه أن يسافر إلى جزيرة الهسبيريديس حيث يجب عليه أن يعثر على تفاحة ذهبية كي يتمكن من الانتقال إلى هاديس، مملكة الأموات. يستعيد هرقل ورفيقاه ثيسيوس (جيورجيو أرديسون) وتيليماخوس (فرانكو جياكوبيني) التفاحة ويسافرون إلى العالم السفلي حيث يقع ثيسيوس في حب بيرسيفون، ابنه بلوتو المفضلة (إيدا غالي) ويسرق هرقل حجر بلوتو السحري. في ذلك الوقت، يخطط ليكو لشرب دم ديانارا أثناء كسوف شمسي كي يصبح «ملكاً إلى أبد الآبدين».

أعاد بافا استخدام المناظر الداخلية والخارجية للقصر التي كان قد تم إعدادها في استديوهات شينيشيتا من أجل فيلم «هرقل يغزو أتلانتيس». يفتتح الفيلم على عصابة من قطاع طرق (يقودها راف بالداساريه) ينصبون شركاً لهرقل عند شلالات مونتي جيلاتو. أما المناظر الشاطئية الخارجية (عندما توشك مجموعة من الخيول البرية أن تمزق تيليماخوس) فصورت في تور كالدارا. وصورت هاديس، مملكة الأموات، في كهوف كاستيلانا التي كانت نذر الجحيم تتدفق منها إلى أرجاء الشاشة. إذ زينت الكهوف بنوازل مثلمة وغمرتها ألوان تنبض بالحياة (أحمر، أخضر، قرمزي، وأزرق) واكتنفتها

دوامات من الجليد وتم التصوير بنظام تكنيكولور وعدسة سوبر/١٠٠ من طراز توتالسكوب. يعبر الأبطال البحر على متن السفينة السحرية سونيس التي تبحر بعكس اتجاه الريح تحت سماء حمراء قانية. وفي حديقة الهسبيريديس، أرض الليل الأزلي، يقوم بروكروستيس، الغوليم ذو الجسد الغرانيتي، بتعذيب ثيسيوس وتيليماخوس باستخدام ألواح تكسير العظام. وعندما يصل الأبطال إلى هاديس، تحاول امرأة جميلة عارية مقيدة إيقاعهم في شراكها قبل أن يتبين أنها مجرد شبح يختفي في قلب اللهب وسط ضحكات ساخرة.

كانت أريثوسا، ملكة الهسبيريديس (ماريسا بيلي) قد قالت لهرقل: «لا تصدق ما تظن أنك تراه". يشق هرقل وثيسيوس طريقهما وسط غابة كثيفة من أشجار الكرمة التي تصرخ عندما يتم قطعها ويتدفق الدم من أغصانها. كتب أرماندو تروفاجولي مقطوعة موسيقية سوداوية مسكونة كانت تعزف باستخدام آلات كمان غجرية في المشاهد التي كانت ديانارا المسحورة تخرج، فيها، من قبرها، على وقع نغمات كلارينيت مخيفة. تتزحزح شواهد قبور أفراد جيش ليكو، في الخاتمة المريعة للفيلم، مصدرة صريراً حجرياً، ويسارع هرقل إلى عرين ليكو الواقع في كهف رطب كي ينقذ ديانارا فتهاجمه غيلان متدثرة بالأكفان تنبثق من نعوش يغطيها نسيج العنكبوت وتطير منقضة على هرقل وسط ضباب كثيف. لكن هرقل ينجح في القضاء على ليكو في مذبحه الواقع على قمة الجبل وسط حلقة من الأعمدة الحجرية ويقاتل الأطياف، قبل أن تشتعل النيران في جثة ليكو مع بزوغ الشمس. تتميز النسخة الأمريكية من الفيلم، «هرقل في العالم المسكون» لشركة وولنر براذرز، بموسيقى شارة أكثر إثارة وبتيترات متحركة صممتها شركة فيلمايشن كانت، بدواماتها التنويمية وغيلانها الطائرة، أشبه بالملصقات المبتذلة التي يصادفها المرء في مطاعم الوجبات السريعة.



غوردون سكوت في مواجهة مصاص الدماء كوبراك في فيلم بيبلوم رعب بارع أخرجه كل من جياكومو جينتيلومو وسرجيو كوربوتشي. الملصق الإيطالي لفيلم «ماشيستيه ضد مصاص الدماء» (١٩٦١)، الذي عرض كذلك تحت اسم «جولياث ومصاصو الدماء»

أما فيلم «ماشيستيه ضد مصاص الدماء»- Machiste Against The Vampire (١٩٦١) فهو حصيلة إخراج مشترك لكل من جياكومو جنتيلومو وسرجيو كوربوتشي، كما كتب كوربوتشي ودوتشيو تيساري سيناريو الفيلم بصورة مشتركة كذلك. يعود ماشيستيه (غوردون سكوت) إلى قريته كي يجد أن القراصنة بقيادة تاجر الرقيق أمهال (فان إيكنز) قد دمروها وقتلوا والدة ماشيستيه (إيما بارون) وباعوا حبيبته جيوليا (ليونورا روفو) في سوق النخاسة الواقع في مدينة سالماناك العربية البعيدة. يسافر ماشيستيه وسيرو، شقيق جيوليا الأصغر (روكو فيتولاتسي) إلى سالماناك التي يخضع فيها السلطان عبدول (ماريو فيليشياني) ورقيقته أسترا (جيانا ماريا كاناليه) لقمع مصاص الدماء كوبراك، وهو معلم في السحر الأسود يعيش على الدم البشري. يتحالف هرقل مع كورتيك (جاك سيرناس) وقبيلته من الرجال الزرق تحت الأرضيين، في حين تأخذ أسترا (التي كانت في الواقع في صف كوبراك) جيوليا رهينة: لأن كوبراك يرغب في اتخاذ ماشيستيه نموذجاً لجنس من مخلوقات الزومبي كان يعمل على خلقه. يقود ماشيستيه الرجال الزرق في هجوم يشنه على معقل كوبراك، لكن الرجال الزرق لم يكونوا قادرين على الوقوف في وجه جيش كوبراك الجرار من رجال الزومبي.

تم تصوير سالماناك (بمآذنها وقصرها وبازارها) في استديوهات دي لورينتيس وكان كهف مملكة الرجال الزرق الأزرق بافائياً بامتياز. أما جنود كوبراك من رجال الزومبي الأشداء، فهم، في الواقع، «عبيد لا يتمتعون بروح بشرية» كما أن وجوههم العظمية جامدة لا تظهر أية تعبيرات. ينجو ماشيستيه من عملية تعذيب صوتي استخدم فيه جرس عملاق من خلال سد أذنيه بالشمع. تم تصوير مشاهد تدمير قرية ماشيستيه التي مارس القراصنة فيها أعمال القتل والتخريب في تور كالدارا. كما صورت مشاهد معارك ماشيستيه البهلوانية مع حرس سالماناك وسط ديكور يمثل الساحة الرئيسية للمدينة تم إعداده خصيصاً لهذا الغرض. وقد كانت مهارات سكوت الرياضية

والتمثيلية أكبر بكثير من المستوى المتوسط المطلوب لهذا النوع من الأفلام (أدى سكوت دور طرزان في أربعة من أفلام المغامرات). استبدلت، في النسخة الأمريكية التي غير اسمها إلى «جولياث ومصاصو الدماء»، بموسيقى أنجيلو لافانينو التصويرية موسيقى ألفها ليس باكستر كما أعد من أجلها دوبلاج إنكليزي بديل. كانت أصوات صرير الكمان الغريبة التي ألفها لافانينو تصدح في الخلفية في كل مرة يتجسد فيها كوبراك وسط غيمة من الدخان الأحمر. لعبت أنابيلا إنكونتريرا دور ماغدا، صديقة جيوليا ويحول كوبراك نفسه إلى نسخة طبق الأصل عن ماشيستيه، فيتصارع التوأمان في مشهد حل فيه رجل الأعمال الخطرة جيوفاني شيانفريليا محل سكوت. يكشف ماشيستيه، في نهاية المطاف، هوية كوبراك الفعلية (مخلوق ذو وجه عظمي) ويقضي على مصاص الدماء باستخدام قارورة متفجرة تنطلق منها أبخرة قاتلة.

ويبقى فيلم «ماشيستيه في الجحيم»- Machiste in Hell (١٩٦٢- لعنة الساحرة) أغرب أفلام بيبلوم الرعب. في الأول من تشرين الثاني من عام ١٥٥٠، يحكم القاضي إدغارد باريش (أندريا بوسيتش)، في بلدة لوتش ليرد الاسكتلندية، على الساحرة مارثا غاونت بالموت حرقاً لتنظيمها قداساً شيطانياً. تمضي على هذه الحادثة مائة عام قبل أن يعود السحر ليضرب سكان القرية من جديد- تصاب بعض النسوة بالمس ويشنق آخرون أنفسهم على شجرة ملعونة تزهر كل مرة تطالب فيها عرافة مارثا غاونت بضحية جديدة. يصل إلى القرية مارثا وتشارلز لاو (فيرا سيلينتي وأنجيلو زانولي)، وهما شابان تزوجا حديثاً، ويتخذان من المنزل الذي عاش فيه أجداد مارثا مسكناً لهما، إلى أن يكتشف السكان المحليون أن لقب مارثا قبل الزواج هو غاونت فيحكم عليها بالحرق. كانت الدقائق الثماني عشرة الأولى من الفيلم حافلة بالغموض وصورت في أجواء استديوهات دي باوليس وفي كالدارا دي مانتسيانا. ثم يصل ماشسيتيه إلى القرية على صهوة جواده مرتدياً مئزراً ويتغير مسار الفيلم على نحو مفاجئ حين يسافر إلى الجحيم لإقناع مارثا برفع لعنتها.

صورت مشاهد الجحيم في كهوف كاستيلانا وهي شبكة من الكهوف والأنفاق تقع تحت سطح الأرض ولا تزال حتى اليوم مفتوحة بوصفها مقصداً سياحياً. يغرق فريدا تلك الكهوف بمسحات من اللون الأحمر ويشعل فيها نيراناً تطلق دخاناً ويضع في درب ماشيستيه عدداً من العوائق: أسداً، جولياث من سكان المغاور (بييترو شيكاريلي) وحجراً عملاقاً يحاول سيسيفوس (بوسيتش نفسه) إلى ما لا نهاية دفعه إلى قمة التل وأصوات ضحك ساخر ونسراً عملاقاً يقضم أحشاء بروموثيوس (روميو دي أنجيليس) الذي يتعرض للتعذيب. ومن الأشياء الرائعة الأخرى الجديرة بالمشاهدة باب حديدي عملاق متقد (بوابة الموت) وقطيع من المواشي في حالة ذعر جماعي يقوده ماشيستيه بعيداً عن الجرف في مشهد ترتعد فرائص محبي الحيوانات لرؤيته.

يقع ماشيستيه في حب فانيا الحسناء، التي لم تكن، في الواقع، سوى الساحرة مارثا التي تمارس سحرها على ماشيستيه وتجعله ينسى مهمته. لكن ماشيستيه يستعيد ذاكرته بالتدريج من خلال شذرات من مشاهد سابقة تظهر على سطح بركة من الماء (لقطات من فيلم «أطلس في بلاد السيكلوبس» و«شمشون وعجائب العالم السبع»). لعبت هيلين شانيل دور فانيا الشابة والساحرة العجوز مارثا وجون كارلسون دور عمدة لوتش ليرد. كما ظهر الناقد السينمائي الإنكليزي جون فرنسيس لاين في الفيلم بشكل عابر معتمراً قبعة ويضع وشاحاً طويلاً مجسداً شخصية سائق العربة التي أقلت العروسين إلى القرية.

ألف كارلو فرانشي الموسيقى التصويرية للفيلم وهي مكونة من هدير آلات نحاسية يزيد وقعه كورس أوبرالي يصدح بغناء يصم الآذان. يشق ماشيستيه طريقه وسط المدانين الذين يتلوون ألماً بسبب التعذيب الذي يتعرضون له على يد الشياطين في مشهد يبدو بوضوح مقدار تأثره بنصب «بوابات الجحيم» لرودان. يجترح ماشيستيه الذي لا يقهر مساراً من النار يعبر المغاور ويتحول العنف بالتدريج إلى اختبار تحمل تزداد مشقته بالنسبة إلى البطل والجمهور على حد سواء- في تجربة كانت جحيمية بالإجمال.

لعب دان فاديس (اسمه الحقيقي كونستانتين دانيال فافياديس) دور أرغوليزيه في فيلم «ابن هرقل في أرض الظلمات»- Son of Hercules in The Land of Darkness (١٩٦٣) لألفارو مانكوري. يحرر أرغوليزيه إحدى الممالك من سطوة تنين الجبال (ينجز عمل التحرير هذا من خلال لقطات مأخوذة من فيلم «هرقل») ثم يسافر إلى مدينة ديميوس الواقعة عميقاً في قلب جبل من أجل إنقاذ حبيبته تيلكا (سبيلا روزين) وشعبها الذي تستعبده الملكة إيلا (كارلا كالو) ومساعدها كابال (كين كلارك). تتخلل هذه القصة الخرقاء مشاهد حركة مفعمة بالضوضاء مأخوذة من فيلم «الرجال المناجذ ضد ابن هرقل» وديكورات من فيلم «أورسوس في أرض النار». تقوم ميليسا (ماريا فيوريه) بقتل إيلا وتخطط لشرب دم تيلكا، لكن أرغوليزيه يعطل خططها بوصوله ويدمر المدينة تحت الأرضية التي تبدأ الحمم البركانية باجتياحها ببطء. أما مقاتلو ديميوس فهم من أكلة لحم البشر، وقد قاموا بتعذيب أروغوليزيه الذي نراه مقيداً إلى أربعة فيلة. يتم الوصول إلى المدينة من خلال جسر حجري متحرك. لكن الجسر يتصدع بفعل الحمم البركانية فيرتجل أرغوليزيه على الفور جسراً جديداً باستخدام شجرة قام باقتلاعها بنفسه قبل أن نراه، في جرعة إضافية من الإثارة، يصارع دباً أثناء عبوره الجذع بحذر شديد.

عالج فيلم «روما ضد روما»- Rome Against Rome (١٩٦٤)- «نجم الليل: إلهة إلكترا» أو كذلك «حرب الأحياء الأموات») لجوسيبيه فاري حروب روما الأهلية بصورة فريدة. يتم إرسال قائد المائة غايوس كوينتيليوس (إيتوريه ماني) إلى سالماتيا لاقتفاء أثر كنز مفقود. وسالماتيا هي أرض مسكونة تدور حولها قصص مريعة عن أضاح بشرية وتعذيب وممارسات لسحر الفودو. كانت الشكوك تتمحور حول البريتور لوتيسيوس (مينو دورا)، إلا أن الجاني الحقيقي كان الساحر أديربال (جون درو باريمور)، كبير كهنة إلهة الذهب، وهي ديانة تقوم على عبادة

ابنة أوزيريس التي هي في الواقع تمثال سيكلوبس ذهبي يطلق من عينه الوحيدة أشعة ليزر تعمي الأبصار. يخطط أديربال لتعبئة جيش من الجنود الرومان الأموات الأحياء. وتتحالف توليا، زوجة لوتيسيوس (سوزي أندرسن) مع أديربال، في حين يجد غايوس في راما، وصيفة توليا (إيدا غالي)، حليفاً له. يقود القنصل الروماني لوشيليوس فيالقه ضد قوات أديربال، لكن الجنود الأحياء الأموات كانوا عصيين على القتل. هكذا يواجه غايوس أديربال وتوليا في معقل الساحر نفسه ويطعن عين التمثال بسيفه فيصاب أديربال بالعمى على الفور ويتشتت شمل الجنود الأحياء الأموات.

يهيمن حضور تمثال إلهة نجمة الليل على كهف أديربال الذي تنيره المشاعل ويلفه الضباب (تم تصويره في استديوهات سي إس سي). وتضفي موسيقى روبرتو نيكولوزي على الأجواء مزيداً من التوتر. أدى باريمور (والد الممثلة درو باريمور) شخصية أديربال، الساحر الجحيمي ذي النظرة المغنطيسية، بأسلوب مسرحي. أما أتباع أديربال، فهم كائنات متحولة ذات وجوه مشوهة تطوف أثناء الليل في ميدان المعركة السديمي وتسطو على القتلى وتسلب مقتنياتهم وتجر جثثهم. وعندما كان أديربال يتجرع دماً بشرياً، كانت جثث نصف شفافة تخرج من القبور يرافقها إنشاد كورالي متنافر. لكن الفيلم أصيب بأضرار كبيرة بسبب مشاهد مؤامرات البلاط الساذجة (عندما يناقش السيناتور الروماني أندريا كيتشي مسائل السياسة الخارجية) وبسبب استخدامه غير المتحفظ للقطات من فيلمي «هنيبعل» و«قسطنطين والصليب». فالمشهد الذي يطلق فيه أديربال عاصفة من الرياح والثلوج لإبطاء تقدم القوات المهاجمة، هو في الواقع مشهد عبور جيش هنيبعل جبال الألب. في حين لم تكن المواجهة بين روما الأحياء وروما الأموات سوى مشهد معركة كاناي من فيلم

«هنيبعل» نفسه وقد أضيفت إليه لقطات بالحركة البطيئة لمجموعة من الخيالة الأشباح.

رسم أنطونيو مارغريتي بذكاء حبكة فيلم «هرقل أسير الشرير»- Hercules Prisoner of Evil (١٩٦٤) الذي لعب فيه ريغ بارك (مجرداً من لحيته المميزة) دور هرقل (أورسوس في النسخة الإيطالية). تجري أحداث الفيلم في بيئة قروسطية غير محددة حيث يستولي الأمير الشرير زارا (فوريو مينيكوني) وقبيلته القرغيزية على أرض جيران هرقل من الشركس. يقع هرقل في حب الأميرة القرغيزية أميكو (ميراي غرانيلي) ويستمتع الاثنان بلقاءاتهما الغرامية في كهف الصقر. يشيع الرعب في المنطقة شخص شرير غامض يرتدي عباءة، فيتهم زارا هرقل بالقيام بالاعتداءات ويجتاح قريته ماليبا ملقياً باللائمة على الوحش. لكن أميكو لم تكن، في الواقع، أميرة القرغيزيين الحقيقية- لأن الأميرة الحقيقية هي كاتيا، أمة هرقل (ماريا تيريزا أورسيني). أما أميكو نفسها، فلم تكن سوى ساحرة تحول الرجال إلى شخصية الوحش باستخدام عقار سحري. هكذا، يتحول هرقل وشقيقه إيلو (إيتوريه ماني) والرجل القبلي فريدو (كلاوديو روفيني) إلى شخصية الوحش عدة مرات في الفيلم دون أن يدروا بذلك. وكان الوحش، بوجهه المشوه وجذعه المغطى بالشعر وذراعيه القويتين وعباءته السوداء، يجري في الغابة كالمجنون ويصرخ كالببغاء. يتميز فيلم «هرقل أسير الشرير» بأجواء ليلية حسنة (تم تصويرها في غابات إيطالية وفي مغاور تنيرها المشاعل) دعمتها موسيقى تصويرية دراماتيكية قدمها فرانكو تريناكريا. وفي ختام الفيلم، يحمل هرقل (الذي تحول في هذه اللحظة إلى الوحش) كاتيا إلى قمة جرف كي يرميها إلى الأسفل، لكن إيلو يقتل أميكو فيكسر بذلك سحرها ويحطم هرقل (وقد عاد إلى شخصيته الأصلية) سداً كي يخمد حريقاً يلتهم غابة.

مولود من الصخر: ماشيستيه

يعيد مارك فورست، في فيلم «ابن شمشون»- Son of Samson (١٩٦٠- «ماشيستيه الجبار» أو أيضاً «ماشيستيه في وادي الملوك») ماشيستيه إلى الحياة. وماشيستيه هو بطل إيطالي مفتول العضلات تمتع بشعبية كبيرة منذ حقبة السينما الصامتة عندما أدى العامل السابق في مرفأ جنوى بارتولوميو باغانو دوره في خمسة وعشرين فيلماً كان أولها فيلم «كابيريا»- Cabiria (١٩١٤). يقول فورست إن كلمة ماشيستيه تعني «ولدت من الصخر». قام كارلو كامبوغالياني بتصوير الفيلم في منطقة الجيزة، في مصر، في الموقع نفسه الذي يوجد فيه تمثال أبو الهول والأهرامات. في الوقت الذي كان شمشون فيه يواجه الفيليستيين، كان ابنه ماشيستيه يقاتل الفرس، وهم نظام قمعي كان يستعبد المصريين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. تقوم ملكة الفرس سميدس (كلويه ألونسو) وكبير وزرائها المتآمر (بيتر دوريك) بقتل الفرعون أرميتي (كارلو تامبيرلاني) وتستولي على عرشه في مدينة تانيس. يتزوج كينامون، ابن الفرعون (أنجيلو زانولي)، الذي تعرض لسحر قلادة النسيان، سميدس- حتى يصل ماشيستيه ويطلق شرارة ثورة العبيد.

كان واضحاً أن الأزياء الرائعة والديكورات المسرفة التي ظهرت في الفيلم هي من مخلفات فيلم آخر أكثر بذخاً. تؤدي ألونسو دورها الشرير ببراعة وتنتحر سميدس بإلقاء نفسها في بركة تعج بالتماسيح. كانت ألونسو في السابق إحدى راقصات فرقة الفولي بيرجير وكانت تعرف باسم «القنبلة الكوبية»، وهي راقصة رائعة، بمعزل عن عيوبها كممثلة، وهو أمر برهنت عليه بالاستعراضات الشهوانية الراقصة التي أدتها في كافة أفلام البيبلوم التي شاركت فيها. وأدت فيديريكا راندي دوراً ثانوياً جيداً بتجسيدها شخصية نوفريت، عشيقة كينامون في حين لعبت فيرا سيلينتي دور شقيقتها تيكايت،

حبيبة ماشيستيه. رافقت الفيلم موسيقى تصويرية مصرية ألفها كارلو إينوشينزي. قام ماشيستيه في الفيلم بعدد من الأعمال البطولية يذكر منها قذف جلمود ومصارعة أسد وتمساح وحمل سلم ولي بعض القضبان الحديدية وتحطيم أغلال. يفر ماشيستيه من زنزانة الموت (التي تطبق جدرانها على من يسجن فيها) ويدمر جسراً كان خيالة الفرس يعبرونه ويساعد العبيد على تحطيم مسلة حجرية عملاقة. كما يقدم الفيلم مشاهد حركة تفاجئنا بدمويتها: تحصد عربة مزودة بأنصال دوارة تم تركيبها على عجلاتها مجموعة من العبيد معصوبي الأعين (ضمت المجموعة نساء وشيوخاً). غير أن الفيلم لم يتعثر إلا في معركته الختامية التي تم تصويرها في يوغسلافيا والتي تواجه فيها ممثلو كومبارس يتبادلون الضربات بالفؤوس والمناجل والرماح.

وفي فيلم «انتصار ماشيستيه»- The Triumph of Maciste (١٩٦١- «انتصار ابن هرقل») لتانيو بوتشيا، يتحدى البطل، من جديد، الآلهة- وفتقاً أصيب به- من خلال مجموعة من الأعمال البطولية. تستولي الملكة تينيفوس (ليوبيا بودين) على السلطة في مدينة ممفيس مستعينة بصولجان سحري وأضاح بشرية تقدمها بشكل يومي لإله النار في معبد جبل الرعد، الذي هو معقل الرجال اليوريين قاطني الكهوف. يجند ماشيستيه (كيرك موريس) لوقف هذه الأعمال البربرية- وإنقاذ الأضاحي البشرية، وتخليص العالم. يعود الفضل في مشاهد مدينة ممفيس لجوزيف ناثانسون الذي صنع لقطات المدينة مستخدماً تقنية المرشحات في حين قدم إينوشينزي موسيقى تصويرية ذات نكهة صينية وقدمت بودين شخصية تينيفوس بصورة كليوباترا مثيرة ومبتذلة. يبلغ ماشيستيه جبل النار حيث يصارع أسداً ويتغلب على بوابات الجحيم المشتعلة وعلى انهيار أرضي ويهزم رجل كهوف عملاقاً- كانت كلها لقطات لموريس نفسه مأخوذة من فيلم «ماشيستيه في الجحيم». وبدوره، مارس جيورجيو فيروني سياسة الاقتصاد، في فيلم «هرقل ضد مولوخ»-

Hercules Against Moloch (١٩٦٣- «غزو ميسينيا») الذي يقف فيه غوردون سكوت، بدور الأمير غلوكوس (هرقل آخر)، في وجه عبادة الإله مولوخ. فقد اقتبس فيروني، بطريقة خرقاء، مشاهد كاملة لمعركة طويلة ومدينة تحترق من فيلمين آخرين له هما «حرب طروادة» و«آخر أمجاد طروادة»، أما النسوة قارعات الطبول في معقل مولوخ، فقد جئن من فيلم «الباخوسيون» (١٩٦٠). والواقع أن المشاهد المقتبسة في الفيلم كانت، بالإجمال، أكثر من المشاهد الجديدة.

قدم أنطونيو ليونفيولا، في فيلم «الرجال المناجذ ضد ابن هرقل»- Mole Men Against The Son of Hercules (١٩٦١) مارك فوريست في دور ماشيستيه (يلفظ الاسم في هذا الفيلم ماكيستوس). نشاهد ماشيستيه، في ظهوره الأول في الفيلم، على الشاطئ يجر حوتاً كان قد اصطاده بالرمح، فيهاجمه الرجال المناجذ - جنس من كائنات مصابة بفقر الدم تعيش تحت الأرض يرتدي أفراده أثواباً بيضاء ويضعون أقنعة على وجوههم ويعتمرون أغطية رأس مزودة بقرون ويرتدون تنورات عشبية- ويموتون فور تعرضهم لأشعة الشمس. يساق ماشيستيه مع عبد أسود اسمه بانغور (بول وينتر) للعمل في منجم الذهب والماس الذي يملكه الرجال المناجذ حيث يكلفان بتدوير العجلة الكبيرة، في حين تقرر الملكة هاليس موياب (مويرا أورفي) تقديم الأميرة ساليورا (رافائيلا كارا) قرباناً بشرياً استرضاء لإلهة القمر.

وعلى الرغم من حبكة الفيلم الضعيفة والموسيقى التي استعادها أرماندو تروفاجولي من فيلم «عمالقة متروبوليس» (١٩٦١)، فإن فيلم «الرجال المناجذ ضد ابن هرقل» يقدم مواقع مبهرة بالفعل. فقد تم تصوير الفيلم في تور كالدارا وفي شلالات مارموريه الأومبرية الساحرة (تم تزيينها بقوس قزح) في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات شينيشيتا. يزخر كهف الرجال المناجذ بمعدات منجمية متنوعة: نفاثات ماء، سيور ناقلة،

مساقط، بكرات، بالإضافة إلى آلة ثقيلة لتحطيم الصخور، في حين يقوم المشرفون على العمل بجلد مئات العبيد المقيدين إلى العجلة الكبيرة. كما تشيع في الفيلم مشاهد التعذيب والمعاناة: يقيد الرجال المناجذ أحد حراسهم المتهاونين بالسلاسل ثم يعرضونه لأشعة الشمس فيتحول إلى هيكل عظمي على الفور، كما يسجن ماشيستيه في قفص واحد مع رجل قرد. وفيما كان الرجال المناجذ يحاولون إعاقة انتفاضة العبيد بنبالهم الصائبة، يستخدم ماشيستيه العجلة العملاقة لتدمير دعائم الكهف. يتميز فيلم «الرجال المناجذ ضد ابن هرقل» بأنه قدم للمرة الأولى النجم الأوروبي القادم جياني غاركو بدور الرجل الخلد الشرير كاتان.

لعب غوردون ميتشيل (قدم في التيترات باسم ميتشيل غوردون) دور البطولة في فيلم «أطلس في أرض السيكلوبس» - Atlas in The Land of The Cyclops (١٩٦١- «وحش من العالم المجهول»). يفتتح الفيلم على جزيرة السيكلوبس، وهي معقل آخر المتحدرين من نسل بوليفيموس. تصاب كابيس (كليو ألونسو)، ملكة سادوك، بلعنة لا شفاء منها إلا بموت آخر الأوليسيسيين. هكذا، يهاجم جنود كابيس قرية الملك أغريساندرو (جرمانو لونغو) فيقتلونه ويأسرون زوجته بينوبيه (فيرا سيلينتي)، لكن ولي العهد الرضيع (ولي عهد أوليسيس) ينجو حين يحمل إيفروس (ماسيمو ريغي) الطفل إلى ماشيستيه (ميتشيل)- على الرغم من عنوان الفيلم، فإننا لا نعثر فيه على أي أثر لأطلس، ولا حتى في النسخة الناطقة باللغة الإنكليزية. يخفي ماشيستيه الطفل في جبل راماك وينطلق على صهوة جواده ميمماً وجهه شطر سادوك. تمثل أشرار الفيلم بدانتيه دي باولو بدور إيفيسوس وبول وينتر بدور العبد المتوحش مومبا (الذي تأكله سمكة قرش). صور الفيلم على شاطئ تور كالدارا. يعتبر هذا الفيلم من الأفلام المميزة ضمن هذه الفئة بشريره العملاق (لعب دوره ألدو بادينوتي) الذي يفقده ماشيستيه البصر بسيفه ويدفنه تحت الركام.

غضب الآلهة: أورسوس

يحتل إد فيوري، بدور أورسوس، المرتبة الثانية في إيطاليا بعد ريفز بدور هرقل. يعود «بطل الفرات»، في فيلم «أورسوس»- Ursus (١٩٦١- «أورسوس الجبار» أو «أورسوس ابن هرقل») لكارلو كامبوغالياني، من الحرب إلى ساكارا كي يجد أن خطيبته أتيا (مويرا أورفي) قد اختطفت إلى جزيرة زايس. يتجه أورسوس، بصحبة الراعية الضريرة درويد (ماريا لويزا ميرلو)، إلى الصحراء (تور كالدارا في لاتسيو) ثم يسافر إلى الجزيرة الاستوائية ويحارب ملكتها الشريرة. تم تصوير فيلم «أورسوس»، وهو فيلم «بيبلوم غموض» ذو سوية جيدة، في مواقع في إيطاليا وإسبانيا (بما في ذلك ديكورات خلفها فيلم «ملك الملوك» [١٩٦١]) وكتب رومان فلاد موسيقاه التصويرية. لعب روبرتو كامارديل دور كليونتيه، مالك النزل وبريندیس، دور سيتاس الشرير وظهرت كريستينا غاجوني وسوليداد ميراندا في دورين ثانويين. ونشاهد دوريديه، في الخاتمة الرائعة للفيلم التي تدور أحداثها في الحلبة، وقد استعادت بصرها في حين يتعرض أورسوس (أو بالأحرى بديل فيوري) للضرب والدفع على يد ثور هائج.

وفي فيلم «أورسوس في وادي الأسود»- Ursus in The Valley of Lions (١٩٦١) للودوفيكو براغاليا، يجد أورسوس (فيوري) الطفل، وهو ابن ملك مخلوع، نفسه متروكاً في الصحراء كي تربيه عائلة من الأسود. لعب ألبرتو لوبو دور البربري أياك الذي استولى على العرش وموريا أورفي دور الملكة ثيور وجيرارد هرتر دور الجنرال البربري لوثار وماريانجيلا جيوردانو دور الفتاة الأمة أنيا التي يخصها أورسوس بحبه. صورت مشاهد الفيلم في تور كالدارا وفي كهف سالونيه وشلالات مونتي جيلاتو وفي استديوهات دي باوليس واستديوهات أولمبيا. يلقي لوثار الشرير أنيا في الرمال المتحركة، لكنه سرعان ما يلقى جزاء أعماله عندما يرمى هو نفسه إلى حلبة للحيوانات

وتقتله الضباع بوحشية. لعب فيوري في الفيلم دور البطل الجبار الذي يتمتع بقوى لا تقهر يحسب لها ألف حساب. ويعتبر المشهد الذي يعود فيه فيوري إلى كهفه الصحراوي كي يجد أن لوثار قد قتل أسرة الأسود التي نشأ في كنفها عن سابق تصور وتصميم عبر دس السم لها في اللحم واحداً من أقوى مشاهد أفلام البيبلوم - نشاهد، في ذروة الفيلم، الأسد سيمبا، رفيق أورسوس، ينتقم من أياك ويقتله.

أتبع فيوري هذا الفيلم بواحد من أفضل أعماله، وهو فيلم «أورسوس في أرض النار»- Ursus in The Land of Fire (١٩٦٣) لجيورجيو سيمونيلي. يتعرض الراعي أورسوس (فيوري) وشعبه للقمع على يد قبيلة محاربة تعيش في جبل النار وتستولي على أرض الرعاة. يقوم الجنرال الشرير هاميلار (أدريانو ميكانتوني) بقتل الملك الطيب لوثار (جيوسيبي أدوباتي). كما يرتكب هاميلار، مع عشيقته ميلا (كلوديا موري) وتابعه ليرو (بييترو تشيكاريلي)، مذبحة في القرية ويتركون أورسوس مدفوناً تحت الركام. يسافر أورسوس المنتقم إلى أرض النار ويحارب الطغيان وينقذ الأميرة ديانا (لوشيانا جيلي).

يعتبر فيلم «أورسوس في أرض النار» من الأفلام الناجحة من خلال مزيج، يحبس الأنفاس، من العنف والديكور. تم تقديم أجواء الفيلم البركانية من خلال تصوير مناظر إيطالية طبيعية يعمها الدخان تتخللها لقطات لثوران بركاني. تم تصوير الفيلم في كهف سالونيه وشلالات مونتي جيلاتو وفي أحد أودية تولفا وفي تور كالدارا، أما المناظر الداخلية فتم تصويرها في استديوهات إيليوس. ازدانت المواقع الكهفية بتماثيل عملاقة لإله النار أيات بوجهه الدميم وغير ذلك من القطع الغريبة وقدم كارلو سافينا الموسيقى التصويرية. يشارك أورسوس في دورة المصارعة الكبرى التي يقيمها هاميلار متنكراً بخوذة فنلندية وبثوب نمر مخطط ويتغلب على كافة المنافسين ويصارع ليرو وخمسة من المصارعين حسني التدريب (بما في ذلك الممثلان البديلان نيلو باتسافيني

وجيوسيبي ماتي) قبل أن يجبر على تدوير أحجار الرحى في المدينة. وعندما يقتل هاميلار كبير كهنة إله النار (ناندو تامبرليني)، يثور البركان، الذي قام إيروس باكيوتشي بتصوير حممه المتدفقة. ظهر فيوري في الفيلم بطلاً رائعاً ولاسيما في مشاهد القتال وعندما يطوف، وقد فقد صوابه، قرية الرعاة التي سويت بالأرض. وقد تجسدت قوته، على وجه الخصوص، في المشهد الذي ينبثق فيه بسترته وحذائه المصنوعين من صوف الغنم من قلب ركام الثوران البركاني وقد اكتسى جسده بالغبار لكن دون أن يمسه أي سوء.

قدم فيلم «انتقام أورسوس»- Vengence of Ursus (١٩٦١) رجلاً آخر مفتول العضلات يطالب، بدوره، بعرش البطولة هو المصارع الكندي سامسون بورك. يواكب أورسوس، بمساعدة شقيقه داريوس (روبرت شوفالييه)، سيرا، أميرة ليكا (وانديسا غيدا)، التي كانت في طريقها إلى الزواج بملك كاريا الطاغية زاغرو (ليفيو لورنزون)، على الرغم من أن الزواج لم يكن سوى مجرد خديعة كي يبسط زاغرو هيمنته على ممالك أخرى. أخرج الفيلم لويجي كابونو وقدم جياني ريتسو بدور المستشار ليكورغوس وبطل المبارزة فرانكو فانتازيا بدور قائد حراس زاغرو. يحفل الفيلم بمشاهد الحركة: هجوم عصابة على مركب، تهديد نمر جائع لداريوس، شجار في حانة، وأخيراً اجتياح جيش زاغرو النهائي للمدينة (تم تصويره في استديوهات دي باوليس). وقد ظهر بورك، المشاكس ذو الأنف المكسور، كرجل يصارع الأسود ويقاتل الفيلة ويحارب الجنود. وقد لعب، كذلك، دور هرقل في فيلم «البلهاء الثلاثة يقابلون هرقل»- The Three Stooges Meet Hercules (١٩٦٢).

لعب ألان ستيل دور أورسوس في الفيلم العنيف «المنتقمون الثلاثة»- The Three Avengers (١٩٦٤) لجيانفرانكو بارويلني الذي تم تصويره في استديوهات إيليوس باستخدام أزياء خلفها فيلم «ماشيستيه ضد مصاص الدماء». يجابه أورسوس، في منطقة العربية، أورسوس المحتال (ميمو

بالميرا)، في ما يمكن وصفه بأنه «أورسوس ضد أورسوس». يصاب أورسوس الحقيقي بالعمى نتيجة تعرضه للحمض ويخوض العديد من معاركه وهو على هذه الحال مستعيناً برفاقه في الحصول على الإرشادات. كما يبارز أورسوس سيمور (نيلو باتسافيني) بطل لي القضبان المعدنية في مدينة تانوسي الصحراوية. قدمت ليزا غاستوني (ألينا) وروزابيلا نيري (ديمورا) ديكورات الفيلم الجميلة ولعب جياني ريتسو دور تياموكو الشرير.

شمشون يتغلب على تحد استثنائي

كان آخر الأبطال الإيطاليين من حيث ترتيب الظهور شمشون، وهو من وجوه العهد القديم، وظهر في فيلم حمل الاسم نفسه وتم عرضه عام ١٩٦١. يصل شمشون (براد هاريس) إلى مدينة سولام لزيارة الملكة ميلا (إيرينا بروزن)، لكن الملكة روميلدا (مارا بيرني) كانت قد اغتصبت العرش بالتعاون مع واركالا ومرتزقته الذين يسعون إلى كنز سولام المدفون تحت معبد بعل. يهاجم شمشون، بمساعدة هرميز المتمرد الملقب بالطاحونة (ألان ستيل) وشقيقته جامين (بريجيت كوري) والملك باتون (كارلو تامبرلاني)، واركالا الذي يستدعي، سراً، جيشه المؤلف من أفراد قبيلة تدعى فار. يضع فيلم «شمشون»، الذي تم تصويره في يوغسلافيا وأدت فيه فتيات فرقة باليه أوبرا زغرب دور راقصات سولام، بطله الجبار في قلب مؤامرات البلاط المألوفة كما يقحمه في حرب أهلية. يتميز الفيلم برشاقة مشاهد الحركة فيه، حيث نجد شمشون يصارع إيغور، وهو رجل أورالي جبلي مفتول العضلات كما يصارع الطاحونة مغمض العينين. يبحر واركالا على متن طود. لكن الطود يغرق بتأثير وزن الكنز الذي يحمله فتفترس أسماك القرش واركالا. تعتبر شخصية واركالا السادية التي أداها سيرج غينسبورغ (الفرنسي صاحب أغنية Je t'aime… Mais non plus) أحد أفضل الأسباب التي يمكن أن تدفع المرء لمتابعة فيلم «شمشون».

كما صنع باروليني وهاريس فيلم «غضب هرقل»- The Fury of Hercules (١٩٦١) في يوغسلافيا (استديوهات دوبرافا فيلم في زغرب) الذي لعب فيه غينسبورغ دور مينيستوس الشرير. يعود هرقل (هاريس) إلى مدينة أركاد كي يجد الملكة كانديدا وقد احتلت العرش والمدينة نفسها تمور بالاضطرابات. يعتبر هذا الفيلم نسخة معادة من فيلم "شمشون" ويظهر فيه ستيل بدور جانيك الشرير الذي يتحدى هرقل بمساعدة أربعة أشقاء من جنس النياندرتال.

السخرية والميثولوجيا: سينما البيبلوم الساخرة

مع اكتساب صيغة البيبلوم رواجاً كبيراً في إيطاليا وخارجها، تسللت السخرية من الذات إليها. فقد أخرج فيتوريو سالا فيلماً يسخر من فيلم «هرقل في مواجهة الهيدرا» بعنوان «الجبار وملكة الأمازون»- Colossus and The Amazon Queen (١٩٦٠- «عبيد الحب لدى الأمازونيات» أو «ملكة الأمازونيات»)- لعبت دور البطولة فيه جيانا ماريا كاناليه بتجسيدها شخصية ملكة تحمل الاسم نفسه. يعيش كافة الذكور الذين يصلون إلى جزيرة الأمازونيات ليلة حب واحدة تنتهي بإرسالهم في اليوم التالي كي يعملوا في مقلع للصخور تحرسه الدببة. وكان من بين الذكور الذين تعرضوا لهذا المصير المؤسف رود تايلور بدور العاشق المضطرب بيروس وإد فيوري بدور الإغريقي القوي غلوكوس. وقد كان ذلك الفيلم الرومانسي الساخر، الذي تم تصويره في إيطاليا ورافقته موسيقى تصويرية كوميدية دخل الجاز والمامبو في مكوناتها، فيلماً مفككاً لا انسجام فيه. لعب إغناسيو ليونيه دور المصري خفيف الظل سوفو الذي يبتكر عصا البومرانغ. تتمحور حبكة الفيلم حول سرقة مشد الأمازونيات المقدس ووصول بعض القراصنة الجشعين (بقيادة ألبرتو فارنيزيه) إلى الجزيرة. لكن هذا الفيلم أثبت أن التهريج لا يصلح لأفلام البيبلوم.

وعلى غرار حرب طروادة، يهاجم أوليسيس، في فيلم «أوليسيس ضد ابن هرقل»- Ulysses Against The Son of Hercules (١٩٦٢) - «أوليسيس ضد هرقل») تمثال سيكلوبس الموجود في جزيرة صقلية ويفقده البصر. يتم إرسال هيراقليس (مايكل لاين)، ابن هرقل، في مهمة تهدف لجلب أوليسيس كي يمثل أمام الآلهة. لكن الرجلين يجدان نفسيهما وقد احتجزتهما في الجزيرة ملكة الطيور (دومينيك بوشيرو في ثوب من الريش يجعلها تشبه النعامة). يختبئ أوليسيس في مغاور الملك لاغو (جياني سانتوتشيو)، وهو قائد جيش مؤلف من رجال الكهوف ويوافق هيراقليس على الانضمام إلى الملك إيكانو، عدو لاغو، مقابل الزواج من ابنته هيلين (أليساندرا بانارو)، وهو اتفاق لم يرق لعشيقها أرداستيس (راف بالداساريه). يعتبر الفيلم ساخراً من حيث مقاربته لهذا النوع السينمائي وتبقى الملكة، التي تعيش، وجيش الطيور الذي تقوده (سرب من فتيات كومبارس يضعن مناقير ويرتدين مآزر من الريش)، في فردوس استوائي من عناصر الفيلم التي لا تنسى. إذ تستعد أولئك النساء لتقديم البطلين قربانين لإلههن، النسر الجبار. وأثناء طقس التضحية هذا، تؤدي الشيطانات ذوات الريش رقصة قربانية مسعورة تشبه إلى حد بعيد حركات رياضة الأيروبيك المتزامن. ينتهي الفيلم بمعركة صحراوية عامرة بالغبار بين جيش الملك إيكانو ورجال لاغو الكهفيين.

يعتبر فيلم «أبناء الرعد»- Sons of Thunders (١٩٦٢) أحد أفضل أفلام البيبلوم الساخرة. وقد شهد هذا الفيلم البدايات الإخراجية الأولى لدوتشيو تيساري. يؤدي، في هذا الفيلم، رجل الأعمال الخطرة السابق جيوليانو جيما دور كريوس، أصغر أبناء التيتان سناً وأكثرهم ذكاء. يقتل قدموس، ملك كريت (بيدرو أرمينداريز) زوجته ويعلن نفسه إلهاً ويجعل نفسه، مع الملكة هيرميون (أنتونيلا لوالدي)، خالداً، ويستمر على هذه الحال حتى حلول اليوم الذي تقع فيه ابنته أنتيوب (جاكلين ساسار) في الحب حيث تحرر الآلهة كريوس من هاديس مزودة إياه بتعليمات تقضي بضرورة اختطاف قدموس وجلبه مخفوراً إلى مدخل هاديس الذي يدعى أفيرنوس. مول فرانكو

كريستالدي، من خلال شركة فيديس للإنتاج الفني، إنتاج الفيلم الذي تم تصويره في إيطاليا وإسبانيا في مواقع مزروعة بأشجار نخيل من مخلفات فيلم «ملك الملوك» وقدم كارلو روستيكيلي موسيقى الفيلم التصويرية. يظهر جيما في الفيلم (بشعره الأشقر المصبوغ) رجلاً خالداً محتالاً تملؤه الثقة بالنفس ويتمتع بالمهارات الأكروباتية وكان أشبه بالفتية الريفيين. وتعتبر مشاهد الحب الرومانسي التي جمعته بساسار من أفضل ما قدمته أفلام البيبلوم- يخبرها في المشهد الختامي للفيلم، بعد أن أرسل قدموس إلى الجحيم بضربة صاعقة، قائلاً: «الحب هو كل ما أنت بحاجة إليه». لعب فرناندو راي دور كبير كهنة قدموس المتواطئ، وفرناندو سانكو دور قائد الحرس الكريتي وأنطونيو مولينو روخو دور إيدومينوس مستشار قدموس. ولعب جيرارد سيتي دور أخيل الأخرس (حليف كريوس في قصر قدموس) وسيرج نوبير دور السجين المدان المفتول العضلات راتور.

ظهرت براعة تيساري في تصميم المشاهد التي يطارد فيها جنود قدموس كريوس في ساحة السوق (يمارس جيما مهاراته في رياضة الترامبولين مستخدماً مظلات المتاجر) وفي حلبة لمصارعة الثيران وفي مطاردته للكاهن راتور. تتحدث الأسطورة الإغريقية عن اثني عشر تيتانياً يدعى أصغرهم سناً كرونوس- أما في الفيلم فعددهم عشرة كانوا جميعاً، باستثناء كريوس، رجالاً أقوياء البنية طليقي اللحى. نفذ جوزيف ناثانسون المؤثرات الخاصة وغاليانو وريتشي المؤثرات الفوتوغرافية باستخدام نماذج مصغرة وتصميمات غريبة ولقطات استخدمت فيها المرشحات. أما في هاديس، فيقوم سيسيفوس بدفع حجر عملاق إلى أعلى التل، ويقوم نسر بالتهام كبد بروميثيوس في حين يعاني تانتاليوس الذي يتضور جوعاً من رؤية الفاكهة دون أن يكون قادراً على الوصول إليها. يقوم كريوس برشوة أحد حراس هاديس العمالقة بخاتم كي يسمح له بدخول العالم السفلي وسرقة خوذة هاديس التي تجعل من يعتمرها غير مرئي. ويتغلب كريوس بالخديعة على غوروغون، الساحرة التي تكسو الأفاعي رأسها، ويحرر أنتيوب من

سجنها في الجزيرة ثم يشتري من أحد مخلوقات السيكلوس جعبة ذات سهام مضيئة كي يهاجم بها قدموس. يجابه التيتانيون، في الكهوف البيضاء الواقعة أسفل المدينة، جنود قدموس الذين لا يقهرون لكن كريوس يبطل سحرهم بتحطيمه سداً بضربة صاعقة. يعتبر فيلم «أبناء الرعد» واحداً من تحف السينما الإيطالية وقد جعلته حيويته وخياله أحد أفضل أفلام البيبلوم. حمل الفيلم بنسخته الناطقة بالإيطالية اسم Arrivo I Titani (وصول التيتانيين) في حين عرض في الولايات المتحدة باسم My Son, The Hero (ابني البطل) وتم الترويج له هناك باستخدام الشعار التالي: ابني... البطل! أذكى من ثعلب! أشجع من أسد! أرق من هر!

وعلى الرغم من أن السخرية من أفلام البيبلوم كانت الغاية الرئيسية لفيلم «أبناء الرعد»، إلا أنه توجد، في الواقع، أفلام كان الضحك الذي أثارته غير مقصود على الإطلاق. ففي فيلم «فولكان ابن جوبيتير» - Vulcan Son of Jupiter (١٩٦٢)، يتصارع فولكان، ابن إله النار (رود فلاش إيلوش) ومارس، إله الحرب (روجر براون)، على كسب رضا فينوس (أني غوراسيني)، على قمة جبل الأولمب فيقرر جوبيتير (فوريو مينيكوني) معاقبتهما. لكن مارس وفينوس يفران إلى الأرض حيث يلتمسان مساعدة الجنرال التراقي ميلوس من أجل بناء برج يصل إلى جبل الأولمب كي يستوليا على السلطة. لكن فولكان يحبط مخططهما ويقع، على هامش الحدث، صريع هوى المرأة الأرضية إيتنا (بيلا كورتيز). أخرج الفيلم إيميمو سالفي وهو يتضمن بعضاً من أقسى اللقطات في هذا النوع من الأفلام. تكتشف وجود فولكان على شاطئ تور كادارا مجموعة من حوريات البحر كن أسيرات لدى الرجال العظاءات الذين تكسو الحراشف أذيالهم وظهورهم ويمتلكون أسناناً كأسنان مصاصي الدماء قبل أن ينقذهن تريتونيو نبتون وهم رجال أسماك يعيشون في البحر. لعب غوردون ميتشيل في الفيلم دوراً ثانوياً هو دور بلوتو، إله الظلمات وظهر سالفاتوريه فورناري في دور جاهو، رفيق فولكان القزم الذي يتسلل إلى معسكر التراقيين متخفياً كشجيرة. أما فولكان، حداد الآلهة، فيعمل في ورشته (تم تصويرها في كهف سالونيه) التي يبتكر فيها سنداناً عملاقاً. ولسوء

الحظ، افتقرت مشاهد الحب الخرقاء التي جمعت براون بالقنبلة الجنسية غوراسيني إلى الانسجام (دعمتها موسيقى ساكسوفون عاطفية لمارشيلو جيومبيني): لأن سندان فولكان كان يثير قدراً كبيراً من الضوضاء.

واستعاد براون الدور نفسه في فيلم «مارس، إله الحرب» - Mars, God of War (١٩٦٢ - «ابن هرقل في مواجهة فينوس») حيث ينقذ «تجسده في صاعقة الإله جوبيتير» مدينة تيلفيا من براثن الملك أفرو (جون كيتزميلر) وجيشه المكون من محاربين أفارقة. وعندما يقع مارس في حب المرأة المائتة دافني (جوسلين لاين)، يستجيب جوبيتير لالتماسه التخلي عن خلوده - «فليكن... سوى أن تبقى رجلاً مائتاً إلى أبد الآبدين» - ثم ينقذ دافني، فيما بعد، من التضحية بها لبيرغانتو، وهو صبار عملاق ذو مجسات.

ويلعب ريغ لويس (بطل أمريكا وبطل العالم السابق في كمال الأجسام)، في فيلم «وحوش النار ضد ابن هرقل» - Fire Monsters Against The Son of Hercules (١٩٦٣ - «تمثال العصر الحجري») دور ماشيستسه، أول أقوياء العصر القديم وآخرهم. وفي واحدة مما يمكن اعتبارها أسوأ عمليات الدوبلاج على مدى العصور، يؤدي لويس حواره وهو يرسم على وجهه شبه ابتسامة. وكان اسم ماشيستيه، في نسخة الفيلم الناطقة بالإنكليزية، قد استبدل باسم ماكسوس. وكي يوفر المنتجون على أنفسهم مشقة إعادة دبلجة الفيلم برمته، كان اسم ماكسوس يلفظ، كل مرة يرد فيها في النص، بصوت يختلف، بجلاء، عن الصوت الأصلي وبنبرة أكثر ارتفاعاً بشكل واضح. تجري أحداث الفيلم في عصور ما قبل التاريخ ويتحدث عن حرب قبيلة دوراك المسالمة (تعبد الشمس) التي تعيش في الوادي ضد قبيلة درود (تعبد القمر) التي تعيش في الكهوف ويقودها فوان الشرير (أندريا أوريلي). تختطف قبيلة درود نسوة قبيلة دوراك فيقوم ماكسوس، وهو صانع خير ذو غرة طليقة يعمل لحسابه الشخصي، بإنقاذهن. يقع ماكسوس صريع هوى موا (مارغريت لي) لكن عندما يدفنهما فوان في الأرض حتى رأسيهما كي تلتهمهما الديدان، يشق

الأرض ثوران بركاني جاء في الوقت المناسب. تتحالف قبيلة درود مع أولما، وهي قبيلة من أكلة لحوم البشر (يقودها نيلو باتسافيني الذي يستخدم هراوته المطاطية ببراعة كبيرة) يعتمرون حلقة مزودة بقرني بقرة.

أخرج الفيلم غيدو مالاتيستا وتدور أحداثه في فترة تعود إلى مليون عام قبل الميلاد (أي قبل ظهور استديوهات شينيشيتا نفسها). هكذا، تم تصوير الفيلم في استديوهات دي باوليس في روما وفي بحيرات وغابات وكهوف تقع في يوغسلافيا. نشاهد محاربي قبيلة الدوراكيين، بعد انتهاء إحدى المعارك، يروحون عن أنفسهم بمشاهدة راقصات يتمايلن بأثواب مكسوة بالشعر تشبه ما نصادفه في أيامنا هذه في مراكز غسيل السيارات. لم يعالج الفيلم المواقف الرومانسية بطريقة جيدة. حيث نجد ماكسوس وموا يستمتعان بنزهة عاطفية على ضفاف مستنقع (برفقة ألحان من مونتوفاني)، كما يقال للعريس أثناء حفل زفافه أنه إن لم يحظ بطاعة زوجته، فإن لديه «كامل الحق في قتلها». أما وحوش النار التي يشير إليها عنوان الفيلم- واتخذت شكل تنين في بحيرة أو هيدرا تعيش تحت سطح الماء أو عظاءة تقطع على ماكسوس وموا خلوتهما في أحد الكهوف - فهي مجموعة دمى يهزمها ماكسوس بسهولة بالغة.

يسخر فيلم «التماثيل وصيادو الرؤوس»- Colossus and The Headhunters (١٩٦٣) مشهد الثوران البركاني من فيلم «وحوش النار ضد ابن هرقل» في كارثته الافتتاحية عندما يساعد ماشيستيه (كيرك موريس) إحدى القبائل على الفرار من موطنها الواقع في جزيرة. يفر أفراد القبيلة على متن طود ويلجؤون إلى أرض أوريا- بلاد تسودها غابات جميلة (تشبه يوغسلافيا إلى حد كبير)- التي كان كيرميس (فرانك ليروي) قد استولى عليها بمعونة قبيلة من صيادي الرؤوس القساة بقيادة غونا (نيلو باتسافيني). يخطط كيرميس للزواج بالملكة المعزولة أموا (لورا براون)، لكن ماشيستيه يقود الأورانيين إلى الحرية. أخرج مالاتيستا مرة أخرى الفيلم وظهرت الملكة أموا فيه بأقصر تنورة كان يمكن للرقابة في ذلك الوقت أن تتسامح معها.

فرح الخيال: ريميكس الأساطير

أخضع ألبرتو دي مارتينو الأساطير الإغريقية، في فيلم «بيرسيوس الذي لا يقهر»- Perseus The Invincible (١٩٦٣- «بيرسيوس ضد الوحوش» أو أيضاً «ميدوزا ضد ابن هرقل») لعملية فك وإعادة تركيب مبدعة. فبحسب الأسطورة الإغريقية، ينجح بيرسيوس في هزيمة ميدوزا، وهي امرأة مجنحة يتخذ شعرها شكل أفاع متلوية وتتمتع بنظرة من شأنها تحويل ضحاياها إلى صخور. لكن دي مارتينو وكتابه أعادوا صياغة القصة بحيث يجد بيرسيوس (ريتشارد هاريسون) نفسه عالقاً بين مملكتين متصارعتين هما مدينتا سيريفوس وأرغوس حيث يقوم أكريسيوس (أرتورو دومينيشي)، ملك أرغوس الشرير وابنه الأمير غالينور (ليو أنكوريز)، بمنع تجار سيريفوس من استخدام الطريق التجاري الذي يفضي إلى البحر والذي يحرسه تنين وميدوزا وينحاز بيرسيوس، الذي كان غافلاً عن حقيقة كونه حاكم أرغوس الشرعي، إلى صف ملك سيريفوس الطيب سيفيوس (روبرتو كامارديبل) ويتودد إلى ابنته الأميرة أندروميدا (آنا رانالي).

تم تصوير فيلم «بيرسيوس الذي لا يقهر» في استديوهات شينيشيتا (صمم فرانكو لولي موقع التصوير) وفي مواقع خارجية بالقرب من مدريد وفي إيطاليا، ولا سيما في تور كالدارا الذي تم تحويله كلياً باستخدام المرشحات وبعض الضباب إلى منطقة جبلية وعرة اسمها وادي الرجال المتحجرين الذي تجمع فيه ميدوزا ضحاياها. زود فرانكو فرانشي الفيلم بموسيقى تصويرية خاصة بأفلام الرعب استخدمت فيها الطبول والكمان وآلات وترية أخرى تنذر بالسوء. لعبت إيليسا شيغاني دور الملكة داناي، والدة بيرسيوس التي تتعرف إلى ابنها من خلال علامة جوبيتير التي يحملها منذ ولادته. وكان من الممثلين المساعدين أنطونيو مولينو روخو بدور تاربيتيس (الذي خان سيرفيوس والتهمه تنين في نهاية المطاف) ولورنزو لوبريدو وفرانك برانيا بدور أميرين. تقول الأسطورة إن قتل ميدوزا يعيد

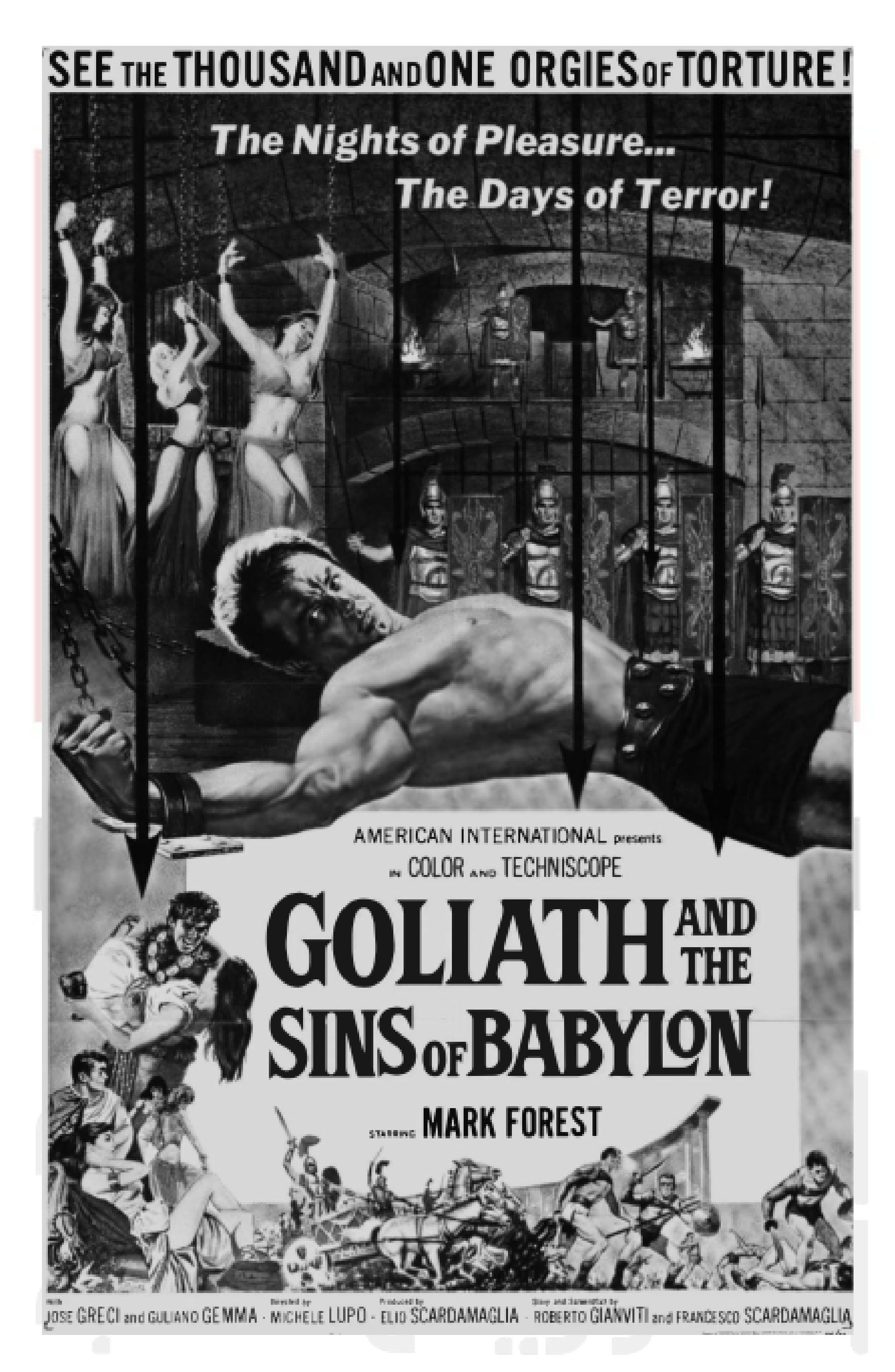
الرجال الذين حولتهم إلى صخور إلى الحياة الأمر الذي من شأنه أن يوفر لبيرسيوس جيشاً جراراً لمؤازرته. هكذا يقتل بيرسيوس التنين ويجابه ميدوزا، التي لم تظهر هنا بهيئتها المعروفة، كامرأة يتكون شعرها من أفاع، بل على شكل مخلوق يشبه شجيرة ويملك عدداً كبيراً من المجسات وعيناً واحدة متوهجة. ينجح بيرسيوس في الوصول إلى ميدوزا ويستخدم درعه الصقيل كمرآة فيفقأ عينها الوحيدة وتموت ميدوزا وهي تتخبط. قام كارلو رامبالدي بتصميم ميدوزا الشمطاء وقدم بعد ذلك بعضاً من أفضل المؤثرات الخاصة في أفلام الرعب الإيطالية قبل أن يقوم بتصميم المخلوق الفضائي في فيلم «إي تي»- E.T The Extra-Terrestrial لستيفن سبيلبرغ ومخلوق فيلم «المخلوق»- Alien (١٩٧٩).

يضل هرقل (مارك فوريست) طريقه في فيلم «هرقل ضد أبناء الشمس»- Hercules Against The Sons of The Sun (١٩٦٤) لأوزفالدو شيفرياني أثناء عبوره المحيط الكبير قادماً من اليونان ويحط رحاله في أمريكا اللاتينية في حقبة الأنكا ويتحالف مع الأمير المتمرد مايثا (جيوليانو جيما) لتخليص المملكة من الملك أتاهوالبا (فرانكو فانتازيا) الذي سجن والد الأمير، الملك هواسكار (خوزيه ربيزغو) وشقيقته، الأميرة يامارا. يسخر جيش مايثا المعرفة العصرية التي يتمتع بها هرقل (بما في ذلك ابتكار العجلة) في مهاجمة مدينة تيواناكا الحصينة من أجل استعادة الديمقراطية فيها باستخدام آلات حربية. تميز الفيلم بديكوراته غير المألوفة وبالموسيقى ذات النكهة المكسيكية التي كتبها لالو غوري وبأزياء الأنكا المتقنة والزاهية بزخارفها المعقدة وزينتها الذهبية وقلاداتها المصنوعة من الخرز وأقنعة الجماجم وقبعات الريش. لكن مشاهد الرقص المطولة، التي صممها جينو لاندي وأرنتشي سافاج، وبرزت فيها الراقصة السوداء أودري أندرسون، أبطأت إيقاع الفيلم. لعب جيوليو دونيني دور كبير كهنة أتاهوالبا وأنجيل رو دور مليكته. كما ظهرت آنا ماريا بايس في دور يامارا، شقيقة مايثا، التي كانت مهددة أن

تقدم قرباناً بشرياً للإله العظيم فيراكوتشا. أحضر شيفرياني بعض حيوانات اللاما لتصوير مشاهد المعسكر محولاً الريف الإيطالي بذلك إلى أنديز آخر على الرغم من أن هرقل لم يغادر، في واقع الأمر، تور كالدارا ورأس أنزيو.

وكحال كيرك موريس، وجد فورست نفسه يسافر بعيداً في فيلم «جولياث وخطايا بابل» - Goliath and The Sins of Babylon (١٩٦٣) لميكيليه لوبو. تجري أحداث الفيلم عام ٢٠٠ قبل الميلاد حيث يعود جولياث (فورست) إلى مدينة نيفير الواقعة على الخليج العربي كي يجدها وقد وقعت تحت سطوة البابليين. فقد كان على بيرغاسو، ملك نيفير (بييرو لولي) أن يسدد لبابل جزية سنوية مقدارها ثلاثون فتاة عذراء وكان مراقب (إيرنو كريزا) البابلي يحرص على ضمان تسديد الفدية.

يتحالف جولياث مع عدد من المجالدين المتمردين بقيادة إيفاندرو (ليفيو لورنزون) ويفوز بيد الأميرة ريسيا (جوزيه غريتشي) نتيجة لسباق عربات. يوظف لوبو جوليانو جيما بدور المتمرد البهلواني ساندروس كما يمكننا أن نذكر من رفاقه المجالدين كلاً من ميمو بالميرا بدور أركاو بالإضافة إلى جيف كاميرون ونيلو باتسافيني، كما لعب بول مولر دور الملك البابلي كافوس. استخدمت لقطات من فيلم «قرطاج تحترق» (١٩٦٠) في مشاهد تصور معركة بحرية واحتراق مدينة بابل. استبدلت، في النسخة الأمريكية التي نفذتها شركة أميريكان إنترناشيونال بيكتشرز، بموسيقى فرانشيسكو دي مازي موسيقى تصويرية كتبها ليس باكستر استخدمت كوسيلة لربط هذا الفيلم بسلسلة أفلام أخرى عن جولياث. لعب غوردون سكوت، في فيلم بابلي آخر بعنوان «بطل بابل» - The Hero of Babylon (١٩٦٣) لسيرو مارشيليني، دور نيبور الذي يتصدى للملك بالتازار (بييرو لولي) والملكة أورا (مويرا أورفي). تمتع الفيلم بمظهر رائع على الرغم من كونه مبتذلاً وتم تصويره في استديوهات دي باوليس في إيطاليا وحمل في الولايات المتحدة عنواناً مضللاً هو «مسخ بابل ضد ابن هرقل» - The Beast of Babylon and The Son of Hercules.



الملصق الأمريكي لفيلم «جولياث وخطايا بابل» (١٩٦٥) لميكيليه لوبو بطولة مارك فوريست بدور البطل الذي يتحدى المخاطر

كما تمتعت الأسطورة الإغريقية التي تتحدث عن قبيلة الأمازونيات التي لا تضم سوى نساء برواج كبير في أوساط هواة البيبلوم يمكن فهم دوافعه. وظف أنطونيو ليونفيولا، في فيلم «ثور والأمازونيات» - Thor and The Amazon Women (١٩٦٣) بطل المصارعة الإنكليزي جو روبنسون بدور ثور. وكان روبنسون هذا قد صارع، في فيلم «فتى يساوي نصف بنس» - A Kid for Two Farthings (١٩٥٥) لكارول ريد، بريمو كارنيرا، الذي جسد، بدوره، شخصية «ألب المزهو» في فيلم «هرقل طليقاً». يسافر ثور إلى مدينة بابيلوس الواقعة في بلاد ناليا التي لا يسكنها سوى النساء لتحرير الملكة المخلوعة تامار (سوزي أندرسن). لعبت جانين هيندي دور ملكة بابيلوس التي ترغم النسوة الأسيرات على القتال في حلبة مثلث الموت من أجل استرداد حريتهن: كان العنوان الأصلي للفيلم «المجالدات». تم تصوير الفيلم في استديوهات شيريا (تريستيه) وفي مواقع في يوغسلافيا وفي كهوف بوستوميا. لعب الرجل الأسود مفتول العضلات هاري بيرد دور أوباراتوتو، رفيق ثور. وقد استخدمت في الفيلم لقطات من فيلمي «أورسوس في وادي الأسود» و«الرجال المناجذ ضد ابن هرقل»، أما ذكريات تامار عن موت والدها فلم تكن سوى مشهد الهجوم على قرية الفايكينغ من فيلم «إيريك الفاتح» (١٩٦١). وقد انخرط ثور، من أجل النجاة بحياته، بحيث «يستعيد الرجال سطوتهم»، في معركة شد حبل حامية الوطيس جابه فيها كافة نساء ناليا.

لعب دان فاديس دور هرقل في فيلم «انتصار هرقل» - Triumph of Hercules (١٩٦٤) لألبرتو دي مارتينو الذي تم تصويره في حلبة وفي شوارع مدينية تم إعدادها في استديوهات دي باوليس كما جرت بعض عمليات التصوير في تور كالدارا. استولى الأمير ميلو (بيير كروسوا) على السلطة في مدينة ميسينا بعد أن قتل ملكها، والد الأميرة أتيه (ماريلو

تولو). يخطط هرقل، بمساعدة مجموعة من المتمردين يقودهم أوريستيو (بييرو لولي)، للفوز بيد أتيه، لكن الأمير ميلو يتلقى المساعدة من والدته الساحرة باسيفاي (مويرا أورفي). فقد زودت الساحرة ميلو بخنجر سحري، هو خنجر غايا الذهبي، يستحضر، لدى استلاله، سبعة مرتزقة أقوياء مصنوعين من الذهب، هم أبناء غايا السبعة الأقوياء حليقو الرؤوس والمطليون بالذهب الذين يبدون أشبه بتماثيل أوسكار عملاقة. كان من المتآمرين مع ميلو الشرير ريتو (إنزو فييرمونتيه) وغورديو (ريناتو روسيني). ولعب جاك ستاني دور إيريونيه (حليف هرقل) وألدو شيكوني وناتسارينو زامبيرلا دور نشالين يمثلان الجانب الفكاهي للفيلم. تعيش الساحرة في كهف ضبابي مكسو بالطحالب وتراقب ما يحصل من خلال بركة سحرية. وفي نهاية الفيلم، تحول باسيفاي نفسها إلى أتيه- كانت عيناها البرتقاليتان المؤشر الوحيد على كونها نسخة، حيث وضعت تولو على عينيها عدستين ملونتين لتصوير هذا المشهد.

نهاية الأسطورة

مع اقتراب أفول نجمها، بدأت أفلام البيبلوم بالمضي في اتجاهات ازدادت غرابة. فقد صور ريغ بارك المناظر الخارجية في فيلم «ماشيستيه في مناجم الملك سليمان»- Maciste in King Solomon's Mines (١٩٦٤) لبييرو رينيولي في جنوب أفريقيا. تجري أحداث الفيلم في مدينة زيمبا حيث يخلع رياض الشرير (إيليو جوتا) الملك بمساعدة الملكة البدوية المحاربة فزيرا (وانديسا غيدا). فتأخذ سامارا (إيليونورا بيانكي) ولي العهد الشرعي فازما (لوريس لودي) وتخفيه في مدينة بامبارا النائية، لدى قبيلة ميدونغا. أما ماشيستيه (بارك)، الذي يسحره إكليل زهور مخدر، فتسلبه فزيرا لبه برباط كاحل سحري محولة إياه إلى عبد يسير بخطى متثاقلة في مناجم الذهب في

زيمبا. لكن ماشيستيه يحرر نفسه، في اللحظة التي تكون سامارا فيها على وشك أن تطلى بالذهب المصهور، ويموت رياض وفزيرا مختنقين. يعتبر فيلم «ماشيستيه في مناجم الملك سليمان»، مع التروس البيضوية الرشيقة التي يستخدمها محاربو قبيلة ميبدونغا الشبيهة بتروس قبائل الزولو والرماح والعصي ذات الرؤوس الكروية ومع اللقطات الكثيرة التي تصور الحياة البرية، واحداً من أكثر أفلام البيبلوم تميزاً- تتناوب في الفيلم اللقطات البرية الأفريقية مع لقطات مأخوذة في مواقع إيطالية (تور كالدارا واستديوهات دي باوليس) الأمر الذي أضفى على الفيلم طابعاً غير مألوف. أما بارك، فكان، على عهدنا به، رجلاً قوياً- وقد فاز في العام التالي بلقب بطولة العالم في كمال الأجسام للمرة الثالثة.

يستخدم فيلم «هرقل المنتقم»- Hercules The Avenger (١٩٦٣) دون تحفظ لقطات من أفلام سابقة لبارك. تجري أحداث الفيلم في مدينة سيراكوز حيث تتلقى الملكة ليدا (جيا ساندري) التي ترملت حديثاً عدداً من عروض الزواج، لكن العرافة أنتيكليا تثنيها عن الزواج. يسافر هرقل إلى السبخات لعلاج ابنه زانتوس الذي أصيب بالجنون بعد أن هاجمه أسد. استخدمت لتصوير رحلة هرقل لقطات من «هرقل يغزو أتلانتيس» و«هرقل في مركز الأرض». وظهر في الفيلم، كذلك، جيوفاني شيانفريليا بدور هرقل الجديد وهو هرقل زائف يشعل استغلاله المدينة ثورة فيها (لقطات من فيلم «أتلانتيس»). يطلق هرقل بحثاً محموماً عن نظيره الزائف الذي يتكشف أنه لم يكن سوى أنتايوس، ابن إلهة الأرض غايا. يتسبب هرقل بثوران بركان يدمر مدينة سيراكوز (مزيد من اللقطات من فيلم «أتلانتيس») ثم يقاتل أنتايوس في مغاور سالونيه. تقاعد بارك بعد فيلم «هرقل المنتقم» وعاش في جنوب أفريقيا حيث أدار هناك سلسلة من نوادي بناء الأجسام.

كانت آخر مساهمات غوردون سكوت في البيبلوم الدور الذي أداه في الحلقة الأولى من سلسلة تلفزيونية بعنوان «هرقل» أنتجها جوزيف ليفاين عام ١٩٦٥. ظهر في الحلقة الأولى وعنوانها «هرقل وأميرة طروادة»- Hercules and The Princess of Troy طاقم ممثلين أنكلو- إيطالي: بول ستيفنز (ديوجينيوس)، روجر براون (أورتاغ)، غوردون ميتشيل (قبطان سفينة قراصنة)، ديانا هايلاند (الأميرة ديانا)، وجيورجيو أرديسون (لياندا، عشيق ديانا). صور إنزو باروني الفيلم في مواقع البيبلوم التقليدية (شاطئ تور كالدارا ومغاور سالونيه) وتميز الفيلم بوحش البحر، وهو كائن ذو عينين جاحظتين، تغطي الحراشف ظهره ومزود بملاقط بدا معها أشبه بجمبري عملاق. كان يفترض بهذه السلسلة التلفزيونية أن تعرض أسبوعياً بحيث يعيش هرقل، في طريقه إلى مدينة طيبة على متن سفينته أولمبيا، مغامرة جديدة في كل حلقة، لكن نجم البيبلوم كان قد أفل بالفعل في تلك الأثناء، ولم يبصر هذا المسلسل التلفزيوني النور.

أنتج جيورجيو كابيتاني فيلمه الكوميدي «هرقل، شمشون، ماشيستيه وأورسوس، الأبطال الذين لا يقهرون»- Hercules, Samason, Maciste and Ursus The Invincibles" عام ١٩٦٤ وحملت نسخته الدولية اسم «شمشون والتحدي الجبار». لعب ألان ستيل في الفيلم دور هرقل وهوارد روس دور ماشيستيه ونادير موريتي دور شمشون ويان لارفور دور أورسوس. كما ظهر في الفيلم كل من إيليزا مونتس (أومفال) ولوشيانو مارين (إينور) بدور العاشقين الشابين، وهيلين شانيل بدور العرافة وليفيو لورنزون بدور قاطع الطريق. وقد وضع هذا الفيلم الذي تم تصويره في إسبانيا الميثولوجيا اليونانية في سياق العهد القديم.

كان فيلم «هرقل، شمشون، ماشيستيه وأورسوس، الأبطال الذين لا يقهرون» موضوعاً لدبلجة خرقاء في الفيلم الكوميدي الأسترالي «عودة

هرقل»- Hercules Returns (١٩٩٢). تجري أحداث الفيلم في مدينة ملبورن، حيث يستقيل براد ماكبين (دايف أرغيو) من عمله في شركة كنت المالكة لسلسلة من دور العرض السينمائي ويقوم بتجديد صالة عرض قديمة بمعونة سبروكيت، وهو مختص بتشغيل آلات العرض (بروس سبنس) والناشرة المستقلة ليزا (ماري كوستاس). يختار الشركاء الثلاثة، لافتتاح دار العرض الجديدة، آخر فيلم تم عرضه في دار السينما القديمة قبل إغلاقها واسمه «هرقل» الذي لم يكن سوى فيلم كابيتاني نفسه. لكنهم يكتشفون، بعد فوات الأوان، أن الفيلم لم يكن مترجماً إلى الإنكليزية، فيقرر الثلاثة دبلجة الفيلم بأنفسهم. استند موضوع الفيلم إلى عرض تلفزيوني أسترالي كوميدي حي بعنوان «دوبل تايك يقابل هرقل» كان يقدمه ديس ميغان وسالي بايشنس يقوم على دبلجة الأفلام الجادة بطريقة كوميدية وكان ميغان وبايشنس يؤديان في هذا العرض أغلب الأصوات. أما القصة التي قدمها الثلاثي، فينقذ هرقل («أغبى رجل في العالم») فيها لابيا البطلة (إيليزا مونتيس) من الغرق وهو في طريقه إلى مدينة كليميديا. أما موربيل، والدة لابيا، فتدير ملهى اسمه البارثينون الوردي وتمنع ابنتها من الزواج بتستيكولي (لوشيانو مارين)، وهو ابن منافس لها يملك باراً في الهواء الطلق (ليفيو لورنزون). أما شمشون، ذو الصوت المرتجف والضفيرة، فيخضع لسيطرة زوجته دليلة. في حين كان أورسوس رجلاً يفتعل المشاكل في الحانات التي يرتادها ويتكلم بلهجة سكان غلاسكو، بينما يتكلم ماشيستيه بصوت مخنث ويملك حصاناً اسمه سيريل.

كانت الكلمة الأخيرة في حقبة الميثولوجيا اليونانية التي عرفتها السينما الإيطالية في الستينيات لشخصية غير متوقعة، هي بيير باولو بازوليني. فقد استلهم بازوليني فيلم «أوديب الملك»- Odepuis Rex (١٩٦٧) من مسرحيتين لسوفوكليس هما «أوديب الملك» و«أوديب في كولونوس» (التي

كانت بدورها مصدراً لفيلم «هرقل طليقاً»). يتخلى أحد الرعاة (فرنشيسكو ليونيتي) عن أوديب الطفل في جبل كيثيرون، فيعثر عليه راعي أغنام (جياندومينيكو دافولي) ثم يتبناه ملك كورينثيا بوليبوس (أحمد بلشمي) وزوجته الملكة ميروب (أليدا فالي). يبلغ أوديب سن الرشد ويتوجه إلى عرافة دلفي فتخبره أن قدره أن يقتل والده ويمارس الحب مع والدته. وأثناء سفره إلى طيبة، يقتل أوديب، عند نقطة تتقاطع فيها ثلاثة طرق، رجلاً مسافراً تبدو عليه معالم الثراء. ثم يقتل بعد وصوله إلى طيبة جلاد المدينة وهو وحش يدعى سفينكس ويتزوج الملكة جوكاستا (سيلفانا مانغانو)، أرملة لايوس (لوتشانو بارتولي)، ملك المدينة الذي قتل حديثاً. لكن وباء يجتاح طيبة لم يكن يمكن إنقاذها منه إلا إذا تم العثور على قاتل لايوس. يشك أوديب، المتورط في هذه الجريمة، في أن كريون (كارميلو بينيه)، شقيق جوكاستا يحاول الاستيلاء على السلطة ويتعرف النبي الضرير تيريسياس (جوليان بيك) على أوديب بوصفه الجاني- كان الملك لايوس والملكة جوكاستا قد حاولا التخلص من ابنهما حديث الولادة عندما تناهت إلى مسامعهما تلك النبوءة الشريرة، لكن القدر أعاد أوديب الملعون إلى طيبة. هكذا تشنق جوكاستا نفسها ويفقأ أوديب عينيه بدبوس من ثوبها ويغادر المدينة هائماً على وجهه وقد صار متشرداً ضريراً.

لم يكن فيلم «أوديب الملك» فيلم بيبلوم تقليدي، وهو أمر متوقع من رجل بعبقرية بازوليني. فقد اختتم الفيلم بلقطات تم تصويرها في إيطاليا المعاصرة (مدينة بولونيا)، على الرغم من أن معظم أحداث الفيلم تدور في المنطقة الصحراوية الفاصلة بين طيبة وكورينثيا التي صورها بازوليني في مواقع رائعة في المملكة المغربية. صور الفيلم جيوسيبي روتسوليني وكانت المدن المغربية الكبيرة والقرى المتداعية أكثر مصداقية بما لا يقاس من قصور الورق المقوى في شينيشيتا. انتمى معظم عناصر الكومبارس في الفيلم

إلى شمال أفريقيا وقد انعكست حياة الصحراء على وجوههم بوضوح. وكانت الأزياء منمنمة إلى درجة مذهلة وبدت الدروع والخوذات والتيجان أصلية وزائفة بطريقة مضحكة في الآن عينه. يعتبر بازوليني من المخرجين الذين يتمتعون بعين رائعة ويولون اهتماماً كبيراً بالأمور البصرية. هكذا كانت عرافة دلفي، بغطاء رأسها الذي يشبه ثمرة القرع والمزين بالقش والعصي، أقرب إلى أن تكون طبيبة ساحرة في إحدى القبائل الأفريقية، كما يشبه سفينكس السكان الأصليين بالقدر نفسه. فلم يكن وحشاً، بل رجلاً يزينه القش وفرو الحيوانات والقلادات. أما الظهور الأول للملكة جوكاستا، فنراها فيه على متن عربة يدوية تتقدم حاشيتها في حين كان يتم رمي جثث ضحايا الوباء في المحرقة. ويحمل خادم لايوس أوديب الطفل المشدود إلى رمح فوق كتفه - كانت قدما الطفل مقيدتين بشكل وثيق يوحي باسمه: «القدمان الصغيرتان المتورمتان». يلعب نينيتو دافولي، المفضل لدى بازوليني، في الفيلم، دور أنجيلو، وهو مرسال طيبي شاب يصبح فيما بعد رفيق درب أوديب الضرير، كما يظهر بازوليني نفسه في الفيلم بشكل خاطف بدور ناطق بلسان طيبة. وتؤدي مانغانو، وهي أحد وجوه السينما الإيطالية العظام ولمع نجمها في فيلم «الرز المر» لجيوسيبيه دي سانتيس، دور جوكاستا بطريقة لا عيب فيها. تنوعت الموسيقى التصويرية في الفيلم بين إحدى رباعيات موزارت (عند اللقاء الأول الذي جمع أوديب بتيريسياس) ومختارات من الغناء الفولكلوري الروماني (احتفالات القرية وأفراحها) بالإضافة إلى موسيقى يابانية تراثية - قرع طبول أجوف وصفير مزامير - ترافق هرقل في مغامرته الصحراوية.

أتبع بازوليني «أوديب الملك» بفيلم «ميديا» - Medea (١٩٦٩) الذي يقتبس على نحو حر مسرحية أوريبيديس. ينشأ ياسون (جيوسيبيه جنتيلي) في كنف سنتور (لوران تيرزييف) ثم يعود إلى إيكولوس لمطالبة الملك

بيلياس (بول جابرا) بالعرش. يرسل الملك ياسون في مهمة لاستعادة الصوفة الذهبية. وفي كولخيس، تمد الساحرة ميديا (نجمة الأوبرا ماريا كالاس)، ابنة الملك أيتيس، يد العون لياسون لسرقة الصوفة الذهبية وتفر معه بعيداً إلى إيوكلوس. وفي كورينثيا، يقع ياسون في حب غلاوس (مارغريت كليمنتي)، ابنة الملك كريون (ماسيمو جيروتي)، فتستخدم ميديا سحرها للانتقام. يعتمد الفيلم، جزئياً، على المصادر نفسها التي اعتمد عليها فيلما «هرقل» و«عمالقة ثيساليا»، على الرغم من أنه يتعذر تقريباً اكتشاف أن هذه الأفلام الثلاثة تستند، جميعها، إلى القصة نفسها. كانت الأزياء المستخدمة في الفيلم مزيجاً من أزياء شرق أوسطية وأفريقية ويابانية وقروسطية الأمر الذي منح الفيلم مشهدية بصرية متميزة. لا تشبه العربة التي استخدمتها ميديا في شيء العربات التي نراها في أفلام البيبلوم، فقد بدت عربة متداعية بنيت من الخشب وجلود الحيوانات وكانت مزودة بعجلات خشبية متينة، في حين لم تزد السفينة أرغو عن كونها طوداً وقفت على سطحه بعض رؤوس الماشية. صور بازوليني الفيلم في تركيا (مساكن كهفية لتمثيل كولخيس وتشكيلات صخرية غريبة في بلدة غوريم) وفي سوريا (قلعة حلب لتمثيل أسوار كورينثيا). كما صور بازوليني أجزاء من الفيلم في إيطاليا: تحولت مقبرة كامبوسانتو، الواقعة في مدينة بيزا بسورها المميز ذي الأقواس الذي يحيط ساحة المعجزات، إلى مدينة كورينثيا، كما كان شاطئ غرادو المكان الذي نشأ فيه ياسون. بل إن بازوليني استخدم تور كالدارا لتصوير مشهد مغادرة ياسون ورفاقه الأرغونوتيين لكولخيس.

قدم بازوليني في فيلم «ميديا» مشاهد مذهلة في قسوتها. إذ كان يتم تقطيع أعضاء القرابين البشرية في كولخيس باستخدام الفؤوس- غطت الدماء أجساد الضحايا وكانت أعضاؤهم الحيوية تفرك على جذوع أشجار مثمرة

وتضرم النيران بأجسادهم لضمان الحصول على غلة جيدة. وعندما يقود الملك أيتيس بعض جنوده لمطاردة سارقي الصوفة الذهبية، تقوم ميديا بتمزيق جسد شقيقها أبسيرتوس (سرجيو ترامونتي) وتنثر أشلاءه في الطريق عبر الصحراء، مبطئة بذلك سير مطارديها لأن الملك كان مضطراً للتمهل كي يجمع الأشلاء ويدفنها. يقوم الملك كريون، مدفوعاً بالخشية، بنفي الساحرة ميديا التي تقتل غلاوس انتقاماً من ياسون. ويعرض بازوليني نسختين من واقعة الانتقام هذه: الأولى هي كما وصفها أوريبيديس، أما الثانية فكانت روايته الخاصة. تقدم ميديا لغلاوس ثوباً كي ترتديه فتشتعل فيها النيران وتقتلها. أما رواية بازوليني، فتقدم فيها ميديا لغلاوس ثوباً مسحوراً يدفعها لرمي نفسها من أعلى أسوار كورينثيا. ثم تقتل ميديا، في فعل انتقام أخير، أبناء ياسون الثلاثة وتحرق منزلهم: «سأجعلك تعاني». قدمت كالاس، في فيلمها الوحيد، حضوراً بالغ القوة. فقد كان وجهها، بجبهته القوية وأنفه النبيل وعينيه العميقتين، تعبيراً حياً عن صورة النبل الإغريقي كما نراه في الأعمال الفنية الكلاسيكية.

الفصل الثاني

الغزوات التاريخية وأفلام أعالي البحار

المغامرات التاريخية

خلال فترة الذروة التي عاشتها السينما الجماهيرية الإيطالية، قدمت إيطاليا وإسبانيا ويوغسلافيا السابقة الكثير من مواقع التصوير تراوحت بين سهول طروادة وسهوب روسيا. اجتذبت يوغسلافيا، في الستينيات، العديد من الإنتاجات السينمائية الدولية المشتركة بسبب سحر طبيعتها وتنوعها (من أودية وغابات وجبال ومساقط مائية) والأجور المتدنية التي ينالها ممثلو الكومبارس فيها. أنتجت السينما الإيطالية العديد من أفلام المغامرات التاريخية التي غالباً ما كانت مستوحاة من أعمال هوليوودية حديثة ذات ميزانيات مرتفعة، كان منها أفلام قراصنة الكاريبي وأفلام الفروسية والملاحم النابوليونية وقصص توحيد إيطاليا بالإضافة إلى أفلام مغامرات كانت الصحراء العربية مسرحاً لها وقصص جحافل التتار والمغول.

وصول الرجل الشمالي: مغامرات الفايكينغ

تعتبر قصص الفايكينغ جنساً سينمائياً إيطالياً متفرعاً من سينما المغامرات لاقى رواجاً غير متوقع. لعب دور الصاعق في إطلاق هذا النوع من الأفلام فيلم «الفايكينغ»- The Vickings (١٩٥٨) لريتشارد فليشر الذي يواجه فيه كيرك دوغلاس، في دور إينار ذي الوجه المشوه (فقأ صقر إحدى عينيه) طوني

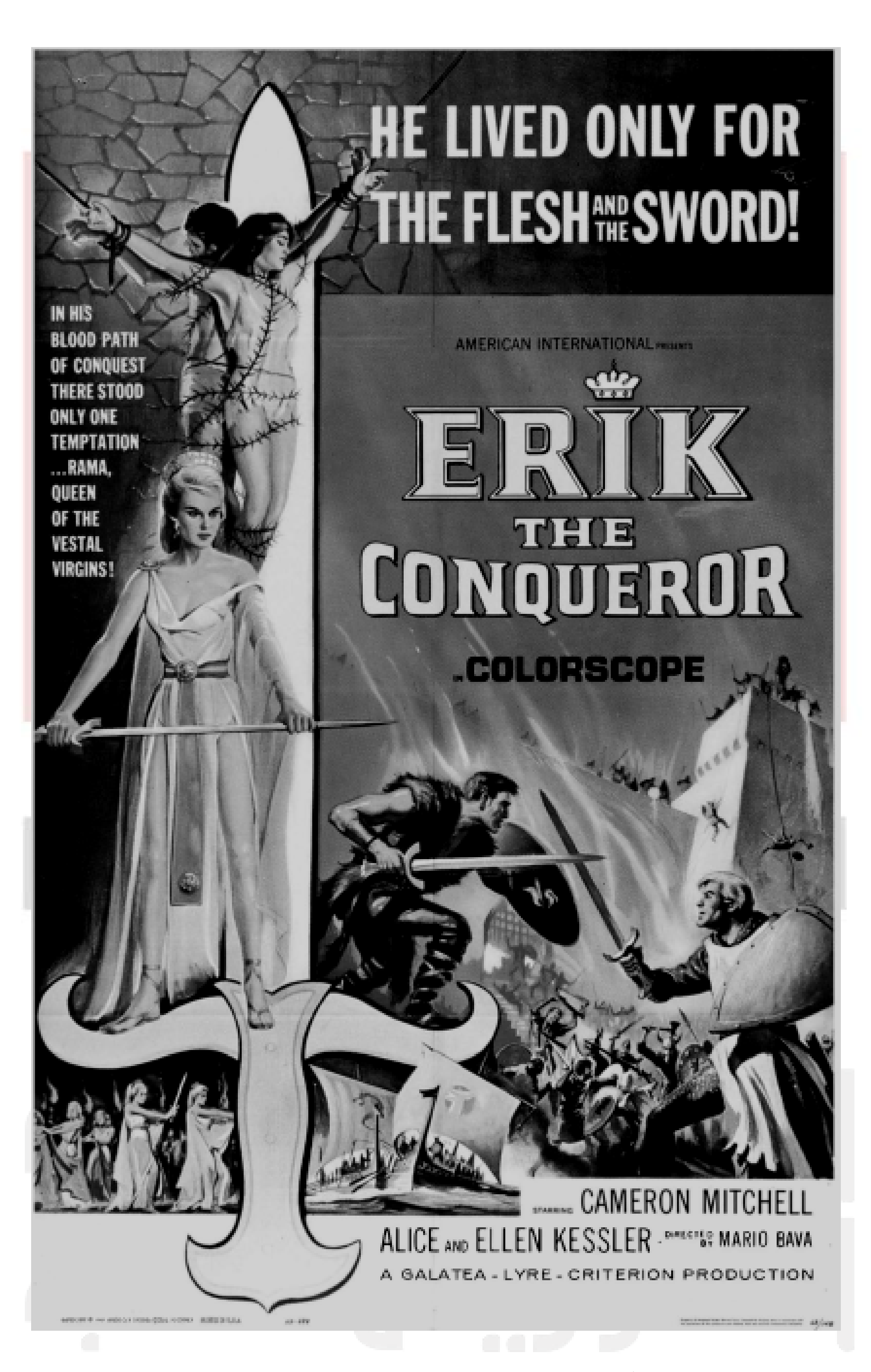
كورتيس بدور العبد إيريك (ذي الذراع اليسرى البتراء) للفوز بالأميرة الويلزية مورغانا (جانيت ليه التي كانت زوجة كورتيس في ذلك الوقت). وقد أثبتت موسيقى ماريو نيسيمبيه التصويرية ومشهد الحصار الختامي أن أثرهما كان كبيراً وأطلق الفيلم نصف دزينة من الأفلام الإيطالية لعب دور البطولة فيها كل من كاميرون ميتشيل وغوردون ميتشيل وجيورجيو أرديسون وجيوليانو جيما والممثل الهوليوودي ريتشارد ويدمارك الذي لمع نجمه في فيلم «السفن الطويلة»- The Long Ships (١٩٦٤) الذي تم تصويره في بوغسلافيا.

لعب النجم الهوليوودي كاميرون ميتشيل دور زعيم الفايكينغ هارالد في فيلم «آخر رجال الفايكينغ»- Last of The Vikings (١٩٦١). يدمر سفينو (إدموند بوردوم) ملك النرويج قرية هارالد فيكين، ويقتل والده. فيتنكر هارالد بشخصية المبعوث الدانمركي الأمير راغمار كي يخطف الأميرة هيلدا (إيزابيل كوري) ابنة سفينو. يحكم آكون (أندريا أوريلي ذو العين الواحدة والوجه المشوه) قبضته على فيكين، لكن هارالد يقتله. ويقوم الفايكينغ ببناء آلات حربية (أبراج حربية ومنجنيقات ترمي جذوعاً مشتعلة) لمهاجمة قلعة سفينو.

يعتبر فيلم «آخر رجال الفايكينغ» أفضل أفلام تلك الحلقة. إذ لم يلجأ الفيلم إلى النماذج المصغرة التي شاع استخدامها في أفلام البيبلوم، بل تم بناء سفن فايكينغ بالحجم الطبيعي كانت مقدمتها كالتنين وتم تجهيزها في حوض نيتونو البحري. كما تمتع الفيلم بموسيقى إيقاعية كتبها روبرتو نيكولوزي وبأزياء قوية وديكورات رائعة. وقد ظهر هذا الأمر جلياً على نحو خاص في مشهد عودة الفايكينغ إلى فيكين (التي صارت الآن أطلالاً) وفي قلعة سفينو ذات المتاهات المبنية من الحجر وفي حجرة التعذيب (تم تصوير المشاهد الداخلية في استديوهات شينيشيتا وتيتانوس) التي يتم فيها تعليق غونتاغ (جيورجيو أرديسون) على صليب على شكل حرف X. حفل الفيلم بالمشاهد الدموية مع رجال يقتلهم سهم يخترق عينهم أو فأس يهشم رأسهم أو مشعل يحطم وجههم أو سيف يخترق صدرهم فتسيل دماؤهم بغزارة. وقد استخدم الفيلم عدداً من المكونات التي تتسم بها قصص الفايكينغ عادة كالولائم الصاخبة والمواكب الجنائزية الذاهبة إلى

فالهالا. وكان إدموند برودوم المولود في لندن الذي لعب دور سفينو قد مثل إلى جانب لورنس أوليفييه على مسارح برودواي في «القيصر وكليوباترا» و«أنطونيو وكليوباترا». وقد تحول سفينو على يده إلى شخصية كانت أشبه بريتشارد الثالث بسبب أدائه المسرحي المتثاقل. وكان برودوم قد جسد عدة شخصيات تاريخية في الأفلام الإيطالية مثل هيرودوس وراسبوتين. ومن الوجوه التي لعبت أدواراً مساعدة نجد ماريو فيليشياني وبييرو لولي في دور سيمون وهارداك رجلي هارالد، وألدو بوفو لاندي في دور لونغبورغ، القائد العسكري لدى هارالد، في حين ظهر معلم المبارزة بينيتو ستيفانيلي في دور لوريك وهو أحد أفراد الفايكينغ. كان أداء ميتشيل لشخصية هارالد بالغ الحيوية حيث نراه في أحد المشاهد يصرع دباً كان على وشك القضاء على هيلدا.

أدى نجاح فيلم «آخر الفايكينغ» في إيطاليا إلى استدعاء ميتشيل من جديد للعب دور البطولة في فيلم «إيريك الفاتح»- Erik The Conquerer (١٩٦١) لماريو بافا. حمل الفيلم في بريطانيا اسم «غضب الفايكينغ»- Fury of The Vikings كما عرف بأسماء أخرى مثل «الغزاة»- Invaders و«الفايكينغ الغزاة»- Viking Invaders و«فتوحات النورمانديين»- Conquest of The Normans. ونشير هنا إلى ضرورة عدم الخلط بين هذا الفيلم وفيلم آخر اسمه «هجوم النورمانديين»- Attack of The Normans (١٩٦٢) لجيوسيبي فاري، الذي تدور أحداثه في فترة الفتح النورماندي ولعب ميتشيل فيه دور الشرير. تبدأ أحداث فيلم «إيريك الفاتح» عام ٧٨٦ ميلادية بسلسلة من مشاهد الحركة تدور في تور كالدارا ورأس أنزيو (تمثل ساحل شمال بريطانيا) حيث يقوم جيش السير رونثفورد البريطاني بنهب إحدى قرى الفايكينغ. يقع الفايكينغ إيريك (جيورجيو أرديسون) في الأسر فتربيه الملكة البريطانية أليس (فرانسواز كريستوف). وعندما يبلغ سن الرشد يحمل لقب دوق هيلفورد ويتولى قيادة البحرية البريطانية، في حين يصبح شقيقه إيرون (كاميرون ميتشيل) زعيماً للفايكينغ ويقود حملة على بريطانيا. هكذا يجد إيريك وإيرون نفسيهما وجهاً لوجه في مبارزة حامية الوطيس.



الملصق الأمريكي لفيلم «إيريك الفاتح» (١٩٦١) لماريو بافا

بطولة كاميرون ميتشيل والتوأمان كيسلر

استغرق إنتاج الفيلم الفترة الممتدة بين آب وتشرين الأول من عام ١٩٦١. وقد تم تصوير المناظر الداخلية في استديوهات شينيشيتا وتيتانوس في رواق فايكينغ هائل (تهيمن عليه أشجار متشابكة كانت، في الواقع، من مخلفات فيلم «هرقل في مركز الأرض»). وقد أدخلت تكوينات بافا العامرة بالألوان التي تم تصويرها بعدسة دياليسكوب عريضة تحسينات كبيرة على الفيلم. صور بافا معاركه البحرية ضمن استديوهات معزولة صوتياً - وكانت عدسة الكاميرا تتحرك على طول السفينة الثابتة للإيحاء بأنها تتحرك. كما خلق بافا قلعة على قمة تور كالدارا بمجرد اقتطاعه صورة من مجلة ناشيونال جيوغرافيك وإقحامها في إطار الصورة. أما المعركة الختامية، التي حصلت لدى اجتياح الفايكينغ حصن الملكة أليس، فتضمنت سيوفاً وألسنة لهب كانت على درجة كبيرة من الواقعية (بالإضافة إلى لقطات من فيلم «آخر رجال الفايكينغ»). لعب أندريا كيتشي دور السير روثفورد وراف بالداسارييه دور القاتل رامي النبال الذي يعمل لدى السير روثفورد وفولكو لولي دور إيرون، والد إيريك وجو روبنسون دور محارب الفايكينغ غاريون وفرانكو ريسيل دور الملك لوثار (زوج الملكة أليس المغدور) الذي كان ملك بريطانيا في النسخة الإنكليزية وملك اسكتلندا في النسخة الإيطالية. كما كانت مشاركة التوأمين الحسناوين أليس وإيلين كيسلر من ألمانيا الشرقية اللتين لعبتا دور عذراوي فيستال ضربة موفقة، حيث يقع إيريك في حب راما (أليس) وإيرون في حب دايا (إيلين). وكانت الشقيقتان كيسلر نجمتي ملاهٍ (أدتا لإيريك رقصة متزامنة) ظهرتا في وقت لاحق في فيلم «الأيام الأخيرة لسدوم وعمورة».

يقود إيريك (جيوليانو جيما)، في فيلم «إيريك الفايكينغ» - Erik The Viking (١٩٦٥ - «انتقام الفايكينغ») لماريو كايانو، حملة عبر بحر الظلمات ويكتشف القارة الأمريكية. يستولي لوشيو دي سانتيس وغوردون ميتشيل وإدواردو فاخاردو على ذهب الهنود وتلعب إيليسا مونتيس دور الأميرة الهندية التي يقع

إيريك صريع هواها. قام إنزو باروني بتصوير الفيلم وكتب فرانكو فرانشي موسيقاه التصويرية وتميز الفيلم بخضرته الاستوائية، إذ تم تصويره في حدائق فينكا لا كونسبثيون النباتية شمال ملقة.

أما فيلم «خناجر المنتقم»- Knives of The Avenger (١٩٦٦) لبافا، فهو فيلم ويسترن بزي فايكينغ. أظهر الفيلم بوضوح بالغ عشق بافا لأجواء الرعب والضباب والظلال، لكن الفيلم كان، من جهة أخرى، مخلوقاً آخر من مخلوقات بافا الهجينة يمكن أن يطلق عليه اسم «فايكينغ الرعب». تحذر العرافة شولا كارين (إيليسا بيكيلي المعروفة كذلك باسم ليزا واغنر أو ليسا) وابنها الصغير موكي (لوتشيانو بوليتين) من الخطر المحدق بهما وتنصحهما بضرورة الاختباء، إذ كان آغن (فاوستو توتسي) يسعى لقتلهما، فتنتقل كارين وموكي للعيش في كوخ يقع في الجبال ويتلقيان فيه زيارة من مسافر غريب (كاميرون ميتشيل) يتمتع بالخبرة في استعمال السهام ورمي الخناجر. وكان روريغ (تطلق عليه بعض المصادر اسم روريك) يسعى للانتقام من آغن الذي قطع رأس زوجته ورأس ابنه قبل سنوات مضت. تم تصوير الفيلم خلال أسبوع واحد من شهر شباط ١٩٦٦ وبكلفة لم تتجاوز خمسة وسبعين ألف دولار وهو فيلم مغامرات آخر من أفلام بافا يتمتع بمشهدية رائعة تم تصويره بنظام تكنيكولور وبعدسة تكنيسكوب 1:2.35 في استديوهات تيتانوس وفي المحمية الطبيعية في تور كالدارا وفي أراضي مانزيانا العشبية الرائعة، في مقاطعة لاتسيو. كانت قرية الفايكينغ، في الواقع، معسكراً لخيالة الجيش الأمريكي خلفه فيلم سابق، والأمر نفسه ينطبق على خان القرية الذي لم يكن سوى مخيم مكسيكي. لعب جياكومو روسي ستيوارت دور الملك أرالد زوج كارين، كما جسد رجال الأعمال الخطرة برونو أربيه وغوفريدو أونغر وأوسيريديه بيفاريلو رجال آغن. أما ميتشيل، النجم المفضل في أفلام الفايكينغ - بشعره الذي يحمل في هذه الأفلام اللون الأحمر أو الأصفر بحسب جودة طباعة الفيلم- فقد تم تغيير

اسمه في النسخة الناطقة بالإنكليزية كي يصبح بول فريز. جسد روريغ في الفيلم شخصية المسافر الغريب الذي يصل إلى بلدة صغيرة تظهر فيها ردود أفعاله السريعة: إذ يتمتع بالقدرة على رمي ثلاثة خناجر في الوقت نفسه وبدقة التسديد نفسها على حد قول كلمات أغنية الفيلم: «خناجر المنتقم- تصيب من يتلقاها في مقتل». بل إن موسيقى مارشيلو جيومبيني التصويرية بدت بنغمات الكمان الحادة وبألحان الهارمونيكا التي تميزها أشبه بموسيقى أفلام الوسترن التي عادة ما ترافق مشاهد ركوب الخيل.

الريح القادمة من الشرق: الجحافل قادمة

لعب ستيف ريفز المفتول العضلات دور حجي مراد في فيلم «المحارب الأبيض»- The White Warrior (١٩٥٩) المقتبس من رواية لليون تولستوي. كان مراد متمرداً قاد، عام ١٨٥٠، شعوب القوقاز الجبليين في ثورة ضد الحكم الديكتاتوري للقيصر نيكولاي الأول (ميليفوي زيفانوفيتش). وعلى الرغم من أن الفيلم قدم لنا أزياء جميلة ومواقع تصوير رائعة (في يوغسلافيا) وموسيقى تصويرية ساحرة لروبرتو نيكولوزي بالإضافة إلى مهارات التصوير السينمائي التي يتمتع بها بافا، إلا أن الفيلم بمجمله كان فيلماً نموذجياً من الأفلام التي لعب ريفز دور البطولة فيها. حيث يقدم الفيلم القصة التقليدية نفسها التي يقع ريفز فيها بين امرأة طيبة- الفلاحة الفقيرة سلطانة (جيورجيا مول)- وامرأة شريرة، هي الأميرة الروسية ماريا (شيلا غابيل). أما دور الشرير، فقدمه جيرارد هرتر بدور الأمير سيرغي (زوج ماريا) الذي يأسر مراد ويسوم ريفز ضربات السياط التقليدية. وقد نجح مخرج الفيلم ريكاردو فريدا في تقديم بعض مشاهد الإثارة المتفرقة: الهجوم الروسي على إحدى القرى، هجوم خيالة مراد على حصن تاباراسان (المعقل الذي يتحكم بالجبال السوداء)، هروب مراد من مقر القيادة الروسية (عندما يجتاز بفرسه صالة رقص مزدحمة)، مشهد المبارزة الختامية بين مراد والمتمرد الخائن

أحمد خان (ريناتو بالديني). وقد حل ألان ستيل، في هذا المشهد، محل ريفز. لم يرق أداء ريفز إلى المستوى المطلوب- إذ كان يشد قبضتيه ويصر أسنانه وتتجهم قسمات وجهه في كل موقف مشحون بالتوتر العاطفي- لكن الفيلم حقق نجاحاً كبيراً لدى عرضه في الولايات المتحدة عام ١٩٦١ وكانت دعايته تقول: «أفسحوا الطريق لستيف هرقل ريفز!»

كما ظهر ريفز، في فيلم «جولياث والبرابرة»- Goliath and The Barbarians (١٩٥٩) لكارلو كامبوغالياني، بمظهر الرجل القوي بحسب النموذج الذي كان سائداً عام ٥٦٨ ميلادية، عندما غزت جحافل اللومبارديين بقيادة ألبوين (ضيف الشرف بروس كابوت) إيطاليا. حيث يشهد إيميليوس (ريفز)، أو جولياث، مقتل والده على يد اللومبارديين ويقسم على الانتقام من إيغور (ليفيو لورنزون) الذي ارتكب الجريمة. يتنكر إيميليوس بهيئة وحش هادر- يضع قناع أسد ذي أنياب مدببة وعباءة وقوائم ذات براثن- ويهاجم اللومبارديين. تدور في الفيلم حبكة فرعية تتمحور حول قصة حب تجمع إيميليوس بلاندا البربرية التي تجسد دورها كليو ألونسو التي تؤدي في الفيلم بعضاً من رقصاتها الأفعوانية المعهودة. ولعب لوشيانو مارين وجيوليا روبيني دور الفلاحين العاشقين ماركو وسابينا (شقيقة إيميليوس). ويذكر من اللومبارديين، الذين يرتدون أثواباً رياضية مصنوعة من جلود الحيوانات، فيوريو مينيكوني بدور دينشيريكو وأرتورو دومينيشي بدور سفيفو وأندريا كيتشي بدور ديلفو (والد لاندا). ولعب رجلا الأعمال الخطرة بييترو شيكاريلي ونيلو باتسافيني دور رجلين من البرابرة، أما منسق الأعمال الخطرة ريمو دي أنجيليس فقد بدا منهمكاً للغاية نتيجة أدائه ثلاثة أدوار مساعدة (صديق إيغور وبربري أشقر وفلاح من رماة النبال). تم تصوير فيلم «جولياث والبرابرة» في يوغسلافيا وفي استديوهات دي باوليس. كما تم تصوير الكثير من مشاهد الغابات داخل الاستديو. بدا ريفز في هذا الفيلم أقرب إلى أن يكون روبن هود بالغ الضخامة وقد حل جيوفياني شيانفريليا، المعروف باسم كين وود، محله في

تنفيذ الحركات الخطرة. يصف النص الافتتاحي للفيلم العام الذي جرت أحداث الفيلم فيه بأنه «زمن تصبح الحياة فيه، بالنسبة إلى من لا يعيش قصة حب أو لا يقاتل، قصيرة للغاية وبليدة». استبدلت في النسخة الأمريكية للفيلم بموسيقى كارلو إينوشنزي التصويرية مقطوعات لليس باكستر وقد حقق الفيلم نجاحاً كبيراً لدى عرضه هناك عام ١٩٦٠ بعد أن اقتطعت خمس عشرة دقيقة من مدة عرضه الأصلية البالغة مائة دقيقة.

يجمع فيلم «التتار»- The Tartars (١٩٦١- إخراج مشترك لكل من ريتشارد ثروب وفرديناندو بالدي)، مرة واحدة ووحيدة، أورسون ويلز وفيكتور ماتور. تجري أحداث الفيلم على ضفاف نهر الفولغا في روسيا ويروي قصة المعارك التي دارت بين الفايكينغ، بقيادة أوليغ الشجاع (ماتور) وجحافل التتار بقيادة الخان بوروونداي (ويلز). يقتل أوليغ توبورو (فولكو لولي)، شقيق بوروونداي ويأخذ شقيقته ساميا (بيلا كورتيز) رهينة، فيرد بوروونداي بخطف هيلغا (ليانا أورفي) زوجة أوليغ، في حين يقع إيريك (لوشيانو مارين)، شقيق أوليغ في حب ساميا. ثم يهاجم التتار معقل الفايكينغ، فيقتل أوليغ وبوروونداي ويبحر إريك وساميا بعيداً على متن مركب طويل. تم تصوير الفيلم، بالتعاون مع شركة دابرافا فيلم في زغرب، في قلب الطبيعة اليوغسلافية الساحرة (وصورت المناظر الداخلية في استديوهات تيتانوس)، ودعمت الفيلم موسيقى تصويرية ذات نكهة روسية قدمها رينزو روسيليني. لكن أبطال الفيلم ساهموا في إضعافه من حيث كونه فيلماً ترفيهياً ذا مصداقية. فلم يكن ماتور بشعره اللامع وسحنته المتوسطية مقنعاً بدور الفايكينغ وكان هذا الفيلم مثالاً واضحاً على براعة ماتور في تحويل الشخصيات التاريخية إلى أغبياء مكشرين. إذ كان وجهه يكتسي، في الأوقات التي لا يبتسم فيها، تعبيراً ضيقاً طفيفاً يجعلك تظن أن رائحة كريهة ما تهيمن على حوض الفولغا. غير أن سماعه وهو يقول بلكنته الثرية: «لقد غامر ذئب الفايكينغ، إذن، بالدخول إلى وكر الدب التتاري» كان من الأمور الممتعة.

ونشير في هذا السياق، إلى ضرورة عدم الخلط بين فيلم «التتار» هذا وفيلم آخر يحمل الاسم نفسه (١٩٦٣) ويؤدي فيه فلاديمير ميدار دور تاراس بولبا، كما يجب تجنب الخلط بين هذا الفيلم الأخير وفيلم آخر يحمل اسم «تاراس بولبا»- Taras Bulba (١٩٦٢) وهو إنتاج هوليوودي أرجنتيني مشترك يروي القصة نفسها ويلعب يول براينر فيه دور تاراس بولبا. ويعود أورسوس إلى العمل في فيلم «أورسوس والأميرة التتارية»- Ursus and The Tartar Princess (١٩٦٣) لريميجيو ديل غروسو، وهو فيلم وسترن تم نقل أحداثه إلى جبهة القرم في القرن السابع عشر. تحمل دورية خيالة بولونية يرتدي أفرادها سترات حمراء اللون بقيادة الأمير ستيفان (إيتوريه ماني) على عصابة من التتار. يقع ستيفان، الذي يقبض عليه التتار، في حب الأميرة إيلا (يوكو تاني)، ابنة الخان العظيم (أكيم تاميروف). ظهر كل من توم فيليغي وأندريا أوريلي في دور شريرين تتاريين. لم يستطع أورسوس قاطع الأخشاب (جو روبنسون) أن يحتل المكان الذي يستحقه في مركز الأحداث في فيلم يحمل اسمه انصب تركيزه، بدلاً من ذلك، على الصراع الديني بين المسيحيين البولنديين والتتار الوثنيين. أما فيلم «أطلس في مواجهة القيصر»- Atlas Versus The Czar (١٩٦٤) فيلعب دور البطولة فيه كيرك موريس بدور أطلس وماسيمو سيراتو بدور القيصر، في حين لعبت كلويه ألونسو دور البطولة في فيلم «ملكة التتار»- Queen of Tartars (١٩٦١- «الهون») بدور تانيا. وقد استخدم الفيلمان نموذج ويلز- ماتور كمصدر إلهام لهما.

تدور أحداث فيلم «شمشون وعجائب العالم السبع»- Samson and The 7 Miracles of The World (١٩٦١- كان اسمه الأصلي «شمشون في بلاط الخان العظيم») في القرن الثالث عشر في الصين، في الفترة التي غزاها فيها المغول وحكمها غاراك الجبار (ليوناردو سيفيريني) بالحديد والنار. يحاول غاراك قتل وارثي العرش الشرعيين- الأمير تساي سونغ وشقيقته الأميرة لاي لينغ (يوكو تاني)- فيتدخل شمشون (غوردون سكوت) الذي بدا،

بمئزر طرزان الذي يرتديه وسط ديكورات غنية من الشرق الأقصى، خارج سياق المكان تماماً. يعتبر «شمشون وعجائب العالم السبع» أحد أفضل أفلام البيبلوم التي صنعها ريكاردو فريدا. وقد أسهمت في نجاح الفيلم إلى حد بعيد عوامل تكمن في مواقع التصوير والأزياء والأعداد الكبيرة من الكومبارس الآسيويين خلفها جميعاً فيلم ماركو بولو (١٩٦١)، الذي ظهرت فيه تاني إلى جانب روي كالهون الذي يؤدي فيه دور الرحالة الفينيسي الشهير. يدمر شمشون خاناً في إحدى المعارك بركلة قوية ثم يصارع عربة مزودة بأنصال كانت على وشك قطع رؤوس خمسة متمردين (في لقطة مبهرة كررها فيما بعد فيلم «ماشيستيه في الجحيم»). واستبدلت في النسخة الأمريكية من الفيلم بأجزاء من الموسيقى التصويرية مقاطع من أفلام جولياث كتبها ليس باكستر، ولحسن الحظ احتفظ موزع الفيلم في الولايات المتحدة بالموسيقى الرنانة ذات الوقع الصيني التي كتبها كارلو إينوشينزي. وكان من الممثلين الذين ظهروا في الفيلم كذلك هيلين شانيل بدور كيوتاي، عشيقة غاراك الشريرة وفاليري إنكيجينوف بدور كبير الكهنة وغابرييل أنطونيوني بدور القائد المتمرد تشو. أما شمشون فاقتصر الأمر معه على القيام بمعجزتين: كانت الأولى عندما يعثر على جرس الحرية العظيم ويقرعه داعياً المظلومين إلى حمل السلاح في وجه غاراك. لكن سوء الحظ جعل لسان الجرس العظيم يقذف شمشون خارجاً. ثم يدفن غاراك شمشون حياً تحت أساسات المدينة في حجرة حجرية صغيرة. لكن صوتاً باطنياً ما يطالب شمشون بالقيام بــ «المعجزة السابعة». هكذا، يستجمع شمشون الجبار كل قواه ويمزق الأرض محدثاً هزة أرضية جبارة تدمر المدينة وتسمح للاي لينغ وتشو بتأسيس سلالة جديدة.

ويلعب مارك فوريست، في فيلم «هرقل ضد المغول» - Hercules Against The Mongols (١٩٦٣) لدومينيكو باوليلا، دور هرقل، بطل يونان ما قبل الميلاد الذي يغير مكانه وينتقل إلى عام ١٢٢٧ ميلادية. يموت جنكيز خان ويبدأ أبناؤه الثلاثة بإثارة المشاكل ويتسببون باندلاع حرب بين

المغول والغرب المسيحي. أما أبناء جنكيز خان الثلاثة فهم سايان وهو رامي سهام لا مثيل له (كين كلارك) وسوسدال الخبير في استخدام السياط (ريناتو روسيني) وكيهان، الذي يعني اسمه «الإعصار»، وهو رجل بالغ القوة (نادير موريتي) وقد كست وجوه الرجال الثلاثة شوارب صينية متهدلة. يشن أبناء جنكيز خان هجوماً (لقطات من أفلام أخرى) على مدينة توديلا المسيحية فيقتلون الملك ويأسرون ابنته بيانكا (جوزيه غريتشي)، لكن شقيقها الصغير ألكسندر (لوريس لودي)، ولي العهد ينجو بفضل مربيته (بيانكا دوريا) التي تنقله إلى مكان آمن. هنا يتدخل هرقل الذي يصمم على إرجاع ألكسندر إلى عرشه وطرد المغول من توديلا، تماماً كما تنبأت بذلك عرافة صينية في مقدمة الفيلم الافتتاحية السابقة للعناوين. تدور في الفيلم حبكة فرعية تتمحور حول بحث مجموعة من الأشرار عن كنز توديلا المخفي في طاحونة حنطة. ظهرت ماريا غرازيا سبينا بدور المحاربة المغولية الشريرة لي وان وتوليو ألتامارا بدور أدولفوس الجاسوس. بدت مهارات هرقل القتالية متوسطة باستثناء المشهد المثير الذي يدافع فيه عن نفسه ضد هجوم أسد باستخدام قضيب حديدي. يجتاح فرسان براتيسلافا المسيحيون بقيادة ملكهم (جيوسيبي أدوباتي) مدينة توديلا ويقوم هرقل بتدمير سد في طريق المغول. صور الفيلم في الأجواء اليوغسلافية المشمسة وفي استديوهات دي باوليس: كانت غرفة التعذيب المغولية بجدرانها الحجرية المقنطرة من المناظر الشائعة في أفلام البيبلوم.

كان من الجوانب العظيمة العديدة في السينما الإيطالية قدرتها على إنتاج ما هو غير متوقع من أكثر الأفلام وضوحاً وبراءة. إذ كان ينتظر من فيلم «هرقل ضد البرابرة»- Hercules Against The Barbarians (١٩٦٤) لباوليلا أن يكون مزيجاً من مغول وجبابرة بعد أن تم نقل بطله الإغريقي إلى بولندا. تجري أحداث الفيلم في القرن الثاني عشر عندما يجتاح المغول بقيادة جنكيز خان (رولاندو لوبي) مدينة كراكوفا فيردهم «هرقل الإعصار» (مارك

فوريست) على أعقابهم. لكن سرعان ما يزداد فيلم باوليلا ابتعاداً عن المنطق والتاريخ، مع دخول حبكة فرعية تدور حول قصة مطاردة ساحرات تجري فصولها في قرية سكانها من حملة المشاعل. إذ يختطف المغول أرمينا (جوزيه غريتشي) عشيقة هرقل (وهي وريثة العرش البولندي)، فيتجه هرقل، بصحبة أرياس (المتهمة بممارسة السحر والتي تؤدي دورها غلوريا ميلاند، وهي وجه مألوف في أفلام البيبلوم) إلى حصن المغول في تارنوبول لإنقاذ أرمينا.

يكثر باوليلا في هذا الفيلم، كما فعل في فيلم «هرقل ضد المغول» الذي سبقه، من استخدام لقطات تعود إلى أفلام ماضية كما يعيد توظيف الكثير من الممثلين الذين شاركوا في أفلام سابقة. فقد لعب كين كلارك دور كوبلاي، المغولي الشرير (الذي يسحق فيما بعد تحت بوابة حديدية كانت في طريقها إلى النزول) وريناتو روسيني دور قاظان المغولي في حين جسد ميلكو إيليس شخصية الملك البولندي فلاديمير وتوليو ألتامورا شخصية كاهن وأوغو ساسو شخصية قائد فريق أكروبات يؤدي في البلاط المغولي فقرات جمباز ومبارزة وتدوير أطباق. وقد تم تصوير هذا الفيلم ذي الميزانية المنخفضة في استديوهات دي باوليس وأخذت الموسيقى التصويرية من فيلم «ماشيستيه في الجحيم» ويصارع هرقل تمساحاً مطاطياً ويعبر صدعاً أرضياً تشتعل فيه النيران مستعيناً بجذع شجرة (تم التصوير في تور كالدارا) في فيلم دخلت في تركيبه أنواع سينمائية متعددة أضعفت تماسكه. وبدورها، صورت هوليوود ملحمتها المغولية في يوغسلافيا، حيث تميز فيلم «جنكيز خان»- Genghis Khan (١٩٦٤) بديكورات رائعة وأزياء جميلة وانتدابات مميزة نذكر منها الممثل المصري عمر الشريف بدور البطولة في الفيلم بالإضافة إلى جيمس مايسون وروبرت مورلي بدور صينيين هزليين.

ألف معركة ومعركة: مغامرات الصحراء العربية

عرفت السينما الإيطالية حلقة ثانوية أخرى هي حلقة مغامرات الصحراء العربية التي ضمت تيمات مستقاة من ملاحم الأبطال الجبابرة ومن قصص ألف ليلة وليلة. تدور أحداث فيلم «فاتح الشرق»- The Conqurer of The Orient (١٩٦٠) لتونيو بوتشيا، وهو فيلم مغامرات مهذار بشكل مفرط لكنه مقتضب لحسن حظنا، في منطقة من الشرق غير محددة تم تجهيزها في استديوهات دي لورينتيس. تخضع مدينة القبة الذهبية لحكم داكار الشرير (بول مولر) وعشيقته دينازيزيه (جيانا ماريا كاناليه). ينقذ نادر (ريك باتاليا)، وهو صياد سمك فقير، أميرة هاربة اسمها فاطمة (إيرين تونك)، ويكتشف أنها الوارثة الشرعية للعرش. يتميز الفيلم بمؤثراته الصوتية الضعيفة: ففي حين يتقدم عشرات الفرسان بسرعة وسط منطقة ريفية خضراء جميلة، لم يزد صوت سنابك الخيل الذي يرافقهم في الخلفية عن صوت تكسير اثنتين من ثمار جوز الهند.

قدم ماريو بافا المؤثرات الخاصة المبدعة التي تميز بها فيلم «عجائب علاء الدين»- The Wonders of Aladdin (١٩٦١) وهو فيلم ممتع للأطفال أخرجه هنري ليفين وصوره تونينو ديلي كولي في مدينة القيروان التونسية وفي استديوهات تيتانوس في روما. لعب دونالد أوكونور دور علاء الدين كما شارك في الفيلم كل من ميشيل ميرسييه بدور الأميرة زينة وفيتوريو دي سيكا بدور الجني والفتى ماريو جيروتي (اتخذ في وقت لاحق اسم تيرانس هيل) بدور الأمير مولوك.

شارك ستيف ريفز في حلقة المغامرات العربية من خلال فيلم «لص بغداد»- The Thief of Baghdad (١٩٦١) الذي أخرجه أرثر لوبين. يحاول كريم النشال (ريفز) عبور الأبواب السبعة في مسعاه للعثور على المكان الذي تنبت فيه وردة زرقاء سحرية - وهي الدواء الوحيد القادر على شفاء الأميرة المريضة أمينة (جيورجيا مول). كان الفيلم في جوهره «هرقل في مركز

الأرض» معمماً. يظهر أرتورو دومينيشي في دور الأمير الشرير عثمان وكانت إيدي فيسيل مصدر إغواء جنسي لكريم في حين لعب جورج شامارا دور ساحر ودود يمد يد العون لكريم. صور تونينو ديلي كولي الفيلم في صحراء تونس وقدم أنجيلو لافانينو الموسيقى التصويرية. ويعتبر الفيلم واحداً من أفضل الأفلام التي لعبها ريفز ويحفل بتكوينات ميثولوجية نذكر منها أشجاراً ذات مجسات وعباءة إخفاء وبيغاسوس وسيافاً رأسه كالبيضة يخلو وجهه من التعبيرات وكهوفاً نارية وهزات أرضية ورجالاً متحجرين ومبارزة بين كريم ومصارع أصلع دبق تدور على جسر يقع فوق هوة عميقة، ناهيك عن جيش كريم السحري الذي يشن الهجوم النهائي على قوات عثمان في مدينة بغداد.

يمكن اعتبار فيلم «السهم الذهبي»- The Golden Arrow (١٩٦٢) لأنطونيو مارغريتي، الذي لعب فيه معبود المراهقين تود هنتر دور اللص حسن، إحدى أعظم اللحظات التي عرفها هذا الجنس السينمائي الفرعي. تجري أحداث الفيلم في دمشق حيث يكون على الأميرة جميلة (روزانا بوديستا) اختيار واحد من ثلاثة أمراء كي تتخذه زوجاً لها. يتقدم حسن بوصفه أمير جزر اللهب ويخطف الأميرة. لكنه يقع في حبها بالفعل ويعدل عن المطالبة بفدية لإطلاق سراحها كما تقضي بذلك الخطة الأصلية. يسعى حسن، وهو ابن كريم العادل، بمساعدة ثلاثة من الجن، إلى استعادة السهم الذهبي الذي يعود، لدى إطلاقه، إلى يد مالكه بصورة سحرية. يشن جيش أمير البصرة هجوماً على دمشق مرغماً جميلة على الزواج به. أسهم التصوير الغني بالألوان والعناية البالغة بتفاصيل الديكور والأزياء الغريبة في جعل فيلم «السهم الذهبي» متعة بصرية حقيقية. تم تصوير لقطات الصحراء والجبل في مصر والمناظر الداخلية في استديوهات تيتانوس. لعب خوسيه جاسبيه وكلاوديو سكاركيلي دور لصين في عصابة حسن وفرانكو بيسشيه دور بائع لبسط الريح ودومينيك بوشيرو دور ملكة الوادي الصخري وماريو فيليشياني دور الوزير الماكر بختيار. كان أداء ريناتو بالديني رائعاً بدور أمير البصرة المتعطش للسلطة، مع كاليستو كاليستي

بدور رفيقه. وعندما يرفض أحد النساك التخلي عن أكسير الحياة، يقوم الأشرار بطعنه دون أن يقتلوه وراقبوه من بعد كي يروا أين يخفي الدواء ثم اختبروه على الرجل المحتضر. يقدم الجن الهزليون الثلاثة، الذين يضعون على رؤوسهم عمامات مفرطة الضخامة (جيوستينو دورانو، أومبرتو فيليشياني وفرانكو سكاندورا)، بعض أكثر لحظات الفيلم حمقاً من خلال سعيهم لتنفيذ أعمال سحرية متنوعة تهدف لمساعدة حسن- كان فيلم "السهم الذهبي، كنظيره "عجائب علاء الدين"، موجهاً لجمهور الأطفال. يعبر حسن كهوف ملكة النار (غلوريا ميلاند) التي تحميها وحوش من نار- جسدها رجال أعمال خطرة ارتدوا ملابس مقاومة للنار. وفي المعركة الختامية، يشن حسن ورفاقه من الجن غارة جوية (باستخدام بسط الريح) ويقضون على جنود البصرة بقذفهم بجرار فخارية كبيرة.

كما أخرج مارغريتي فيلم «أنثار الذي لا يقهر»- Anthar The Invincible (١٩٦٤- «شيطان الصحراء ضد ابن هرقل»). ينقذ أنثار (كيرك موريس)، زعيم قبيلة باثايا، الأميرة ثريا (ميشيل جيراردون) من براثن أكريم (خوسيه جاسبيه). وكان غانور الشرير وتابعه رابيك (غوفريدو أونغير) قد قتلا الملك بارال، والد ثريا، وأسرا شقيقها الأمير دايكور (مانويل غالاردو). لعب ريناتو بالديني دور كمال الذي يشتري ثريا من أكريم في أحد أسواق النخاسة. كما لعب ماريو فيليشياني دور غانور النخاس والشاب روبرتو ديلاكوا دور أيمو، رفيق أنثار الأبكم الملقب بالبعوضة. ساهمت الأجواء العربية- مدينة بارال (صورت مناظرها الداخلية والخارجية على حد سواء في استديوهات دي بوليس) واللقطات الصحراوية التي تم تصويرها في الجزائر- في تحسين قصة الفيلم البسيطة نسبياً، لكن موريس لم يأخذ كامل فرصته في عرض عضلاته إلا عندما يصل الفيلم إلى ذروته، حين يصارع أنثار وحيد قرن هندي ويحرض الشعب على الانتفاض ثم يبارز غانور في حجرة الموت المليئة بالمرايا.

ولد كيندار، في فيلم «كيندار الذي لا يقهر»- Kindar The Invulnerable (١٩٦٤) في مدينة أوثور. توفيت والدته في طفولته عندما ضربتها صاعقة ينجو منها كيندار ويكتسب قوة خارقة تجعله لا يهزم. يقوم متمرد من الرحل بسرقة كيندار الصغير ويأخذه كي ينشأ في كنف الشيخ سيموث (ميمو بالميرا) دون أن يدري في الواقع أنه ابن ملك أوثور. وبعد عشرين عاماً، يقود كيندار (مارك فوريست) هجوماً على مدينة أوثور المحاصرة، لكنه يكتشف هوية ذويه الحقيقيين فينتقل إلى الضفة الأخرى. يكتشف سيموث أن النار هي نقطة ضعف البطل (إنه «البطل القابل للاشتعال») ويحاول قتله في معبد هوروس. تم تصوير فيلم «كيندار الذي لا يقهر» لأوزفالدو شيفرياني في استديوهات دي باوليس ووسط الأهرامات في مصر. كتب لول غوري لصالح الفيلم موسيقى تصويرية مغناة ذات نكهة روسية ولعبت فيه روزاليا نيري دور كيرا عشيقة سيموث وريناتو بوسيني دور سيرو شقيق كيندار. وقد تميز ميمو بالميرا بضحكاته الشريرة المزعجة التي يطلقها وهو يقول: «كيندار... ها ها ها ها! عدوك يتحداك! ها ها! إلى الموت!»

ويلعب غوردون ميتشيل، في فيلم «علي بابا والأعراب السبعة»- Ali Baba and The Seven Saracene (١٩٦٤) لإيميمو سالفي، دور عمر، حاكم مدينة كوفار. كان على عمر، كي يحصل على العرش الذهبي، أن يهزم سبعة من رجال القبائل الذين يتحدونه. كان خصم عمر هو علي بابا (برونو بيبرجنتيلي/ دان هاريسون) الذي ينتمي إلى قبيلة مهاريتي. إذ يقع علي بابا في حب الأميرة فاطمة (بيلا كورتيز) ويواجه عمر في المسابقة الرياضية الكبرى: هكذا يجد علي بابا نفسه في مواجهة سبعة من الأعراب. لعب فرانكو دوريا دور شريف، كبير مستشاري عمر وكارلا كالو دور عشيقته فاريندا. أما العقلان المدبران لفرار علي بابا من السجن فكانا رجلاً مخصياً يعاني من ارتعاشات عصبية (أتيليو سيفيريني) والقزم جوكي (طوني دي ميتري الذي يشبه نموذجاً مصغراً لفرانك سيناترا). لم يكثر فيلم «علي بابا والأعراب

السبعة» من التسكع: ويكفي الإمعان في مشهد التعذيب الذي يتم فيه خنق رجال من قبيلة مهاريتي بالأغلال كي نرى أن المقلع الذي صور فيه هذا المشهد قد ظهر في مكان آخر من الفيلم (والواقع أن هذا المقلع استخدم لتصوير كافة المشاهد الخارجية) بالإضافة إلى المنافسة الرياضية المثيرة التي يستخدم فيها المتبارون كل ما يصل إلى أيديهم- من سيوف ومذار ورماح وسلاسل وسكاكين وقضبان ونبال- في معركة لم يصمد فيها حتى النهاية سوى عمر وعلي. يؤدي ميتشيل دور الشرير النموذجي بوجهه الصخري المكشر ذي الملامح الجامدة التي لم تتغير إلا عندما تدهسه عربة. وقد أدار سالفي فيما بعد كلاً من ميتشيل وميكي هارغيتاي في وسترن بيبلوم رعب هجين بعنوان «ثلاث طلقات لأجل رينغو»- 3 Bullets for Ringo (١٩٦٦).

الكل للواحد: قراصنة ومغامرون

تم تصوير الفيلم الهوليوودي الناجح «القرصان القرمزي»- The Crimson Pirate (١٩٥٢) الذي لعب دور البطولة فيه بيرت لانكستر بدور الكابتن فالو، وهو مهرب سلاح ذو مهارات بهلوانية، في جزيرة إيسكيا الواقعة في خليج نابولي (تم تقديمها على أنها إحدى جزر البحر الكاريبي). وقد استثمر المخرجون الإيطاليون في نجاح هذا النوع من الأفلام، الأمر الذي أدى إلى ظهور حلقة صغيرة من الأفلام الإيطالية التي تتناول القراصنة موضوعاً لها والتي حملت أسماء مثل «بنادق الساحرة السوداء»- Guns of The Black Witch (١٩٦١) و«قراصنة تورتوغا»- Cold Steel for Tortuga (١٩٦٥). يؤدي الدور الرئيسي، في فيلم «غوردون القرصان الأسود»- Gordon The Black Pirate (١٩٦١) لماريو كوستا، ريكاردو مونتالبان، حيث يجسد في الفيلم دور مغامر يحارب تجار الرقيق الذين يقودهم روميرو (فنسنت برايس) مساعد حاكم جزيرة نوفيسبيرانزا. يظن غوردون أنه استطاع إخراج الكابتن تورتوغا (خوسيه

جاسبيه) من تجارة الرقيق نهائياً، لكنه يكتشف خطأ ظنه عندما تقذف الأمواج جثة أحد العبيد إلى الشاطئ. أما المكان الذي يتخذه تاجر الرقيق قاعدة له فهو جزيرة سان سالفادور، الملقبة بـــ «عش النسر»، التي ينطلق منها فريقه على متن السفينة إندوميتابل. هكذا، يتقمص غوردون شخصية مزارع كوبي ثري اسمه دون كارلوس باستيا، ويدعي أنه يعاني من نقص أعداد العمالة لديه ويحاول استمالة ابنة الحاكم مانويلا كورتيز دي كاستيلا (جيوليانا روبيني).

لا يزيد فيلم «غوردون القرصان الأسود»، في أحسن الأحوال، عن كونه فيلم مغامرات مبهرجاً يظهر مونتالبان فيه بصورة مبهرة في حين يمارس برايس هوايته المفضلة في سرقة الأضواء. لعبت ليانا أورفي دور قروية من جزيرة نوفيسبيرانزا تقع في حب غوردون الجلف. أما جاسبيه، فكان في تجسيده شخصية تورتوغا ذي الرقعة السوداء التي تغطي عينه واللحية الهائلة والحزام المذهل، قرصاناً نموذجياً بحق. كما أدى دور القراصنة في الفيلم بعض من رجال الأعمال الخطرة هم برونو أربيه وريكاردو بيتسوتي (مدير دفة السفينة إندوميتابل) وجينو مارتورانو (الرجل الثاني في تراتبية القيادة بعد غوردون). نتابع، في أحد مشاهد الفيلم المزعجة نخاساً إنكليزياً يرمي حمولة سفينته من العبيد في البحر وهم مقيدون بدلاً من أن يحررهم. كما تضمن الفيلم الذي تم تصويره في مواقع متوسطية كل ما يمكن للمرء توقعه من فيلم عن القراصنة ورافقته موسيقى تصويرية مرحة تناسب أجواء هذا النوع من الأفلام كتبها أنجيلو لافانينو. وكان في الفيلم كذلك مشاهد بالغة الأناقة نذكر منها: احتفالاً كاريبياً، وعبيداً مضطهدين يرسفون بالأغلال ويعملون في إحدى المزارع، وغارة شنها القراصنة على إحدى القرى. كما نشاهد في الفيلم مجموعات من الأسلحة الأصلية التي كانت سائدة في ذلك العصر كالمسدس التقليدي والمطرد (رمح ذو رأسين)، والسيف النحيل والخنجر والمدفع. لم يزد عدد السفن التي شاركت في المعارك

الحربية في الفيلم عن سفينتين الأمر الذي يوحي أن هاتين السفينتين هما الوحيدتان اللتان كانتا متاحتين للمنتج. وقد تميز اقتحام قلعة دون بيدرو بمشهدية عالية- ففي الوقت الذي كانت سفن غوردون تقصف فيه الحصن، كان رجاله يتسلقون أسوار القلعة باستخدام كلابات في حين أخذ المدافعون الإسبان عن الحصن يقصفون السفن المهاجمة.

سعى الكثير من نجوم البيبلوم إلى اقتحام عالم أفلام القراصنة. فقد لعب ستيف ريفز دور الكابتن مورغان في فيلم «مورغان القرصان»- Morgan The Pirate (١٩٦٠) لأندريه دي توث وبريمو زيليو إلى جانب فاليري لاغرانج وإيفو غاراني وجيورجيو أرديسون وليديا ألفونسي وكليو ألونسو. كما لعب دور القرصان المتمرد ذي العمامة ساندوكان الذي يحارب الإمبراطورية البريطانية في بحر الصين الجنوبي وفي أدغال بورنيو في فيلم «ساندوكان الأكبر»- Sandocan The Great (١٩٦٣) وفيلم «قراصنة ماليزيا»- The Pirates if Malaysia (١٩٦٤). اقتبس فيلم «ساندوكان الأكبر» من رواية لألبرتو سالغاري تحمل اسم «نمور المومبارسيم» حيث يخطف البطل ماري آن (جانفييف غرا)، ابنة أخي لورد غيلونك (ليو أنكوريز) خصم ساندوكان. تخوض عصابة ساندوكان غمار الجزيرة فتعبر أنهاراً جارفة وتواجه سهاماً مسمومة وحيوانات متوحشة ومستنقعات وقبيلة من صائدي البشر، لكن أفراد العصابة يقعون في الأسر عند الشاطئ أثناء محاولتهم الفرار على متن سفينة صيد. لعب أنطونيو مورينو روخو وإنزو فييرمونتيه وماريو فالديمارين دور أصدقاء الملكة فيكتوريا الأوفياء وأدى عدد من نجوم أفلام الحركة ورجال الأعمال الخطرة دور قراصنة ساندوكان: ريك باتاليا، ناتسارينو زامبريلا، داكار، موريس بولي، جينو مارتورانو، وجيوفاني شيانفريليا (بديل ريفز في الحركات البهلوانية). كما لعبت الممثلة اليوغسلافية أندريا بوسيتش دور المغامرة البرتغالية يانيز دي غوميرا، رفيقة ساندوكان.

ساهم جيوفاني فوسكو في فيلم المغامرات الممتاز هذا، الذي قامت شركة م.ج.م. بتوزيعه على النطاق الدولي، بموسيقى تصويرية جيدة. كما تميز الفيلم بأجوائه الغرائبية وتفوق بمواقعه الماليزية وبأزيائه الزاهية والتصوير السينمائي الذي استخدمت فيه عدسة تكنيسكوب صورت بواسطتها معظم لقطات الحياة البرية التي ظهرت في الفيلم. كما مثلت بيئة الفيلم الاستعمارية بخوذاتها وعماماتها تغييراً مرحباً به بالنسبة إلى ريفز الذي يصارع نمراً ويتجنب قطيع فيلة هائجة ويستخدم مدفعاً رشاشاً متوسطاً ببراعة كبيرة في نهاية الفيلم التي تحفل بالحركة عندما يجتاح قراصنة سندوكان مع صائدي الرؤوس حصن فيكتوريا في سعيهم للقضاء على سباهيي غيلونك. وبرع راي دايتون كذلك في أداء شخصية سندوكان في فيلم «سندوكان يقاتل من جديد»- Sandokan Fights Back (١٩٦٤) و«سندوكان ضد نمر ساراواك» Sandokan Against The Leopard of Sarawak (١٩٦٤) مع غاي ماديسون بدور يانيز. كما لعب كبير بيدي دور البطولة في سداسية «سندوكان» التلفزيونية التي أخرجها سرجيو سوليما عام ١٩٧٦ وشاركت فيها كل من فيليب لوروا بدور يانيز وكارول أندريه بدور ماريان.

ظهر غوردون سكوت وجيانا ماريا كاناليه في فيلم للويجي كابوانو يتمتع بأجواء فينيسية رائعة حمل اسم «أسد القديس مرقس»- The Lion of Saint Mark (١٩٦٣- «النهاب»). كما لعبت كاناليه دور ساندرا في فيلم «ملكة القراصنة» Queen of The Pirates (١٩٦٣- مع ماسيمو سيراتو وشيلا غابيل وليفيو لورنزون) وفي الجزء الثاني منه «أسد البحار السبعة»- Tiger of The Seven Seas (١٩٦٣). وأدى ريتشارد هاريسون دور المنتقم في فيلم «منتقم البحار السبعة»- Avenger of The Seven Seas (١٩٦١) ولعب ألان ستيل دور البطولة في «هرقل والقرصان الأسود»- Hercules and The Black Pirate (١٩٦٤). وأدت ليزا غاستوني دور القرصانة الأنثى ماري ريد في فيلم «الجحيم الكامن في بطن المركب»- Hell Below Deck (١٩٦١- «ملكة البحار»)

وميجانو باردو (شقيقة بريجيت) دور البطولة في فيلم «قرصان الصقر الأسود»- Pirate of The Black Hawk (١٩٥٨)، في حين يقوم روبرت ألدا بتعذيب بيير أنجيلي في فيلم «جنود البحار»- Musketeers of The Seas (١٩٦٠). وأدى المغني جوني ديزموند دور «صقر الكاريبي»- Hawk of The Caribbean (١٩٦٣) ولعب جورج هيلتون دور البطولة في فيلم «الرجل المقنع ضد القراصنة»- The Masked Man Against The Piraes (١٩٦٣- «القرصان الأسود»). وقد تمتع ليكس باركر بسمعة حسنة في إيطاليا في هذا النوع من الأفلام حيث أدى دور البطولة في فيلم «الكابتن فالكون»- Captain Falcon (١٩٥٨) و«ابن القرصان الأحمر»- Son of The Red Corsair (١٩٥٩) و«القرصان والأمة»- The Pirate and The Slave Girl (١٩٦٠) و«سر الصقر الأسود»- Secret of The Black Falcon (١٩٦١) و«قراصنة الشاطئ»- Pirates of The Coast (١٩٦١).

يعتبر فيلم «سبعة بحار إلى كاليه»- Seven Seas to Calais (١٩٦٢) من أشهر أفلام المغامرات الإيطالية في هذه الفئة وهو حصيلة إخراج مشترك لكل من رودولف ماتيه وبريمو زيليو. و«سبعة بحار إلى كاليه» هو فيلم مغامرات وهروب تم استلهامه من قصص العرش البريطاني ويروي السيرة الذاتية لفرنسيس درايك هو بحار ومستكشف وقرصان رسمي يعمل لصالح ملكة بريطانية. يجرد درايك، عام ١٥٧٧، بمباركة من الملكة البروتستانتية إليزابيث الأولى، حملة دامت ثلاث سنوات على متن السفينة الشراعية الحربية "الهند الذهبية" لسرقة الذهب الذي يحتفظ به الإسبان في موانئهم الواقعة في المحيط الهادي. يعود درايك بجبل من الذهب الإسباني وينال رتبة فارس مكافأة له على إنجازاته. وفي عام ١٥٨٧، يحاول متآمرون إسبان بقيادة لورد بابينغتون (تيرانس هيل) اغتيال الملكة وتحرير ملكة اسكتلندا الكاثوليكية ماري (إيزميرالدا روزبولي) من سجنها في قلعة توتبوري. لكن الملكة وبابينغتون والمتآمرين يلقون مصيراً حزيناً عندما تقطع رؤوسهم

جميعاً. وفي عام ١٥٨٨، يهاجم الملك الإسباني فيليب الثاني (أومبرتو راهو) إنكلترا بأسطول كبير، لكن درايك يهزمه بينما كان في طريقه إلى كاليه كي يقل جيش دوق بارما.

صور فيلم «سبعة بحار إلى كاليه» في استديوهات تيتانوس أبيا في روما مع بعض اللقطات المتقنة التي صورت في مواقع إنكليزية معروفة (بما في ذلك مشاهد صورت خارج قصر سانت جيمس). أما المشاهد البحرية، فصورت في خليج نابولي. استخدمت في تصوير الفيلم تقنية إيستمانكولور وعدسة سينماسكوب وتميز بديكورات متقنة وسفن جيدة وأزياء ممتازة من عهد سلالة تيودور (تصميم فيليبو سانجوست) مع كل ما يلزم من صدارات وسراويل ضيقة وأطواق. لعب ممثلان أستراليان يتمتعان بمواهب رياضية اثنين من الأدوار الرئيسية في الفيلم: فقد أدى رود تايلور دور درايك ببراعة وظهر كيث ميتشيل (الذي عرف فيما بعد بألبومه الموسيقي «الكابتن بيكي وفرقته» - Captain Meaky and His Band) بدور رفيقه العربيد مالكولم مارش. ولعبت إيدي فيسيل دور المنفية الفرنسية أرابيلا التي تشترك في علاقة حب مثلثة مع مارش وبابينغتون. وأدى أنطوني داوسون وبازيل ديغنام دور لورد ويليام بورغلي وزير الخزانة وسير فرنسيس والسينغهام، كبير الجواسيس، وهما من مستشاري الملكة. أما فريق درايك فضم جياني كاجافا بدور عريف الملاحين توم مون وماركو غوليلمي بدور بارسون فليتشر. يرسو درايك وطاقمه أثناء حملتهم التي دامت ثلاث سنوات في أمريكا (نيو ألبيون) ويأخذون معهم بعض البطاطا والتبغ. وقد تميز هذا القسم من الفيلم بالعلاقة المرحة التي ربطت مارش بابنة زعيم هندي اسمها «بطاطا» (روزيلا داكوينو). بيد أن الفيلم تعثر في معركة الأرامادا الختامية. إذ كانت تلك المعركة البحرية التي تم تنفيذها من خلال إحراق نماذج مصغرة لسفن حربية تطفو في حوض ماء بعيدة عن الإقناع.

وكان إيرول فلين قد اقتحم المشهد، عام ١٩٣٥، بطريقة بهلوانية عندما لعب دور البطولة في فيلم «الكابتن بلود»- Captain Blood المقتبس من رواية رافائيل ساباتيني. وبعد سبعة وعشرين عاماً من ذلك، لعب ابنه البالغ من العمر واحداً وعشرين عاماً دور روبرت بلود، ابن القرصان المتوفى، في فيلم «ابن الكابتن بلود»- The Son of Captain Blood لتوليو ديميكيلي. ترغب ليدي أرابيلا (آن تود) التي تعيش في مدينة بورت رويال، في جامايكا، أن ترسل ابنها روبرت لدراسة الطب في أدنبره، لكنه يفضل، بدلاً من ذلك، الذهاب إلى البحر. يقع روبرت، في رحلته الأولى، بحب أبيغيل ماكبرايد (أليساندرا بانارو) ويلتقي بالطاقم السابق الذي كان يقوده والده القرصان الذي ضم أوغلثروب (روبرتو كاماردييل) وكيربي (بارتا باري) ولينش (أنجيل أورتيز) وتيموثي توماس (فرناندو سانتشو، الذي تمت دبلجة حواره بلغة إنكليزية ذات لكنة أيرلندية). يقاتل هذا الفريق العدو اللدود لوالد روبرت، الكابتن ديمالاغون (خوسيه نيينتو)، وتابعه برونو (راف بالداساريه). وفي بورت رويال، يستعبد حاكم المدينة تاونسند عمال مزرعة أنابيلا السود فيهاجم القراصنة المدينة مستغلين حصول هزة أرضية، وينقذ روبرت والدته وخدمها، بمن فيهم موزيس (جون كيتزميلر) ويتجهون إلى أرض مرتفعة للنجاة من المد الذي اجتاح المدينة. أدى الوسيم الأشقر فلين دور القرصان ببراعة (ظهر، كذلك، في فيلم «علامة زورو»- The Sign of Zorro [١٩٦٤]). لعب أنطونيو كاساس دور قبطان سفينة الرقيق البريطانية وريكاردو بيتسوتي وألفارو دي لونا دور قرصانين. تم تصوير مدينة بورت رويال في الواجهة البحرية لمرفأ دينيا الواقع في خليج فالنسيا في إسبانيا. كما استخدم الموقع نفسه في فيلم «سرفانتس»- Cervantes (١٩٦٧) وهو سيرة ذاتية بليدة للشاعر ميغيل دي سرفانتس (هورست بوخهولز) يرد فيها ذكر معركة ليبانتو البحرية (١٥٧١) التي دارت في خليج كورينثيا بين الأتراك والتحالف المقدس. وقد وجه فيلم «سرفانتس» الشكر للعاملين في القاعدة البحرية الإسبانية في قرطاجة على مساعدتهم في تنفيذ هذه المعركة.

اقتبس سرجيو كوربوتشي فيلم «الرجل الذي يضحك»- The Man Who Laughs (١٩٦٦) من رواية لفيكتور هيغو تحمل الاسم نفسه. تدور أحداث الفيلم في إيطاليا في عصر النهضة حيث ينشر شيزاريه بورجيا (إدمون برودوم) وشقيقته لوكريزيا (ليزا غاستوني) الرعب في البلاد ويتوارى أستوريه مانفريدي، دوق فاينزا وعدو البورجيين، عن الأنظار برفقة مجموعة من لاعبي الأكروبات الجوالين، كان منهم ديا (إيلاريا أوكيني)، الفتاة الضريرة، ولاعب السير على الحبل أنجيلو، الذي يضع قناعاً لإخفاء وجهه المشوه بشدة. لكن معظم اللاعبين يقتلون أثناء الهجوم على معقل البورجيين، فيقسم أنجيلو على الثأر من أستوريه: لأن الدوق سرق منه ديا بعد أن كانت قد استعادت بصرها بالفعل. يوظف كوربوتشي الممثل الفرنسي جان سوريل بدور الأرستقراطي الوسيم أستوريه والبهلواني «العجيب» ذي الشعر الأحمر أنجيلو. وقد كان لهذه الازدواجية ما يبررها. إذ إن شيزاريه، الذي كان يمارس التجارب على قسمات الوجه البشري مستخدماً الأشخاص المجذومين كفئران تجارب، يقوم بتغيير ملامح أنجيلو بعمل جراحي تجميلي محولاً إياه إلى نسخة طبق الأصل من أستوريه. هكذا يستبدل البورجيون أنجيلو بأستوريه، أثناء زفاف أستوريه وديا في فاينزا، بهدف جعل أنجيلو مجرد دمية تحكم باسمهم. صور الفيلم على شاطئ تور كالدارا وفي استديوهات شينيشيتا وتيتانوس أبيا. يؤدي جينو بيرنيشيه، الذي يظهر بصورة متواترة في أفلام كوربوتشي، دور غالياكو رجل بورجيا. ويتضمن الفيلم الكثير من مشاهد الحركة التي تميز أسلوب كوربوتشي وبعضاً من اللمسات المروعة: حجرة تعذيب بورجية سادية ومجذومون يجرون عربات موتهم عبر الريف. أدى برودوم دور بورجيا بامتياز حيث جسد شخصية المثقف السادي الذي يقول ذات مرة: «القتل فن كالرسم تماماً». كما لعب كاميرون ميتشيل دور شيزاري في فيلم «الدوق الأسود»- The Black Duke (١٩٦٣) لبينو ميركاتي إلى جانب غلوريا ميلاند بدور كاترينا سفورزا.

لعب تيرانس هيل دور البطولة في فيلم «القرصان الأسود» -The Black Pirate (١٩٧١ - «القرصان بلاكي») لفنسنت توماس. يجسد هيل في الفيلم شخصية الكابتن بلاكي، وهو قرصان إنكليزي يحارب الإسبان ويحاول سرقة شحنة ذهب عائدة لنائب الملك (إدمون برودوم). ويلعب بود سبنسر دور قرصان منافس يتحالف مع بلاكي يدعى الكابتن سكال. أما مساعدو هيل فهم عريف الملاحين الضخم ذو اللحية (فرناندو بلباو) ودون بيدرو النذل (جورج مارتان). كما لعبت سيلفيا مونتي دور إيزابيل دي مندوزا إي لاغونا، زوجة نائب الملك، المرأة التي يحبها هيل، في حين أدت ديانا لوريس دور مانويلا، مالكة الخان. كتب موسيقى المزمار التصويرية للفيلم جينو بيغوري. وقد أدى استخدام لقطات من أفلام قراصنة سابقة إلى تبديد أية إثارة كان يمكن للمعارك البحرية أن تخلقها لدى المتفرج.

كما كانت مغامرات الفرسان من الموضوعات التي لاقت رواجاً كبيراً في السينما الإيطالية من خلال أفلام مثل «فرسان الشيطان» -The Devil's Cavaliers (١٩٥٩) بطولة أنطوني ستيفن وجيانا ماريا كاناليه وفرانك لاتيمور (أصبح لاحقاً نجم أفلام زورو) و«فرسان قلعة الشيطان» -The Cavaliers of The Devil's Castle (١٩٥٩) و«انتقام الفرسان» -Revenge of The Musketeers (١٩٦٣ - الذي لعب فيه فرناندو لاماس دور دارتانيان) و«سر مارك دارتانيان» -The Secret of Mark D'Artagnan (١٩٦٢) و«الفرسان الأربعة» -The Four Musketeers (١٩٦٣). ولعب بيير بريس دور زورو في فيلم «رعب القناع الأسود» -Terror of The Black Mask (١٩٦٣) وظهر ليكس باركر في «رعب القناع الأحمر» -Terror of The Red Mask (١٩٦٠) و«جلاد البندقية» -The Executioner of Venice (١٩٦٣ - «دم الجلاد»). وقد ظهر بريس وبيكر معاً في أفلام الوسترن الألمانية. كما شارك غوردون سكوت في فيلم «قناع الفرسان» -Mask of The Musketeers (١٩٦٠ - «زورو والفرسان الثلاثة») إلى جانب جياكومو روسي ستيوارت وليفيو

لورنزون وناتسارينو زامبيرلا بدور أثوس وبورتوس ودارتانيان على التوالي. أما «شياطين سبارتيفنتو» - The Devils of Spartivento (١٩٦٣) فهو فيلم مغامرات سخي بتصويره وبأزيائه ولعبت دور البطولة فيه شيلا غابيل وجون درو باريمور.

ولعب أسطورة هوليوود ستيوارت غرينجر دور البطولة في فيلم «سياف سيينا» - The Swordsman of Sienna (١٩٦٢). تدور أحداث الفيلم في توسكانيا في القرن السادس عشر، على الرغم من أنه صور في استديوهات تيتانوس وفي ريف لاتسيو ويؤدي غرينجر في هذا الفيلم دور توماس ستانوود وهو قاطع طريق ومرتزق. وضع ماريو نيسيمبيه لصالح الفيلم موسيقى تصويرية كاسحة ونفذ تونينو ديلي كولي عمليات التصوير السينمائي باستخدام تقنية ميتروكولور وعدسة سينماسكوب. يصل ستانوود إلى سيينا، التي كانت في ذلك الوقت رازحة تحت الاحتلال الإسباني، كي يعمل حارساً شخصياً لدى الليدي أورييتا أركونتي (سيلفيا كوسينا) التي كانت في طريقها إلى الاقتران بالحاكم الإسباني المستبد دون كارلوس (ريكاردو غارونيه). يلاحظ ستانوود أن هذا الزواج يلاقي معارضة شعبية، فينضم إلى مجموعة من الوطنيين الإيطاليين المتمردين، تدعى مجموعة العشرة، يقودها عضو المجلس أندريا باريزي (ألبرتو لوبو). يحفل الفيلم بالألغاز وبمؤامرات البلاط بطريقة جعلته واحداً من أفضل الأفلام في هذه الفئة وكان أداء غرينجر رائعاً لشخصية المرتزق الحاضر البديهة، كما برهنت المبارزة التي جمعته بلوبو في أحد الإسطبلات عن مهارته كمقاتل. جسد كلاوديو غورا شخصية عضو المجلس ليوني الذي تقتله مجموعة العشرة قبل أن تجعل جثته تتدلى من أعلى برج المدينة. ولعب فاوستو توتسي دور الكابتن هوغو، رجل كارلوس الوغد وكريستين كوفمان دور سيرينيلا، شقيقة أورييتا (التي يقع ستانوود في هواها). يعتبر سباق الخيول في سيينا أفضل مشاهد الفيلم، لأنه يقدم للمتفرج استعراضاً حقيقياً حافلاً بالألوان والحركة، وقد تم تصميم السباق الذي تخترق الخيول فيه

الريف وشوارع المدينة بطريقة بالغة الإثارة حيث نجد الفرسان (بمن فيهم العدوان اللدودان هوغو وستانوود) يتحدون عوائق متنوعة- من أسيجة، وجذوع أشجار، وأفخاخ وجسر يقع عند شلالات مونتي جيلاتو.

عشق الجمهور الإيطالي الشخصيات المقنعة، من أبطال وأشرار، التي قدمتها السينما الإيطالية بمختلف أجناسها من بيبلوم ومغامرات وأفلام رعب. وقد تقاطعت هذه الأجناس السينمائية، في بعض الأحيان، في ثنائيات غير متوقعة كفيلم «زورو ضد ماشيستيه»- Zoro Against Maciste (١٩٦٣- «شمشون والملكة الأمة») لأومبرتو لنزي الذي لعب فيه بيير بريس دور زورو وألان ستيل دور ماشيستيه، أو «شمشون وكنز الإنكا»- Samson and The Treasure of The Incas (١٩٦٥) وهو فيلم من بطولة ستيل كذلك يجمع البيبلوم بالوسترن. كما كان هرقل، في فيلم «هرقل والفارس المقنع»- Hercules and The Masked Rider (١٩٦٤) لبييرو بييروتي، عضواً في عصابة من الغجر المتمردين. تدور أحداث الفيلم في إسبانيا أثناء حرب الفلاندرة ويتحدث عن الصراعات التي نشبت بين دون روميرو (أرتورو دومينيتشي)، دوق ميدينا الجشع ودون فرنشيسكو، أمير فالفيرديه. يقتل روميرو فرنشيسكو فيقرر ابن شقيقه دون خوان (ميمو بالميرا) الانتقام. يهاجم خوان، متنكراً بشخصية فارس مقنع يغطي عينيه بقناع زورو ويرتدي عباءته وقفازاته في مسعى لاستعادة ود حبيبته دونيا بلانكا (خوسيه غريسي). لعبَ إيتوري ماني دور الكابتن بلاسكو، رجل روميرو الذي يغير مواقفه بعد أن يقع في حب ساحرة غجرية تدعى إيستيلا (بيلار كانسينو)، كما ظهر نيلو باتسافيني وسال بورغيزيه بدور متمردين في هذا الفيلم الرخيص، العامر بالحركة الذي تم تصويره بالكامل في إيطاليا والذي تم تزويده بموسيقى تصويرية غجرية كتبها لافانينو. بدا هرقل في الفيلم تائهاً تماماً وهو أمر متوقع بعد أن انتزع عنوة من السياق التاريخي الذي اعتاد العيش فيه.

الثورة والحروب النابليونية: النمور والأسود

شهدت السينما عدداً من الأفلام الضخمة متعددة الجنسيات- قدمت لها إيطاليا التمويل أو الاستديوهات أو النجوم- التي دارت أحداثها في فترة الحروب النابليونية. وقد تميزت هذه الأفلام بمشاركة نجوم كبار وبمواقع وأزياء مبهرة وبحبكات تاريخية متثاقلة تقطعها بانتظام معارك ملحمية. صور فيلم «الحرب والسلام»- War and Peace (١٩٥٦) لكينغ فيدور في استديوهات دي لورينتيس ولعب الأدوار الرئيسية فيه كل من أودري هيبورن وهنري فوندا وميل فيرير وفيتوريو غاسمان وجون ميلز وأنيتا إكبرغ. تدور أحداث هذه القصة الرومانسية في فترة غزو نابليون (هربرت لوم) لروسيا عام ١٨١٢. أما فيلم «معركة أوسترليتز»- The Battle of Austerlitz (١٩٦٠) الفرنسي الإيطالي اليوغسلافي اللشنشتايني المشترك لأبيل غانس، فقد كان فيلماً ذا طابع مسرحي تم تصويره بمجمله داخل الاستديوهات واختزلت فيه قصة انتصار نابليون على القوات النمساوية الروسية المشتركة عام ١٨٠٥ إلى مستوى مسرحية إيمائية تبددت فيها نجومية كلوديا كاردينالي وإيتوريه ماني وجان لوي ترانتينيان وليزلي كارون وجاك بالانس في حوارات خفيفة رديئة التسجيل. لعب بيير موندي دور نابليون وأورسون ويلز دور مخترع أمريكي وفيتوريو دي سيكا دور البابا.

أما فيلم «الفخر والحب»- The Pride and The Passion (١٩٥٧) لستانلي كريمر الذي يروي ملحمة الحرب التي دارت رحاها عام ١٨١٠ في شبه الجزيرة الإيبيرية ، فأسهمت النجمة الإيطالية صوفيا لورين في تزويده بالجانب المتعلق بالحب. كلف إنتاج الفيلم خمسة ملايين دولار وتم تصويره في مواقع رائعة بالقرب من مدريد- بما في ذلك طليطلة وكاتدرائية مدينة سانتياغو دي كومبوستيلا وجبال مانزاناريس إل ريال وصخور كويداد إنكانتادا ذات الشكل الفطري- وشارك فيه آلاف الأشخاص. يجر المتمردون

الإسبان مدفعاً عملاقاً مسافة ألف كيلومتر على امتداد صحارى وأنهار وصخور وطواحين كي يدكوا أسوار حصن أفيلا الذي يضم مقر القيادة الفرنسية في إسبانيا. يحارب الكابتن أنطوني ترومبول (كاري غرانت)، وهو عنصر في البحرية البريطانية يتميز بالبرودة الإنكليزية المعهودة، الفرنسيين إلى جانب المتمرد ميغيل (فرانك سيناترا) وهو ابن صانع أحذية ويقاتل لخطب ود الفتاة الغجرية المثيرة خوانا (صوفيا لورين). وقد ألهم هذا الفيلم العديد من أفلام المغامرات السياسية الإيطالية اللاحقة، مثل «بنادق محترفة»- A Professional Gun and Burn!، يتحالف فيها جندي مرتزق أو خبير أسلحة أجنبي مع فلاح متمرد. وكان ترومبول قد بدا، في فيلم «الفخر والحب» شخصاً لا يمكن الاستغناء عنه بسبب خبرته في استخدام المدفع.

أنتج كل من دينو دي لورينتيس وموسفيلم فيلم «واترلو»- Waterloo (١٩٧٠) الإيطالي الروسي المشترك الذي أخرجه سرغي بوندارتشوك. كلف إنتاج الفيلم خمسة وعشرين مليون دولار وتم تصويره في استديوهات دي لورينتيس وفي مواقع خارجية في أوكرانيا وقدم نينو روتا الموسيقى التصويرية الدرامية. وقد أعاد الجيش السوفياتي، مرتدياً أزياء تاريخية تناسب المرحلة، إحياء المعركة الشهيرة التي يواجه فيها نابليون (رود شتايغر) دوق ويلنغتون (كريستوفر بلومر)، في الثامن عشر من حزيران ١٨١٥. شاركت في الفيلم نخبة منتقاة من الممثلين مثل فيرجينيا ماكينا ومايكل ويلدينغ وجاك هوكينز وجياني غاركو وإيفو غاراني وأندريا كيتشي وأيان أوغيلفي، إلى جانب أورسون ويلز الذي لعب دور الملك البدين لويس الثامن عشر.

مضى القسم الأول من الفيلم ببطء قبل أن يبدأ القسم الثاني الحافل بالحركة وسط معارك مثيرة نابضة بالحيوية أرعدت فيها المدافع وتقدم جنود المشاة صفاً إثر صف واندفع الخيالة وسط سحب الدخان التي كانت

تعم المشهد. وقد شارك في هذه المعارك الطاحنة عشرون ألف رجل وثلاثة آلاف حصان وكان فرانكو فانتازيا منسق الأعمال الخطرة. غير أن إصدارة الفيلم التي تم توزيعها في المملكة المتحدة على أقراص ضوئية انتزعت من حملتي الخيالة اللتين ضمهما الفيلم- هجوم جبهي نفذه الخيالة الاستكتلنديون والهجوم الذي شنه الخيالة الفرنسيون بقيادة المارشال ني (دان أوهيرليهي) بهدف احتواء جنود المشاة البريطانيين ذوي السترات الحمراء (لقطات مبهرة تم تصويرها من مروحية)- كافة المشاهد المثيرة منها الأمر الذي أضعف قوة هاتين الحملتين. وفي حين كان نابليون يتهيأ لإطلاق رصاصة الرحمة على البريطانيين، يصل البروسيون بقيادة المارشال بلوشر (سيرغي زاخاريادزيه) لنجدتهم. لكن الحرس القديم الفرنسي يرفض الاستسلام فتحصده المدافع البريطانية. تنتهي المعركة، في نهاية المطاف، وينجو نابليون بنفسه ويهاجم اللصوص والغربان الجثث المتناثرة في ميدان القتال. كان فيلم "واترلو"، الذي صوره أرماندو نانوتسي باستخدام تقنية تكنيكولور وعدسة بانافيجن، أشبه بلوحة فنية بث الحياة فيها تصوير سينمائي متقن وتزاوج فيها الأسلوب الإيطالي والضخامة الروسية.

تجري أحداث الفيلم الأوبرالي «الكونتيسة وانتون»- Senso (١٩٥٤) للوكينو فيسكونتي عام ١٨٦٦، في حقبة الاحتلال النمساوي لمدينة البندقية، حيث تصبح الكونتيسة ليفيا سيربييري (أليدا فالي) عشيقة ضابط مدفعية نمساوي هو الملازم فرانز ماهلر (فارلي غرainجر)، سعياً منها، للوهلة الأولى، لإنقاذ ابن عمها الماركيز أوسوني (ماسيمو جيروتي) وهو متمرد يحارب الحكم النمساوي. يقترض فرانز من ليفيا مبلغاً كبيراً من المال، كان يفترض بها أن تستخدمه لمساعدة المتمردين، يقدمه رشوة لطبيب كي يعفيه من الخدمة العسكرية. لكن ليفيا تكتشف، لدى زيارتها فرانز في فيرونا، أن عشيقها لم يكن أكثر من مجرد سكير

ومتبطل لا يتمتع بالوفاء وأنه أنفق المال الذي حصل عليه على النساء والكحول والميسر، فتبلغ رؤساءه بهربه من الخدمة انتقاماً منه وسرعان ما يتم إعدامه رمياً بالرصاص. يتميز الفيلم بالأداء العظيم لبطليه فالي وغرابنجر وبتصويره الرائع للمواقع الإيطالية باستخدام تقنية تكنيكولور وبمشاهد القتال الواقعية، على الرغم من قصرها، التي يقحمها فيسكونتي بسلاسة في سياق قصته.

كما عالج فيسكونتي فترة أكثر إبكاراً في حقبة البعث الإيطالي (Risorgimento)، وهي فترة الجيشان السياسي الذي أفضى إلى وحدة إيطاليا، في فيلم «النمر»- The Leopard (١٩٦٣) الذي قال عنه البعض إنه المعادل الأوروبي لفيلم «ذهب مع الريح». والفيلم مقتبس من رواية لجيوسيبيه توماسي دي لامبيدوزا تحمل الاسم نفسه (١٩٥٨)، ويروي قصة أمير سالينا الصقلي دون فابريتزيو (بيرت لانكستر) الملقب بالنمر. تبدأ أحداث الفيلم في شهر أيار ١٨٦٠ عندما يغزو جيوسيبيه غاريبالدي جزيرة صقلية مع رجاله ذوي القمصان الحمر. ينتمي دون فابريتزيو إلى الطبقة الحاكمة السابقة وقد وجد نفسه عالقاً بين عالمين واكتشف أن حكمته القديمة، التي تقول إن «على الأمور أن تتغير كي تبقى على ما هي عليه»، اكتسبت معنى جديداً. ينضم الكونت تانكريدي (ألان ديلون)، ابن أخت دون فابريتزيو، إلى غاريبالدي ويتخلى عن حبيبته كونشيتا (لوتشيلا مورلاتشي)، ابنة فابريتزيو ويقترن بأنجيليكا سيدارا (كلوديا كاردينالي)، ابنة أحد الأثرياء الجدد ووريثة الرجل الموسر دون كالوجيرو سيدارا (باولو ستوبا). يطلب المبعوث الفارس كيفالي (ليزلي فرنش) من فابريتزيو الانضمام إلى مجلس الشيوخ الإيطالي، لكنه يرفض ويرشح بدلاً من ذلك دون كالوجيرو لتولي المنصب قائلاً: لقد كنا في الماضي أسوداً ونموراً. أما أولئك الذين يحلون محلنا فسيصبحون بنات آوى وحملاناً».

حصل غوفريدو لومباردو من شركة تيتانوس على حقوق اقتباس الكتاب وتم إنتاجه بالتعاون مع شركة فوكس القرن العشرين. وقد روى الأرستقراطي الميلاني الكونت دون لوكينو فيسكونتي دي مودورنيه (المعروف بلقب «الدوق الأحمر») قصة لامبيدوزا بأسلوب نابض بالحياة وباهتمام منقطع النظير بأدق التفاصيل. استغرق إنتاج الفيلم خمسة أشهر بدءاً من شهر أيار من عام ١٩٦٢ وتوزع التصوير على مواقع عدة في جزيرة صقلية كان منها دونافوغاتا وقرية شيمينا. تم تحويل الجزء الخارجي من فيلا بوسكوغرانديه، الواقعة بالقرب من باليرمو، بشوارعها التي تحفها الأشجار إلى فيلا سالينا. واستخدم في تصوير معركة باليرمو مئات من أفراد الكومبارس، في حين تم تصوير حفل بونتليونيه الراقص في قصر غانجي الباذخ الذي يقع في باليرمو. وقد بلغ هوس فيسكونتي بالإنتاج الباذخ مداه، في مشاهد هذا الحفل الراقص، حيث استعان بمصمم الأزياء بييترو توسي، المرشح عدة مرات لجائزة أوسكار، لتصميم الأزياء بالغة الأناقة التي ارتداها الراقصون، وكانت موسيقى نينو روتا تصدح في حين كان بحر من راقصي الفالس يتحرك تحت إشراف فيسكونتي. وقد ظهر روتا بأروع تجلياته من خلال الموسيقى التصويرية المفعمة بالأبهة التي قدمها لهذا الفيلم. استخدم جيوسيبيه روتونو تقنية تكنيكولور وعدسة سوبر تكنيراما ٧٠ في تصوير الريف الغارق بالشمس، بسمائه الزرقاء ومعالمه المعمارية المغبرة، واستطاعت عدسته أن تلتقط بنجاح كبير «عنف الطبيعة» وأبهة الأرستقراطية.

جمع فيلم «النمر» مجموعة من أفضل الممثلين الذين عرفهم أي فيلم إيطالي. فبدا تانكريدي على يد ألان ديلون شخصاً طموحاً، مفعماً بالحيوية ومحبباً على الرغم من كونه مقتصداً، ولعبت كلوديا كاردينالي دور أنجيليكا ذات العينين الناعمتين والضحكة المجلجلة التي بدت غير منسجمة مع المدعوين السقيمين إلى حفل العشاء على طاولة دون فابريتزيو. لعبت رينا

موريلي دور الأميرة ماريا ستيلا (زوجة فابريتسيو) وسيرج ريجياني دور دون شيكيو توميو، شريك فابريتسيو في هواية إطلاق النار وإيدا غالي وببير كليمنتي دور اثنين من أبناء الأمير السبعة ومارينو مازيه دور الوصي عليهما ورومولو فالي دور الأب بيرونيه، كاهن آل سالينا. ولعب إيفو غاراني دور الكولونيل بالافيشينو، بطل معركة أسبرومونتيه، الذي يكره ذوي القمصان الحمر. يعود تانكريدي من معركة باليرمو بصحبة الجنرال باردي (جيوليانو جيما) والكونت كافرياغي (تيرانس هيل) الذي يحاول، دون جدوى، خطب ود كونشيتا. كما تميز فيلم «النمر» بالأداء الراقي الذي قدمه لانكستر لدور الرجل المليء بالتناقضات، الذي هو، جزئياً على الأقل، فيسكونتي نفسه. وفيما كان دون فابريتزيو السوداوي يتأمل في لوحة لغروز، باسم «موت رجل صالح»، تتناول رجلاً على فراش الموت، كان العالمان القديم والجديد يلتقيان في رقصة الفالس التي أداها مع أنجيليكا.

اقتطعت أربعون دقيقة من الفيلم في إصدارته الناطقة بالإنكليزية كي تقتصر بذلك على مائة وخمس وستين دقيقة كما كانت جودة الطباعة أقل مما هي عليه في النسخة الإيطالية. وفي عام ١٩٨٧، عرض برنامج «نادي السينما» على القناة الثانية في تلفزيون بي بي سي نسخة جديدة بطول مائة وخمس وستين دقيقة تمت دبلجتها بصوت لانكستر وكاردينالي. نالت النسخة الإيطالية من الفيلم، التي بلغت مدة عرضها مئتين وخمس دقائق، جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان عن أفضل فيلم، عام ١٩٦٥، في الوقت الذي كانت النسخة الدولية الناطقة بالإنكليزية تتخبط فيه وتكاد تودي بشركة تيتانوس بعد الانتقادات اللاذعة التي تعرضت لها. لكن الفيلم لم يلق التقدير الذي يليق به بوصفه أحد أفضل إنتاجات السينما الإيطالية، بل العالمية، إلا عام ١٩٨٣ عندما تم إصدار نسخة جديدة من الفيلم بطول مائة وخمس وثمانين دقيقة.



دون فابريتسيو (بيرت لانكستر) يرقص الفالس مع أنجيليكا سيدارا (كلوديا كاردينالي) في الملصق الإيطالي لملحمة لوكينو فيسكونتي الصقلية الرائعة «النمر» (١٩٦٣)


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثالث

سقوط الإمبراطورية

استعراضات السيف والصندل

بالإضافة إلى أفلام البيبلوم الميثولوجية، صنع المخرجون الإيطاليون ملاحم «سيف وصندل» رائعة كانت قصص العصور القديمة موضوعاً لها. وغالباً ما كانت هذه الأفلام، التي ألهمها بشكل رئيسي فيلمان هوليووديان هما «كوفاديس» و«هيلين طروادة» (والاثنان صورا في روما)، قصصاً درامية تستند إلى حقائق تاريخية. مارس فيلم «هيلين طروادة»، على وجه الخصوص، نفوذاً بالغاً على هذا الجنس السينمائي. فقد تميز هذا الفيلم بديكورات (في شينيشيتا) وأزياء ومعارك رائعة تم تصويرها في لاتسيو- باستثناء الدروع المطاطية اللدنة التي كان الجنود يحملونها- على الرغم من أن القصة ذات الإيقاع البطيء ركزت على الأمير باريس (جاك سيرناس) وعشيقته هيلين، ملكة اسبارطة (روزانا بوديستا). قدمت أفلام السيف والصندل الإيطالية، في بعض الأحيان، حملات عسكرية حقيقية (غزو بلاد الغال، حروب قرطاجة) وفي حالات أخرى حروباً شبه أسطورية (حرب طروادة). كما ظهر ميل في أفلام السيف والصندل الإيطالية إلى الملاحم الكتابية وإلى قصص البلاط المصرية، ولاسيما في الفترة التي تلت ظهور فيلم «كليوباترا». أوليت النواحي البصرية في هذه الأفلام الأهمية نفسها التي كانت للموضوع والممثلين- وكان جزء لا يستهان به من

نفقات الإنتاج يذهب لتسديد كشوف حسابات متعهدي تقديم الأسلحة والأزياء والشعر المستعار والأحذية، بل وحتى العربات والأزهار - الأمر الذي يدل على الاهتمام المفرط الذي كان المخرجون الإيطاليون يولونه للتفاصيل.

الأساطير الإغريقية والتاريخ

بعد النجاح الذي حققه في دور البطل الذي لا يقهر في أفلام البيبلوم، ظهر ستيف ريفز في فيلم «عملاق ماراثون» - The Giant of Marathon (١٩٥٩) الذي بدأه جاك تورنور وأنهاه ماريو بافا. صور الفيلم في استديوهات تيتانوس بعدسة دياليسكوب وبتقنية إيستمانكولور وقدم روبرتو نيكولوزي الموسيقى التصويرية. تجري أحداث الفيلم في عام ٤٩٠ قبل الميلاد ولعب ريفز فيه دور فيليبيديس «بطل أولمبيا» الأثيني الذي كان العمل البطولي الذي قام به مصدر إلهام لسباق الماراثون. يرتبط فيليبيديس بعلاقة عاطفية بامرأتين - أندروميدا (ميلين دومونجو) وكاريس (دانييلا روكا) التي تعمل لصالح الإغريقي المرتد ثيوقراطيس (سرجيو فانتوني). يغزو الفرس، بقيادة الملك داريوس (دانييل فارغاس) والإغريقي الخائن هيبياس (جيرارد هرتر)، اليونان. كان تصوير مشاهد معركة ماراثون في يوغسلافيا لا يسير بصورة متعثرة حتى الأيام العشرة التي سبقت العرض الأول في روما. وقد أقر بافا أن هذه المشاهد كانت رديئة للغاية، بل إن سائقي العربات ظهروا في الفيلم وهم يدخنون السجائر الأمر الذي اضطر برافا إلى إعادة التصوير في مقلع في غوتاروسا باستخدام مائة عنصر كومبارس فحسب وبسرعة خمسة إطارات في الثانية بدلاً من أربعة وعشرين من أجل تسريع مشاهد الحركة. تبدأ المعركة عندما يقذف الفرس بالمنجنيق جمجمة بشرية ويبدؤون بقرع طبول الحرب المخيفة. وقد كانت هذه المعركة بالإضافة إلى المعركة البحرية الختامية تعادل من حيث جودتها الكثير من الملاحم الحربية الهوليوودية وبجزء بسيط من كلفتها - لم تكن مدينة اسبارطة في الواقع سوى شاطئ تور

كالدارا وقد تم تصويره باستخدام المرشحات. لعب ألبرتو لوبو دور الجنرال الإغريقي ميلتياديس وإيفو غاراني دور كروسيس، والد أندروميدا وألان ستيل مفتول العضلات دور البطل الاسبارطي إيولاس وحل جيوفاني شيانفريليا (المعروف باسم كين وود) محل ريفز في مشاهد القتال. يقوم فيليبيديس بعمل بطولي يتجلى في جريه دون توقف من منطقة ماراثون إلى مدينة أثينا كي يحذر الأثينيين من هجوم مفاجئ ينوي الفرس شنه عليهم، قبل أن يهاجم فيليبيديس الفرس، مع مائة من حراس المعبد الأشداء. وبينما كان فيليبيديس يخوض مبارزة ضد ثيوقراطيس، تجد أندروميدا نفسها مقيدة إلى مقدم سفينة. ثم يتعرض ثيوقراطيس لميتة مذهلة عندما تلتهمه التماسيح التي يربيها.

تم تصوير المناظر الخارجية لفيلم «نصب رودوس»- The Colossus of Rhodes (١٩٦١)، الذي كان التجربة الإخراجية الأولى لسرجيو ليونيه، في إسبانيا في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات شينيشيتا في روما. يشير اسم الفيلم إلى تمثال إله الشمس أبولو البرونزي العملاق الذي ينتصب في مرفأ رودوس مشرفاً على المدينة. وقد كان ذلك التمثال واحداً من عجائب العالم السبع قبل أن تدمره هزة أرضية عام ٢٢٤ قبل الميلاد. لعب روري كالهون دور داريو، وهو إغريقي يزور عمه ليسيبوس (جورغ ريغو) في رودوس عام ٢٨٠ قبل الميلاد. يخطط ثار (كونرادو سانمارتان) لخلع إكسرسيس ملك رودوس (روبرتو كامارديل) بمساعدة الجيش الفينيقي الذي تم تهريب جنوده إلى معبد بعل متنكرين كعبيد. ينخرط داريو مع المتمردين بقيادة بيليوكليس (جورج مارشال). ثم يغتال ثار إكسرسيس ويساعد داريو على تحرير السكان العبيد في حين تضرب هزة أرضية المدينة فتدمرها وتسقط التمثال.

شكلت الناحية البصرية نقطة قوة الفيلم الرئيسية. بل إن ليونيه علق على هذه الناحية قائلا: «الواقع هو أن تراكم الأشياء ذات الذوق الرديء هو ما زاد في سحر الفيلم». صور ليونيه الفيلم باستخدام عدسة سوبرتوتالسكوب وتقنية إيستمانكولور في مرفأ خليج بيسكاي الجميل. كما صورت بعض المشاهد في

التشكيلات الصخرية الواقعة في جبال مانزناريس إل ريال شمال مدريد (مثلت بحيرة سانتلانا البحر المتوسط). أما مخبأ المتمردين في كهوف الصحراء الصخرية، فلم تكن سوى الصخور ذات الشكل الفطري الواقعة في كيوداد إنكانتادا في مقاطعة كوينكا إلى الغرب من مدريد. ضمن ليونيه فيلمه بعضاً من لقطات حلبات المصارعة التي ظهرت في إحداها عربة زودت عجلاتها بالأنصال. كما كان هناك الكثير من مشاهد القتال بالسيف أو بالقبضات العارية ومشاهد التعذيب (تضمنت جرساً عملاقاً ورصاصاً مصهوراً) وتميز الفيلم بالمشهد الذي يهاجم المتمردون فيه التمثال باستخدام عربة اقتحام. كتب أنجيلو فرنشيسكو لافانينو موسيقى التيترات الرائعة ونفذتها أوركسترا من الطبول والآلات النحاسية. نتابع، في أحد مشاهد القتال بالسيف، داريو خارجاً من أذن التمثال وفي إثره جنود ثار قبل أن يلقي نفسه في الماء كي يتخلص منهم. لعب أنطونيو كاساس دور السفير الفينيقي في حين ظهر أنجيل أراندا وميمو بالميرا وألفيو كالتابيانو (بديل تشارلتون هيستون في سباق العربات في فيلم «بن حور») كمتمردين. ولعبت مابيل كار دور ميرت المتمردة التي يحبها داريو. كما لعب فيليكس فرنانديز دور كاريت مصمم التمثال الذي كان يظن أنه يصنع تحفة فنية في حين لم يكن التمثال سوى سجن وحصن للدفاع عن المرفأ. أما ديالا، ابنة كاريت (ليا ماساري)، فبدت متعاطفة على الرغم من أنها، في نهاية المطاف، تقف ضد داريو في صف ثار. يبلغ طول النسخة الإيطالية من الفيلم مائة واثنتين وأربعين دقيقة وكانت النسخة الأمريكية أقصر بمقدار أربع عشرة دقيقة ولم تشر إلى دور ليونيه كمخرج إلا بطريقة غامضة.

استند فيلم «حرب طروادة»- The Trojan War (١٩٦١- «حصان طروادة» أو كذلك «حصان طروادة الخشبي») لجيورجيو فيروني إلى ملحمتي هوميروس وهما «الإلياذة» و«الأوديسة». يروي هوميروس قصة خطف هيلين، زوجة الملك مينيلاوس من إسبارطة على يد الأمير باريس (وارنر بنتيفينيا) فيبحر ميليناوس (كارلو تامبرلاني) إلى طروادة ويفرض حصاراً على المدينة

دام عشر سنوات. يبدأ الفيلم في السنة العاشرة للحصار، عندما قتل البطل الإغريقي أخيل (أرتورو دومينيشي) هكتور (شقيق باريس) لقتله صديقه باتروكلوس. يروي فيروني القصة من وجهة نظر البطل الطروادي آينياس (ستيف ريفز) الذي يتم إرساله لاستدعاء المساعدة من فريجيا. وعندما يعود آينياس مع الخيالة الداردانيين، يلحق الطرواديون بالإغريق هزيمة منكرة، لكن أوليسيس الماكر (جون درو باريمور) يرسم خطة محكمة: إذ يبني اليونانيون حصاناً خشبياً عملاقاً يظنه الطرواديون مكرساً لإله البحر بوسيدون فيجرونه إلى داخل مدينة طروادة بوصفه غنيمة حرب. وفي تلك الليلة، يخرج جنود كانوا مختبئين داخله ويفتحون بوابات المدينة للجيش الإغريقي الذي يشرع في نهب المدينة، ثم يقتل باريس وتتم استعادة هيلين.



يتم جر الحصان الخشبي إلى داخل أسوار طروادة التي أعدت ديكوراتها في استديوهات شينيشيتا. أحد الملصقات الأمريكية لفيلم «حرب طروادة» (١٩٧١) لجيورجيو فيروني الذي حملت نسخته الدولية اسم «حصان طروادة»

تقلص ريفز في هذا الفيلم إلى مجرد ضيف شرف وسط كوكبة من الممثلين الذين يلفتون الأنظار. فقد لعب نيريو برناردي دور أغاممنون، ملك ميسينا، و«مستشار الأسلحة» بنيتو ستيفانيلي دور الضابط الإغريقي ديوميدس. أما هيدي فيسيل، فأدت دور أجمل هيلين عرفتها الشاشة وظهرت ليديا ألفونسي في دور النبية الطروادية كاسندرا وجولييت مينييل في دور كروزا زوجة آينياس الحامل. كان الإغريق والطرواديون أوغاداً على حد سواء: ووحده آينياس من استحق التعاطف. وحفل الفيلم بعدد من اللحظات الجديرة بريفز، كما في المشهد الذي يواجه آينياس فيه البطل الإغريقي أجاكس (ميمو بالميرا) في مباراة مصارعة. ظهرت الشاعرية التي ينضح بها النص منذ بدايات الفيلم، عندما يسحل أخيل جثة هكتور حول طروادة وسط عاصفة من الغبار. يصف آينياس هيلين إسبارطة بأنها «حفارة قبورنا»، في حين يزور بريام، ملك طروادة (ناندو تامبيرلاني)، اليونانيين، "مسلحاً بدموعي فحسب"، للمطالبة بجثمان نجله. تم تصوير أسوار طروادة (ببواباتها المبهرة) ومعسكرات الإغريق المسيجة ومشاهد المعركة في السهول اليوغسلافية، في حين تم تصوير مناظر طروادة الداخلية ومناظرها الخارجية في استديوهات شينسشيتا. يقوم الطرواديون بجر الحصان الخشبي ذي العجلات الست إلى داخل مدينتهم على إيقاع مارشات عسكرية مظفرة ألفها جيوفاني فوسكو وزينتها نغمات آلات النفخ النحاسية والطبول في استحضار واضح للتقاليد الملحمية العريقة. تميز القسم الأوسط من الفيلم بسلسلة من المواجهات المحتدمة قاد فيها آينياس جنوده الدرادانيين في المعركة ضد الإغريق. كان حضور مجاميع الكومبارس (اليونانيين بعمائمهم الحمراء والطرواديين بعمائمهم البيضاء) رائعاً على الرغم من الخوذات التي اعتمرها الداردانيون التي كانت أشبه بقبعات السنافر. يتم اجتياح طروادة، في نهاية المطاف، ويقود آينياس الناجين إلى خارجها، حاملاً طفله بين ذراعيه. أما المشهد الرائع للمدينة التي تلتهمها النيران، فيذكرنا بقوافل اللاجئين خلال الحرب العالمية الثانية.

يروي فيلم «غضب أخيل»- Fury of Achilles (١٩٦٢) لمارينو جيرولامي القصة نفسها من وجهة نظر البطل الإغريقي. انخرط أخيل ملك بثيا في ثيساليا في حرب طروادة عالماً أنه لن ينجو منها. فعندما يجتاح الإغريق بلدة ليرنيسو، يتخذ أخيل (غوردون ميتشيل) بريسيس الطروادية (غلوريا ميلاند) أمة له ويأسر الملك أغاممنون (ماريو بيرتي) خريسيس، ابنة الكاهن الطروادي خريسوس. يبتلي أبولو اليونانيين بوباء فيعيد أغاممنون خريسيس إلى والدها مقابل الحصول على بريسيس من أخيل. يرفض أخيل القتال، فيتقمص باتروكلوس (إينيو جيرولامي ابن المخرج) شخصيته ويقود محاربي ميرميدون في المعركة. يقتل هكتور (جاك برجيراك) باتروكلوس فيقرر أخيل الثأر له ويقتل هكتور في مبارزة ويسمح للملك بريام (فوسكو جياكيتي) باستعادة جثمان ابنه.

بدت ديكورات الفيلم، الذي تم تصويره بتقنية إيستمانكولور، وأزياؤه وأسلحته حقيقية حتى ولو أن دروع الجيش الطروادي ازدانت، بصورة غير دقيقة، برؤوس الخيل. كان العنصر الميثولوجي في الفيلم في حده الأدنى الأمر الذي جعل مشاهد المعارك الطاحنة أكثر فعالية: نهب ليرنيسو، هجوم الطرواديين على القافلة الإغريقية التي كانت تسير على شاطئ البحر (صور في تور كالدارا)، هجوم الطرواديين على المعسكرات الإغريقية، ومبارزتان جمعت الأولى هكتور وباتروكلوس (صورت في كالدارا دي مانزيانا) في حين جمعت الثانية أخيل وهكتور. بدا أخيل رائعاً على نحو خاص في هذا المشهد- «خادماً للانتقام»- وهو قادم على متن عربة ويصيح: «بثيا! بثيا!». صنع جوزيف ناثانسون مشاهد طروادة باستخدام المرشحات حيث أن أعمال التصوير جرت في استديوهات دي باوليس. لعب بييرو لولي دور أوليسيس وريمو دي أنجيليس دور ساربيدون البطل الطروادي وإديث بيترز دور أمة نوبية وكريستينا غاجوني دور إكسينيا التي تقدم على الانتحار أثناء جنازة باتروكلوس.

فضل المخرج جيرولامي تجاهل معاملة أخيل الوحشية لجثة هكتور (التي سحلها في شوارع طروادة) إذ ينتهي الفيلم في الواقع قبل موت أخيل. تتفوق النسخة الأمريكية «انتقام أخيل» من حيث الطباعة على نظيرتها البريطانية «أخيل» التي كانت أقصر بمقدار عشرين دقيقة. فقد أغفلت النسخة البريطانية مشهد الهجوم الإغريقي على بلدة ليرنيساو ونهبها (مشاهد المعركة من فيلم «حرب طروادة») ومشاهد تقديم أبطال الفيلم وهجوم الطرواديين على معسكر أوليسيس (المزيد من المشاهد المأخوذة من فيلم «حرب طروادة»).

تجري أحداث فيلم «دامون وبيثياس»- Damon and Pythisa (١٩٦٢) لكورتيس بيرنهارت عام ٤٠٠ قبل الميلاد ويروي قصة بيثياس الأثيني (دون برنيت) الذي يسافر إلى سيراكوز للعثور على أركانوس (أندريا بوسيتش)، مدرسة فلسفة فيثاغورس التي كان تعليمها يعد خرقاً للقانون كي تعود إلى أثينا وتصبح حاكمتها. يصادق بيثياس لصاً اسمه دامون (غاي ويليامس) وعندما يقع بيثياس في الأسر نتيجة لخيانة دامون، يقدم دامون، الذي أحس بالذنب، نفسه رهينة متيحاً بذلك الفرصة كي يعود بيثياس لرؤية زوجته المتوعكة نيريسا (إيلاريا أوكيني) وابنه حديث الولادة على أن يعود إلى آسريه في غضون شهرين كي ينفذ فيه حكم الإعدام. لعبت ليانا أورفي دور أدريانا عشيقة دامون. امتاز الفيلم من حيث التصوير (صور ناثانسون المدينة باستخدام المرشحات). تم بناء ديكورات المدينة في استديوهات شينيشيتا كما صورت بعض اللقطات في كهوف سالونيه على جسر يعبر شلالات مونتي جيلاتو وفي وادي تولفا وجروف غايتا الشاهقة وشاطئ البحر في تيراتشينا. تولت شركة MGM توزيع الفيلم دولياً على الرغم من أنه كان يجدر بالأسد الذي يظهر عند افتتاح الفيلم أن يموء لا أن يزأر.

صراع الجبابرة: قصة تأسيس روما

كانت ملاحم الإمبراطورية الرومانية أكثر موضوعات أفلام السيف والصندل رواجاً في إيطاليا بلا منازع. يتحدث فيلم «آخر أمجاد طروادة»- The Last Glory of Troy (١٩٦٢- «حرب الطرواديين») لألبرت باند، الذي يعتبر تتمة لفيلم «حرب طروادة» عن آينياس مؤسس مدينة روما، وهو مقتبس من قصيدة فرجيل الشهيرة «الإنياذة». صور هذا الفيلم الرديء في يوغسلافيا وفي استديوهات دي باوليس في روما، ويستأنف فيه ريفز دور آينياس الذي نراه الآن وهو يقود الناجين الطرواديين في مسيرتهم عبر سبخات منطقة لاتينيوم الإيطالية. تحط القافلة رحالها في أرض خصبة على ضفاف نهر التيبر وسط ترحيب الملك لاتينو (ماريو فيراري) الذي كان سعيداً بالسماح لهؤلاء الغرباء بالاستيطان في هذه الأرض. غير أن زوجته الملكة أماتا (لولا سيلي) لم تكن راغبة في تزويج ابنتها لافينيا (كارلا مارلييه) بآينياس، بل كانت تفضل تورنو ملك روتيلي (جياني غاركو). لكن آينياس ينجح في هزيمة تورنو في قتال فردي الأمر الذي يسمح له بالزواج بليفينيا وتأسيس مدينة روما. لم يزد فيلم «آخر أمجاد طروادة» عن كونه فيلماً كتب خصيصاً لريفز وتم إنتاجه كيفما اتفق وسقط في مطب السردية الكلاسيكية وكان تركيزه الأساسي على بطله الشاحب. ومرة أخرى، يتم إرسال آينياس في مهمة لطلب العون- وهذه المرة من الجيران الإيتروسكانيين. ظهر بينيتو ستيفانيلي في الفيلم بدور نيزيو الطروادي ولعب إنزو فييرمونتيه وجياكومو روسي ستيوارت دور أغاثون وأوريالو وموريس بولي دور ميزينسيو رجل تورنو. التقى آينياس وتورنو في معركة عربات كانت الغاية منها على ما يبدو تحديد الخوذة الأكثر سخافة: آينياس بخصلته المعدنية العملاقة وتورنو بسمكة أبو شوكة المسننة التي تغطي رأسه. يصل الفيلم إلى لحظة الذروة في هذه المبارزة عندما يقوم آينياس بتحطيم عجلات عربة تورنو، فيحاول الرجل الشرير الفرار عبر الغابة على متن العربة التي أصبحت الآن أشبه بلوح تزلج. يعرف الفيلم بإصدارته

الأمريكية باسم «المنتقم» وهو نسخة من الفيلم الإيطالي بالأبيض والأسود خضعت لعمليات قص. يستعيد آينياس أثناء تأمله لوحة جصية ذكرياته عن مدينة طروادة وتضمنت هذه الذكريات لقطات قديمة من فيلم «حرب طروادة لفيروني»: الحصان الخشبي، المبارزة بين آينياس وأخيل.

أسهم سرجيو ليونيه ودوتشيو تيساري في كتابة سيناريو فيلم «قتال الجبابرة»- Duel of The Titans (١٩٦١- «رومولوس وريموس»). قام إنزو باربوني بتصوير الفيلم بعدسة سينماسكوب وقدم بييرو بيتشيوني الموسيقى التصويرية المؤثرة. تم تصوير الفيلم في لاتسيو وفي استديوهات تيتانوس وهو يقدم رواية بديلة لقصة تأسيس روما، «أعظم مدن العالم». تتخلى ريا سيلفيا (لورا سولاري) عن ابنيها رومولوس (ستيف ريفز) وريموس (غوردون سكوت) فيكبران في كنف ذئبة قبل أن يرعاهما في وقت لاحق راعي الأغنام فاوستالوس (أندريا بوسيتش). وفي عام ٧٥٣ قبل الميلاد، يتمرد رومولوس وريموس على الطاغية أموليوس (فرانكو فولبي) ملك ألبالونغا الأمر الذي يجلب عليهما نقمة سابين (ماسيمو سيراتو) ملك تاكيوس، في حين تنحاز ابنته جوليا (فيرنا ليسي) إلى صف الشقيقين مثيرة بذلك غضب خطيبها كورسيوس (جاك سيرناس). يقود رومولوس وريموس قافلتهما عبر السبخات الكبرى (تور كالدارا مستنقعية) ويعبران جبل النار ويتقدمان نحو وادي التلال السبعة الخصيب. يختلف الشقيقان ويفترقان لكن ثورة بركانية تدمر قافلة ريموس- يتساقط الناس في الصدوع وتسحق صخور متدحرجة أجسادهم في مشهد تخللته لقطات تظهر فيها حمم متدفقة ودخان أسود. وفي وادي التلال السبعة، يعقد رومولوس اتفاق سلام مع السابينيين ويبدأ بشق أول ثلم في الأرض ثم يقتل شقيقه في قتال يدور بينهما.

حقق فيلم كوربوتشي نجاحاً كبيراً في إيطاليا وأدى ريفز وسكوت، في الفيلم الوحيد الذي جمعهما، دورهما بشكل جيد كبطلين أسطوريين. تضمنت الديكورات الواقعية التي صممها كارلو سيمي حلبة مسيجة بجذوع الأشجار

يصارع رومولوس فيها دباً. حفل الفيلم بالكلام عن «المصير» و«القدر»: تقول جوليا: «القدر هو ما يحرك عجلات العربة، لا الخيول» في حين يعلق كورسيوس بحذر قائلاً: «لكن الرجل الحكيم يستسلم لمشيئة القدر القاسي». ضم الممثلون المساعدون بيرو لولي وفرانكو بالدونتشي وجرمانو لونغو وإنزو شيروسيكو بدور المتمردين سولبيشيوس وأشيليوس وسرفيوس ونوما. لعبت جوزيه غريشي دور هيستيا (وصيفة جوليا) وأرونيلا فانيني دور تاربيا (حبيبة روميوس المحاربة) الذي لا ينسى. حل جيوفاني شيانفريليا بديلاً لريفز في المشاهد الخطرة. وتضمن الفيلم عدداً من مشاهد الحركة المسلية كان منها سباق خيول عبر حواجز مشتعلة ومهرجان وثني مسعور (تم تصويره في كهوف سالونيه) وهجوم شنه المتمردون على ألبالونغا وتخريب جسر والمعركة التي جرت في وادي التلال السبعة حين يهاجم خيالة سابين معسكر رومولوس الحصين ويسقطون ضحايا الأسوار الشائكة والشباك والخنادق المائية التي كانت تحيط به.

ينتمي فيلم «رومولوس والسابينيات»- Romulus and The Sabines (١٩٦١) لريتشارد بوتييه، الذي لعب دور البطولة فيه روجر مور بدور رومولوس، إلى فئة الكوميديا الرومانسية. ويروي الفيلم قصة «اغتصاب النسوة السابينيات». يواجه المجتمع الروماني الذكوري بالكامل خطر الانقراض ما لم يحصلوا لأنفسهم على بعض النساء. لذلك يقوم الرومان باختطاف بعض السابينيات أثناء احتفالهن بمهرجان الحصاد المكرس للإله كونسوس. لم يكن طاقم الممثلين الممتاز - ميلين دومونجو بدور الأميرة السابينية ريا، ابنة الملك تيتوس تاكيوس (فولكو لولي) وشيلا غابيل بدور دوجيا، عشيقة رومولوس الفينيقية وجيورجيا مول بدور لافينيا السابينية- قادراً على إنقاذ الفيلم. وكان أداء مور، الذي قام هو نفسه بدبلجة حواره إلى اللغة الإنكليزية، سيئاً للغاية، على الرغم من أن الفيلم قدم دليلاً مبكراً على تقنية تمثيلية برع في السنوات اللاحقة باستخدامها وأطلق عليها اسم «حاجب مور».

يروي فيلم «مبارزة الأبطال»- Duel of Champions (١٩٦١) قصة الصراع المبكر بين روما وألبالونغا. نصب الألبانيون شركاً للفيلق الروماني الرابع يفقد، على إثره، البطل الروماني هوراسيو (ألان لاد) ويظن الرومان أنه قتل. تعلن العرافة أن الهوراسيين والكورياسيين (يتألف كل منهما من ثلاثة أشقاء) سيحلون الصراع بين روما وألبا عن طريق مبارزة. يعود هوراسيو، الشقيق الأكبر للهوراسيين، التي كان قد لجأ إليها ريثما يتماثل للشفاء ويهاجم، مع شقيقيه ماركوس (جاك سيرناس) وإيليو (لوتشيانو مارين)، الكورياسيين. لعبت فرانكا بيتوجا دور الأميرة الرومانية مارشيا وفرانكو فابريزي دور كوراتزيو وأوزفالدو روجيري وبييرو بالميري دور اثنين من أتباعه الأبطال. ولعبت جاكلين دورفال دور هوراسيا، شقيقة الهوراسيين التي تجمعها بكوراتزيو علاقة عاطفية. ولعب روبرت كيثهاند دور توليوس هوستيليوس ملك روما وظهر أندريا أوريلي في دور نيتزيو ملك ألبا. أخرج الفيلم كل من تيرانس يونغ (قبل أن يعمل على فيلم «دكتور نو» مباشرة) وفرديناندو بالدي. قدم الفيلم الألبانيين كبرابرة يرمون سجناءهم للذئاب. استأجرت شركة تيبيريا فيلم خدمات لاد لكنها عجزت عن تسديد أجره فتصدت شركة فاينانشر لوكس فيلم للأمر كي يكتمل إنجاز الفيلم الذي تم تصويره في إيطاليا ويوغسلافيا واستديوهات شينيشيتا.

تجري أحداث فيلم «ذراع من نار»- Arm of Fire (١٩٦٤- «نصب روما») في عام ٥٠٠ قبل الميلاد، عندما يحاصر تاركوين الفخور (ماسيمو سيراتو) المنفي عن بلاده روما بمعونة ملك الإيتروسكيين بورسينا. لعب غوردون سكوت دور البطولة في الفيلم بأداء شخصية البطل الروماني كايوس موشيوس- «مخلص اللحظة الأخيرة» كما تقول افتتاحية الفيلم. وعندما تخفق محاولته اغتيال بورسينا، يغمس موشيوس يده اليمنى في الجمر. ثم يغطيها بقفاز حديدي كي يخفي تشوهها فيصبح معروفاً باسم «سكايفولا» (أي ذو الذراع اليسرى). أخرج جيورجيو فيروني هذا الفيلم الذي يشبه أفلام البيبلوم وتصعب متابعة النسخ المنزلية المتوافرة منه بسبب خطأ في ترتيب بكرات الفيلم الأصلي.

هنيبعل وقرطاجة

قدمت حروب روما القرطاجية مادة دسمة للأفلام الإيطالية. كان فيلم «هنيبعل»- Hannibal (١٩٥٩) ثمرة إخراج مشترك لكل من إدغار أولمر وكارلو لودوفيكو براغاليا. في سنة ٢١٨ قبل الميلاد، يقود الجنرال القرطاجي هنيبعل باركا (فيكتور ماتوريه) قواته من إسبانيا إلى وادي الرون ثم عبر جبال الألب لغزو روما تحت شعار «الغزو أو الموت!». وبينما كانت الحملة تتقدم في إيطاليا وتنتصر في معركة بحيرة تارسيمانيا (٢١٧ قبل الميلاد)، يقع هنيبعل صريع هوى سيلفيا (ريتا غام)، نسيبة فابيوس ماكسيموس (غابرييل فيرزيتي)، وهو سيناتور روماني واسع النفوذ. تواجه قوات هنيبعل الرومان بقيادة القنصل فارو (أندريا أوريلي) والقنصل أيميليوس (أندريا فانتازيا) المشتركة في سهول كاناي (٢١٦ قبل الميلاد).

يروي فيلم «هنيبعل» قصة الحرب القرطاجية الثانية ويشبه أفلام البيبلوم من حيث كونه لا يلقي كبير بال إلى الدقة التاريخية. أدى ماتوريه بطريقة ممتازة دور البطل الذي يضع رقعة على عينه على الرغم من شعره الصقيل ذي العقصة الرقيقة. تم تصوير الفيلم في مواقع في يوغسلافيا وإيطاليا باستخدام عدسة سوبر سينيسكوب وتقنية إيستمانكولور. تبدأ حملة هنيبعل بعبور الجبال في رحلة كان الجيش القرطاجي فيها يجر الفيلة عبر الألب والجنود الذين يكاد البرد يجمدهم يشقون طريقهم وسط الثلوج في أرتال طويلة في حين كان من يعجز منهم متابعة السير يصبح طعاماً للذئاب. تم تصوير مشاهد الفيلة في ديكور داخلي رائع لجبال الألب (في استديوهات دي باوليس) غطته ثلوج زائفة. ورافق لقطات حملة هنيبعل مارش عسكري أنيق تخللته نغمات نفخية تحاكي أصوات الفيلة. وكانت مشاهد المعركة مزيجاً من مشاهد واسعة تتخللها مقاطع قريبة مأخوذة في الاستديو. كانت معركة كاناي مبهرة على نحو خاص مع الفيالق الرومانية التي نراها تتقدم وسط واد عشبي يميل لونه إلى الأصفر كي تشتبك مع القرطاجيين في معركة خلفت مئات من القتلى.

نجحت حبكة الفيلم في الحفاظ على التوازن الضروري بين الجدالات السياسية التي كان مجلس الشيوخ الروماني مسرحاً لها والحبكة الفرعية الرومانسية التي تجمع هنيبعل وسيلفيا (تجري لقاءاتهما الغرامية في تور كالدارا) وحملة هنيبعل. تلعب ميلي فيتاليه دور دانيلا (والدة ابن هنيبعل) التي يؤدي وصولها إلى فرار سيلفيا إلى روما حيث تودع السجن بتهمة الخيانة قبل أن تحرق حية. لعب ريك باتاليا دور هسدروبعل، شقيق هنيبعل وميركو إليس دور الجنرال ماغو وفرانكو سيلفا دور الجنرال القرطاجي مهربعل. كما ظهر عدد من رجال الأعمال الخطرة في أدوار تمثيلية كان منهم جينو مارتورانو (جنرال روماني) وريمو دي أنجيليس (جنرال قرطاجي) وبييترو شيكاريلي (ضابط قرطاجي) وبينيتو ستيفانيلي ونيلو باتزافيني (بدور مصارعين في كابوا). كما قدم الفيلم كلاً من تيرانس هيل بدور كوينتيليوس ماكسيموس، ابن فابيوس، وبود سبنسر بدور الزعيم البربري لوتاريوس (بلحية حمراء وخوذة ذات قرنين) وذلك قبل سنوات من النجاح الذي حققاه كثنائي.

وبدورها، تجري أحداث فيلم «حصار سيراكوز» - The Siege of Syracuse (١٩٦٠) لبييترو فرانشيسكي، أثناء فترة الحروب القرطاجية في جزيرة صقلية التي كانت تعد هدفاً بالغ الأهمية لكل من الرومان والقرطاجيين. صور الفيلم في مواقع على شاطئ أنزيو وفي استديوهات شينيشيتا واستديوهات نيس. يميل الفيلم للتركيز على الجانب الرومانسي، حيث يتخلى المخترع أرخميدس (روسانو براتسي) عن خطيبته كليو (سيلفيا كوسينا)، ابنة الملك هيرون، من أجل الراقصة المثيرة ديانا (تينا لويز). لعب إنريكو ماريا سالينو دور غورجيا، شقيق ديانا الغادر، الذي كان جاسوساً في سيراكوز. كتب أنجيلو فرنشيسكو لافانينو الموسيقى التصويرية الرائعة. لكن الحيوية لم تدب في الفيلم إلا في فترة الذروة، عندما أحرقت اختراعات أرخميديس (ألواح عاكسة تشبه صحون لواقط الأقمار الصناعية كانت تحول أشعة الشمس إلى حزم ليزرية تعمي الأبصار) الأسطول الروماني، على الرغم من

أن التراجيديا التي تميز القصة تجعل هذا الفيلم من أعمال فرانشيسكي الأكثر نضجاً. إذ يولد طفل كليو الأول ميتاً وتموت هي نفسها فيما بعد بحادث عربة عندما يلتف ثوبها حول العجلة التي تنحرف عن مسارها وتهوي عن حافة جرف.

كان فيلم «قرطاجة تحترق»- Carthage in Flames (١٩٦٠) لكارمينيه غالونيه، الذي سبق له أن أخرج فيلم «سكيبيو الأفريقي» (١٩٣٧- فيلم بروباغندا تاريخية كانت الغاية منه تمجيد موسوليني)، واحداً من أكثر الأفلام الإيطالية بذخاً في عقد الستينيات. وعلى الرغم من الفخامة والعظمة التي ميزت الفيلم، إلا أن غالونيه كان ينتمي إلى جيل قديم من المخرجين وقد اعتمد على مدى دقائق الفيلم المائة والسبع أسلوب الكاميرا الثابتة. ضمت هذه الميلودراما ذات الحوار المفرط، التي تدور أحداثها سنة ١٤٦ قبل الميلاد، عند نهاية الحرب القرطاجية الثالثة، فريقاً من الممثلين الدوليين كان على رأسهم آن هايوود. عاشت قرطاجة أياماً مشؤومة تحت حصار روماني فرضه سكيبيو إيميليانوس دام ثلاث سنوات. تجمع قصة الحب الرئيسية حيرام القرطاجي (خوسيه سواريز) وفولفيا الرومانية (هايوود)، لكن حيرام كان يحب كذلك امرأة أخرى هي القرطاجية أوفير (إيلاريا أوكيني)، خطيبة تسور القرطاجي (تيرانس هيل بقرطه الوحيد المتدلي كالرياضيين وبثوبه الذي يشبه ما يرتديه الجان). لعب باولو ستوبا دور أستوريو زميل حيرام وأجاد بيير براسور أداء دور الصيدوني المتشائم. كان تصميم الإنتاج- ولاسيما معبد بعل مولوخ- رائعاً وكذلك كانت الأزياء. وكان مشهد المعركة البحرية بين سفينة حيرام، هيميوليا، والسفينة القرطاجية الحربية (المزودة بآلة لدك الحصون وببرج محصن) واحداً من أروع المشاهد التي عرفتها أفلام السيف والصندل. تم تصوير أحداث تدمير قرطاجة في استديوهات شينيشيتا حيث أضرمت النيران بديكورات المدينة وأخذت مجاميع الكومبارس بالتدافع عبر الشوارع المشتعلة للوصول إلى بر الأمان.

الإمبراطورية ترتد إلى الهجوم: الفتوحات الرومانية

لعب كاميرون ميتشيل دور يوليوس قيصر في فيلم «قيصر الفاتح»- Caesar The Conquerer (١٩٦٢) المقتبس من رواية يوليوس قيصر نفسه لأحداث غزو بلاد الغال التي حملت عنوان De Bella Galico. يتميز الفيلم بترف بالغ في النواحي البصرية مع مشاهد لمعارك واقعية بكامل أبعادها صورت في مواقع في يوغسلافيا. تبدأ أحداث فيلم «يوليوس الفاتح» عام ٥٤ قبل الميلاد عندما يهزم القيصر الغاليين. يعفو يوليوس قيصر عن الزعيم فرسينجيتوريكس الذي سرعان ما يقود ثورة شعبية. صورت المناظر الداخلية للفيلم في استديوهات لورينتيس وتضمن مشاهد ممتعة لمعركتين هما معركتا جيرغوفيا وأليسيا اللتان وقعتا عام ٥٢ قبل الميلاد. كانت معركة أليسيا أهم معارك الحصار في دراسات تاريخ التكتيك الحربي وقد تضمنت مشاهد المعركة لقطات صنعها جوزيف ناثانسون باستخدام المرشحات يظهر فيها حصن أليسيا في الأفق. يفرض يوليوس قيصر على المدينة حصاراً خانقاً، فيخرج الغاليون من حصونهم لمواجهة الرومان في الأراضي المكشوفة. ظهر ريك باتاليا (فرسينجيتوريكس) ودومينيك ويلمس (الملكة المحاربة أستريد) كشخصيتين جلفتين تتمتعان بكاريزما كبيرة. تميز الفيلم ببعض لحظات القسوة البالغة: جندي روماني ضرير يجوب ساحة معركة تناثرت فيها جثث القتلى وفرسينجيتوريكس يعمل السيف ببعض الأسرى من الجنود الرومان ويعذب آخرين بالسياط والحديد الحامي.

يتحصن الزعيم فرسينجيتوريكس، في فيلم «عمالقة روما»- The Giants of Rome (١٩٦٤) لأنطونيو مارغريتي، في حصن أليسيا الواقع على قمة تلة. يخطط يوليوس قيصر (أليساندرو سبيرلي) لإرسال فيالقه عبر جبال أليسيا، لكن الغاليين أخضعوا الممر الجبلي لحراسة سلاح سري، فيرسل يوليوس قيصر فريقاً من القوات الخاصة لكسر هذه الحراسة. وقد كان الفيلم، في هذه الناحية،

تقليداً لفيلمين معروفين هما «الرائعون السبعة»- The Magnificent Seven ومدافع نافارون- The Guns of Navaron. تضمن الفريق الخاص الذي أرسله القيصر رامي خناجر بارعاً اسمه فيروس («وحده جوبيتير يفوقني سرعة») أدى دوره غوفريدو أونغر وفاليريوس البهلواني (ألبرتو ديلاكوا) وكاستور (إيتوريه ماني) وجرمانيوس مفتول العضلات الذي يعقص شعره كذيل الفرس والبارع باستخدام الرمح القوطي (رولف هدسون) وقائد الفريق كلاوديوس مارشيلوس (هاريسون). صور مارغريتي معظم مشاهد الحركة في المحمية الطبيعية في تور كالدارا وفي كهوف سالونيه، في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات أولمبيا واستديوهات NC في روما. أما السلاح السري، فلم يكن سوى منجنيق عملاق مخفي في كهف يقع على حافة جرف مرتفع قادر على إطلاق كتل من الصخور وكرات تنفجر تحت تأثير الصدمة. تضمن الفيلم مشاهد حركة تحبس الأنفاس (كما عندما يقوم الفريق الخاص باستكشاف الأراضي التي تسلل إليها الغاليون) ولحظات حزينة (يتم العثور على فاليريوس الشاب وقد تم صلبه على شجرة). لعبت وانديسا غيدا دور ليفيا وفيليب هرسنت دور دروسوس (أسيران رومانيان يحررهما الفريق الخاص من قبضة الغاليين) وظهر بييرو لولي في دور صغير جسد فيه شخصية بومبيي خصم يوليوس قيصر وريناتو بالديني في دور كبير كهنة الغال. وفيما كانت فيالق يوليوس قيصر على وشك الوصول إلى المعبر، ينجح مارشيلوس بالتخلص من المنجنيق من خلال رميه في الجرف.

صور فيلم «برينوس عدو روما»- Brennus Enemy of Rome (١٩٦٣- «معركة الإسبارطيين») بعدسة ألتراسكوب في استديوهات أولمبيا. والفيلم «جرعة تاريخ على شكل مغامرة» على الطريقة الإيطالية، يلعب غوردون ميتشيل فيه دور الزعيم الغالي برينوس. يحتشد سكان روما على تلة كابيتولينيه (إحدى تلال روما السبعة) في انتظار وقوع الأسوأ. كما يتطرق الفيلم بالتفصيل لمهمة كوينتوس فابيوس (طوني كيندال) في إنقاذ نيسيا

(أورسولا ديفيس)، الرومانية التي اختطفها الغاليون كي تصبح زوجة برينوس. دعمت معارك الفيلم بلقطات من أفلام أخرى وكانت مشاهد الدمار التي خلفتها ثورة الغاليين- حقول تناثرت فيها الجثث، بلدات تتصاعد منها سحب الدخان، وناجون يمشون بتثاقل- واقعية. وكانت الموسيقى التصويرية التي قدمها كارلو فرانشي مستوحاة من مقطوعات ألفها في الماضي، ولاسيما من الموسيقى التصويرية لفيلم «ماشيستيه في الجحيم». يهيمن ميتشيل (اسمه الأصلي تشارلز ألان بندلتون) بهيئته البربرية الطاغية على كافة المشاهد التي يشارك فيها بشخصيته المقدودة من الصخر المصممة خصيصاً لتجسيد برينوس- حاكم أرض الظلمات. لعبت كارلا كالو دور الكاهنة الغالية أهميد وإيرنو كريزا دور السيناتور الماكر لوتينيوس وأندريا أوريلي دور الإيتروسكاني الخائن تورام ولوشيو دي سانتيس وغوفريدو أونغر دور فارسين غاليين. كما أدى ماسيمو سيراتو دور الجنرال ماركوس فوريوس كاميلوس الذي أصبح بعد تسريحه مزارعاً، قبل أن يتولى قيادة الجيش من جديد في اللحظة التي بدا فيها أن كل شيء على وشك أن يضيع. سدد الرومان المحاصرون لبرينوس جزية مقدارها ألف رطل من الذهب، وتم التأكد من صحة الوزن باستخدام ميزان عملاق، لكن الرومان اشتكوا من أن الغاليين كانوا يغشونهم. أما برينوس فيشهر سيفه وهو يصيح جملته الشهيرة: «الويل للمهزومين!».

لعب رينتشارد هاريسون دور البطولة في فيلم «المجالدان»- The Two Gladiators (١٩٦٤- «قاتل أو مت») حيث جسد شخصية قائد المائة لوشيوس كراسوس، الشقيق التوأم للإمبراطور العنيف كومودوس (ميمو بالميرا). كانت روما في ذلك الوقت تعاني من المجاعة. يعود كراسوس، مع اثنين من ضباطه هما هوراسيوس ديفاتيكوس (جيوليانو جيما) وماركوس بانوشيوس (ألفارو دي لونا) من قتال الغاليين، كي يطلق تمرداً في المدينة. صور الفيلم بطريقة مبتذلة في أرياف لاتسيو الخضراء (بما في ذلك في تور

كالدارا التي يقود كراسوس الخيالة البريتوريين فيها عبر الرمال المتحركة) وفي شوارع وقصور مألوفة في استديوهات دي باوليس. لعب بييرو لولي دور كلياندر (القائد البريتوري) أما عشيقتاه (مويرا أورفي بدور مارشيا الشريرة وإيفي هولتزر بدور إيميليا العذراء) فلم تظهرا إلا بالكاد. أدى بالميرا دور كومودوس بطريقة مبالغ فيها وردد بعض العبارات الرديئة بأسلوب خطابي («بحق مشد فينوس النفيس!»). لم يبد على هاريسون وبالميرا أنهما توأمان لكن الصراع الذي خاضاه في الحلبة، وقد اعتمر الاثنان خوذتين تراقيتين متماثلتين تخفيان الوجه، كان رائعاً ومليئاً بالإثارة. أما الرسالة السياسية التي يوجهها الفيلم فهي بسيطة: إذ يرفض كراسوس أن ينصب إمبراطوراً وينصح بالسيناتور الخبير بيرتيناكس (ميركو إيليس) لأن «السلطة مشروب خطر قد يودي بي إلى الثمالة»).

تناول فيلم «انتفاضة البريتوريين» - The Revolt of The Pretorians (١٩٦٤) لألفونسو بريسكيا التاريخ الروماني بطريقة مشوشة مستخدماً الطاقم نفسه من الممثلين. يقود فاليريوس روفوس (هاريسون)، قائد المائة في الحرس البريتوري، انتفاضة ضد الإمبراطور المستبد دوميسيان (لولي). لعبت أورفي دور أرتومنيه، رفيقة دوميسيان وجيما دور السيناتور نيرفا وإيفي هولتزر دور الوصيفة زوزا وباولا بيتي دور لوشيلا (عشيقة فاليريوس) التي يخطط دوميسيان لإعدامها في مرجل مليء بالرصاص المصهور. تدور الحبكة الرئيسية للفيلم حول فاليريوس الذي ينشر الرعب في القصر متقمصاً شخصية الذئب الأحمر. يقوم الحرس البريتوري، مع فرقة من لاعبي الأكروبات (بهلوانيين ورجال أقوياء) بخلع دوميسيان بعد الهجوم الذي شنوه على القصر الإمبراطوري (استديوهات دي باوليس). لعب القزم سالفاتوريه فورناري دور مهرج البلاط إيلبيديون، وكانت الأزياء التي ارتدتها أورفي تنسجم بشكل سوريالي، من حيث الألوان، مع تسريحات شعرها المشرقة.

أما فيلم «ساتيريكون فيليني» - Fellini Satyricon (١٩٦٩) فيصور للحياة في الإمبراطورية الرومانية بأسلوب أكثر نمنمة من نظيراته من أفلام استديوهات شينيشيتا ذات الميزانيات المنخفضة. تميز سرد فيليني بالعفوية والفوضوية، بل يمكن القول إن السرد لم يكن موجوداً تقريباً، وهو أمر مفهوم بالنظر إلى أنه لم يتبق من النص الأصلي الذي كتبه بيترونيوس إلا كسر قليلة. ينساب إنكولبيو (مارتن بوتر) وأسيلتو (هيرام كيلر) وعشيقتهما جيتونيه (ماكس بورن) وسط طبيعة ريفية رومانية غريبة. يلتقي إنكولبيو بالشاعر أومولبو (سالفو راندونيه) ويحضر وليمة كبيرة استضافها غايوس بومبيوس تريمالشيونيه (ماريو رومانيولي). ثم يقع إنكولبيو وأسيلتو وجيتونيه في قبضة ليكاس (ألان كوني) النخاس من مدينة تارانتو الذي يضعهم على متن سفينة للرقيق. ينتحر القيصر المخلوع (تانيا لوبير) في جزيرة تونيا ويرفع جنود خونة جثمانه على أسنة الرماح. يصل إنكولبيو وأسيلتو إلى فيلا انتحر فيها رجل وزوجته (جوزيف ويلر ولوشيا بوزيه). يلعب غوردون ميتشيل دور قاطع طريق يساعد إنكولبيو وأسيلتو على سرقة عرافة خنثى مصابة بفقر الدم تموت بضربة شمس في الصحراء. أدى لويجي مونتيفيوري دور المينوتور - يرغم إنكولبيو على مصارعة المسخ في التيه دفاعاً عن شرف أريادنيه. وللإبلال من عجزه الجنسي، يزور إنكولبيو ساحرة قوية طيبة اسمها إينواتا (نجمة غلاف مجلة فوغ دونياليه لونا) تحول نفسها إلى إلهة للأرض لعبت دورها ماريا أنطونييتا بيلوتسي (لعبت فيما بعد دور بائعة التبغ في فيلم «إني أتذكر» لفيليني). يحفل الفيلم بالشخصيات الغريبة المألوفة لدى فيليني - أقزام، عمالقة، محدوبون، عاهرات، غلمان، وحوش. وقد كان اختيار فيليني للممثلة الجميلة ذات الأنف الروماني كابوشينيه لأداء دور تريفينا الكاهنة من الأمثلة النادرة على لجوء فيليني للأسماء المعروفة عالمياً لأنه غالباً ما يختار الممثلين من أجل وجوههم لا من أجل قدراتهم التمثيلية. لعب نجم برامج المنوعات الشهير «فانفولا» (لويجي فيسكونتي) دور الممثل فيرناكيو. ويؤدي

ماريو رومانيولي دور تريمالكيو. والواقع أن رومانيولي لم يكن ممثلاً محترفاً بل مالك مطعم، لذلك جاء أداؤه أقرب إلى أن يكون تلاوة للائحة طعام (تم تصحيح هذا الخلل في عمليات الدوبلاج اللاحقة). كان نص الفيلم مزيجاً من الشتائم (يشتكي إنكولبيو قائلاً: «لقد أمسكني القدر الحقير من خصيتي ثانية وأخذ يتأرجح») والكلام الشعري (يلاحظ شاعر أن «الحياة تمضي كالظل») مع كلمات بالعامية اللاتينية وحركات مسرحية كانت وظيفتها إيصال معنى الحوار للمتفرج.

أنجز فيليني فيلمه بين تشرين الثاني ١٩٦٨ ونهاية شهر أيار من عام ١٩٦٩ وحصل على التمويل من المنتج الإيطالي ألبرتو غريمالدي. وقد كان الفيلم، بمواقع تصويره الداخلية والخارجية التي بلغ عددها تسعة وثمانين موقعاً، أضخم فيلم تم إنتاجه في استديوهات شينيشيتا منذ فيلم "بن حور" (١٩٥٩). صمم دانيلو دوناتي أزياء الفيلم الرائعة وقام جيوسيبيه روتونو بتصويره ونفذ جوزيف ناثانسون المؤثرات البصرية. تذكر من ديكورات الفيلم المميزة شوارع روما العريضة وحي سوبورا الذي يضم دوراً متعددة الطبقات (يعرف بكونه حي المواخير) الذي سواه زلزال بالأرض. خلق فيليني صحارى تذروها الريح وآفاقاً قشيبة وفيلات باذخة- كان هدفه أن يصنع فيلم خيال علمي عن الماضي. تمر في الفيلم لحظات مثيرة نشاهد فيها رأس تمثال عملاق تجره خيول في شوارع روما وحوتاً ممدداً على سطح سفينة ليكاس النخاس وجيش القيصر الجديد يدخل روما دخول الفاتحين في موكب صاخب وإنكولبيو يصارع المينوتور في حلبة كبيرة تعج بالغبار تحت أنظار جمهور يشجع بصخب. صور فيليني مشاهد سفينة الرقيق ومقتل القيصر في جزيرة بونزا وحولها (بما في ذلك شاطئ كيايا دي لونا). أما مشهد موت الشاعر أومولبو ، فقد تم تصويره على شاطئ فوشيني وكثبانها الواقعة في منطقة فيوميشينو. لم ينته فيلم «ساتيريكون فيليني» إلا وقد صار أبطاله نقوشاً على جدران روما الخربة واستحالت «الحياة الرومانية» «تاريخاً رومانياً».

كتب نينو روتا الموسيقى التصويرية الرقيقة للفيلم بالتعاون مع إيهلان ميماروغلو وتود دوكستادر وأندرو رودين. كانت موسيقى الطبول التي رافقت رقصة فورتوناتا (ماغالي نويل) في حفل المجون الذي استضافه تريمالشيونيه جزءاً من ألبوم موسيقي بعنوان «التشريح الموسيقي لأفريقيا السوداء»- Anthology of Music of Black Africa. كما حفل الفيلم بالأصوات الطبيعية- ريح، زقزقة عصافير. لم يكن الاسم دليلاً على غرور المخرج، بل كان الأمر ببساطة أن المنتج ألفريدو بيني كان يملك حقوق استخدام اسم «ساتيريكون» وقد أنتج بالفعل روايته الخاصة لقصة بيترونيوس التي أخرجها لويجي بوليدورو. عرض فيلم «ساتيريكون فيليني» على المستوى الدولي عام ١٩٧٠ وكان الشعار الترويجي للفيلم يقول: «روما... قبل المسيح... بعد فيليني». ويبقى الفيلم واحداً من أكثر الأفلام الإيطالية نجاحاً على الصعيد المالي ويعتبر نموذجاً لروح فيليني الاستعراضية ومثالاً على السينما الفريدة التي صنعها.

شيركوس ماكسيموس: المجالدون

قد تكون أفلام المجالدين أحد أكثر أنواع الملاحم التاريخية الإيطالية إثارة. وقد كان للفيلم الهوليوودي «ديميتريوس والمجالدون»- Demetrius and The Gladiator (١٩٥٤)، الذي أدى دور البطولة فيه فيكتور ماتوريه، تأثير أساسي في نشوء هذا الجنس الفرعي من الأفلام في إيطاليا، إلى جانب فيلم «خطايا روما»- Sins of Rome (١٩٥٣) لريكاردو فريدا الذي لعب ماسيمو غروتي دور البطولة فيه. لكن النجاح الدولي الكبير الذي حققه فيلم «سبارتاكوس»- Spartacus (١٩٦٠) لستانلي كوبريك، الذي يتحدث عن ثورة العبيد التي اندلعت عام ٧٣ قبل الميلاد (حرب العبيد الثالثة) وقادها سبارتاكوس التراقي (كيرك دوغلاس)، كان بمثابة الصاعق الذي أطلق موجة من الأفلام الشبيهة. كان فيلم «المجالدون السبعة»- Gladiators Seven (١٩٦٢) لألبرتو دي مارتينو فيلم حب وحرب تقليدي أدى فيه ريتشارد هاريسون دور مجالد بطل اسمه داريوس يفوز بحريته

ويعود إلى إسبارطة. يتناهى إلى علم داريوس أن والده قد قتل وأن هياربا (جيرارد تيشي) قد استولى على السلطة وصار أول الأباطرة. يخطط هياربا للزواج بأغلايا (لوريدانا نوسياك)، صديقة داريوس، بمساعدة والدها ميلون (إدواردو تونيولو) وتابعه ماكروبيوس (أنطونيو مولينو روخو) وجيش من المرتزقة فيستعين داريوس وليفيوس (إنريكي أفيلا) بخدمات مجموعة من المجالدين: فلاكوس السكير رامي المدي (بارتا باري) والرجل القوي مادوس (أنطونيو روبيو) ورامي السهام إكسينو (خوسيه ماركو) ورامي المقلاع بانورغوس الحداد (ليفيو لورنزون) والبهلوان فارغاس (ناتسارينو زامبيرلا). كما يتلقون العون من ليشيا (فرانكا باديسكي)، ابنة بانورغوس، ويختبئون في جبال فيزدا.

على الرغم من أن أحداث الفيلم تجري في القرن الأول للميلاد، إلا أنه يشبه إلى حد بعيد فيلم «الرائعون السبعة». تم تصوير المناظر الخارجية للفيلم في مناطق مدريدية مغبرة في جبال مانزاناريس إل ريال وفي لا بيدريزا وهي مواقع سوف تستخدمها أفلام السباغيتي وسترن بدورها. كانت الموسيقى التصويرية التي كتبها مارشيلو جيومبيني تشبه موسيقى الوسترن وتضمنت مقطوعة عاطفية لأغاليا وأخرى تلائم مشاهد ركوب الخيل. أما المناظر الداخلية فتم تصويرها في استديوهات دي باوليس في روما وفي استديوهات سيفيا فيلم في مدريد. نفذت مشاهد المعركة التي جرت داخل حلبة حين كان داريوس ورجاله يهاجمون مرتزقة هيرابا بطريقة خلاقة: إذ يطلق إكسينو، رامي السهام، أربعة سهام في الوقت نفسه ويتجنب فارغاس، بطريقة بهلوانية، لفت انتباه ثور بري. تميز الفيلم بالمؤثرات الخاصة المبدعة التي نفذها إيميليو رويز (اسمه الكامل إيميليو رويز ديل ريو)- الذي عمل فيما بعد في سلسلة أفلام «كونان البربري» وفي فيلم «ديون»- Dune و«قوة الشيطان»- The Devil's Backbone و«متاهة بان»- Pan's Labyrinth. وقد تميز عمله في الفيلم على نحو خاص في المشهد البانورامي الذي يهيمن عليه عش نسر هياربا المعلق على قمة جبل. يقاتل داريوس هياربا بسوطه المضفور في قمة برج القلعة وتنتهي المعركة برميه إلى

الأسفل حيث يلقى حتفه. لم تكن في الفيلم أية مقولة تتناول القتال في سبيل الحرية والديمقراطية، بل كان مجرد قصة انتقام، لم يكن انتصار الخير على الشر فيها أكثر من ناتج ثانوي لنجاح البطل في الأخذ بثأره.

تم تصوير فيلم «المجالد الذي لا يقهر» - The Invincible Gladiator (١٩٦٢) لأنطوني موبليت وألبرتو دي مارتينو في إسبانيا. تجري أحداث الفيلم في مدينة أكاستوس الرومانية في القرن الثالث للميلاد ويلعب هاريسون فيه دور رستيوس المجالد الذي ينقذ حياة الحاكم رابيريوس (ليو أنكوريز) وهو رئيس للوزراء مكلف بالحكم إلى أن يبلغ ابنا الملك المتوفى، الأميرة سيرا (إيزابيل كوري) وداريوس ذو الاثنا عشر عاماً، سن الرشد. لكن رابيريوس كان في الواقع يخطط للزواج بسيرا كي يجلس بنفسه على العرش. يكلف رستيوس بقيادة حملة لطرد قطاع الطرق المناوئين لرابيريوس من الجبل، لكنه يكتشف أن قائدهم لم يكن سوى سيرا. فينضم رستيوس إليها في معركتها لخلع رابيريوس محرراً بذلك أصدقاءه المجالدين من خدمته. كان من بين الممثلين المساعدين خوسيه ماركو بدور فيبيوس رفيق رستيوس وليفيو لورنزون بدور إيتوس مدرب المجالدين وجورج مارتان بدور مجالد وأنطونيو مولينو روخو بدور أوفانتيه مستشار رابيريوس. صورت المناظر الخارجية لمدينة أكاستوس في استديوهات سيفيا فيلم والمناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس. يفاجئ رستيوس المتمردين الذين كمنوا له بعربات مليئة برماة نبال (تم التصوير في لابريديزا في مانزاناريس إل ريال) وشهد الفيلم سباق عربات ريفياً ينتهي بعربة رستيوس وهي تهوي من أعلى جرف. صمم جيورجيو أوبالدي مباريات المصارعة التي كانت تجري بين المجالدين في حلبة مبهرة اعتمر المتصارعون فيها خوذات لافتة للنظر. وتخللت تلك المباريات معارك بين رجال يحملون السيوف وآخرين مسلحين بالشباك والرماح الثلاثية. يتعرض فيبيوس لهجوم فرقة من المجالدين الأقزام في مشهد استطاع أن يلتقط، بدقة، أساليب الترفيه المنحرفة التي كانت شائعة في روما.

كان «ميسالينا ضد ابن هرقل»- Messalina Against The Son of Hercules (١٩٦٣) فيلم حركة لعب هاريسون فيه دور المجالد غلاوكوس إلى جانب ليزا غاستوني بدور الإمبراطورة الفاسقة، في حين لعب دان فاديس وألان ستيل دور البطولة في فيلم «المجالدون المتمردون»- Rebel Gladiators (١٩٦٢). أما الفيلم المثير «ماشيستيه، مجالد إسبارطة»- Maciste, Gladiator of Sparta (١٩٦٤- «إرهاب روما ضد ابن هرقل») فظهر فيه مارك فورست وماريلو تولو، الذي لعب، كذلك، دور البطولة في فيلم «المجالد الرائع»- The Magnificent Gladiator (١٩٦٤) لألفونسو بريسكيا. أما الفيلم المبتذل «مجالد روما»- Gladiator of Rome (١٩٦٢- «معارك المجالدين») فلعب فيه غوردون سكوت دور العبد ماركوس الذي يحاول حماية الأميرة نيسا (وانديسا غيدا) من القاتل الفينيقي الجنرال أستاد (بييرو لولي)، في فترة الصراع المسيحي- الوثني أثناء حكم الإمبراطور كاراكلا. يتم إرسال ماركوس إلى مدرسة لتدريب المجالدين ويتحالف مع المسيحيين «المتعصبين» المضطهدين الذين كانوا موضع سخرية. غير أن انتفاضة مجالدين رخيصة تنقذ ماركوس ونيسا من الموت صلباً.

كانت ثلاثية «المجالدون العشرة»، التي تبدأ بفيلم «المجالدون العشرة»- The Ten Gladiators (١٩٦٣) لجيان فرانكو باروليني، من الإضافات الهامة إلى هذا الجنس من الأفلام. يتورط روكيا (دان فاديس) ومجالدوه التراقيون- كانوا في طريقهم من هيركولانيوم إلى روما لتأدية عرض فيها- في مؤامرة لاغتيال الأمبراطور كلاوديوس نيرون (جياني ريتسو) كان على رأسها غلاوكوس فاليريوس (روجر براون) وكانت تهدف إلى إجلاس سيرفيوس غالبا (ميركو إيليس) على العرش. تنجح خطة غلاوكوس بمساعدة المجالدين، لكن روكيا يدفع حياته ثمناً. كان من الوجوه المألوفة في الفيلم جوزيه غريسي بدور ليفيا (حبيبة غلاوكوس) وأوغو ساسو بدور رستيوس (مدرب المجالدين) وسال بورغيريه بدور مينوس المجالد الأبكم ورجال الأعمال الخطرة ألدو كانتي وبييترو توريسي وإيميليو ميسينا وجيوسيبي ماتي بدور مجالدين. وظهر فاسيلي كاريس في دور

إيبافوريتوس، الرجل المكلف بتذوق طعام نيرون، الذي يقوم فيما بعد بطعن سيده. تم تصوير موت نيرون على أعتاب قصر المدنية في مقاطعة أور في روما، وهو معلم بني في عهد موسوليني تمجيداً للفاشية. يقوم المجالدون بطعن تيجيلينوس (ميمو بالميرا) قائد الحرس البريتوري فيمتلئ صدره بالسيوف. لعب باروليني دور السيناتور لوشيوس فيروس، المسيحي الذي تم رميه للأسود. يعتبر حدث اغتيال بوبيا (مارغريت تايلور)، زوجة نيرون، من الأمور التي تستحق التنويه في الفيلم. إذ يصل تيجيلينوس، الذي يحب بوبيا والذي كان نيرون يختبر إخلاصه، على متن سفينة إلى قصرها الرائع الواقع في إحدى الجزر (صور المشهد في بحيرة فيلا بورغيزي في روما)، فتستقبله بوبيا بثوبها الأبيض ويتعانق الاثنان قبل أن يطعنها فتسقط صريعة في نافورة جميلة (في أور) وهي تتخبط بدمائها. يستخدم باروليني لقطات من فيلم «نصب رودوس» وفيلم «آخر أيام بومبيي» وقد ارتقت ذائقته التصويرية في تصميم المواقع والمشاهد - حديقة قصر نيرون الجبلي في كوبا التي تزخر بالألوان الزاهية، وجنازة رستيوس التي تجري في أجواء ممطرة، والمعركة الختامية وسط المسيحيين المصلوبين الذين كانت النيران تلتهمهم - بالقيمة البصرية للمشاهد، على الرغم من أن اعتماد الفيلم المفرط على لقطات مأخوذة من أفلام أخرى جعلته بعيداً عن أن يستحق النجاح بقوته الذاتية.

تلا فيلم «المجالدون العشرة» جزءان آخران لعب فاديس بطولتهما مجسداً شخصية روكيا وأخرجهما نيك نوسترو وقدم الموسيقى التصويرية النابضة بالحيوية فيهما كارلو سافينا. ينقذ روكيا ومجالدوه، في فيلم «سبارتاكوس والمجالدون العشرة» - Spartacus and The Ten Gladiators (١٩٦٤ - «يوم الانتقام»)، حياة ليديا (أورسولا ديفيس)، ابنة السناتور الوغد جوليوس فارو (جياني ريتسو) الذي يستخدم العبيد لبناء القناة الكبيرة (لقطات من فيلم «بيلاطس البنطي»). يرسل فارو المجالدون للقبض على سبارتاكوس الشقي (جون هيستون) لكنهم سرعان ما ينحازون له فيحرك فارو الجيش الروماني (لقطات من فيلم «هنيبعل»). يهزم العبيد المتمردون الفيالق الرومانية

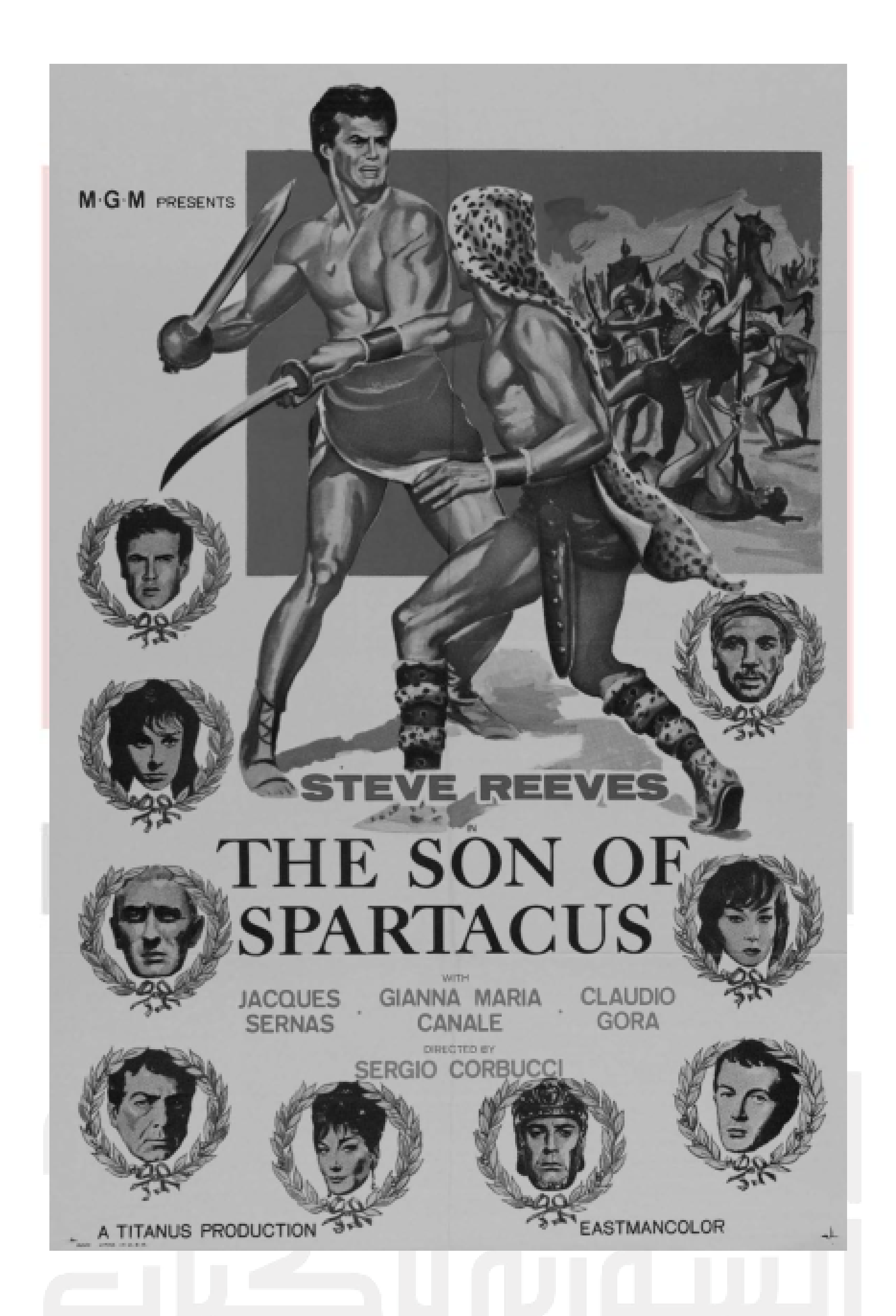
في معركة قاسية (لقطات من فيلم «علامة المجالد») ويقتل فارو. صور الفيلم في مواقع مألوفة في لاتسيو- معسكر سبارتاكوس في تور كالدارا ومعسكر أعمال الإنشاء التي أمر بها فارو في كالدارا دي مانزيانا- لعب إنزو فييرمونتيه دور رستيوس المجالد (يبدو أنه بعث من الموت بعد نهاية الجزء الأول) وكل من سال بورغيزيه وإيميليو ميسينا وألدو كانتي وبيترو توريسي دور مجموعة مجالدي روكيا. ولعب بييترو شيكاريلي دور تيرابسيس، وهو مدير فرقة مجالدين استعراضية، وهيلغا لاين دور الأمة داريا (حبيبة روكيا). ولعب المصارع البريطاني ميلتون ريد دوراً لا ينسى عندما أدى شخصية شيمبرو، تابع فارو الشرس الذي يخطف داريا مستخدماً عربة تجرها أربعة جياد فيطارده الأبطال على طول ضفة بحيرة رائعة الجمال.

اقتصد فيلم «انتصار المجالدين العشرة»- Triumph of The Ten Gladiators (١٩٦٤) في استخدام لقطات من أفلام أخرى- معركة تجري في كهف (من فيلم «نصب كولوسوس»)، وستيف ريفز الذي يقود جواده في مدينة بومبيي، والحلبة التي تغص بالجمهور (الاثنان من فيلم «آخر أيام بومبيي»)- وهو يعتبر أفضل أفلام الثلاثية. يرسل بوبليوس كوينتيليوس روفوس (كارلو تامبرلاني)، قنصل سوريا، روكيا ومجالديه في رحلة إلى أربيلا- كان الهدف الظاهر منها تقديم عرض ترفيهي في البلاط، في حين كانت غايتها الحقيقية خطف الملكة مولويا (هيلغا لاين). يرافقهم قائد المائة غلاوكوس (ستيليو كانديلي) وكان عليهم أن يقاتلوا رئيس الوزراء الشرير الأمير أرامانذرو (جون هيستون) ومرتزقته البارثيين. أما الزعيم المتمرد المقنع الذي كان يحاول خلع أرامانذرو فلم يكن في الواقع سوى مولويا. تم تصوير مشاهد الحركة، مرة أخرى، في أور (بما في ذلك النافورة المقنطرة) أما المناظر الداخلية فتم تصويرها في استديوهات أ. تي. سي. يبرز في فيلم «انتصار المجالدين العشرة» مشهد تم إعداده بطريقة حسنة يفاجأ خلاله المجالدون بجيش المتمردين يبرز فجأة من خلف كوم من الركام في مدينة مدمرة. لعب جياني ريتسو دور سكستوس فيتوريوس، مستشار

الملكة وإنزو فييرمونتيه دور ريستيوس وهالينا زاليفسكا دور ميرتا (نسيبة ريستيوس التي تقع في حب غلاوكوس) وبييترو شيكاريلي دور نافاتاو مدير فرقة من أنطاكية وليونتاين ماي دور الأميرة البارثية الشريرة ساليما وكانتي وبورغيزيه وميسينا وتوريسي دور مجالدين.

يفتش المجالد الإسبارطي كيروس (طوني روسل)، في فيلم «المجالدون الإسبارطيون» - The Spartan Gladiators (١٩٦٤)، عن تمثال صغير يضم معاهدة تجرم سار (ناندو غاتسولو). ينضم إلى كيروس في بحثه عدد من مقاتلي الحرية – المتمردين بوكسو (ماسيمو سيراتو)، سيلونيه (بييرو لولي) وكروتو (ريناتو روسيني) والمجالد السابق ماردوك (بييترو كابانا) والممثل الجوال نيميتيه (ليفيو لورنزون) وآكل النار جاغول (داكار). تم تصوير الفيلم في استديوهات دي باوليس وفي ريف مقاطعة لاتسيو. يتميز الفيلم ببعض اللحظات فكاهية (كيروس ورفاقه يلبسون كالفتيات)، كما نشاهد فيه قطيعاً من الثيران البرية ذات القرون الطويلة تفر مذعورة أمام خيالة سار (وتظهر في الخلفية أعمدة خطوط برق وهاتف) ومتمردين يستخدمون قاذفات لهب. يتواجه في خاتمة الفيلم كيروس وسار في مبارزة تجري فصولها في منطقة كالدارا دي مانزيانا المستنقعية. لعبت باولا بيتي دور إيلا (حبيبة كيروس) وهيلغا لاين دور أسباسيا عشيقة سار المتزوجة كذلك ببوكسو.

حملت النسخة الأمريكية من فيلم «ابن سبارتاكوس» - The Son of Spartacus (١٩٦٣) لسرجيو كوربوتشي اسم «العبد». مضت عشرون سنة على ثورة سبارتاكوس وأصبح قاهره- النخاس ماركوس ليشينيوس كراسوس (كلاوديو غورا)- قنصل مقاطعة إيسكيا الأفريقية. يستعد كراسوس لشن هجوم على روما، فيرسل القيصر قائد المائة راندوس (ستيف ريفز) وكشافه الجرماني باروس (فرانكو بالدوتشي) إلى زودما لتحري الوضع. يلتقي راندوس بالمجالد السابق غولار (إنزو فييرمونتيه)، فيتعرف إليه هذا الأخير بوصفه ابن سبارتاكوس بسبب القلادة التراقية التي كان يضعها حول عنقه.



ملصق بريطاني يظهر فيه ستيف ريفز بدور قائد المائة راندوس يبارز محارباً إيسكيانياً في فيلم سرجيو كوربوتشي «ابن سبارتاكوس» (١٩٦٣)

يعتبر «ابن سبارتاكوس» أفضل أفلام البيبلوم التي صنعها كوربوتشي وأدى ريفز فيه واحداً من أفضل أدواره. وهو فيلم ذو كلفة إنتاجية مرتفعة صوره في مصر إنزو باربوني باستخدام تقنية إيستمانكولور وعدسة سينماسكوب. أما المناظر الداخلية فتم تصويرها في استديوهات مصر الجيزة في القاهرة. ألف بييرو بيتشيوني موسيقى تصويرية راقية استوحاها من موسيقى فيلم «رومولوس وريموس». برز، من بين مواقع التصوير المميزة للفيلم، معسكر القيصر بالقرب من الأهرامات وأبي الهول بالإضافة إلى مدينة الاسكندرية الصاخبة ومركب شراعي يبحر في نهر النيل وأطلال مدينة الشمس الغارقة في الرمال- التي أصبحت ملجأ للعبيد الهاربين والتي يقع فيها ضريح سبارتاكوس. لعب جاك سيرناس دور فيرتيوس، تابع كراسوس الجشع وجيانا ماريا كاناليه دور كلاوديا، شقيقة فيرتيوس التي يسهل تملقها (رفيقة كراسوس). أما أومبريتا كولي فأدت دور الأمة سعيدة التي يقع راندوس صريع هواها وبينيتو ستيفانيلي دور زوراك قائد المحاربين الإيسكيانيين الذين يرتدون ملابس مصنوعة من جلد النمر ويعتمرون عمائم سوداء اللون. يتسربل راندوس بدرع والده الشهير- الذي يتضمن خوذة كبيرة ذات مقدمة ناتئة- كي يهاجم مزرعة كراسوس. يخلف سبارتاكوس وراءه علامة S المميزة له (كعلامة Z التي يخلفها زورو وراءه)، مع ضرورة الإشارة إلى أن سرعة حركته تجعله جديراً بلقب سوبرمان (S أخرى). كان كراسوس يدأب على إغراق عبيده في النهر وخنقهم بوضعهم في فقاعة ضخمة يملؤها غاز قاتل أحمر اللون. وانتقاماً منه، يصهر العبيد المتمردون ذهب كراسوس مرغمين إياه على تجرع كنوزه الذائبة. يحكم القيصر على راندوس بالصلب كي يجعله عبرة للمتمردين الآخرين، لكن الشعب يمنع تنفيذ الحكم، في خاتمة تذكرنا بفيلم «سبارتاكوس» لكوبريك، يؤكد الناس فيها على أنه من الأجدر أن يصلبوا جميعاً: «**كلنا** سبارتاكوس!».

الإله الواحد: الرومان في مواجهة المسيحيين

يعتبر فيلم «فابيولا» (١٩٤٨) أحد أعظم الملاحم الإيطالية المبكرة. يروي أليساندرو بلاسيتي في هذا الفيلم قصة اضطهاد المسيحيين في روما القرن الرابع. وكان المخرجون الإيطاليون قد صنعوا، بالتوازي مع أفلام ملحمية أنتجتها هوليوود مثل «بن حور»، أفلاماً عديدة تمحورت حول المواجهة التي دارت بين الرومان الوثنيين والمسيحيين المؤمنين- ويعتبر فيلم "«آخر أيام بومبيي»- The Last Days of Pompeii (١٩٥٩) أحد أشهر الأمثلة، وهو الفيلم الذي أكمل سرجيو ليونيه إخراجه بعد مرض ماريو بونارد، كما أنه شارك في كتابة السيناريو (المقتبس من رواية لبولوير ليتون تحمل الاسم نفسه) إلى جانب دونتشيو تيساري وسرجيو كوربوتشي. في عام ٧٩ للميلاد، يعود قائد المائة غلاوكوس ليتو (ستيف ريفز)، فاتح سوريا وفلسطين، إلى بومبيي التي تعيش في ظل تهديد بركان فيزوف الهادر. في ذلك الحين، كان قتلة مقنعون متعصبون يهاجمون الفيلات الرومانية ويسقط والد غلاوكوس ضحية لهم. تراود الشكوك حول مسؤولية المسيحيين عن هذا الهجوم القنصل أسكانيوس (غويليرمو مارين) فيشرع في اضطهاد هذه الطائفة، لكن غلاوكوس يكتشف، بمساعدة أنتونينوس ماركوس (أنجيل أراندا) أن القتلة يتخذون من معبد إيزيس المقدس الذي يرأسه أرباسيس (فرناندو راي)، الكاهن المصري الأكبر، نقطة انطلاق في أعمالهم الإجرامية. أما زعيم عصابة القتلة فلم يكن سوى جوليا لافينيا (آن ماري بومان)، عشيقة أسكانيوس المصرية- وكانت تخطط، بالتعاون مع أرباسيس، للعودة إلى مصر لطرد الرومان الغزاة منها. يقع غلاوكوس في حب إيونيه (كريستين كوفمان)، ابنة أسكانيوس المسيحية. ولكن، بينما كان غلاوكوس وإيونيه والمسيحيون على وشك أن يصبحوا طعاماً للأسود في الحلبة، يثور بركان فيزوف.

صور الفيلم الذي بلغت مدته سبعاً وتسعين دقيقة في استديوهات CEA (مدريد) وشينيشيتا (روما) وكان إيقاعه بطيئاً، وشهد مواجهة جديدة بين ريفز وميمو بالميرا (غالينوس من الحرس البريتوري) كما تم فيه تشريف كارلو تامبرلاني بلعب دور قائد المسيحيين. وفي فعل تصميم نمطي يميز ريفز، يصارع غروكوس أسداً ويصرعه منقذاً المسيحيين الموجودين في الحلبة من مصيرهم المشؤوم. أما باربارا كارول فتستجلب تعاطف الجمهور بأدائها دور نيديا، خادمة إيونيه الضريرة، التي تكشف عن غير عمد السرداب الذي اختبأ فيه المسيحيون. كان تصوير الفيلم متقناً للغاية، بمشاهده الواقعية التي تظهر فيها شوارع بومبيي الحجرية وأرصفتها المبلطة وأسواقها وأفاريزها الحجرية العملاقة. وكان زلزال قد دمر مدينة بومبيي عام ٦٢ ميلادية، قبل أن تسوى المدينة بالأرض تماماً عام ٧٩ ميلادية بينما كانت في طور إعادة البناء وينهار معبد إيزيس وتغرق المدينة بموجات من الرماد والجمر الحار وتمزقها صدوع واسعة في مشاهد تمثيلية تخللتها لقطات وثائقية لحمم تتقيؤها فوهة بركان (قدمها هارون تيرزييف)، في عرض مبهر لما يمكن أن تكون عليه نهاية العالم.

حقق فيلم «آخر أيام بومبيي» نجاحاً كبيراً في إيطاليا، فظهرت أفلام عديدة تحاكيه، يعتبر فيلم «٧٩ ميلادية»- 79 AD (١٩٦٢- «دمار هيركولانيوم») لجيانفرانكو بارولييني أكثرها شهرة. لعب براد هاريس دور البطولة في الفيلم وأدى عروض مجالدة مثيرة في بحيرة تعج بالتماسيح، وقد أطلق على الفيلم في فرنسا اسم «آخر أيام هيركولانيوم». أما هيركولانيوم، فهي بلدة صغيرة يبتلعها، هي الأخرى، ثوران بركاني. بيد أن فيلم «آخر أيام بومبيي» يبقى أشهر الأفلام التي تناولت تلك القصة، على الرغم من ظهور سلسلة تلفزيونية بريطانية- إيطالية مدتها سبع ساعات، عام ١٩٨٤، تناولت القصة نفسها ولعب دور البطولة فيها أنطوني كوايل ونيد بيتي وليزلي آن داون ولورانس أوليفييه وماريلو تولو وبرايان بليسد وإرنست بورناين وفرانكو نيرو.

كان اسم «علامة المجالد»- Sign of The Gladiator (١٩٥٩) مضللاً بعض الشيء، إذ لم يظهر أي أثر لمجالدين في رواية غيدو برينيونيه للمعارك التي خاضتها روما ضد زنوبيا (أنيتا إيكبرغ)، ملكة تدمر، «مدينة النخيل». يجد ماركوس فاليريوس (جورج مارشال)، قائد القوات الرومانية المهزوم، نفسه مرغماً على العمل في المناجم السورية. لكنه يشن، في سياق خطته الرامية لخلع زنوبيا،«حملة عاطفية» عليها من أجل إغوائها. تتعرض زنوبيا للخيانة على يد مستشارها سيمانتيوس (فولكو لولي) الذي يخطط للاستيلاء على السلطة بمساعدة شابور ملك بلاد فارس المجاورة. ثم يلحق الرومان الهزيمة بالتدمريين في معركة حامية وتصبح زنوبيا أسيرة الرومان. تدور في الفيلم حبكة فرعية تتناول وقوع ديكوريون جوليان الروماني (جاك سيرناس) في حب باتشيبا، عذراء فيستا (لوريلا دي لوكا) التي تؤمن بالمسيحية. ولعب ميمو بالميرا دور لاتور، زعيم المسيحيين، وهو إحدى الشخصيات النادرة التي جسدها بالميرا وتستحق التعاطف. أما كليو ألونسو، فلعبت دور إيريكا، عشيقة سيمانتيوس التي تدور شعرها الطويل في رقصة شرقية مثيرة. ولعب جينو شيرفي دور الإمبراطور أوريليان وأرتورو دومينيشي دور مشرف على عمال المنجم. وقد وقع برينيونيه صريع المرض أثناء إخراج الفيلم، فأوكلت مهمة إنجازه لميكيلانجيلو أنطونيوني الذي لم يعرف على الصعيد العالمي إلا بالأفلام النخبوية، على الرغم من أنه أمضى حياته في إخراج أفلام البيبلوم. أدار ريكاردو فريدا المعركة الكبيرة التي صورت في واحد من أودية يوغسلافيا تم تحويله إلى جزء من الصحراء السورية بمجرد إضافة بعض أشجار النخيل. أما المنجم التدمري، فلم يكن سوى مدخل كهف سالونيه في إيطاليا، في حين صورت مشاهد القصر في استديوهات باوليس. أما معركة يافا، فقد نفذت من خلال اقتباس مشاهد من أفلام بيبلوم أكثر ابتذالاً. إذ وقع التدمريون في شرك نصبه، في أحد الأودية، الرومان، الأكثر عدداً، الذين راحوا يمطرون التدمريين بكرات نارية وبرماح مشتعلة، في حين ابتلعت حفرة عملاقة الخيالة التدمريين.

فاز فيلم «قسطنطين والصليب»- Constantine and The Cross (١٩٦٢- «قسطنطين الكبير») لليونيلا دي فيليتشيه بخدمات نجم هوليوود كورنيل وايلد في دور الإمبراطور الروماني المسيحي. صور هذا الفيلم في مقاطعة لاتسيو وفي يوغسلافيا وهو الفيلم الوحيد من هذه الفئة الذي تفوق على فيلم «آخر أيام بومبيي». تدور أحداث الفيلم في «القرن الثالث لميلاد المسيح»، حين كانت الإمبراطورية الرومانية على حافة التمزق، حيث كان ديوقليطس يحكم الأجزاء الشرقية منها في حين خضعت الأجزاء الغربية لحكم ماكسيمانوس. أدى القتال الذي شهدته روما إلى اندلاع حرب أهلية أسفرت عن استيلاء قائد البريتوريين ماكسينتيوس (ماسيمو سيراتو) على السلطة. يقع قسطنطين في حب فاوستا (بيليندا لي)، شقيقة ماكسينتيوس. لعبت كريستين كوفمان دور المسيحية المضطهدة ليفيا. وقد كان أداء كوفمان والأحداث المثيرة التي نجمت عن محاولة الرومان إقصاء الخطر الذي كان يتهدد آلهتهم الوثنية من العوامل التي جعلت هذا الفيلم يتفوق على كل أفلام البيبلوم الأخرى من حيث المعالجة الدرامية للموضوع. إذ يرمى المسيحيون للأسود ويتعرضون للتعذيب في مشاهد لا تزال حتى اليوم تتمتع بالقوة ذاتها- إذ لم يكن هنالك من ستيف ريفز كي يصرع الأسود. لكن الإيمان الراسخ («أؤمن بإله واحد») الذي عبر عنه المسيحيون يثير إعجاب قسطنطين، وهو رجل حكيم كان ممزقاً بين روما الوثنية وما كان يراه حقاً من الناحية الأخلاقية. ثم يتبين أن قسطنطين كان ابن امرأة مسيحية اسمها إيلينا (إيليزا شيغاني)، كما يقع صديقه قائد المائة هادريان (فاوستو توتسي) في حب ليفيا الأمر الذي يجعل قسطنطين أكثر قرباً من الإيمان المسيحي.

تقع قوات قسطنطين بين فكي كماشة ماكسينتيوس وحليفه ليتشينيوس (ناندو غاتسولو). وفي صبيحة المعركة التي دارت رحاها عند جسر

ميلفيان، يشهد قسطنطين على رؤيا يظهر فيها في السماء صليب مشرق في قلب عاصفة ويسمع صوت الله يقول له: «خذ هذه الشارة وحارب» (تقول العبارة الأصلية التي تنسب إلى أوسيبيوس، كاتب سيرة قسطنطين: «Hoc signo vince»، أي «بهذه الشارة، سيكون النصر حليفك»). هكذا تقاتل قوات قسطنطين تحت شعار الصليب المسيحي وتحقق النصر. يفتتح الفيلم، الذي خصصت لإنجازه موارد كبيرة، في تريفيري، الواقعة في جنوب ألمانيا، على مشهد تدمر فيه قوات قسطنطين إحدى مستوطنات البرابرة- الواقع أن المشهد لم يكن مجرد ثلاثة ممثلين كومبارس يمرون أمام الكاميرا عشرات المرات كما جرت عليه العادة، بل كان مشهداً كبيراً بحق. أما معركة جسر ميلفيان الختامية، فتسخر فيها أعداد كبيرة من عناصر الكومبارس الهادرين. وقد استخدم الكثير من هذه المشاهد المثيرة للفيالق الرومانية التي تتقدم في تشكيلات ذات شكل مربع وللخيالة الذين يتقدمون في أرتال، في أفلام بيبلوم أقل قيمة من هذا الفيلم.

حكايات النيل

أسفرت الدعاية التي أحيط بها فيلم «كليوباترا»- Cleopatra (١٩٦٣) عن موجة «مصرية» إيطالية ضعيفة. بدأ تصوير فيلم ليز تايلور وريتشارد بورتون، الذي مولته شركة فوكس القرن العشرين، في استديوهات باينوود في لندن، في شهر أيلول من عام ١٩٦٠، واكتمل في شهر آذار من عام ١٩٦٣، في استديوهات شينيشيتا وبكلفة بلغت أربعة وأربعين مليون دولار. ارتدت تايلور في هذا الفيلم خمسة وستين ثوباً- كان ثمنها كافياً لإنتاج ثلاثة من أفلام البيبلوم ذات الكلفة الإنتاجية المنخفضة. كما تميز الفيلم بمشهدين هائلين: الأول هو دخول كليوباترا إلى روما على ظهر تمثال لأبي الهول يحمله مئات العبيد (صور في

شينيشيتا) والثاني هو معركة أكتيوم البحرية التي صورت بالقرب من جزيرة إيسكيا.

أما فيلم «فيالق النيل»- Legends of The Nile (١٩٦٠) لفيتوريو كوتافافي، الذي لعب دور البطولة فيه كل من الممثلة الأرجنتينية ليندا كريستال بدور كليوباترا وجورج مارشال بدور ماركوس أنطونيوس، فقد اعتصرت شركة فوكس نفقاته الإنتاجية بحيث لم تزد عن خمسمائة ألف دولار كي تتجنب طرح كليوباترتين في صالات العرض. ولعبت باسكال بوتي دور كليوباترا في فيلم «ملكة من أجل القيصر»- A Queen for Caesar (١٩٦٢) إلى جانب غوردون سكوت بدور قيصرها القوي كالثور إلى درجة حرص المخرجون الإيطاليون معها على تسخير كل أقرباء كليوباترا لمهمة إطعامه. ولعب مارك ديمون دور متمرد يقاتل الرومان اسمه الكبير في فيلم «ابن كليوباترا»- Son of Cleopatra (١٩٦٤) الذي ظهرت فيه كذلك شيلا غابيل. كما أخرج فرناندو شيركيو فيلم «ابنة كليوباترا»- Cleopatra's Daughter (١٩٦٠) و«نفرتيتي- ملكة النيل»- Nefertite- Queen of The Nile (١٩٦١).

لعبت ديبرا باجيبت، في فيلم «ابنة كليوباترا»، دور شيلا، ابنة الوصي على العرش، التي ترغم على الزواج من الفرعون نيمورات (كورادو باني)، المصاب بالوسواس، بضغط من والدته المتغطرسة تيغي (إيفيت لوبون)، لكن كان لكفرون، الذراع اليمنى للفرعون أفكار أخرى إذ كان يخطط لاستغلال شيلا في مؤامرة ترمي لاغتيال الفرعون كي يستولي على السلطة. ظهر بييترو شيكاريلي بدور صغير هو توتيك، محنط الأسرة الملكية ولعب إيتوريه ماني دور الطبيب البطل رازي. يقوم رازي بإعطاء شيلا دواء يدخلها في غيبوبة مؤقتة فتدفن في ناووس في ضريح الفرعون. ولإنقاذ شيلا، يخطف رازي المهندس المعماري إينوني

(روبرت ألدا) ويستعين به لتخطي شبكة الأفخاخ المصممة لقتل المتطفلين على الضريح.

تلعب ملكة جمال لونغ بيتش السابقة جين كراين، في فيلم «نفرتيتي- ملكة النيل» لتيركيو، دور تانيت التي تم تنصيبها كبيرة كهنة نفرتيتي في طيبة ويتنازعها حبها لتوموس النحات (إدمون برودوم، الذي يشبه في هذا الفيلم لاعب كرة القدم الشهير جورج بست) واضطرارها للزواج من الفرعون أمينوفيس (أميديو ناتساري). صور الفيلم في استديوهات دي باوليس، وهو مثال لأفلام كليوباترا الإيطالية بديكوراته الضخمة وإضاءته المتقنة وأزيائه المبهرة التي تخفي وراءها ضعف الحبكة. يكلف توموس الذي يضنيه الحب بنحت تمثال نصفي لمعشوقته في وقت كانت الخلافات الدينية على وشك أن تطلق ثورة. أدت ليانا أورفي دور أوريث المعجبة بتوموس رقصة غريبة في إحدى الواحات. ولعب كارلو دانجيلو دور سابير (وريث إله الشمس آتون) وأومبرتو راهو دور كاهن الإله آمون. أما الورقة الرابحة في الفيلم، فكانت ظهور فنسنت برايس بدور بيناكون، كبير كهنة آمون الشرير. وقد ظهر برايس في الفيلم مدججاً بكامل عدته التي تتألف من لحية مستعارة سوداء وعينين مكحلتين وحاجبين دراماتيكيين وعباءة مصنوعة من جلد النمر وقبعة سباحة متلألئة، الأمر الذي جعله يكابد الكثير من المشقة كي يؤدي دوره كما ينبغي.

لعب سامسون بورك، في فيلم «توتو في مواجهة ماشيستيه» (١٩٦٢) لفرناندو شيركيو، الذي تدور أحداثه في أجواء مصر القديمة، دور ماشيستيه عشيق نفرتيتي (غابرييلا أندريني). تسعى فرعونة (نادين ساوندرز)، زوجة الفرعون، لإزاحة زوجها رمسيس (نيريو برناردي) عن العرش. ثم يصل توتوكامين (توتو)، الرجل القوي ذو الجسد النحيل مع مديره تارانتاكامين

(نينو تارانتو) إلى طيبة فتسند إلى توتو مهمة قيادة جيشها. يحاكي فيلم «توتو في مواجهة ماشيستيه» الأفلام الفرعونية الإيطالية بطريقة ساخرة، باستخدام الأزياء الرائعة والديكورات الهيروغليفية (تم تصويره بعدسة توتالسكوب في استديوهات دي باوليس) ومستعيناً بلقطات من أفلام أخرى. تميز الفيلم بالأداء الذي قدمه توتو- حيث يستعرض عضلاته بثوب رقص مخطط ويثني قضيباً معدنياً ويقذف ناراً من فمه ويخرج بخاراً من أذنيه ويحرر نفسه من الأغلال. وقد تعاون توتو وشيركيو في فيلم آخر هو «توتو وكليوباترا»- Toto And Cleopatra (١٩٦٣) مع ماغالي نويل بدور كليوباترا.

لعب مارك فوريست، في فيلم «أسد طيبة»- The Lion of Thebes (١٩٦٤) لجيورجيو فيروني، دور آريون (الذي يتمتع «بقوة هرقل») الذي يرافق هيلين (إيفون فورنو) إلى بر الأمان بعد دمار طروادة ويرسوان على شواطئ مصر (شاطئ تور كالدارا) ويتم أخذهما إلى الفرعون رمسيس (بيير كروسوا) الذي يخلب جمال هيلين لبه، في حين كانت خطيبته نايس (روزابيلا نيري) أقل إبهاراً بكثير من الوافدة الجديدة. يصبح آريون أسد طيبة بعد أن قتلت أفعى سامة غاور الجبار (نيلو باتسافيني). يدور صراع على السلطة بين الفرعون وتحوتمس (ماسيمو سيراتو) يقتل بنتيجته رمسيس. وتتعرض طيبة لهجوم شنه مينوفيس المنافس (كارلو تامبرلاني) الذي يصل بصحبة مينيلاوس (ألبرتو لوبو)، زوج هيلين الساعي للانتقام. وقد غرق الفيلم في إيقاعه البطيء الذي كان سببه إيغاله في الخوض في مؤامرات البلاط على الرغم من أن الجيش المصري الكبير استطاع أن يبث شيئاً من الحياة في هذه الرتابة. تم تصوير المناظر «الخارجية» للصحراء، التي لم تكن واقعية على الإطلاق، في استديوهات دي باوليس، في حين تم تصوير مشاهد الحرب الأهلية بالاعتماد على

صورة كلية على لقطات من أفلام أخرى. وقد بدأت النسخة البريطانية من الفيلم برقعة مكتوبة تفسر مأزق هيلين وآريون. وعندما كانت هيلين تختبر الذكريات المؤلمة التي عاشتها في الماضي، فإنها كانت، في الواقع، تعاني (كما يعاني الجمهور كذلك) من نوبة جديدة من لقطات سابقة مأخوذة من فيلم «حصان طروادة» لفيروني.

كما جاء في الكتب: العهد القديم

صنعت السينما الإيطالية العديد من الأفلام المستقاة من قصص العهدين القديم والجديد اتخذت من نظيراتها الأمريكية نموذجاً من حيث الاستعراضات المبهرة وكثرة الحوار وقلة الحركة. لعبت جوان كولينز، في فيلم «إستير والملك»- Esther and The King (١٩٦٠) دور إستير وجسد ريتشارد إيغان شخصية أحشورش ملك الفرس. يكتشف أحشورش أن زوجته الملكة وشتي (دانييلا روكا) كانت تخونه مع الأمير هامان (سرجيو فانتوني). وينجح هامان والجنرال كليدراتس (ريناتو بالديني) في إقناع الملك الطيب بضرورة اضطهاد المستوطنات اليهودية الموجودة في بلاد فارس، لكن إستير تنجح في فضح ازدواجية هامان. نفذ ماريو بافا عمليات التصوير وبدت بصمته واضحة من خلال المؤثرات الضوئية، ولاسيما في الوصلة الراقصة التي قدمتها بعض الفتيات (رافقتها مقطوعة للثنائي لافانينو- نيكولوزي أدتها جيانا سبانيولو). لعب ريك باتاليا دور سمعان، زوج إستير المقبل، وروزالبا نيري دوراً لا ينسى بتجسيدها شخصية قارش عشيقة هامان الفاتنة.

وفي عام ١٩٧٥، عرضت سلسلة تلفزيونية إيطالية بريطانية مدتها ست ساعات تميزت بالعنف قام بإخراجها جيانفرانكو دي بوزيو وحملت اسم «موسى المشرع»- Moses The Lawgiver. وقد تميزت هذه السلسلة

بمواقع التصوير الممتازة (نفذ مارشيلو غاتي عمليات التصوير في صحراء فلسطين وفي تور كالدارا وفي استديوهات شينيشيتا) كما تميزت بموسيقى التراتيل التي لحنها إينيو موريكونيه ورافقتها جيانا سبانيولو بغناء منفرد. لعب بيرت لانكستر في هذه السلسلة دور موسى كما أدى، هو نفسه، صوت الله (عندما كان يكلم موسى من خلال العليقة المشتعلة). تتناول هذه السلسلة قيادة موسى لشعب إسرائيل في خروجه من مصر إلى «أرض كنعان الموعودة» وتتضمن حادثتي شق البحر الأحمر وتلقي موسى للوصايا العشر على جبل سيناء. وقد أدار ماريو بافا المؤثرات الخاصة في هذه السلسلة التلفزيونية. ينقل نص السلسلة عن موسى قوله: «المعجزة برأيي هي شيء تحتاج إليه ولا يقع إلا عندما تحتاج إليه». لعب ويليام، ابن برت لانكستر، دور موسى الشاب وضم طاقم الممثلين كلاً من أنطوني كوايل وإيرين باباس وإنغريد تولين وجاك هرلان وأومبرتو راهو. كما تم تحويل هذا المسلسل التلفزيوني إلى فيلم مدته مائة وست وثلاثون دقيقة.

يروي فيلم «يوسف وأشقاؤه»- Joseph and Brethren (١٩٦٠-«بيع في مصر») قصة يوسف و«قميصه ذي الألوان العديدة». وقد لعب فيه جيوفري هورن دور يوسف وروبرت مورلي دور بوتيفار، كما ظهر في الفيلم كل من بيلبندا لي وفيرا سيلينتي وأرتورو دومينيتشي وتيرانس هيل. تم تصوير فيلم «داوود وجولياث»- David and Goliath (١٩٦١) في مواقع في القدس ويوغسلافيا وصورت المناظر الداخلية في استديوهات أماتو واستديوهات دي باوليس. أخرج الفيلم بصورة مشتركة كل من ريتشارد بوتييه وفرديناندو بالدي. لعب الممثل اليوغسلافي إيفو باير دور «داوود ابن يسى» وهو راع وقف في صف شعبه من بني إسرائيل في مواجهة الفلسطينيين الذين كان يقودهم ملك أسرود (فوريو مينيكوني) وكان بطله جولياث (كرونوس). لعب ماسيمو سيراتو دور

أفنير المتآمر وأجاد إدوارد هيلتون أداء دور النبي صموئيل. حفل الحوار بالضمائر القديمة فجاء بنكهة كتابية أصيلة كما يتميز الفيلم بالمشهد الختامي الذي يقضي فيه داوود على جولياث باستخدام المقلاع. ويبقى أورسون ويلز أحد معالم الفيلم التي لا تنسى حتى اليوم، بأنفه المستعار وما بدا أنه عباءة، مجسداً شخصية الملك شاول في واحدة من أولى مشاركاته في السينما الإيطالية.

وكان لفيلم «آخر أيام سدوم وعمورة»- The Last Days of Sodom and Gomorrah (١٩٦٢- «سدوم وعمورة» أو كذلك «سدوم وعمورة: توأما الخطيئة») لروبرت ألدريتش الكلمة الأخيرة في سلسلة أفلام العهد القديم الإيطالية وهو واحد من الأفلام الإيطالية ذات الكلفة الإنتاجية المرتفعة. فقد قفزت كلفة إنتاج الفيلم من مليوني دولار إلى خمسة ملايين بسبب الصعوبات التي واجهها التصوير في المغرب والخلافات المالية التي نشبت بين المنتج غوفريدو لومباردو (عن شركة تيتانوس) وجوزيف ليفاين (الموزع في الولايات المتحدة) وألدريتش. وقد طرد مخرج الوحدة الثانية سرجيو ليونيه لإطالته فترة استراحة الغداء وحل أوسكار رودولف مكانه. يقود لوط (ستيوارت غرينجر) العبرانيين الذين يعيشون في وادي الأردن في ظل المدينتين الشريرتين سدوم وعمورة الواقعتين تحت حكم بيرا ملكة سدوم (أنوك إيميه) وشقيقها عشتروت أمير عمورة (ستانلي بيكر). يهاجم الفرسان الهيلاميون الجبليون بقيادة سيغور (دانيال فارغاس) العبرانيين فيلجؤون إلى سدوم وعمورة ويتحولون إلى تجار ملح أثرياء إثر اكتشاف مناجم ملح كبيرة في أرضهم. وسرعان ما أصبح تمييز الفاسدين من العبرانيين عن أهل سدوم متعذراً. يقتل لوط عشتروت عندما يكتشف أن الأمير ألحق العار بابنتيه الطاهرتين (روزانا بوديستا وكلوديا موري). ثم يزور رسول إلهي من لدن يهوه لوط في سجنه. هكذا يقود لوط شعبه إلى بر الأمان في حين

يدمر يهوه المنتقم مدينتي سدوم وعمورة ويفني شعبيهما. وعلى الرغم من أنه جرى تنبيه العبرانيين إلى ضرورة عدم الالتفات خلفهم نحو سدوم بعد مغادرتها، فإن زوجة لوط، الأمة السابقة إيلديث، لم تستطع مقاومة إغواء النظر إلى الخلف فتتحول إلى عمود من ملح.

تم تصوير فيلم «سدوم وعمورة» في بلدة صحراوية حصينة رائعة واقعة على نهر أوازازات (والمناظر الداخلية في استديوهات تيتانوس). أشرف كين آدم على الإنتاج ولحن ميكلوس روسا الموسيقى الخاصة بالفيلم. لعب أنطونيو دي تافيه (المعروف باسم أنطونيو ستيفان) دور ضابط سدومي وجياكومو روسي ستيوارت دور اسماعيل وريك باتاليا دور ملكيور. تميز الفيلم ببعض المشاهد القاسية التي تدور في حجرة التعذيب حيث يقوم أرنو (ميمو بالميرا)- رجل ضرير يرتدي سترة جلدية ذات سنابل- بتعليق الأمة السدومية تامار (شيلا غابيل) إلى أن تموت، كما يتم إحراق العبيد حتى الموت على عجلة دوارة عملاقة. وأثناء مراسم زفاف لوط وإيلديس، يهاجم الفرسان الهيلاميون المستوطنة العبرانية على وقع صراخ سيغور: «أمر اليوم هو القتل!». وقد صورت وحدة ليونيه الثانية هذا المشهد المبهر في مراكش حيث يحرق الهيلاميون مخيم العبرانيين ويندفعون عبر السهل، فيوقف العبرانيون تقدمهم بالمقاليع والنبال والخنادق المملوءة بالنفط المشتعل. ثم يدمر لوط السد الكبير الذي تم بناؤه لري الوادي باستخدام مياه نهر الأردن، فتجرف المياه الهيلاميين بعيداً. يبلغ طول هذا الفيلم الكلاسيكي الثري، في نسخته الكاملة التي لم تتعرض للقص، مائة وثلاثاً وأربعين دقيقة، أما النسخة الأكثر شيوعاً، فهي أقصر بثلاثين دقيقة وتبدو كأنها مقتطفات لمشاهد الحركة في الفيلم الأصلي. رسم عرض الفيلم في إيطاليا، في تشرين الأول من عام ١٩٦٢، نقطة انعطاف جذرية يمكن أن يطلق عليها «آخر أيام هوليوود في التيبر» حيث نظم المخرجون والمنتجون

الأمريكيون منذ تلك اللحظة عملية انسحاب جماعي من روما. وقد أعاد ليونيه، في وقت لاحق، في فيلم «حدث ذات مرة في الغرب» (١٩٦٨)، استخدام حبكة الصحراء التي كانت في الأصل عديمة القيمة قبل أن تتحول، بين ليلة وضحاها، إلى أرض ثمينة.

تناول دينو دي لورنتيس، الذي جعل من نفسه سيسيل دي ميل الإيطالي، قصة خروج اليهود من مصر، بصورة جزئية، في فيلم «الكتاب المقدس... في البدء»- The Bible... in The Beginning (١٩٦٦). صور جون هيوستون هذا العملاق الذي وصلت كلفة إنتاجه إلى ثمانية عشر مليون دولار في مواقع في روما (استديوهات لورينتيس) وصقلية (جبل إتنا) ومصر وتونس. يتناول الفيلم الفصول الاثنين والعشرين الأولى من سفر التكوين، بما في ذلك الخلق وجنة عدن والطوفان الكبير وبرج بابل وتدمير سدوم وعمورة. ضم الفيلم مجموعة من النجوم نذكر منهم جورج سكوت (ابراهيم) وأفا غاردنر (سارة) وبيتر أوتول (ملاك الرب) وستيفن بويد (نمرود) وغابربيل فيرزيتي (لوط) وإليانورا روسي دراغو (زوجة لوط) وريتشارد هاريس (قايين) وفرانكو نيرو (هابيل). لعب هيوستن دور نوح الذي أبحر على متن سفينة بلغت كلفة بنائها ثلاثمائة ألف دولار ملأها بمخلوقات تم إحضارها من إحدى حدائق الحيوان في ألمانيا. وعلى الرغم من أن الفيلم تعرض للكثير من السخرية، إلا أنه يبقى أحد أكثر الأفلام الإيطالية نجاحاً من الناحية المالية.

حكايات المسيح: العهد الجديد

قدم العهد الجديد، بدوره، مادة غنية للملاحم الإيطالية. لعب إدمون برودوم دور هيرودس ملك اليهودية في فيلم «هيرودوس الكبير»- Herod The Great (١٩٥٩). يبدأ الفيلم بهزيمة كليوباترا وماركوس أنطونيو في

معركة أكتيوم- كان على هيرودوس أن يعاني عقاب أوكتافيوس (ماسيمو جيروتي) بسبب تحالفه معهما. تغلب على الفيلم مؤامرات البلاط التي حفلت بالكثير من الثرثرة وكان قصر أورشليم مسرحاً لها وجرى تصويرها في استديوهات شينيشيتا (مع بعض المناظر الخارجية المتقنة للمدينة صنعها جوزيف ناثانسون باستخدام المرشحات). لعبت سيلفيا لوبيز دور ميريام الحسناء (زوجة هيرودوس) وساندرا ميلو، ممثلة فيليني المفضلة، دور سارة، عشيقة هارون (ألبرتو لوبو)، قائد حرس هيرودوس. تأكل الغيرة هيرودوس بسبب شكه في أن زوجته ترتبط بعلاقة عاطفية بهارون، فيخضع هارون للتعذيب ويحكم على زوجته بالرجم حتى الموت ويغرق دانيال، شقيق ميريام. ينتهي الفيلم بهيرودوس، الذي صار مجنوناً، وقد وصلته أنباء من أحد الرعاة (كارلو دانجيلو) عن ولادة ملك اليهود في بيت لحم، فيأمر الملك المستبد بقتل كافة الأطفال حديثي الولادة قبل أن ينهار ويموت خلال عاصفة كانت علامة على غضب الله. أما فيلم «بيلاطس البنطي»- Pontius Pilate (١٩٦١) لإيرفينغ رابر، فيركز على والي اليهودية الروماني (أدى دوره جان ماريه) الذي قمع ثورة باراباس (ليفيو لورنزون).

لم يكن تقديم قصة اللص الذي تم تحريره كي يموت المسيح بدلاً منه بالأمر السهل، لكن المخرج ريتشارد فليشر تدبر أمره مع مجموعة من النجوم ونص ممتاز كتبه كريستوفر فراي. يستند فيلم «باراباس»- Barabbas (١٩٦١)، الذي أنتجه دينو لورينتيس وتم تصويره في استديوهات شينيشيتا، إلى رواية بار لاغركفيست الحائز على جائزة نوبل. تقدم الرواية قصة باراباس (أنطوني كوين) الذي عاش في القرن الأول الميلادي، بدءاً بالعفو الذي ناله من بيلاطس (أرثر كينيدي). يشهد بارباس في وقت لاحق صلب المسيح (تم تصوير مشهد الصلب خلال كسوف حقيقي وقع في الخامس عشر من شباط من عام ١٩٦١) الذي يعود إلى الحياة بطريقة عجائبية، قبل أن

يحكم عليه بالسجن مدى الحياة في مناجم الكبريت في صقلية (تم تصويرها في جبل إتنا الأجرد الواقع في جزيرة صقلية). يمضي باراباس في السجن تحت الأرض عشرين عاماً قبل أن ينجو، ورفيقه ساهاك (فيتوريو غاسمان)، من انهيار في المنجم ويصطحبهما السيناتور روفيو (نورمان وودلاند) وزوجته جوليا (فالنتينا كورتيزيه) إلى روما حيث يدربهما تورفالد (جاك بالانس الممسوس) كي يصبحا مجالدين. ينال باراباس حريته، لكنه يعتقل أثناء حريق روما الكبير ويتم إعدامه كواحد من المسيحيين المضطهدين.

يركز فيلم فليشر على صراع باراباس مع الإيمان- يتعرف إلى الدين المسيحي من خلال علاقته بساهاك المسيحي. يثأر باراباس في الحلبة لموت ساهاك الذي أعدمه تورفالد بتهمة الخيانة والتحريض على العصيان. كانت مشاهد المجالدين رائعة- صورت في حلبة البياتزا برا في فيرونا- حيث نشاهد مجالدين ومهرجين وحيوانات متوحشة وأقزاماً وفيلة تقدم عروضاً ترفيهية. أما الخاتمة التقليدية التي تلتزم بها كافة أفلام البيبلوم (مع احتراق ديكورات دونيتشيتا)، فقد قوضها، في هذا الفيلم، إعدام باراباس عند سفح تل وسط بحر من الصلبان. جسدت كيتي جورادو شخصية مديرة خان اسمها سارة (حبيبة باراباس) ولعب إرنست بورناين دور الخادم المسيحي لوقا وباولو بيتاغورا دور مريم المجدلية وهاري أندروز دور بطرس الرسول صياد السمك. أما سيلفانا مانغانو (زوجة دي لورينتيس)، فأدت دور راحيل، صديقة باراباس، التي تتحول إلى المسيحية ويتم رجمها بتهمة التجديف. رافقت الفيلم موسيقى تصويرية كتبها ماريو نيسيمبيه قيل إنها «أكثر الأعمال الموسيقية السينمائية إبداعاً على الإطلاق». والواقع أن زئير الأجراس والعويل الرهيب الذي رافق «الكسوف» والأنين وأصوات السياط التي كانت تنهال على جسد المسيح قد جعلت من العمل الذي قدمه نيسيمبيه لهذا الفيلم تحفة فنية حقيقية.

أخرج المخرج الماركسي بيير باولو بازوليني فيلمين تناولا قصة صلب المسيح. كان اسم الفيلم الأول «لا ريكوتا (الجبن الأبيض)» وهو الجزء الذي ساهم فيه بازوليني في القصة رباعية الأجزاء التي حملت اسم «روغوباغ»- RoGoPaG (١٩٦٢) وهذا الاسم هو الأحرف الأولى من أسماء مخرجيه الأربعة: روبرتو **رو**سيليني، جان لوك **غو**دار، **با**زوليني، أوغو **غ**ريغوريتي. يلعب أورسون ويلز، في فيلم «لا ريكوتا»، دور مخرج يصور فيلماً عن صلب المسيح في ضواحي روما، على تلة تقع بالقرب من نبع أكوا سانتا بين طريق أبيا الجديد وطريق أبيا القديم. وأثناء إحدى فترات الاستراحة، تعلق قطعة من جبن ريكوتا في حلق ستراتشي، وهو رجل من السكان المحليين يؤدي دور اللص الطيب (الذي صلب إلى جانب المسيح). وعند استئناف التصوير بعد انتهاء الاستراحة، يموت الرجل بالفعل معلقاً على الصليب. صورت مشاهد الصلب بالألوان، في حين صورت المشاهد التي يظهر فيها طاقم التصوير أثناء إنجاز الفيلم بالأبيض والأسود. تضمن الفيلم جوانب ساخرة عديدة نذكر منها لقطات تم تسريعها وكلباً ناطقاً. أما الممثلون والكومبارس، فلم يظهروا أي احترام للعمل الموكل إليهم، فنراهم يقهقهون ويمزحون ويحدقون بالكاميرا ويحفرون أنوفهم. وفي حين كان يفترض أن ترافق الفيلم موسيقى لسكارلاتي، فإن مهندس الصوت وضع موسيقى تويست بدلاً منها. أما ويلز، فنراه، في فترات الاستراحة، يقرأ سيناريو فيلم «ماما روما» لبازوليني. ونتيجة للنبرة الساخرة للفيلم، حوكم بازوليني بتهمة التجديف، في شهر آذار من عام ١٩٦٣، وحكم عليه بالسجن أربعة أشهر لكنه نقض الحكم في شهر أيار.

ثم قرر بازوليني الملحد أن يصنع فيلماً إنجيلياً جاداً كان اسمه «البشارة بحسب القديس متى»- The Gospel Accrding to St Mattiew (١٩٦٤)- مع العلم أن المنتجين أضافوا كلمة «قديس» إلى العنوان بما يعاكس رغبة بازوليني- أهداه «لذكرى العزيز كلي الغبطة البابا يوحنا الثالث والعشرين».

وقد روى الفيلم قصة البشارة بأمانة. يبدأ الفيلم بميلاد يسوع في بيت لحم لمريم العذراء (مارغريتا كاروسو) ويوسف النجار (مارشيلو مورانتيه). تفر الأسرة إلى مصر هرباً من رد الملك هيرودوس الكبير (هيرودوس الأول الذي لعب دوره أميريغو بيليفاكيه) المنتظر على الإعلان أن يسوع هو ملك اليهود ثم تعود إلى فلسطين بعد عدة سنوات. يتعرف يوحنا المعمدان (ماريو سوكراتيه) إلى يسوع بوصفه المسيح ابن الله. يعيش يسوع في البرية حيث يجربه الشيطان، قبل أن يبدأ بنشر كلمة الرب، فيجمع حوله اثني عشر تلميذاً. لكن المكانة التي حققها بين الناس والآراء التي كان يصرح بها في العلن جعلته يصطدم بقيافا (رودولفو ويلكوك) والفريسيين في أورشليم. يخونه تلميذه يهوذا الأسخريوطي (أوتيلو سيستيلي) مقابل ثلاثين من الفضة فيحاكم يسوع بتهمة التجديف ويصلبه بيلاطس البنطي (أليساندرو كليريشي) على جبل الجلجلة.

خطط بازوليني في الأصل لتصوير فيلمه في أفريقيا ثم في فلسطين قبل أن يستقر في نهاية المطاف على إيطاليا. وقد بدأ التصوير في ربيع عام ١٩٦٤ بمشهد معمودية يسوع- لم يكن نهر الأردن سوى مجرى مائي وشلال يقعان بين أورتيه وفيتيربو. أما جبل الزيتون، فقد تم تصويره في لاتسيو بالقرب من تيفولي، في حين صورت التجربة التي تعرض لها المسيح في جبل إتنا البركاني في صقلية. كما ذهب بازوليني إلى تور كالدارا، في الموقع نفسه الذي لطالما ظهر في أفلام البيبلوم، لتصوير فرار عائلة يسوع إلى مصر. أما مواقع التصوير الأخرى فكان منها خرائب بلدة كاناليه مونتيرانو في لاتسيو، وكاتانيا في صقلية (من أجل بعض مشاهد أورشليم). كما صور بازوليني في كروتونيه الواقعة في مقاطعة كالابريا، وفي باريليه وبوتنزا وماتيرا الواقعة في مقاطعة بازيليكاتا، حيث تتميز بلدة ماتيرا ببيوتها المنحوتة في الصخر التي يطلق عليها اسم صخور ماتيرا (لعبت دور بيت لحم في فيلم بازوليني). وظهرت في الفيلم كذلك مناظر طبيعية صحراوية مقفرة تذرو رمالها ريح تصفر. صور تونينو ديلي كونتي الفيلم بالأبيض والأسود وأجرى نينو بارالي عمليات

المونتاج، وقد عمل الاثنان، فيما بعد، في فيلم «صحراوي» رائع آخر هو «الجيد، السيء والقبيح». استخدم بازوليني مجاميع من سكان الريف الإيطالي بوصفهم شعب اليهودية وصمم دانيلو دوناتي أزياءهم. وقد أضفى السكان المحليون هؤلاء ومواقع التصوير الواقعية لمسة وثائقية على الفيلم ومسحة من الواقعية الجديدة افتقدتها كافة الأفلام الأخرى التي تتناول حياة المسيح، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بعدسة بازلوليني الخبيرة التي استطاعت التقاط مظاهر الفقر التي كانت سائدة في ذلك العصر.



درب الجلجلة: يسوع المسيح (إنريكيه إيرازوكوي) في فيلم بيير باولو بازوليني «البشارة بحسب القديس متى» (١٩٦٤)

يقدم فيلم «البشارة بحسب القديس متى» المسيح إنساناً، ثائراً، بوصفه يسوع ابن الشعب. فقد عرض بازوليني موعظة يسوع على الجبل على شكل مونتاج درامي لرسالة المسيح، تحولت التطوبيات فيها إلى شعارات. وكانت الحشود التي استقبلته بسعف النخيل أثناء دخوله مدينة أورشليم على ظهر

جحش تنظر إليه بوصفه بطلاً. كما أن تصرفاته- ولاسيما طرده أولئك الذين جعلوا بيت الصلاة «وكراً للصوص»- تضعه في موقع المعارض للحكومة ولأصحاب الشريعة وترقى إلى مرتبة الفعل الثوري. قلل بازوليني من أهمية معجزات المسيح- إذ نجد يسوع يشفي الممسوسين والمجذومين والرجل الكسيح بعيداً عن الاستعراضية التي نشاهدها في الأفلام الهوليوودية التي تتناول الموضوع نفسه. بل إن الزلزال الذي يرافق موت المسيح لا يلعب لدى بازوليني سوى دور ثانوي والأمر نفسه ينطبق على المناولة الأولى في تاريخ المسيحية التي جرت خلال العشاء الأخير. كما جعلت البساطة التي تناول فيها بازوليني قيام المسيح بإطعام خمسة آلاف شخص مستخدماً خمسة أرغفة خبز وسمكتين، ثم سيره على بحر الجليل هذين الحدثين أكثر قدرة على تحريك للمشاعر. ويعتبر مشهد هجوم جنود هيرودوس على بيت لحم وذبحهم كافة الأطفال حديثي الولادة واحداً من أكثر المشاهد السينمائية إثارة للرعب. توجت قيامة المسيح الإعجازية في اليوم الثالث مسيرته المؤلمة على درب الجلجلة- وقد كلل رأسه بتاج من الشوك وأثقل كاهله بصليب كتبت عليه، بقصد السخرية، كلمة INRI (الملك) قبل أن يصلب في موقع يقال له جلجثة.

اقتصرت اقتباسات بازوليني في الفيلم على الإصحاح الثامن والعشرين من إنجيل متى دون أن يستخدم أية عبارات تدل على الزمان أو المكان («أورشليم»، «وبعد ثلاثة أيام») كما لم يرد في الفيلم إلا عدد قليل من أسماء الشخصيات الإنجيلية. وظف بازوليني إنريكي إيرازوكي، وهو طالب اقتصاد إسباني من مدينة برشلونة، في دور المسيح. وبالإضافة إلى إيرازوكي- بمحياه، الذي جعلته الرزانة التي طغت عليه نموذجاً حياً للوحات إل غريكو، وصوته الذي أداه إنريكو ماريا ساليرنو- لعبت ناتاليا غينسبورغ دور مريم المجدلية وروزانا دي روكو دور ملاك الرب (الذي ظهر بشعر أسود مجعد ودون جناحين) وإليزيو بوسكي دور يوسف الرامي (الذي أدخل يسوع إلى القبر). ولعب فرنشيسكو ليونيتي دور هيرودوس أنتيبا (هيرودوس الثاني)

وفرانكا كوبانيه دور زوجته هيروديا وباولا تيديسكو دور سالومي التي رقصت لهيرودوس طالبة منه أن يحضر لها رأس يوحنا المعمدان على طبق. أما تلاميذ المسيح فظهر منهم سيتيمو دي بورتو (بطرس) وفيروشيو نوتسو (متى) وجياكومو مورانتيه (يوحنا) وألفونسو غاتو (أندراوس). أما إنزو سيشيليانو، الذي كتب فيما بعد سيرة فيليني، فلعب دور سمعان. ولعبت سوزانا، والدة بازوليني، دور العذراء المسنة في مشاهد موت المسيح.

كتب لويس إنريكيز باكالوف بعض المقطوعات للفيلم، إلا أن موسيقى باخ (إنجيل الآلالم بحسب القديس متى) وموزارت وبروكوفييف وأنطون فيبرن طغت على الفيلم. كما أنشدت أوديتا ترتيلة «أحس أحياناً أني طفل بلا أم» (التي يتم غناؤها في الاحتفال بميلاد المسيح ومعموديته) وترتيلة «غلوريا» (ميسا لوبا) وهي الترجمة الأفريقية للقداس اللاتيني. جرى العرض الأول للفيلم في مهرجان البندقية السينمائي، في أيلول من عام ١٩٦٤، ونال جائزة التحكيم الخاصة. كما لاحظ المكتب الكاثوليكي للسينما الدولية أن بازوليني «صنع فيلماً رائعاً، فيلماً مسيحياً يترك في النفس انطباعات عميقة». بلغت المدة الأصلية للفيلم مائة وخمساً وثلاثين دقيقة، كما ظهرت على الأقراص الضوئية نسخة مختصرة وملونة وناطقة بالإنكليزية بلغت مدتها تسعين دقيقة. أما بازوليني الذي صنع أفلاماً عنيفة ومثيرة للجدل، فقد أثبت في هذا الفيلم أنه كان شاعراً كذلك. والواقع أن فيلم «البشارة بحسب القديس متى»، إلى جانب فيلم «النمر»، هما أروع الأفلام التي يناقشها هذا الكتاب وأحد أعظم الأفلام في تاريخ السينما.

الفصل الرابع

حكايات من القبر

أفلام الرعب القوطي

امتد العصر الذهبي للرعب القوطي الإيطالي بين عامي ١٩٦٠ و١٩٦٥. وعلى الرغم من أن أفلام الرعب الإيطالية التي ظهر في الستينيات تأثرت بأفلام الرعب التي كانت تنتجها استديوهات هامر والأفلام الملونة المقتبسة من قصص إدغار ألان بو التي أنتجها روجر كورمان، إلا أن بعض أفلام الرعب الإيطالية تلك آثرت أجواء الأبيض والأسود. وقد علق المخرج ماريو بافيا على هذه الظاهرة بالقول: «تشكل الإضاءة في فيلم الرعب سبعين في المائة من فعاليته. إنها ضرورية للغاية من أجل خلق الأجواء المطلوبة». مارس بافيا مؤثراته الرائعة باستخدام خدع الدخان والمرايا في التصوير، كما كان للموسيقى التصويرية المخيفة التي قدمها كل من روبرتو نيكولوزي وكارلو روستيكيلي دور حاسم في خلق الأجواء المناسبة. بل إن إسهامات هذين المؤلفين ترقى إلى أهمية إسهامات إينيو موريكونيه ولويس باكالوف في أفلام الوسترن الإيطالية وإسهامات كارلو إينوشينزي وإنزو ماسيتي في أفلام البيبلوم.

سيد الرعب: ماريو بافا

دخل ماريو بافا، وهو ابن معلم المؤثرات الخاصة أوجينيو بافا، عالم السينما كمصور منذ عام ١٩٣٩. أنجز بافا تجربته الإخراجية الأولى مع فيلم «قناع

الشيطان» - The Mask of Satan (١٩٦٠) وهو حكاية فولكلورية دموية مروعة، حيث تقوم محكمة التفتيش العليا في مولدافيا، في القرن السابع عشر، بإعدام اثنين من مصاصي الدماء هما آسا الساحرة (بربارة ستيل) وعشيقها إيغور جافوتيتش (أرتورو دومينيشي). وبعد مضي قرنين، يسعى الاثنان للانتقام من أحفاد آل فايدا، فتستولي آسا على الأميرة كاتيا (ستيل نفسها). يحل البروفسور كوما كروفايان (أندريا كيتشي) ومساعدة الدكتور أندريه غوروفيك (جون ريتشاردسون)، في طريقهما إلى موسكو، في نزل يقع في بلدة ميرغورود، فيستدعى البروفسور إلى قلعة فايدا لتقديم العلاج للأمير فايدا (إيفو غاراني) الذي أصيب بالصدمة، لكن البروفسور يتحول إلى مصاص دماء. وفي الوقت الذي تبدأ فيه آسا بالتحول إلى كاتيا، يصل أندريه إلى القلعة، في الوقت المناسب، لإنقاذها - تضع كاتيا على صدرها صليباً، وهو الشيء الوحيد الذي يميزها عن الساحرة.

اقتبس فيلم «قناع الشيطان» من رواية لنيكولاي فاسيليفيتش غوغول. وعلى الرغم من أن بافا رغب في أن يضع أشرار فيلمه أنياب مصاصي الدماء (وقد ظهرت هذه الأنياب بالفعل في الصور الترويجية للفيلم)، إلا أن مظاهر مصاصي الدماء في الفيلم كانت في الواقع مضمرة: وتتلخص في ظهور زوج من الثقوب المتجاورة على عنق الضحية. صنع بافا مؤثرات خاصة رائعة يذكر منها المشهد الذي تفتح فيه ستيل مئزرها، فيظهر تحتها قفص صدري وأحشاء، أو مشهد تنفيذ القرويين لحكم الإعدام بآسا حرقاً باستخدام المشاعل. نشاهد قضاة محكمة التفتيش ذوي القلنسوات يدمغون آسا بحرف S حاد (علامة الشيطان) ويدقون على وجهها، مستخدمين مطرقة كبيرة، قناع شيطان ذا نتوءات صنعه أوجينيو بافا من البرونز. وعندما تعود آسا إلى الحياة تندفع بقوة من النعش. جسدت ستيل شخصية الساحرة بإتقان، بوجهها الذي تغطيه الثقوب التي تركتها نتوءات القناع. وعلى الرغم من أنها أدت دور كاتيا بصوت أقرب إلى الرتابة، إلا أن جمال ستيل ونظرتها الفاتنة كانا من نقاط القوة التي تمتعت بها، كما أن عينيها الرخاميتين ووجه النسر الذي حملته كانا بالفعل عيني ووجه امرأة توحي بجمال حار ورعب جليدي. لعب أنطونيو بييرفيديريشي دور كاهن أبرشية يشبه راسبوتين يساعد أندريه على قتل

مصاصي الدماء: نراه يفقأ عين البروفسور بعصا. لعب إنريكو أوليفييري دور كونستانتين، شقيق كاتيا وريناتو تيرا دور بوريس، حوذي آل فايدا الذي يغرق في نهر وتينو بيانكي دور إيفان، الخادم الذي يعثر عليه مشنوقاً.



ملكة الصراخ: إعدام آسا الساحرة (بربارة ستيل) على يد محكمة التفتيش في مولدافيا. ملصق فرنسي لفيلم الرعب القوطي الإيطالي المميز الذي أخرجه ماريو بافا «قناع الشيطان» (١٩٦٠)

صور فيلم «قناع الشيطان» في أجواء داخلية في استديوهات تيتانوس. ونذكر من المشاهد المخيفة فيه مشهد نيكيتا الحوذي (ماريو باسانتيه) يقود عربته بعصبية في قلب الغابة ذات الأشجار المتشابكة التي يسودها الضباب على وقع أصوات عواء الذئاب وعويل الرياح، في حين كانت عربة جافوتيتش الشبحية تنسل وسط الضباب. أما الكنيسة الخربة، فضمت قناطر متداعية وشباك عنكبوت وأضرحة وسرداباً، في حين كانت القلعة، برواقها الضخم الذي تبرز فيه مدفأة مزخرفة ولوحات جدارية لآسا وجافوتيتش، تخفي ممرات سرية وأشراكاً. عاد جافوتيتش إلى الحياة في مقبرة ميرغورود، إذ تنشق الأرض ويفتح غطاء النعش مصدراً صريراً وتنبثق يدا الجثة الدبقتان من داخل القبر، في مشهد كان الأول في سلسلة من مشاهد حفلت بها أفلام بافا كان الأموات فيها يبعثون أحياء.

خرج فيلم «قناع الشيطان» إلى الصالات الإيطالية في شهر آب من عام ١٩٦٠ معلناً عن بافا كمخرج موهوب. حمل الفيلم في الولايات المتحدة اسم «يوم الأحد الأسود» واستبدلت فيه بموسيقى روبرتو نيكولوزيه موسيقى تصويرية أخرى أقل قيمة كتبها ليس باكستر، وخضع الفيلم في نسخته البريطانية لدبلجة جديدة. وقد رفضت السلطات البريطانية المختصة، في شباط من عام ١٩٦١، منح الفيلم ترخيصاً بالعرض، فتم تغيير اسمه إلى «انتقام مصاص الدماء» وعرض في بريطانيا، في شهر حزيران من عام ١٩٦٨، بعد تصنيفه على أنه من أفلام البالغين وإخضاعه لعمليات قص.

كان فيلم الرعب التالي الذي أخرجه بافا جزءاً من ثلاثية «شيطانية»، وحمل اسم «السبت الأسود»- Black Sabbath (١٩٦٣) وظهرت منه نسختان متمايزتان كلياً- خصصت الأولى للسوق الإيطالية والثانية للجمهور الأمريكي. صورت النسختان في استديوهات تيتانوس واستبدلت النسخة الأمريكية بموسيقى نيكولوزي موسيقى أخرى أقل مستوى كتبها ليس باكستر. تتحدث القصص الثلاث



«أشنع أيام التقويم لدى غير الأموات»: تزين صورة فارس بلا رأس وقلعة غارقة بالضباب هذا الملصق للإصدارة الأمريكية لفيلم «السبت الأسود» (١٩٦٣) لماريو بافا الذي يلعب بطولته نجم أفلام الرعب بوريس كارلوف

عن الأشباح والقوى فائقة الطبيعة. وقد ظهرت الثلاثية، بنسختها الأمريكية بالترتيب التالي: «قطرة الماء»- The Drop of Water، «الهاتف»- The Telephone، «الوردولاك»- The Wurdulak. أما النسخة الإيطالية، فكان الترتيب فيها مختلفاً: «الهاتف»، «الوردولاك»، «قطرة الماء». تستدعى الممرضة هيلين كوري (جاكلين ببيرو)، في فيلم «قطرة الماء»، إلى دارة مدام زينا، وهي وسيطة روحية توفيت بنوبة قلبية أثناء جلسة تحضير. تسرق هيلين خاتم زينا، وهي تلبسها ثيابها استعداداً للجنازة. وفي شقتها، تسمع هيلين صوت قطرات ماء ثم تتراءى لها مدام زينا فتصاب بذعر شديد. وفي النهاية، يكتشف رجال الشرطة لدى وصولهم أن هيلين قد شنقت نفسها، في حين سرقت جارتها المحتالة (هارييت وايت ميدن) الخاتم. صنع والد بافا وجه زينا القبيح والقاسي باستخدام الشمع.

وفي النسخة الأمريكية من فيلم «الهاتف»، تتلقى المومس روزي (ميشيل ميرسييه) مكالمات تهديد من عشيقها السابق فرانك الذي كان قد توفي منذ ثلاثة أشهر. تتصل روزي بماري (ليديا ألفونسي) طالبة منها الحضور. غير أن شبح فرانك (ميلو كويسادا) يظهر فجأة ويقتل ماري عن طريق الخطأ الأمر الذي يمنح روزي فرصة طعنه حتى الموت. وينتهي الفيلم على وقع المكالمات الهاتفية الغامضة التي بدأت روزي تتلقاها من جديد. أما النسخة الإيطالية، فمختلفة تماماً. فصديقة روزي السابقة ماري هي من تجري اتصالات التهديد، في مسعى منها لاستئناف العلاقة العاطفية التي تربطها بروزي، في حين يسعى المجرم فرانك رينر (كويسيدا) للانتقام من روزي بسبب إبلاغها الشرطة عنه. كما أن روزي، في النسخة الأمريكية، تتلقى رسالة غامضة يدسها أحدهم تحت باب بيتها، مفادها: «لم يبق وقت طويل!». أما في النسخة الإيطالية فتتلقى قصاصة من صحيفة فيها خبر عن فرار فرانك من السجن. أما الفرق الأكثر دلالة بين النسختين، فهو إغفال النسخة الأمريكية أية إشارة إلى العلاقة المثلية التي تربط ماري بروزي التي تلعب دور الشبح.

يكتشف الكونت فلاديمير دورف (مارك ديمون)، في قصة «الوردولاك»، وهو في طريقه إلى يسي، جثة دون رأس لقاطع طريق تركي يدعى علي بيك. كما يعثر فلاديمير على أسرة ريفية تعيش في الخوف من رب الأسرة غوركا (بوريس كارلوف) الذي يكرس نفسه لمطاردة قاطع الطريق ذاك. تتألف أسرة غوركا، الذي بلغ أبناؤه سن الرشد، من بيتر (ماسيمو ريغي) وسدينكا (سوزي أندرسون) وغريغور (غلوكو أونوراتو) وماريا (ريكا ديالينا) زوجة غوركا وابنهما الصغير إيفان. أما علي بيك، فهو وردولاك، أو مصاص دماء. نشاهد غوركا يسير على الجسر بتثاقل في طريق عودته إلى منزله وقد أعلنت دقات

الساعة عن العاشرة ليلاً، وكان قد انضم بالفعل إلى عالم الأموات الأحياء. يتجول غوركا في أرجاء المنزل محولاً كافة أفراد الأسرة إلى مصاصي دماء، بما في ذلك إيفان الصغير الذي يعود إلى الحياة منادياً: «أمي، أنا أشعر بالبرد، اسمحي لي بالدخول». يفر فلاديمير وسدينكا، لكن غوركا والوردولاك يطاردانهما ويستعيدان سدينكا- وفي قبلة الفيلم الختامية، تغرز سدينكا أسنانها في عنق فلاديمير. صور بافا فيلمه في أجواء جليدية حافلة بنباح الكلاب وصفير الرياح ونقيق الضفادع. أدى ديمون دور النبيل الشاب بامتياز ولعب كارلوف دور الجثة ذات الرأس المقطوع بطريقة نموذجية.

كان فيلما «قطرة الماء» و«الهاتف»، بالحركة المتوعدة للكاميرا وبأجوائهما المدينية وأنوار النيون المرتجفة، سابقين لأفلام التشويق. أما فيلم «الوردولاك»، فيستعيد زمن «قناع الشيطان» (بل إن بافا يعيد في هذا الفيلم استخدام ديكورات الكنيسة الخربة). يستهل كارلوف كلاً من الأفلام الثلاثة بأسلوب جنائزي ساخر: «اقترب أكثر، لدي ما أقوله لك- إنه السبت الأسود». أما في النسخة الإيطالية، فيظهر كارلوف مرة أخرى، في نهاية الفيلم، في ما يشبه برامج الأخطاء والعثرات حيث نراه أثناء التصوير في استديوهات تيتانوس بزي غوركا ممتطياً حصان دمية في مواجهة آلة لتوليد الهواء ويجري حوله أفراد يلوحون بأغصان صنوبر للإيحاء بأن غوركا يخترق الغابة على صهوة جواده. حققت النسخة الأمريكية نجاحاً كبيراً مع ملصق ترويجي يظهر فيه كارلوف برأسه المقطوع. كان «الوردولاك» هو الأثير لدى بافا، ولا شك في أن ذلك يعود إلى الحضور الطاغي لأيقونة الرعب كارلوف. وفي عام ١٩٦٩، اختارت فرقة الهيفي ميتال البريطانية التي أسسها أوزي أوزبورن أن تحمل اسم Black Sabbath الذي استلهمته من ملصق الفيلم.

كان فيلم «السوط والجسد» - The Whip and The Body (١٩٦٣) أكثر أفلام بافا في الستينيات إثارة للجدل. يعود كورت مينليف (كريستوفر لي) إلى قلعة العائلة لكنه لم يلق الترحاب المنتظر لأنه كان قد تسبب بانتحار تانيا، ابنة جورجيا مدبرة المنزل. كان شقيقه كريستيان (طوني كيندال)، قد تزوج، في غيابه، نيفينكا (داليا لافي)، التي كانت ذات يوم عشيقة كورت على الرغم من أن ابنة العم كاتيا (إيدا غالي) كانت لا تزال تحب كريستيان. يقرر الكونت مينليف أن يورث كريستيان أملاكه. فيهاجم كورت الذي أصبح حانقاً من كل شيء نيفينكا على الشاطئ لكنه يقتل بالسكين نفسها التي انتحرت بها تانيا. إلا أن كورت لم يمت، بل يعود من جديد كي يعذب نيفينكا ويطعن الكونت. كان فيلم «السوط والجسد» من أكثر أفلام بافا التي صنعها في ذلك الوقت شاعرية وزادته الموسيقى التي كتبها كارلو روستيكيلي تألقاً. فقد ألف روستيكيلي، الذي اتخذ في تيترات الفيلم اسم جيم مورفي، مقطوعة بعنوان «كونشرتو ويندسور»، وهي معزوفة بيانو غنية بالرومانسية. كانت الممثلة الإسرائيلية لافي تتمتع بشيء من الشبه ببربارة ستيل، وقد عمل بافا على هذه الناحية كي يعزز وجه الشبه بين الممثلتين. أغرق بافا المناظر الداخلية للقلعة بالألوان، بالأسلوب السينمائي نفسه الذي كان قد استخدمه من قبل في فيلم «السبت الأسود». هكذا كان الفيلم، بتكويناته الحادة، التي عكست، بحساسية بالغة، العواطف الحارة التي حفلت بها القصة، واحداً من أفضل أفلام بافا من حيث التصوير. وقد كان أثر أسلوب بافا هذا بالغاً على استخدام داريو أرجنتو للألوان المتدفقة (على سبيل المثال في مشهد قيادة جيسيكا هاربر المتهورة لسيارة الأجرة في بداية فيلم «سوسبيريا»).

تم تصوير فيلم «السوط والجسد» على شاطئ تور كالدارا، في لاتسيو، وفي شريطها الساحلي بكلفة قاربت ستة وستين ألف دولار

واستخدمت المرشحات لإظهار قلعة مينليف الواقعة على قمة جرف. أما المناظر الداخلية فقد صورت في روما. لعبت هارييت وايت ميدن دور جورجيا مدبرة المنزل ولوشيانو بيغوتسي دور لوسات الخادم. أصيبت النسخة الإنكليزية للفيلم بلعنة النص المتساهل والدوبلاج الرديء. بل إن صوت لي، عندما كان يدفع مسماراً في قلب أحد تجسداته في شخصية دراكولا، بدا وكأنه صوت شخص آخر. يحل الظلام، فيدخل كورت غرفة نوم نيفينكا وتنبثق يده من قلب الظلام الدامس كالمخالب وتنتزع قميص نومها. والواقع أن من يعرفون لي، من خلال سلسلة «حرب النجوم» و«سيد الخواتم»، سيدهشون لرؤيته يجلد نيفينكا بتلك اللذة الشيطانية. لكن نيفينكا تستمتع بهذه الأفعال السادية كي يتبين أنها، هي نفسها، القاتل المختل المسؤول عن موت كورت والكونت على حد سواء. وتتجلى ذروة الرعب في الفيلم في فيتيشية كورت الوحشية وفي خيال نفينكا المحموم ورغبتها الجارفة في عودة كورت إلى الحياة. عرض الفيلم في بريطانيا عام ١٩٦٤ تحت اسم «الليل هو السراب» (بعد أن أزيلت منه مشاهد الجلد وتم تصنيفه على أنه فيلم للبالغين) كما عرض في الولايات المتحدة باسم «ماذا».

كيرنيغان، في فيلم «اقتلي يا صغيرتي... اقتلي!» - Kill, Baby… Kill! (١٩٦٦- «لعنة الميت») لبافا، هو اسم قرية ملعونة يعيش سكانها بالخوف ويموتون بالخوف. تموت إيرين هولاندر (ميريلا بانفيلي) منتحرة على ما تشير إليه المظاهر حيث يتم اكتشاف جثتها معلقة على سور معدني مسنن. يصل إلى القرية الطبيب الشرعي الدكتور بول إيسواي (جياكومو روسي ستيوارت) لإجراء التشريح، فيكتشف في قلبها قطعة عملة فضية وظيفتها صد الأرواح الشريرة. ينضم إيسواي إلى المحقق كروغر (بييرو لولي) والعمدة كارل (لوشيانو كاتيناتشي) للتحقيق

في الحادثة. كانت القرية، في الواقع، تعيش تحت لعنة ميليسا غرابس، وهي طفلة في السابعة من عمرها سحقت، قبل عشرين عاماً من ذلك، في مهرجان محلي، تحت أقدام رجال سكارى أثناء محاولتها استعادة كرتها التي كانت قد تدحرجت بعيداً عنها. فيقرر شبح ميليسا الانتقام بمساعدة والدتها البارونة غرابس (جيانا فيفالدي) وهي وسيطة روحية. كان الموت يعلن عن وصوله من خلال ضحكات ميليسا وقرع أجراس ومن خلال كرة بيضاء تتدحرج وكان كل من تتراءى له ميليسا يقتل نفسه- يطلق كروغر النار على نفسه ويشق كارل حنجرته بمنجل.

كان الكثير من أفلام بافا السابقة مفصلاً على قياس السوق الأمريكية، إلا أن فيلم «اقتلي يا صغيرتي... اقتلي» كان بالفعل فيلم رعب إيطالي ينصح بمشاهدة نسخته الناطقة بالإيطالية مع الاستعانة بالترجمة المكتوبة. إذ يظهر روسي ستيورات في النسخة الناطقة بالإنكليزية مربكاً وجامداً، في حين كان أداؤه أفضل بكثير في النسخة الإيطالية، على الرغم من أن لولي ذا وجه الصقر وبالدي ذا الرأس الأقرع كانا أكثر حضوراً حتى في النسخة الناطقة بالإنكليزية. لعبت إيريكا بلان دور مونيكا شوفتان التي يتبين أنها شقيقة ميليسا. وكان من بين الممثلين كذلك جيوسيبيه أدوباتي وفرانكا دومينيشي بدور هانز ومارثا (مدبرا النزل المحلي) وميكائيلا إيسدرا بدور شقيقتهما نادين التي تقتل نفسها على شمعدان مسنن. لعبت فابيين دالي دور الساحرة روث (عشيقة كارل) التي يعتمد سكان القرية على تعويذاتها- كانت بديل الدين الذي اعتمدوه في مواجهة الخرافات والجهل والفقر. هكذا تلعب الساحرة روث ذات المظهر المخيف دور الشخصية الطيبة، في حين أن ميليسا (التي تشبه أليس في بلاد العجائب) هي القاتل. وفي توظيف للممثلين بدا غريباً للغاية، لم يتم إسناد دور ميليسا إلى فتاة، بل إلى صبي، هو فاليريو فاليري، وضع على رأسه شعراً مستعاراً أشقر.



«عملية الخوف»: الملصق الإيطالي لفيلم «اقتلي يا صغيرتي... اقتلي!» (١٩٦٦) لماريو بافا . مونيكا شوفتان (إيريكا بلان) طريدة شقيقتها ميليسا (فاليريو فاليري)

صور بافا قرية كيرنيغان في بلدة اسمها كالكاتا مبنية على نتوء جبلي (تشرف على وادي تريجا في منطقة فيتيربو في مقاطعة لاتسيو) وتضم حصناً يعود إلى القرون الوسطى. تتميز هذه البلدة بشوارعها الضيقة التي تنتشر كالمتاهة وبأدراجها التي تكسوها الطحالب وبجدرانها المتداعية. كما تتمتع قرية فاليريا المجاورة بالقدر نفسه من التميز ببلدتها القديمة وبواباتها الضخمة وقناطرها وجدرانها المتداعية وشوارعها الضيقة المنحدرة. وقد أغرق بافا هذه المواقع بالألوان القوية وبالضباب كما صنع مقبرة تنسجم مع أجواء الفيلم في استديوهات تيتانوس (التي صور فيها جميع المناظر الداخلية). وقد امتلأ دكان الحانوتي والنزل ومنزل روث (المزين بطيور محنطة) وفيلا عائلة غرابس (صورت بعظمتها المتلاشية في فيلا فراسكاتي في روما بدرجها الحلزوني وردهاتها وسراديبها التي تكسوها شباك العنكبوت وبغرفة ميليسا المليئة بالدمى) بتحف تبدو حقيقية. والواقع أنه لا يوجد من يفوق بافا في قدرته على بث الإحساس بالفوضى. كتب كارلو روستيكيلي موسيقى الفيلم التصويرية التي تضمنت مقاطع من مقطوعة "كونشرتو ويندسور"، بالإضافة إلى ألحان من صندوق موسيقى ممتزجة بأصوات غيتار باس غريبة رافقت كافة ظهورات ميليسا الشبحية.

الحب الغريب: رعب ريكاردو فريدا

وظف المخرج ريكاردو فريدا بربارة ستيل في فيلمي رعب ملونين: الأول هو «سر الدكتور هتشكوك الرهيب»- The Horrible Secret of Dr Hichcock (١٩٦٢) و«الشبح»- The Ghost (١٩٦٣ - «الطيف») الذي يعتبر بمثابة الجزء الثاني من فيلم «سر الدكتور هتشكوك الرهيب». وكان فريدا وبافا قد تعاونا معاً في الماضي، الأول كمخرج والثاني كمصور، في فيلم رعب إيطالي مبكر اسمه «مصاص الدماء- I Vampiri (١٩٦٥ - «وصية الشيطان» أو كذلك «شبق مصاص الدماء») الذي تدور أحداثه في باريس المعاصرة. تدور أحداث فيلم

«سر الدكتور هتشكوك الرهيب» في لندن عام ١٨٨٥ التي يشبع فيها الجراح الدكتور برنارد هتشكوك (روبرت فليمنيغ) هوسه بالجثث بمساعدة زوجته مارغريتا (ماريا تيريزا فيانيلو). فقد اعتاد هتشكوك على حقن مارغريتا، بإرادتها، بمصل من اختراعه يبطئ دقات قلبها ويجعلها تبدو ميتة أثناء ممارسته الجنس معها. وذات يوم، يحقن هتشكوك زوجته بجرعة مضاعفة فتموت ويدفنها في مدافن الأسرة. يعود هتشكوك إلى لندن بعد اثنتي عشرة سنة من ذلك برفقة زوجته الجديدة سينثيا (ستيل) كي يجد أن روح مارغريتا قد عادت إلى الأرض كي تطلب الانتقام بمساعدة قطتها السوداء جيزابيل.

يتناول الفيلم، الذي عرف بأسماء أخرى هي «الدكتور هتشكوك الرهيب» و«سر الدكتور هتشكوك»، قصة عشق مرضي فيكتورية للجثث ويعتبر، من هذه الناحية، من أفلام الرعب الإيطالية الفريدة. اختفى الممثلون والفنيون الإيطاليون الذين شاركوا في الفيلم خلف أسماء مستعارة إنكليزية الوقع بحيث يبدو العمل فيلم رعب إنكليزي كتلك التي كانت شركة هامر تنتجها. هكذا تحول فريدا إلى «روبرت هامبتون» وكاتب السيناريو إرنستو غاستالدي إلى «جوليان بيري» ومساعد المخرج إلى «جون م. فراكوهار» ومصمم الديكور إلى «فرانك سموكوكس». أدى الممثل البريطاني فليمنغ دوره القاتم بحساسية فنية عالية ولعب سيلفانو ترانكويلي دور الدكتور كيرت لانغر الشاب (الذي تحبه سينثيا). تتولى مدبرة منزل هتشكوك الشريرة مارثا (هارييت وايت ميدن)، التي تعيش في كوخ ملحق بمنزل هتشكوك، مسؤولية رعاية شقيقتها المخبولة التي لم تكن في الواقع سوى مارغريتا. كان فيلم «سر الدكتور هتشكوك الرهيب» فيلم الرعب الإيطالي الوحيد الذي لم تلعب فيه ستيل شخصية الشرير أو الشبح أو المجرم بل شخصية الضحية، وظهرت في هذا الفيلم بأزياء أنيقة وبدت معها رائعة كما لم تبد من قبل. وقد أضفت نظرة الهرة التي تمتاز بها ستيل المزيد من القوة على عيني سينثيا اللتين تتسع حدقتاهما خوفاً، كما يحصل عندما تجد سينثيا نفسها أسيرة نعش فيتراءى لنا رعبها الصامت من خلال فتحة زجاجية في غطاء التابوت.

عبر فريدا في هذا الفيلم عن العصر الفيكتوري بطريقة بالغة الإقناع من خلال الاهتمام الذي أبداه بأتفه التفاصيل. ويتضارب في الفيلم البياض الناصع الذي يسود المشفى الجامعي الذي يعمل فيه هتشكوك بشدة مع الأجواء الجنائزية التي تسود الوكر الذي يمارس فيه متعه المرضية. وقد تفوق فريدا في هذا الفيلم على بافا نفسه من خلال مشاهد لا تنسى- مراسم دفن مارغريتا تحت أمطار غزيرة، والسطو على قبر هتشكوك، واستكشاف سينثيا للممرات والسراديب الطويلة على ضوء الشمعة المتراقص، والظهورات المرعبة لمارغريتا التي ترتدي ثوباً وغطاء رأس أبيض. ارتقت ألعاب هتشكوك الجنسية التي يمارسها في حجرة مزدانة بالستائر والشموع إلى مستوى الطقوس الدينية. كتب رومان فلاد للفيلم موسيقى رومانسية كانت تتخللها نغمات خفيضة متوعدة تصعد ثم تهبط على إيقاع دوافع هتشكوك المنحرفة. أغرق فريدا الشاشة بالدم وبألوان حمراء نازفة شبقة تعكس بطريقة بصرية شهوات الطبيب المريضة كما في المشهد الذي يتسلل فيه الطبيب إلى مشرحة المستشفى. وقد أضعفت النسخة الأمريكية والنسخة الإنكليزية على حد سواء حدة أنشطة هتشكوك الجنسية مع الجثث بحيث بلغت مدة الفيلم في هاتين الإصدارتين خمساً وسبعين دقيقة- أي أقل بثماني دقائق من النسخة الكاملة. وفي نهاية الفيلم، يتكشف لنا أن هتشكوك ومارغريتا كانا حليفين- إذ كان الدكتور هتشكوك يخطط لاسترداد جمال مارغريتا باستخدام دماء سينثيا. لكن كورت ينقذ سينثيا، في اللحظة الأخيرة، من المنزل الذي كانت النيران تلتهمه ويدفع الدكتور هتشكوك من الشرفة في حين تموت مارغريتا محترقة.

تدور أحداث فيلم «الشبح»- The Ghost في اسكتلندا عام ١٩١٠ في منزل هتشكوك الشاطئي الواقع بالقرب من داونبريدج. يعاني الدكتور جون هتشكوك (إليو جوتا) من الشلل وهو وضع كان يقتله ببطء. ويعيش في منزله الدكتور تشارلز ليفينغستون (بيتر بالدوين)، وهو معالج فيزيائي كان يعالج جون مستخدماً مصلاً- يتألف من سم وترياق- على أمل بث الحياة في

عضلاته الميتة. ترتبط مارغريت (ستيل)، زوجة جون بعلاقة عاطفية بتشارلز تنتهي بهما إلى التخلص من جون. لكنهما يكتشفان أنه ترك معظم ثروته البالغة مائة وخمسين ألف باوند لدار الأيتام المحلي الذي يديره كانون أوينز (أومبرتو راهو). تتشكل لدى مارغريت قناعة راسخة أن زوجها لا يزال حياً وأنه يتواصل مع العالم عن طريق وسيط هو مدبرة المنزل كاثرين وود (هارييت وايت ميدن). ثم تقود ظهورات جون المتكررة مارغريت الجشعة إلى حافة الخبل وتزداد شكوكها بتشارلز فتقتله قبل أن يتراءى لها جون مرة أخرى مؤكداً أن من يضحك أخيراً يضحك كثيراً. يقدم الفيلم تفسيراً منطقياً لظهورات جون الشبحية- كان الأمر بتدبير من جون وكاثرين- وتجسد ستيل الشخصية التي انحدرت إلى مرتبة الجنون بطريقة مقنعة. قدم فرانكو مانينو موسيقى رومانسية ظهرت في مقدمة الفيلم، في حين زود فريدا الفيلم بلمسات قوطية نذكر منها مكتبة دوارة وجثثاً تخرج من القبر وسراديبَ وجنازة بالإضافة إلى بعض الخدع الليلية المتوقعة: تدحرج كرسي جون المتحرك الفارغ إلى أسفل الدرج، قطرات دم ترشح من السقف ومن صندوق للسعوط. وأخيراً، تشاهد مارغريت، التي أصابها سم الكورار بالشلل، جون يتجرع السم عن طريق الخطأ. حققت ستيل من خلال فيلم «الشبح» نجاحاً كبيراً في الولايات المتحدة وصار لها جمهور من المعجبين. لكن الفيلم لم يعرض في بريطانيا كغالبية أفلام ستيل.

قلاع الرعب: أنطونيو مارغريتي

أخرج أنطونيو مارغريتي ثلاثة أفلام رعب في الستينيات تحت اسم أنطوني داوسون هي: «عذراء نورمبرغ»- The Virgin of Nuremberg (١٩٦٣) «قلعة الدم»- Castle of Blood (١٩٦٤) و«شعر الموت الطويل»- Long Hair of Death (١٩٦٤). يعود ماكس وماري هنتر (جورج ريفيير وروسانا بوديستا)، في فيلم «عذراء نورمبرغ»، إلى قلعة أجداد ماكس المطلة

على نهر الراين. تتراءى لماري أثناء الليل ظلال وتكتشف جثة امرأة فقأت آلة تعذيب شبيهة بالتابوت، تدعى العذراء، عينيها. تستضيف القلعة متحفاً لرجل عاش في القرن السابع عشر واتخذ التعذيب مهنة وكان معروفاً باسم "المعاقب" (يرتدي عباءة حمراء وقلنسوة سوداء وقفازاً أسود). فهل بعث المعاقب من جديد؟ تراود ماري الشكوك في أن الجاني هو زوجها، لكن القاتل كان، في الواقع، والد ماكس (ميركو فالنتاين)، وهو جنرال نازي شارك في محاولة اغتيال هتلر، فكان مصير كافة شركائه في المؤامرة الإعدام رمياً بالرصاص أو شنقاً أو بالغاز، في حين استثني الجنرال نفسه من هذا المصير لكنه أخضع لاختبارات رهيبة، إذ أزيل وجهه فبدا كجمجمة حية بعينين غائرتين ودون أذنين أو أنف أو شعر.

استغرق تصوير الفيلم ثلاثة أسابيع في استديوهات دي باوليس وفي فيلا سكيارا في روما. ويعتبر فيلم «عذراء نورمبرغ» أعنف أفلام الرعب الإيطالية في الستينيات. يقيد المعاقب امرأة إلى كرسي مشيراً إلى أن هذه الطريقة في التعذيب أصبحت ممنوعة منذ القرن الخامس عشر، «لكن الطرق القديمة لا تزال هي الأفضل». ثم يقيد جرذاً كان حبيس قفص إلى وجهها فيقرض نصف أنفها. لعبت آن ديلي أوبرتي دور مدبرة المنزل، السيدة مارتا ولوشيانا ميلونيه دور الخادمة ترودي وكريستوفر لي دور إيريك، الذي كان ذات يوم مساعداً للجنرال والذي أصبح اليوم أمين المتحف. وعلى الرغم من أن وجه إيريك تعرض بدوره أثناء الحرب لتشويه كبير، وأنه كان بالتالي مرشحاً كي يكون النسخة الجديدة للمعاقب، إلا أنه كان في الواقع شخصية لطيفة، إذ يطلب الشرطة لنجدة ماكس وماري ويموت أثناء محاولته إنقاذ صديقه القديم من النيران التي حاصرت القلعة. كان وجود عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي (جيم دولن) إضافة لا لزوم لها كانت الغاية منها استقطاب الجمهور خارج إيطاليا، كما بدت موسيقى الجاز التي كتبها ريتز أورتولاني متطفلة على الفيلم وبعيدة عن سياقه.

تدور أحداث فيلم «قلعة الدم» (١٩٦٤) في أجواء لندن في القرن التاسع عشر. حيث ينتهي رهان جرى في إحدى الحانات بصحفي في جريدة التايمز اسمه ألان فوستر (جون ريفيير) إلى قضاء ليلة عيد جميع القديسين، التي تصادف في الأول من تشرين الثاني، في قلعة بلاكوود المسكونة. وكان فوستر قد راهن كلاً من السير توماس بلاكوود (أومبرتو راهو) والكاتب إدغار ألان بو (سيلفانو ترانكويلي) على قدرته على قضاء ليلة كاملة هناك. يصادف فوستر في القلعة كل أنواع الأشباح الذين يعيدون أمامه ارتكاب جرائم قتل رهيبة جرت في الماضي، ويساعد الدكتور كارموس (أرتورو دومينيشي)، وهو عالم ألف كتاباً بعنوان «عناصر الطب الميتافيزيائي»، فوستر على فهم الجرائم التي تحصل أمام عينيه قبل أن يتبين أنه هو نفسه لم يكن سوى شبح. يقع فوستر في حب إليزابيث بلاكوود (بربارة ستيل) التي بدت حياتها معرضة للخطر. لكن إليزابيث تخونه في اللحظة التي تجتمع الأشباح فيها لقتل فوستر («دمك سيمنحنا الحياة»). يفر فوستر من القلعة، وأصوات ضحكات الأشباح المجنونة تملأ أذنيه، مخترقاً المقبرة ويشاهد في طريقه إلى الخارج جثثاً مشنوقة تتدلى من أغصان الأشجار - كان اللورد بلاكوود الأول هو من شنق أولئك الناس. وعند الفجر، يصل سير توماس وألان بو فوستر إلى القلعة ويجدان فوستر معلقاً على بوابتها المعدنية، فيأخذان مالهما البالغ عشرة جنيهات استرلينية من محفظته ويمضيان في سبيلهما.

كتب مارغريتي وجياني غريمالدي سيناريو فيلم «قلعة الدم» وهو فيلم رعب مخيف بحق. فقد كتب ريتز أورتولاني موسيقى تصويرية مناسبة تجعل شعر الرأس ينتصب وصور ريكاردو بالوتيني الماضي المجيد للقلعة بالأبيض والأسود: الضباب المتصاعد وشواهد القبور المغطاة باللبلاب، وشباك العنكبوت التي تسد الردهات، واللوحات المهيبة، وغرف النوم والقبور الأسرية التي تضيئها الشموع. أما طاقم الأشباح المساعدين، فيذكر منهم بينيتو ستيفانيلي بدور وليام (زوج إليزابيث) وجيوفاني شيانفريليا بدور البستاني

العملاق هيرمان (عشيق إليزابيث) ومارغريت روبسان بدور جوليا (عشيقة إليزابيث كذلك). تمارس تلك الأشباح أفعال الغيرة والفحشاء والقتل أمام ناظري فوستر الذي لا يصدق ما يراه. لكن ستيل، التي حولت نفسها إلى طيف في أكثر أدوارها روعة، هي أكثر شخصيات الفيلم رسوخاً في الذاكرة: فقد بدت في الفيلم روحاً تائهة، مجردة من العواطف، تسكن قلعة متداعية هجرها أصحابها منذ زمن بعيد، ولم تعد الحياة بالنسبة إليها سوى ذكرى بعيدة. كما كان الدوبلاج الإنكليزي لدور ستيل أفضل مما هو مألوف، وسلطت الإضاءة عليها في الفيلم بطريقة تبرز جمالها الغريب وشعرها الطويل الأسود وحاجبيها القويين وعينيها الواسعتين وخديها الطاغيين. ونراها في أحد مشاهد الفيلم تغوي فوستر قائلة: «قبلني... عانقني» قبل أن تستحيل جثة من جديد. وقد شاع في الولايات المتحدة بطريقة مبهمة أن فيلم «قلعة الدم» مقتبس من إحدى روايات ألان بو.

يبدأ فيلم «شعر الموت الطويل» (١٩٦٤) بقيام الكونت هومبلو (جان رافيرتي) بإعدام الساحرة أديل كرانشتاين حرقاً بتهمة قتل شقيقه فرانز، فتقرر ابنتاها هيلين (ستيل) وليزابيث (هالينا زاليفسكا) الانتقام من أفراد أسرة هومبلو، بمن فيهم القاتل الفعلي، كورت، ابن هومبلو (جيورجيو أرديسون). يقتل هومبلو هيلين بدفعها عن حافة شلال، لكن ماري (ستيل مرة أخرى) تصل، في وقت لاحق، إلى القلعة إثر نجاتها من حادث عربة. وكان كيرت قد تزوج ليزابيث لكنه يبدأ علاقة عاطفية مع ماري تستمر حتى اللحظة التي يتكشف فيها أن ماري ليست سوى شبح هيلين الساعي للانتقام. يعتبر فيلم «شعر الموت الطويل» من أفلام الرعب المتفوقة التي تم تصويرها بالأبيض والأسود. وقد أدت فيه ستيل بشعرها ذي الطول البالغ دوراً رائعاً يعتبر واحداً من اثنين من أفضل أدوارها. لعب أومبرتو راهو دور فونكلارغا، حاكم المقاطعة ونيلو باتسافاني دور خادم. أما الموسيقى التصويرية المحمومة التي كتبها كارلو روستيكيلي فتستخدم مقاطع من فيلم «دم وجلد أسود» في مشهد

يصف انتشار وباء (يشبه فيلم «الختم السابع»). نشاهد أديل في المشهد الافتتاحي للفيلم تتخبط وسط متاهة من القضبان المشتعلة إلى أن تموت على سطح المحرقة متشبثة بصليب خشبي وهي تطلق اللعنات ضد آل هومبلو. أما قيامة هيلين، فتتم عندما تضرب صاعقة قبرها وتشق الأرض فتظهر هيلين بطريقة دراماتيكية عند مدخل الكنيسة الأمر الذي يجعل هومبلو يموت رعباً.

يتضمن فيلم «شعر الموت الطويل» السلسلة المألوفة من الدهاليز التي تغطيها شباك العنكبوت والسراديب والجثث التي تلتهمها الديدان. إلا أن خاتمة الفيلم كانت مؤثرة. فلوضع حد للوباء، يقرر فون كلارغا إقامة يوم شكر للرب، فيبني السكان تمثال موت خشبياً عملاقاً- يحمل منجلاً وتعلوه جمجمة يزينها شعر طويل تم الحصول عليه من نساء المدينة- كي يتم حرقه. تقوم هيلين باحتجاز كورت، الذي دفعته بمساعدة ليزابيث إلى الجنون، داخل تمثال الموت بعد تقييده وسد فمه بحيث يعجز عن القيام بأي شيء إلا مشاهدة ليزابيث التي تم منحها شرف إضرام النار في التمثال وهي تزأر: «احترق كما احترقت أمي»، لأن أفلام الرعب الإيطالية سهت عن حقيقة أن معظم الساحرات يقتلن شنقاً، لا حرقاً.

بربارة في الخارج: ستيل ملكة الصراخ

حمل فيلم الرعب الإيطالي التالي الذي شاركت فيه بربارة ستيل اسم «خمسة قبور لوسيط واحد»- Five Graves for A Medium (١٩٦٥) لماسيمو بوبيلو، الذي جسدت ستيل فيه شخصية كليو هوف، أرملة الدكتور جيرونيمو هوف، عالم الروحانيات. يبعث هوف، بعد عام على وفاته، ضحايا أحد الأوبئة كي يثأر من قتلته الذين كان منهم محاميه جوزيف مورغان (ريكاردو غارونيه) الذي تربطه بكليو علاقة عاطفية، ويستدعى ألبرت كوفاك (والتر براندي)، مساعد هوفمان، إلى فيلا آل هوف. كان صرير عجلات عربات نقل الجثث نذيراً بموت كل واحد من القتلة: هكذا ينتحر أوسكار

ستينيل (إينيو بالبو) عندما يندفع بكرسيه المتحرك باتجاه سيف مسلول فيخترق النصل جسده. لعب لوشيانو بيغوتسي، الذي يعرفه هواة أفلام الرعب جيداً، دور كورت، البستاني الذي يحرص على إنفاذ «ثأر جيرونيموس». كما لعب ألفريدو ريتسو دور الدكتور نيميك، الذي احتل منصب هوف كطبيب لبلدة غرادنفيل، وتيلد تيل دور لويز، الخادمة العصبية التي تعمل في فيلا هوف وميريلا مارافيدي دور كورين هوف، حبيبة كوفاك التي كان هوف يتراءى لها. تعجز سيارة كوفاك عن الإقلاع بسبب وجود «بومة عالقة في المحرك»، في حين يخبر تسجيل صوتي لتهويدة أطفال مخيفة كوفاك أن «الماء النقي» وحده قادر على إبعاد المنتقمين العائدين إلى الحياة. تدب الحياة في قلب موجود في جرة وفي أياد مبتورة في خزانة عرض («ناشرو الوباء» الذين ينشرون الطاعون عن عمد)، إلى أن ينقذ المطر المطهر كوفاك وكورين. تم تغيير اسم الفيلم، الذي شاع عنه أنه مقتبس من قصة لإدغار ألن بو، إلى «مخلوقات الرعب القادمة من القبر» وتم توزيعه خارج إيطاليا تحت هذا الاسم. جرت أحداث الفيلم في عام ١٩١١. والواقع أن الفيلم بتصويره السينمائي بالأبيض والأسود كان أشبه بألبوم صور فوتوغرافية عتيقة ذات بنية حبيبية دبت الحركة فيها. يعتبر مشهد عودة الحياة إلى جيرونيموس بالقرب من أحد الأضرحة من المشاهد المميزة في الفيلم، حيث تظهر ستيل بثوب أسود وخمار أسود وهيئة جنائزية، وتشرئب، في الخلفية، الأشجار العارية بيأس نحو سماء الفجر الرمادية.

كما لعبت ستيل دوراً صغيراً، لكنه كان محورياً، في فيلم «المتوحشة» - The She Beast (١٩٦٥) ذي الميزانية المنخفضة، الذي كتبه وأخرجه مايكل ريفز، وهو أحد الموهوبين البارزين في عالم أفلام الرعب في الستينيات. فقد فاز المنتج بخدمات ستيل ليوم عمل واحد مقابل ألف دولار دون أن يخبرها، ولو على سبيل التلميح، بعدد ساعات يوم العمل هذا التي

بلغت ثماني عشرة ساعة متواصلة. كان فيليب (أيان أوغيلفي) وفيرونيكا (ستيل) في طريقهما إلى قضاء شهر العسل في ترانسلفانيا عندما وقعت سيارتهما الفولكسفاغن السوداء في بحيرة وغرقت فيرونيكا معها، وانتقلت روحها إلى جسد الساحرة فاردالا التي كانت قد أعدمت عام ١٧٦٥ بواسطة "مقعد العقاب" وهو كرسي يقيد المحكوم إليه ويتم إغراقه. تسخر ستيل في هذا الفيلم من أفلام الرعب- إذ لم يبد أن سماعها اسم فان هيلسينغ قد عنى لها شيئاً. وعلى الرغم من روح الفكاهة المبطنة في الفيلم- مطاردة فان هيلسينغ الأخرق لفاردالا- إلا أن العنف هو أكثر جوانب الفيلم التي يمكن تذكرها. ويعتبر الفلاش باك الذي يعرض لإعدام فاردالا أشد مشاهد الفيلم تطرفاً. حيث يقتحم طفل جبهته ملطخة بالدماء إحدى الجنائز ويختبر المجتمعين أنه عثر على فاردالا مختبئة في أحد الكهوف، فتقبض مجموعة من القرويين الذين كانوا يحملون المشاعل على الساحرة المذعورة، «شقيقة الشيطان»، ويقيدونها إلى مقعد الإعدام ويغرزون مسماراً في جسدها ثم يغرقونها. أما الساحرة نفسها (أسند دورها لرجل)، فهي مخلوق قميء بشرته مشوهة للغاية وشعره مشعث وأسنانه أشبه بشواهد القبور ويرتدي ثوباً طويلاً. وقد كان الممثل الذي أدى دور الساحرة يخرج بهذا الزي، أثناء فترات توقف التصوير، ويقف إلى جانب الطريق العام كي يخيف ركاب السيارات العابرة.

كما لعبت ستيل، في فيلم «ليلة المحكوم»- Night of The Doomed (١٩٦٥) لألان غرونوالد/ ماريو كايانو، دور موريبل أروسميث، زوجة الدكتور ستيفان أروسميث (بول مولر)، التي تعيش في قلعة هامبتون. يكتشف الطبيب، وهو نموذج نمطي لشخصية العالم المجنون من حيث مواظبته على إجراء الاختبارات على قدرة الدم على تجديد الشباب، أن موريبل ترتبط بعلاقة غرامية بالخادم ديفيد (ريك باتاليا)، فيعذبهما بالجمر وبالصدمات الكهربائية قبل أن يحرقهما. ثم يستأصل الدكتور أروسميث قلب موريبل

ويضعه في صندوق زجاجي ويستخدم دمها لتجديد شباب عشيقته المسنة سولانج (هيلغا لاين). وكانت موربيل قد أوصت بقلعتها لأختها غير الشقيقة جيني هامبتون (ستيل نفسها بشعر أشقر) المضطربة عقلياً، فيتزوجها الدكتور ثم يبدأ بحقنها بعقار هلوسة يجعل جيني تكابد الكوابيس. يكتشف جويس ديريك (لورانس كليف/ مارينو مازيه)، طبيب جيني أن مريضته مسكونة بموربيل، فيزيل مبضعاً من قلب موربيل المتوقف محرراً بذلك روحي موربيل وديفيد الساعيتين للانتقام. أما سولانج، فتعود، إثر عملية نقل دم فاشلة، إلى صورة المرأة العجوز التي كانت عليها من قبل، بل وأسوأ، في حين نشاهد الدكتور أروسميث مقيداً إلى كرسي وقد فارق الحياة.

كابدت ستيل مشقة حقيقية في أداء دور موربيل في هذا الفيلم السادي، في حين أنها استخدمت، بوصفها جيني، صوتها العادي في الدوبلاج الإنكليزي لحوارها. يقوم الدكتور أروسميث بكهربة الحوض المعدني الذي يستحم ديريك فيه عادة، لكن كبير الخدم يموت بدلاً منه أثناء محاولته إضافة الصابون إلى الماء. ظهرت ستيل في هذا الفيلم، بشخصية موربيل القائمة من الموت، في واحدة من أكثر صورها شهرة بشعرها الأسود الطويل المتموج الذي ينسدل على الجانب الأيمن من وجهها من أجل إخفاء تشويهات كبيرة لحقت فيه. وقد تميز فيلم «ليلة المحكوم» بمستوى تصويره السينمائي الرفيع باللونين الأبيض والأسود الذي يعود الفضل فيه إلى إنزو باربوني وبالمكياج المؤثر والمؤثرات الخاصة (التي تتضمن حوض نباتات يقطر دماً ويتم تسميده برماد موربيل) وبمقطوعة الأرغن المؤلمة التي لحنها إينيو موريكونيه. عرض فيلم «ليلة المحكوم» (مائة دقيقة) في بريطانيا عام ١٩٦٩ تحت اسم «الوحش الذي لا وجه له»- The faceless Monster (وقد اقتطعت منه خمس وعشرون دقيقة)، وفي الولايات المتحدة باسم «قلعة الكابوس»- Nightmare Caste بطول إحدى وثمانين دقيقة.

أما فيلم الرعب الإيطالي الإخير لستيل فكان «ملاك من أجل الشيطان» - An Angel for Satan (١٩٦٦) لكاميلو ماستروشينكويه، الذي نراها فيه مرة أخرى تجسد شخصيتين هما هارييت الوارثة الثرية ونظيرتها الفاتنة الشريرة بيليندا. لعب كلاوديو غورا دور الكونت مونتبرونو (عم هارييت، المنوم المغنطيسي الشرير) وأنطوني ستيفن (الذي يشبه دجانغو بقبعته ووشاحه ومعطفه الطويل) دور الفنان روبرتو ميريغي الذي يصل على متن مركب لترميم تمثال عار تم استخراجه من بحيرة لصالح هارييت. تفاقم الطابع الحلمي للفيلم بالموسيقى التصويرية الحزينة التي كتبها فرنشيسكو دي ماسي وبتصويره السينمائي بالأبيض والأسود. تبلغ ستيل في هذا الفيلم قمة شهوانيتها بشخصية بيليندا التي تجد متعتها في بث الشقاق بين خادمتها ريتا (أورسولا ديفيس) وحبيبها المدرس الوسيم داريو (فاسيلي كاريس)، الأمر الذي يقود ريتا إلى الانتحار. كما تكره مدير الحانة كارلوس (ماريو بريغا) على إحراق منزله مع أطفاله في الداخل وتدفع فيكتور البستاني (ألدو بيرتي) إلى الجنون، وهي، في الواقع، عينة من عواقب الوقوع في حب ستيل.

الرؤى والكوابيس على الطريقة الإيطالية

اختط بافا وفريدا ومارغريتي أسلوباً في تنفيذ أفلام الرعب الإيطالية سار عليه بقية المخرجين. يصل الطالب هانس فون أرنيم (بيير برايس)، في فيلم «طاحونة النساء الحجريات» - Mill of The Stone Women (١٩٦٠) لجيورجيو فيروني، إلى إحدى الطواحين الهوائية، التي يتميز بها نظام القنوات المائية الهولندي، كي يكتب بحثاً عن تاريخ هذه الطاحونة الشهيرة بتماثيلها الشمعية المخيفة. يعيش في الطاحونة البروفسور النحات فال (هربرت بوهيم) مع ابنته الجميلة إيلفي (شيلا غابيل) وطبيب غامض اسمه بوهلم (فولفغانغ برايس). لكن يتبين فيما بعد أن التماثيل المنتشرة في الطاحونة ليست في

الواقع سوى أجساد بشرية تم حفظها. إذ كانت إيلفي تعاني من مرض قاتل تحتاج معه إلى عمليات نقل دم منتظمة. وهكذا كانت ليسلوت (داني كاريل)، صديقة هانس، الضحية التالية.

يبدأ الفيلم بداية نمطية مع رحلة هانس إلى الطاحونة على متن مركب بخاري تصاحبه موسيقى كارلو إينوشينزي الغريبة (نقر رقيق ونغمات بيانو متكررة ترافقها أصوات شبحية). اقتبس الفيلم من إحدى القصص القصيرة التي يتضمنها كتاب بعنوان «حكايات فلمنكية» لبيتر فان فيغن. لكن إيقاع الفيلم كان بطيئاً وكان النصف الأول منه مشوشاً (عم يتحدث الفيلم؟ عن إيلفي؟) قبل أن يستعيد زخمه في النصف الثاني. أدت غابيل في هذا الفيلم إحدى أفضل بطولاتها في أفلام الرعب الإيطالية بشعرها الأسود وبشرتها الشاحبة التي تتضارب بشدة مع ردائها الأحمر. لعب ماركو غولييلمي دور رالف، صديق هانس طالب الفنون، وليانا أورفي دور أنيلور، التي تعمل في النزل راقصة ومغنية (وتنضم إلى مجموعة التماثيل في طاحونة البروفسور) وأولغا سولبيلي دور مدبرة المنزل الشريرة ثيلما. تجري أحداث القصة عام ١٩١٢، وقد قدمت أجواء الفيلم، من صلبان وأكف مبتورة تجمدت في وضعية الإمساك وأعضاء تشريحية محفوظة في أوان، إطاراً مناسباً جرت ضمنه الأحداث. كانت الطاحونة الشريرة، في الواقع، النجم الرئيسي للفيلم- وقد اختلطت فيها تماثيل جان دارك وكليوباترا وإليزابيث الأولى بجثث محنطة، غلفت بالشمع، مشنوقة أو مقطوعة الرأس وسوى ذلك من الوضعيات الشنيعة. تلتهم النيران دولاب الطاحونة فتدب فيها الحياة، وتتحرك التماثيل ببطء في فالس الموت الناري الأخير ويبدأ الشمع بالسيلان كاشفاً عن وجوهها العظمية. عرض فيلم «طاحونة النساء الحجريات» على المستوى الدولي عام ١٩٦٣ وكان الشعار الترويجي المرافق له يقول: «شاهد كيف تتحول فتاة جميلة إلى وحش متحجر أمام ناظريك!».



ملاك الموت: الملصق الإيطالي لفيلم «ملاك الشيطان» (١٩٦٦) لكاميلو ماستروشينكويه وهو آخر ظهورات بربارة ستيل في أفلام الرعب القوطي الإيطالي

اقتبس فيلم «سرداب الرعب»- Crypt of Horror (١٩٦٤) من رواية «كارميلا» لشيريديان لوفانو. يتحدث الفيلم عن أسرة كارنشتاين التي تسكن قلعة كارنشتاين (صورت في قلعة بيكولوميني الواقعة في بلدة بالسورانو) والمؤلفة من الكونت لودفيغ (كريستوفر لي) وعشيقته آنيت (فيرا فالمونت) وابنته الكونتيسة لورا (أدريانا أمبيزي). كان لودفيغ على قناعة تامة أن الساحرة سيرا كارنشتاين، وهي إحدى أسلاف لورا، سوف تسكنها ذات يوم، فيستأجر خدمات المؤرخ فريديريك كلاوس (خوسيه كامبوس) كي ينقب في أرشيف الأسرة. تلجأ المرأة الجميلة ليوبا (أورسولا ديفيس) إلى القلعة إثر تعرض عربتها لحادث، قبل أن يتبين أنها لم تكن سوى واحد من تجسدات سيرا التي تحاول اختطاف لورا في عربة سوداء مشؤومة. يمزج الفيلم السحر بالاستحواذ وبمصاصي الدماء وبالغموض. ويقدم لي حواره باللغة الإنكليزية مضفياً على الشخصية التي جسدها المزيد من القيمة. يلعب خوسيه فيلاسانتيه دور المتشرد الأحدب الذي يتم العثور عليه متدلياً بحبل من برج كنيسة خربة وقد بترت يداه وفارق الحياة. تذكرنا المشاهد التي تجري فيها لورا وليوبيا عبر الخرائب بثوبيهما الأبيضين اللذين يخفقان مع الرياح بأفلام بافا ومارغريتي كما أن مشهد الفلاش باك الذي نشاهد فيه سيرا وهي تصلب كان استعادة لمشاهد من فيلم «قناع الشيطان». تمارس مدبرة المنزل روفينا (نيلا كونيجو) السحر الأسود: حيث نراها تجوب ردهات قلعة كارنشتاين التي أنارتها بالشموع ملوحة بيد المشرد المبتورة في تكرار شيطاني لتقليد «يد المجد». كما أنها تنتصب، وهي ممددة في نعشها المفتوح، وتشير إلى قاتلها في اللحظة التي كان البرق فيها يضرب الكنيسة منيراً جنباتها.

كما ظهر لي في فيلم «قلعة الأموات الأحياء»- The Casle of The Living Dead (١٩٦٤) الذي تجري أحداثه في أوربا في الفترة التي تلت الحروب النابليونية. تدعى فرقة من الممثلين الغجريين إلى قلعة الكونت دراغو (لي) لتقديم فقرة يؤدون خلالها عملية شنق زائفة. لكن أعضاء الفرقة يكتشفون

أنهم كانوا على وشك الفوز بالخلود في «المسرح الأبدي» لدى الكونت الذي كان يواظب على إجراء اختبارات على سائل تحنيط مستخرج من نبتة استوائية يؤدي تطبيقه على البشر إلى حدوث تعليق فوري للحياة في لحظة الوفاة. تشير تيترات الفيلم إلى أن مخرجه هو وارن كيفر/ لورنزو ساباتيني على الرغم من أنه تلقى العون من مساعده مايكل ريفز دون أن يذكر اسمه. أما الغجر فهم برونو (جاك سانتي) وشقيقته لورا (غايا جرماني) وجياني نافث اللهب (إينيو أنطونيلي) ودارت المهرج (لوشيانو بيغوتسي) ونيب القزم (أنطونيو دي مارتينو). لكن دارت يطرد من الفرقة فيحتل مكانه الجندي الجوال الكابتن إيريك (فيليب لوروا). أما المسرحية التي تؤديها الفرقة، فيدفع المهرج خلالها، عن طريق الخديعة، جلاداً يعتمر قلنسوة إلى شنق نفسه.

كتب أنجيلو فرنشيسكو لافانينو لحن كمان غجري سوداودي يشيع في الفيلم أجواء من التشويش. تم تصوير الأراضي الملحقة بالقلعة في «حديقة الوحوش» في بلدة بومارزو الواقعة في مقاطعة فيتيربو، وهي حديقة تعرض فيها مجموعة من التماثيل الغريبة لفيلة وتنانين وسلحفاة ووجه ضخم يفتح فاه على كهف. وأثناء اجتياز العربة التي تقل الفرقة الغجرية إحدى الغابات، يكتشف الممثلون نزلاً مبنياً من الحجر على غصن شجرة ثم قلعة دراغو (قلعة أوديلسكالكي الواقعة بالقرب من بحيرة براتشيانو في مقاطعة لاتسيو) التي ازدانت بكل أشكال الحياة البرية. لعب ميركو فالنتاين دور ساندرو، حوذي عربة الكونت ذي العباءة الذي ينظر شذراً ويستخدم المنجل ببراعة. يقوم ساندرو برمي جياني بسهم مطلي بسائل التحنيط باستخدام منجنيق صغير فيصيبه في عينه، ثم يدفع نيب من برج القلعة، لكن القزم المحظوظ يسقط في كومة من التبن. أما زوجة دراغو المحنطة، فترقد في فراشها محدقة طوال الوقت بعينيها الزجاجيتين في حين تدب العناكب حول وسادتها وتقرض الجرذان أصابعها. يؤدي لي دور الكونت الكالح ذي العينين الغائرتين بامتياز. يحقق، في الأحداث الغريبة التي تشهدها القلعة، ثلاثة رجال شرطة لعب أدوارهم كل من ريناتو تيرا ولويجي بونوس ودونالد ساذرلاند (في

أول أدواره السينمائية). كما يؤدي دونالد المتنكر دور ساحرة عجوز تتكلم بالشعر محذرة أعضاء الفرقة من دراغو: «بعضكم سيعيش... وبعضكم سيموت... قبل شروق شمس الغد». ثم تقول الساحرة الشمطاء لدارت: «المهرج الذي يأكل من خبزي اليوم... قريباً جداً سوف يموت». كانت سعادة ساذرلاند بالغة بحصوله على أول أدواره السينمائية إلى حد أنه أطلق على ابنه الذي ولد في كانون الأول من عام ١٩٦٦ اسم كيفر تيمناً بمخرج فيلمه الأول.

وفي حين تعتبر أفلام بربارة ستيل من كلاسيكيات سينما الرعب الإيطالية، فإن فيلم «جحيم الرعب الدموي»- Bloody Pit of Horror (١٩٦٥- «حكاية تعذيب» أو أيضاً «جلاد كريمسون») كان النقيض التافه لها. يسافر الناشر ماكس باركس (ألفريدو ريتسو) برفقة بطانته إلى إحدى القلاع في رحلة تصوير ترويجي لسلسلة قصص رعب التي قام بإصدارها. يشارك في الرحلة الكاتب ريك (والتر براندي) برفقة إديث (لويزا باراتو) بالإضافة إلى عدد من المصورين الفوتوغرافيين وفريق من عارضات يرتدين أثواباً ضئيلة: آني (فيمي بينوسي) وكانوجو (موا تاهي) ونانسي (ريتا لاين) وسوزي (بربارة نيلي). أما القلعة، فيشغلها ترافيس أندرسون (ميكي هارغيتاي) وهو ممثل سابق اشتهر بأدواره في الأفلام التاريخية. يستولي جلاد كريمسون، وهو رجل كان يمارس أعمال التعذيب إلى أن أعدم بمقعد العقاب عام ١٦٤٨، على ترافيس الذي يصاب بالسعار فيقتل معظم المشاركين في الرحلة بعد أن يعرضهم لتعذيب سادي. كان ترافيس، المهووس بكمال جسده، يجد متعته السادية في تشويه الآخرين. هكذا يسكب ترافيس على إحدى العارضات قدراً مملوءاً بالقار المغلي ويمزق أخرى باستخدام آلة تكسير العظام ويقتل آخرين بالفأس والسيف والرمح، ويقيد إيديث إلى أتون معدني ويشوي ماكس في قفص حديدي ويعلق كانوجو في شبكة عملاقة يتهددها فيها عنكبوت ميكانيكي. أما جلاد كريمسون، نفسه، فهو مخلوق اسكندينافي لا ينسى: إذ ينتعل هاغيتاي، بجسده المطلي بالزيت وصدره العاري، جزمة جلدية حمراء اللون ويتمنطق بحزام ثقيل ويعلق قلادة ذهبية ويعتمر

قلنسوة حمراء ملتصقة برأسه ويضع على عينيه قناعاً يشبه قناع زورو. صورت مناظر الفيلم الخارجية في استديوهات بسيكوفيجن الواقعة بالقرب من قلعة بيكولوميني في بلدة بالسورانو، أما المناظر الداخلية فصورت في القصر البورغيزي في أرتينا (روما). وقد بلغت سوقية الفيلم مبلغاً يعلق فيه شريط الموسيقى التصويرية أثناء التسجيل فيسمع المشاهد أصوات خربشة.

وفي فيلم «المحنط»- The Emblamer (١٩٦٥ - «وحش البندقية») لدينو تافيلا، يجوب أحد القتلة قنوات البندقية المائية ويقتل النساء ويحنطهن في مختبره الواقع تحت الأرض محولاً إياهن إلى تماثيل ترتدي أثواباً بيضاء. يكتشف الصحفي أندريا (لويجي مارتونتشي) أن «الوحش» هو مدير فندق مخبول يدعى السيد توريه. كان القاتل يرتدي بزة غطس ويسحب النساء ويغرقهن تحت الماء، في حين يرتدي، في وكره، ثوب راهب ذا قلنسوة ويضع على وجهه قناع جمجمة، وتسلط في الوكر أضواء كتلك التي نصادفها في الملاهي الليلية على دمية لألفيس بريسلي تخرج من قلب تابوت. يصطحب أندريا مجموعة من الطالبات المقيمات في فندق توريه في جولة على معالم المدينة على متن جندول. في هذه الأثناء يقترب القاتل الغطاس من الجندول ويقلبه ويسحب إحدى الفتيات. وينتهي الفيلم بمشهد سوريالي نتابع فيه أندريا (بزي الغطس) وهو يطارد الراهب في شوارع المدينة. مولت شركة غوندولا إنتاج الفيلم الذي تم تصويره في استديوهات شيريا في مدينة ترييستيه وتم عرضه في الولايات المتحدة في الوقت نفسه الذي عرض فيه فيلم «المتوحشة».

كان فيلم «قصص مذهلة»- Histoires Extraordinaires (١٩٦٨- «حكايات غموض وخيال») ثلاثية رعب مقتبسة من أعمال إدغار ألان بو. حمل القسم الأول اسم «متزنغرشتاين»، وهو نسخة عصرية من فيلم «بارباريلا» لروجيه فاديم وجاين فوندا. تقع فريديريكا (جاين فوندا)، كونتيسة متزنغرشتاين، وهي النسخة الأنثوية لكاليغولا، في حب ابن عمها الكونت فيلهلم (لعب دوره بيتر فوندا، شقيق جاين). لكن فريديريكا تتسبب بموت فيلهلم عندما

تأمر بإحراق إسطبلاته، فينبثق من قلب الجحيم فحل أبنوسي ذو نظرة شرسة يصبح الرفيق الدائم للسوداوية التي تسيطر على الكونتيسا ويدفعها إلى الموت حرقاً. وعلى الرغم من الموسيقى التصويرية الرائعة التي قدمها جان برودريميديس (موسيقى فلوت وقيثارة)، والأجواء الفرنسية الساحلية الخريفية (بما فيها قلعة كيروزيريه في بريتانيا) واللقطة الختامية التي لا تنسى (النيران التي تتقد مع شروق الشمس)، فإن هذا القسم من الثلاثية لم يزد عن كونه تقليداً غير متقن لأفلام روجر كورمان. أما القصة الثانية التي تحمل اسم «وليام ويلسون» للوي مال، فتم تصويرها في بيرغامو في مقاطعة لومبارديا الإيطالية، ويلعب ألان ديلون فيها دور الملازم ويلسون، وهو ضابط متنمر أمضى حياته مسكوناً بنظير غامض شرير (ديلون نفسه) يقود ويلسون إلى الانتحار برمي نفسه من أعلى برج كنيسة بعد أن أهان جوزيفينا (بريجيت باردو) علناً وبعد أن جعله نظيره يبدو أمام الناس كرجل محتال.

أما القسم الثالث من الفيلم، المقتبس بتصرف من قصة لألان بو عنوانها «لا تسلم رأسك للشيطان»، فيحمل اسم «توبي داميت» لفيديريكو فيليني وقد تم تصويره في شتاء ١٩٦٧- ١٩٦٨ في مواقع في مدينة روما وفي استديوهات إيليوس، في حين تم تصوير المناظر الداخلية في استديوهات سي. إس. سي. جسد تيرانس ستامب شخصية كتبت، في الأصل، لبيتر أوتول، ثم عرضت على ريتشارد بورتون وجيمس فوكس، وهي شخصية ممثل إنكليزي أفل نجمه اسمه توبي داميت. يصل داميت إلى روما للمشاركة في أول فيلم ويسترن كاثوليكي يتحدث عن «عودة المسيح إلى الأرض في منطقة حدودية مقفرة» تم تصويره بأسلوب كارل دراير وبازوليني «مع لمسة من جون فورد». لم تكن روما التي نشاهدها في مطار فيوميشينو سوى روما من منظور توبي الذي شوهته المخدرات. أما جولته في روما التي تصطبغ باللون البرتقالي فكانت مجرد هلوسات: شاحنة جزار مليئة بالجثث، ازدحامات مرورية، عمال بناء، عروض أزياء، حوادث سير، رجل يشبه جون لينون في ألبوم «سرجنت بيير»، راهبتان

ضريرتان تقودان سيارة. تمتنع قارئة غيب غجرية عن قراءة كف توبي. ويعرب توبي عن انزعاجه من شدة الإضاءة في الاستديو الذي كان يجري فيه لقاء تلفزيونياً («لا أحيا إلا في الليل») كما يكشف أثناء اللقاء عن إيمانه بالشيطان: «أنا إنكليزي لا كاثوليكي. الشيطان بالنسبة إلي مخلوق لطيف ورشيق- إنه يشبه فتاة صغيرة». لكن هذا الشيطان تحديداً يسيطر على الممثل المضطرب الذي يراه بهيئة بنت صغيرة ترتدي ثوباً أبيض وتلعب بالكرة، في ظهورات كان وحده من يراها.

يحتفي مهرجان الذئب الذهبي، الذي كان يعج بالحسناوات والمنتجين بملابس السهرة والمهنئين والمتملقين، بتوبي المشوش، بوصفه ممثلاً شكسبيرياً عظيماً، فيصعد توبي إلى المنصة لإلقاء خطاب من مسرحية مكبث، إلا أنه يعجز عن تذكر النص. ثم يتلقى توبي من منتج الفيلم سيارة فيراري ذات سقف قابل للطي، فينطلق بها بسرعة جنونية في شوارع روما المظلمة والضبابية متجهاً إلى الريف، ويجن جنونه عندما يدرك أنه قد ضل طريقه، فيضغط على دواسة السرعة وينطلق بالسيارة كالرصاصة وكأن مساً قد أصابه في محاولة منه للعثور على طريق العودة إلى المدينة. إلا أن رحلته تنتهي، مع انتهاء الليل، عند جسر محطم. هناك، يشاهد توبي الفتاة الصغيرة تقف على الطرف الآخر من الجسر فيندفع بالفيراري محاولاً اجتياز الثغرة وينفذ قفزة جنونية. لكن سلكاً معلقاً يعترض دربه ويفصل رأسه عن جسده، ثم تلتقط الفتاة الصغيرة كرة جديدة كانت تتدحرج على الإسفلت. كان فيلم «توبي داميت»، بالموسيقى التصويرية الكرنفالية التي قدمها نينو روتا، فيلماً فيلينياً بامتياز- صمم بيبرو توسي الأزياء ومواقع التصوير (بدا توبي الشاحب أشبه بمصاص دماء بايروني)، وأعد جوزيف ناثانسون المؤثرات الخاصة (بما في ذلك الجسر الخرب) ونفذ جيوسيبيه روتونو عمليات التصوير. حذف من النسخة النهائية للفيلم مشهد يظهر فيه توبي بملابس راعي بقر في استديوهات إيليوس (يمكن مشاهدة أجزاء من هذا المشهد في اللقطات الترويجية للفيلم) وتم عرضه في الولايات المتحدة باسم «أرواح الموتى» وأدى فنسنت برايس دور الراوي.

نبش القبور: السبعينيات

مع تراجع وطأة الرقابة على الأعمال السينمائية في أواخر عقد الستينيات، عادت أفلام الرعب الإيطالية إلى الحياة بدموية أكبر، بفضل أفلام الرعب الفرنسية الجنسية التي أخرجها جان رولان («رعشة مصاصي الدماء» - Le Frisson des Vampires و«جناز من أجل مصاص دماء» - Requiem Pou Un Vampire) وأفلام الرعب البريطانية التي تدور أحداثها في أجواء إقطاعية («ماثيو هوبكينز - الباحث عن الساحرات» - Mattew Hopkins- Witchfinder General و«دم على مخلب الشيطان» - Blood on Satan's Claw) وسلسلة أفلام فرسان الهيكل البرتغالية الإسبانية (ولاسيما «قبور الموتى العميان» - Tombs of The Blind Dead و«عودة الميت الشرير» - Return of The Evil Dead).

يحاكي فيلم «القاضي الدموي» - The Bloody Judge (١٩٦٩ - «ليلة الوحش الدموي») لسيد أفلام الرعب الرخيصة خيسوس فرانكو فيلم مطاردة الساحرات «ماثيو هوبكينز - الباحث عن الساحرات» الذي أخرجه مايكل ريفز عام ١٩٦٨. يرأس القاضي سيء السمعة جورج جيوفريز، كبير قضاة إنكلترا، مجموعة «المحاكمات الدموية» التي خصصت لمقاضاة متمردي انتفاضة مونوماوث عام ١٦٨٥ الذين قادهم دوق مونوماوث الذي رسا في ميناء لايم ريجيس وهزم على يد ملك إنكلترا جيمس الثاني في معركة سيدجمور التي استعادها فرانكو بتقتير مستخدماً مدفعاً واحداً وبضعة عناصر كومبارس وبعض الدخان. كان فيلم «القاضي الدموي» أحد أفضل أفلام فرانكو بفضل الأزياء وجودة التصوير والموسيقى الرومانسية التي كتبها برونو نيكولاي. نجح جيوفري المستبد في فصم عرى العلاقة العاطفية بين هاري سيفتون (هانز هاس) وهو أحد أعضاء مؤامرة مونماوث وماري غراي (ماريا روم). أدى لي بامتياز دور القاضي الذي يمضي وقته في «اقتفاء أثر الساحرات» ويحكم على ضحاياه بـــ «التدلي حتى الموت». أما رفاق جيوفريز الساديون فهم سانشيل (ميلو كويسادا) وجاك كيث (هوارد فرنون)، قائد فريق التعذيب الذي يرتدي ثوباً أسود

يلتصق بالجسم وقفازات وقلنسوة سوداء. تتعرض أليسيا (مارغريت لي)، شقيقة ماري للتعذيب باستخدام آلة تكسير العظام وتسحل وتوسم بالحرف W (الحرف الأول من كلمة ساحرة) قبل أن يتم إحراقها. أما بقية الضحايا من النساء فيتعرضن للجلد بالسياط وللصفع والتمزيق «سواء كن ساحرات أو بغايا». لعب ليو جين دور لورد ويسيكس وديانا لوريس دور الضحية سالي داونز. اقتطعت من نسخة الفيلم الإنكليزية عشر دقائق لكن الفيلم بقي قوياً على الرغم من ذلك.

يزعم فيلم «الكونت دراكولا بحسب برام ستوكر»- Bram Stocker's Count Dracula (١٩٧٠) أنه يروي قصة الكونت دراكولا كما كتبها ستوكر تماماً دون أن يظهر في الفيلم ما يدعم هذا الزعم. يسافر المحامي اللندني جوناثان هاركر (فريديريك ويليامز) إلى جبال كاربات لزيارة الكونت دراكولا (كريستوفر لي). لكنه يعثر عليه بعد بضعة أسابيع وقد أصيب بالجنون وظهرت على عنقه آثار عضة. يتعافى هاركر في المكان الذي لجأ إليه مع الرجل المجنون رينفيلد (كلاوس كينسكي)، وهو ضحية أخرى من ضحايا الكونت. ويصمم البروفسور فان هيلسينغ (هربرت لوم) على اكتشاف سر قلعة دراكولا. عانى فيلم خيسوس فرانكو هذا الذي أنتجه هاري ألان تاورز من بطء في الإيقاع جعل الأحداث تسير بسرعة السلحفاة، ولاسيما في القسم الأوسط من الفيلم الذي يقوم بشكل رئيسي على رجلين طريحي الفراش بالإضافة إلى رينفيلد الذي يمضي وقته في التهام الذباب. لعبت ماريا روم، التي تظهر بانتظام في أفلام فرانكو، دور مينا هاركر وسوليداد ميراندا دور لوسي ويستينرا (التي تتحول إلى مصاص دماء يقتل الأطفال دون رحمة) وجاك تايلور دور كوينسي موريس (خطيب لوسي). بذل فرانكو جهوداً مضنية لمحاكاة بافا في تصويره لاجتياز العربة، التي يستقلها جوناثان خلال سفره، معبر بورغو السديمي. طغت العمارة الإسبانية بصورة مريبة على مواقع التصوير، بما في ذلك لندن وجبال كاربات. أما المشهد الذي تعود فيه حفنة من الثدييات والأسماك والطيور (بما فيها بجعة أسترالية) إلى الحياة وتهاجم الأبطال، فقد كان علينا كجمهور، أن نبذل جهداً مضنياً لتصديقه، إلا أن الثالوث غير المقدس المؤلف من لي ولوم وكينسكي كانوا

عاجزين عن مساعدتنا في هذه المهمة الصعبة. فقد تبنى لي في تجسيده لشخصية الكونت النموذج المجري بشاربيه المتهدلين، في حين لعب لوم (المتخفي خلف لحية لينين) دور فان هيلسينغ بطريقة عصية على الوصف على الرغم من أن الظهورات الدورية الجامحة لكينسكي بشخصية رينفيلد نجحت في إنقاذ الفيلم. يسافر الكونت من لندن إلى ترنسلفانيا متخذاً طريق مدينة فارنا الواقعة على البحر الأسود على متن عربة تحرسها مجموعة من الغجر، لكن الأبطال ينصبون شركاً للقافلة بالقرب من قلعة دراكولا ويشعلون النار في عربة الكونت ويدفعونها إلى الهاوية.

صنع أنطونيو مارغريتي نسخة جديدة، بالألوان هذه المرة، من فيلم «قلعة الدم» بعنوان «شبكة العنكبوت»- Web of The Spider (١٩٧١). لعب أنطوني فرانشيوسكا دور المراسل الصحفي الأمريكي ألان فوستر الذي يراهن اللورد توماس بلاكوود (إنريكو أوسترمان) على قدرته على قضاء ليلة واحدة في قلعته. جرت الأحداث الدموية في هذا الفيلم على المنوال نفسه الذي جرت فيه في فيلم «قلعة الدم»، مع الأشباح التي تسعى للحصول على دم فوستر كي تعود إلى الحياة ولو لليلة واحدة في العام. لعبت ميشيل ميرسييه دور شبح إليزابيث دوليستر بلاكوود (الشقراء في هذا الفيلم) وكارين فيلد دور جوليا. أما راف بالداساريه، فلعب دور هربرت عشيق إليزابيث وبيتر كارستن دور الدكتور كارموس وسيلفانو ترانكويلي (بو في فيلم «قلعة الدم») دور ويليام، زوج إليزابيث. تميز الفيلم بأجواء قوطية بديعة وبموسيقى تصويرية مهيبة كتبها، مرة أخرى، أورتولاني. أما الإضافة الحقيقية على الفيلم، فكانت كلاوس كينسكي بدور إدغار ألان بو، الذي بدا، في المشاهد الافتتاحية للفيلم، وكأنه أحد أبطال قصصه، إذ نراه ينقب في إحدى المقابر بشكل محموم على ضوء مشعل قبل أن يستخرج نعش بيرنيس موريس.

كما صنع مارغريتي فيلم «لحم من أجل فرانكنشتاين»- Flesh for Frankenstein (١٩٧٣) و«دم من أجل دراكولا»- Blood for Dracula

(١٩٧٤) اللذين قدمهما أندي وارهول ونسبا إلى الكاتب المخرج بول موريسي. يلعب أودو كير، في فيلم «لحم من أجل فرانكنشتاين»، دور البارون وأرنو جورغينغ دور مساعده المزكوم أوتو ومونيك فان فورين دور شقيقة فرانكنشتاين المهووسة جنسياً وجو داليساندرو دور خادمها الجنسي. يحفل هذا الفيلم الهازل، الذي تم تصويره في صربيا وفي استديوهات شينيشيتا وصمم ديكوراته إنريكو جوب، بالعري والدم المسفوك والأحشاء المتدلية (تصميم المؤثرات لكارلو رامبالدي) وصور باستخدام عملية ثلاثية الأبعاد يطلق عليها اسم سبايسفيجن. وعلى الرغم من أن الفيلم صنف ذات يوم في بريطانيا على أنه للبالغين بسبب عنفه، إلا أن أحداً لا يأخذه اليوم على محمل الجد. وكان فيلم «دم من أجل دراكولا» مثيراً للاشمئزاز بالقدر نفسه، وعجزت مقدمته الفكاهية عن الصمود طويلاً: حيث يغادر الكونت دراكولا (كير) بلاده الأصلية رومانيا في سيارة وضع نعشه على سقفها متجهاً إلى إيطاليا برفقة سكرتيره (جورغينغ) في رحلة للبحث عن دماء «فتيات عذراوات». يحل دراكولا ضيفاً على الماركيز دي فيوريه (فيتوريو دي سيكا) وهو أب لأربع فتيات حسناوات على الرغم من أن أياً منهن لم تكن بكراً بفضل العامل الوسيم جو داليساندرو. يظهر رومان بولانسكي في الفيلم لفترة وجيزة في دور فلاح في حانة يقوم فيها بتقليد الشخصيات.

يقوم البارون فرانكنشتاين (جوزيف كوتن) والدكتور تشارلز مارشال (بول مولر)، في فيلم «الليدي فرانكنشتاين» - Lady Frankenstein (١٩٧١) لميل ويلز، بعمليات نقل أدمغة وقلوب إلى جثث الموتى بهدف إحيائها. ينجح الرجلان في إحدى تجاربهما في صنع وحش (بول وايتمان) مستخدمين دماغاً تالفاً، لكن الوحش يقتل البارون سحقاً. وتستأنف تانيا (روزابيلا نيري)، ابنة البارون، اختبارات والدها، معيدة الأموات إلى الحياة باستخدام أقطاب كهربائية بدائية. كانت تانيا مصممة على خلق رجل أحلامها، فتزرع دماغ تشارلز وقلبه في جسد توماس ستاك (مارينو مازيه)، فتى الإسطبل مفتول العضلات. لكن مخلوقها يقتلها فيما بعد خنقاً أثناء ممارسته الجنس معها، في حين يقوم القرويون

الغاضبون (بقيادة رومانو بوبو) بإحراق القلعة بالمشاعل. وعلى الرغم من أن الفيلم نجح في تقديم بعض الصور الجميلة (مقبرة مخيفة بالإضافة إلى قلعة فرانكنشتاين المكسوة بالثلوج)، إلا أن الفيلم تبنى الجنس رافعة له. يموت المخلوق القبيح الأصلع ذو العين الوحيدة التي تتدلى من محجره ببتر ذراعه وطعنه بالسيف وغرس عصا في رأسه. لعب الممثل مفتول العضلات ميكي هارغيتاي دور الكابتن هاريس الذي يحقق في أنشطة السطو على القبور التي يمارسها تومي لينش (هربرت فوكس) المسؤول عن تزويد البارون بالجثث. بدا الممثل الوقور كوتن مرتبكاً وسط المؤثرات الخاصة المبتذلة التي تحيط به، والتي ضمت خفافيشَ متدلية من أسلاك، والديكورات الرديئة للقلعة التي تم بناؤها في استديوهات دي باوليس ورافقتها موسيقى تصويرية درامية كتبها أليساندرو أليساندروني. كما ظهرت بضعة أفلام إيطالية أخرى عن فرانكنشاتين كان منها «فرانكنشتاين ٨٠»- Frankenstein 80 (١٩٧٣- لعب غوردون ميتشيل فيه دور الدكتور ألبريختشتاين) و«قلعة مخلوقات فرانكنشتاين الغريبة»- Frankenstein's Castle of Freaks (١٩٧٣) الذي يلعب فيه روسانو براتسي دور الكونت فرانكنشتاين إلى جانب القزم غينز (مايكل نان) ورجلي الكهف أوك (بوريس لوغوزي) وإيغور الأحدب (غوردون ميتشيل).

كان «كابوس الشيطان»- The Devil's Nightmare (١٩٧١- «أطول ليالي الشيطان») فيلم رعب عصري رخيص على الرغم من كونه مؤثراً قام بإخراجه جان بريزميه وكتب الموسيقى التصويرية له أليساندروني. يجد سبعة أشخاص، ضموا في صفوفهم كاهناً متدرباً، يسافرون على متن حافلة، أنفسهم، وقد تقطعت بهم السبل، في قلعة البارون فون رونبرغ (جان سيرفيه) المضطربة. تحول الفاتنة الغامضة ليزا مولر (إيريكا بلان) نفسها إلى شيطان مخيف أخضر الوجه وتضع على شفتيها أحمر شفاه أسود وترتدي ملابس سوداء كاشفة، وتخضع الجميع لسحرها. كانت كل ضحية من ضحاياها السبع تمثل واحدة من الخطايا السبع المميتة- يعلق الطعام، على سبيل المثال، في حلق رجل بدين شره فيختنق حتى الموت. غير أننا نكتشف في نهاية المطاف

أن هذه الجرائم لم تكن سوى حلم مروع- أو «كابوس الشيطان»- عاشه الكاهن الذي يقرر في نهاية المطاف البقاء مع ليزا، في حين يستقل زملاؤه الحافلة. غير أنهم يقتلون عندما تخرج حافلتهم عن طريق جبلي عندما كان السائق يحاول تجنب الاصطدام بسيارة لدفن الموتى يقودها «شيطان» مهزول ذو أسنان ناتئة (دانيال إيميلفورك).

أما فيلم «خناق فيينا»- The Strangler of Vienna (١٩٧١) لغيدو زورلي، فيمكن اعتباره واحداً من أفلام كوميديا آكلي لحم البشر. تجري أحداث الفيلم في عام ١٩٣٠ حين يتم تخريج الجزار البدين أوتو ليمان (فيكتور بوونو) من مصح للأمراض العقلية. غير أنه سرعان ما يخنق زوجته هانا (كارين فيلد). وبسبب التضخم الذي كان سائداً في تلك السنوات والنقص الشديد في توريدات اللحوم، يقرر أوتو تنفيذ خطة كانت جثة زوجته وآلة صنع المقانق جزءاً لا يتجزأ منها. هكذا تصبح المقانق اللذيذة التي يصنعها أوتو حديث مدينة فيينا التي تختفي نساؤها بالتدريج. لكن بريثا (فرانكا بوليسيلو)، التي كانت آخر السيدات اللواتي ملأ لحمهن أكياس مقانق أوتو، نجحت في تنبيه الشرطة إلى ما يجري عندما دست خاتماً وأزراراً في المقانق التي كانت مخصصة لقسم الشرطة. صور الفيلم في استديوهات دي باوليس في ميلانو وفي مواقع في مدينة فيينا نفسها، بما في ذلك القطار الأفعواني (في مدينة ملاهي براتار) وفي حدائق قصر شونبرون. لعب براد هاريس دور صحفي التحقيقات مايك لورينغ. وكانت الموسيقى التصويرية التي كتبها أليساندروني أجمل ما في الفيلم وتضمنت مقطوعات مختارة لأنطون كاراس.

بافا ينهض من جديد

بعد سلسلة من أفلام الوسترن والأفلام الكوميدية والخيال العلمي، عاد بافا من جديد إلى النوع السينمائي الذي صنع شهرته مع فيلم «دم البارون»- Baron Blood (١٩٧٢). يصل بيتر كلايست (أنطونيو كانتافورا) إلى فيينا

لزيارة منزل أجداده الذي يدعى «قلعة الشيطان» والذي كان أوتو فون كلايست يعذب ضحاياه فيه منذ ثلاثمائة عام. كانت القلعة، في ذلك الوقت، قد تحولت إلى فندق، لكن بيتر ينجح، بمعونة طالبة التاريخ إيفا أرنولد (إيلكه سومر)، في إحياء البارون بقراءة تعويذة قديمة، فيعود من جديد إلى حصد الضحايا الذين كان منهم السيد دورتموند (ديتر تريسلر) مطور الفندق وفريتز (لوشيانو بيغوتسي) مديره. وكان رجل مقعد اسمه ألفريد بيكر (جوزيف كوتن) قد اشترى القلعة في مزاد علني. وأخيراً، ينجح بيتر وإيفا، بمساعدة عم بيتر البروفسور كارل هومل (ماسيمو جيروتي) وعالمة الفلك كريستينا هوفمان (رادا راسيموف) في كسر اللعنة. إذ تستحضر كريستينا، في طقس نفذته على ضوء المشاعل، روح الساحرة إليزابيث هولي (لعبت دورها راسيموف نفسها)، في حين تحيي إيفا ضحايا البارون باستخدام تميمة- لأن ضحايا البارون وحدهم قادرون على قتله.

صورت قلعة فيلم «دم البارون» في الفترة الممتدة من أيلول إلى تشرين الثاني من عام ١٩٧١ في بلدة كروزنشتاين في النمسا وهي بلدة تقع في وادي الدانوب الأسفل وتضم حصناً فيه أبراج وسقوف أردوازية وفتحات لإطلاق النار وقناطر. وقد كان هذا الفيلم، بالذات، هو الذي كرس سومر ملكة لأفلام الرعب. إذ لم يكن أحد سواها قادراً على إبداء ردات الفعل التي تبديها سومر - نظرة مرتاعة، رعشة شديدة يليها صراخ كفيل بتحطيم الزجاج. ولا شك أن الاستديو الذي تمت فيه عمليات الدوبلاج قد ارتعش، بدوره، بسبب التنانير القصيرة المبهرجة والسترات الضيقة والمطرزات والأوشحة والملابس الصوفية المطرزة بطريقة غريبة التي حرصت على ارتدائها. أما البارون فقد كان شخصية كابوسية بحق بقبعته ذات الحواف العريضة ويديه المحروقتين والمجعدتين ووجهه الشاحب. صمم المكياج كارلو رامبالدي ونفذه رجل المؤثرات الخاصة فرانكو توتشي. تظهر غريتشن (نيكوليتا إيلمي)، ابنة البارون، وهي تنطط كرة بطريقة تذكرنا بفيلم «اقتلي يا صغيرتي... اقتلي!».

أما مطاردة البارون لإيفا في الشوارع التي يكتنفها الضباب، فقد أبرزت باف في أروع تجلياته. جرت أحداث الفيلم، في نسخته الإيطالية، في قلعة نورمبرغ في ألمانيا، وكانت النسخة الأمريكية، التي حملت اسم «دم البارون»، أقصر بثماني دقائق وعزفت فيها موسيقى تصويرية كتبها ليس باكستر بدلاً من مقطوعة المقدمة الأنيقة التي وضعها ستيلفيو شيبرياني بأسلوب البوب الأوروبي (تشبه موسيقى أغنية لتوم جونز عنوانها It's Not Unusual). أما الملصقات الترويجية للفيلم، فقد أبرأت المنتج من أية مسؤولية عن السكتات الدماغية والنزيف الدماغي والنوبات القلبية وحالات الإغماء التي يمكن أن تصيب المتفرجين.

مدفوعاً بالنجاح الذي حققه فيلم «دم البارون»، مول المنتج ألفريدو ليونيه فيلماً آخر حمل اسم «ليزا والشرير»- Lisa and The Devil (١٩٧٢) الذي يعتبره الكثيرون جوهرة التاج في أعمال بافا. تجري أحداث الفيلم في مدينة طليطلة حيث تنفصل السائحة ليزا راينر (سومر) عن صديقتها كاثي (لعبت دورها كاثي ابنة ليونيه) وتتوه في شوارع المدينة الخلفية لكنها تنجح في الالتحاق بزوجين ثريين هما فرنسيس ليهار (إدواردو فاخاردو) وزوجته صوفي (سيلفيا كوسينكا) وسائقهما جورج (غابرييل تينتي). تتعطل سيارة الباكارد الفارهة في الطريق فيلجؤون إلى فيلا تقطنها كونتيسة عجوز (أليدا فالي) وابنها ماكسيمليان (أليسيو أورانو) وخادمهما لياندرو (تيلي سافالاس) الذي يشبه إلى حد كبير الشيطان في لوحة جدارية معلقة في ساحة طليطلة. يظن ماكس أن ليزا هي في الواقع إيلينا، عشيقة كارلوس، زوج أمه، الذي يتبين أنه على قيد الحياة بعد أن كانت التحضيرات لجنازته تجري على قدم وساق.

نفذ شيشيليو بانياغوا عمليات التصوير. واستغرق تصوير الفيلم الفترة الفاصلة بين أيلول وتشرين الثاني من عام ١٩٧٢ في مواقع في مدينة طليطلة وفي فيلا تقع خارج مدينة مدريد (اللقطات من الفيلم التي تجري

خارج الدارة الفخمة) وفي مطار برشلونة وفي فيلا فراسكاتي وفاليريا. خص كارلو سافينا الفيلم بموسيقى رشيقة وحالمة (بيانو وآلات وترية ترافق مغنية السوبرانو إيدا ديلورسو) صاحبت شارة الفيلم المفعمة بالحيوية. يقدم فيلم «ليزا والشرير» للمشاهد تجربة متابعة غريبة من حيث كونه فيلماً كابوسياً يحفل بالتفكك وغياب المنطق مع كونه، في الوقت نفسه، فاتناً ومخيفاً ومنحرفاً. تشهد الفيلا سلسلة من الميتات الدموية تمنع ليزا من مغادرتها. إذ يتعرض جورج للطعن في رقبته باستخدام مقص ثم يدهس فرنسيس بسيارة الباكارد وتهشم جمجمة صوفي ويطعن ماكس والدته. تلتقي ليزا بليناردو وهو يحمل تمثالاً من الشمع يمثل كارلوس (يحل محله في بعض اللقطات الممثل إيسبارتاكو سانتوني) ويرتب بافا جثث الزوجين ليهار وجورج وكارلوس وإيلينا على شاكلة لوحة العشاء الأخير لدافنشي. يحاول ماكس العنين ممارسة الحب مع ليزا الواقعة تحت تأثير دواء مخدر في سرير ضخم بجوار الهيكل العظمي لإيلينا في مشهد تجري أحداثه على إيقاع الحركة الثانية لكونشيرتو أرانخويز لخواكين رودريغو. ثم تستيقظ ليزا من غيبوبتها كي تجد نفسها وحيدة في الفيلا الخربة التي نمت حولها نباتات برية متشابكة وبدا أن سكانها قد هجروها منذ زمن بعيد. تستقل ليزا طائرة بوينغ ٧٤٧ تابعة لشركة TWA عائدة إلى وطنها لتجد أن ركاب الطائرة كانوا، في الواقع، الأشخاص الذين كانت قد تركتهم جثثاً هامدة في الفيلا، في حين لم يكن الطيار سوى ليناردو نفسه. كان الخادم تيلي سافالاس أغرب ما في الفيلم حتى في ظل وجود ظواهر نفسية شاذة مثل قتل الأم والانجذاب الجنسي إلى الجثث. فقد وضع بافا في فم سافالاس مصاصة رافقته طيلة الفيلم، واحتفظ بها فيما بعد في سلسلة كوجاك التلفزيونية الشهيرة (١٩٧٣-١٩٧٨) حتى أصبحت ماركة مسجلة باسمه.

وفي عام ١٩٧٣، رفض معظم الموزعين عرض فيلم «ليزا والشرير» على الرغم من أنه عرض في مهرجان كان. هكذا جرى العرض التجاري

الوحيد للفيلم في إسبانيا. سعى ليونيه إلى الاستثمار في النجاح الذي حققه فيلم «طارد الأرواح»- The Exorcit (١٩٧٣)، فأعاد استخدام لقطات من فيلم بافا في «بيت طرد الأرواح»- The House of Exorcism (١٩٧٥). صور ليونيه الفيلم مع بافا وسومر في مستشفى مهجور في روما واستغرق التصوير ثلاثة أسابيع ونصف. يستولي الشيطان (سافالاس)، في فيلم ليونيه المتحول، على ليزا أثناء زيارتها لطليطلة فتنقل إلى المستشفى حيث يحاول الأب مايكل (روبرت ألدا) طرد الشرير منها. عند هذه النقطة، يتم إدخال بعض المشاهد العائدة إلى خبرات عاشتها ليزا في دارة مسكونة. يزور الأب مايكل الفيلا (التي صورها بافا في فيلا فراسكاتي) كي يمارس طقس طرد أرواح مبهر وعاصف مليء بحرق الأناجيل والأفاعي الطائرة.

أما المشاهد الجديدة التي صورت في المشفى فكانت بالغة الفظاظة، حيث تتلوى سومر في فراشها وتهاجم الطاقم الطبي وتتقيأ مادة خضراء لزجة وتصرخ بكلمات بالغة البذاءة. كما تميز الفيلم بالعديد من مشاهد العري المجاني كان أهمها ذلك المشهد الذي تتخذ فيه ليزا شكل آنا العارية (كارمن سيلفا)، حبيبة الأب مايكل المتوفاة. وعندما قام ليونيه بتجميع فيلم «بيت طرد الأرواح»، أضاف إليه مشاهد من فيلم «ليزا والشيطان». كان فيلم «بيت الأشباح» من ذلك النمط الرخيص من أفلام الرعب الإيطالية الذي شاع في السبعينيات والثمانينيات واعتمد أسلوب إثارة الاشمئزاز في نفوس المتفرجين. إذ لم يحسب الفيلم أي حساب للذائقة السليمة على الرغم من أن ليونيه كان ماهراً تماماً في إدارة أعماله: فقد حصل على خمسة ملايين دولار عند توزيع الفيلم في الولايات المتحدة عام ١٩٧٦. كما عرض الفيلم في إيطاليا عام ١٩٧٥ ابتداء من شهر نيسان وأشارت التيترات إلى أن مخرج الفيلم هو ميكي ليون (طلب بافا حذف اسمه). والواقع أنه كان هنالك شيء من السخرية المريرة في استخدام رائعة بافا في ردم ثغرات مهرجان للتقيؤ نجح بصورة بالغة القسوة في طرد شبحي بربارة ستيل وإيلكه سومر.

أضفى السينمائيون الإيطاليون على سينما الرعب طابعاً من الأناقة والتميز. وعلى الرغم من أن بعض الأفلام التي صنعوها لم تكن مرعبة بحق، إلا أنها كانت رائعة- بدت كأنها خارجة لتوها من صفحات إدغار ألان بو. ذكرت ستيل في عدد من المقابلات الصحفية أنها لم تستطع أن تفهم تماماً كيف انتهى الأمر بروما، التي كانت تعيش في بداية الستينيات أجواء من التفاؤل الطاغي، إلى إنتاج أفلام رعب. إن إيطاليا هي بلاد الشمس، بالطبع، لكنها، كذلك، بلاد عاشت تاريخاً مضطرباً - وقد يكون هذا التاريخ الذي يعيش في الظل هو ما أوحى بهذه الأفلام الجنائزية. كان بافا قد قال ذات يوم: «لدينا الشمس المتوسطية القادرة على طرد كل الظلال». لكن الشمس تستمر أحياناً في كبد السماء مدة طويلة تهدد الظلال بصورة جدية.



الفصل الخامس

حرب العوالم

الخيال العلمي والحقائق

على العكس من الأفلام الأمريكية التي تتناول الكوارث النووية أو أفلام الخيال العلمي اليابانية التي غالباً ما نشاهد فيها وحوشاً مطاطية غير مقنعة أو الأفلام البريطانية الكئيبة مثل سلسلة أفلام «كواترماس» أو فيلم «الملعون» (١٩٦١)، حفلت أفلام الخيال العلمي الإيطالية بالحيوية والألوان والأضواء والنجوم والمركبات الفضائية الغريبة. وقد استخدم المخرجون في هذه الأفلام مجموعة من الخدع لخلق هذه العوالم الكونية، لكن الضباب الكوني كان أكثر العناصر أهمية وظهوراً في الخيال العلمي الإيطالي لأنه كان يلف الديكورات ويساعد على خلق أجواء شيطانية منذرة بوقوع الأسوأ في الوقت نفسه الذي يساعد فيه على سد الفجوات التي يمكن للموارد المالية غير الكافية أن تخلقها.

الانفجار الكبير: أفلام الخيال العلمي الإيطالية الأولى

كان فيلم «اليوم الذي انفجرت فيه السماء»- The Day The Sky Exploded (١٩٥٨) لباولو هوش أول أفلام الخيال العلمي الإيطالية الهامة، وقد قام بافا بتصويره بالأبيض والأسود. يقود جون ماكلارين (بول هوبشميدت) الصاروخ XZ الذي يعمل بالطاقة الذرية في مهمة تستغرق ستة أيام انطلقت من قاعدة كيب

شارك في أوستراليا. يفقد ماكلارين السيطرة على مركبته بسبب قوى غامضة فيغادر السفينة (تهبط حجرة النجاة على شاطئ تور كالدارا الذي تم تقديمه بوصفه أستراليا). أما المركبة فهامت على وجهها دون ربان يتحكم بها وقد صارت سلاحاً ذرياً. تلتقط محطة كيب شارك انفجاراً وقع في منطقة الكويكب دلتا وتبدأ الحيوانات بالفرار منبئة بحدوث أمواج مدية وفيضانات وشيكة، في حين يؤكد الدكتور فيسيه (إيفو غاراني) أن مجموعة من النيازك تتجه إلى كوكب الأرض. يشبه فيلم هوش أفلام الدرجة الثانية الأمريكية التي تدعى B-movies ولاسيما من حيث غرفة التحكم الرخيصة والمراسلون الصحفيون المصابون بحالة من الإثارة المفرطة والممثلون الذين لا أسماء لهم. تدور في الفيلم حبكات فرعية تتناول العلاقة المتكلفة بين ماكلارين وزوجته ماري (فيوريلا ماري) وابنه دينيس (ماسيمو زيبيري) وقصة حب بين اثنين من الفنيين: بيتر المتملق (داريو ميكائيليس) وكيتي الخجولة (مادلين فيشر). تم تصوير الفيلم برمته تقريباً في ديكور وحيد: غرفة التحكم في كيب شارك والمخابر الملحقة بها. ظهرت في الفيلم مجموعة متنوعة من الكوارث الطبيعية (فرار جماعي للحيوانات، مدن مشتعلة وحرائق غابات) كانت مأخوذة من مصادر أخرى، تماماً كما هي الحال مع مشاهد انطلاق الصاروخ. أما حال الطوارئ التي عاشها كوكب الأرض، فقد تم التعبير عنها من خلال شرائط إخبارية تتحدث عن حالات ذعر جماعي وقوافل من النازحين بدا وكأنها مأخوذة من الحرب العالمية الثانية.

اقتبس فيلم «كالتيكي- الوحش الخالد» - Caltiki- The Immortal Monster (١٩٥٩) من أسطورة مكسيكية قديمة وهو من الأفلام الإيطالية النادرة التي تتحدث عن مخلوق متوحش- «عملاق يدب ويسحق كل ما يقف في وجهه» و«مخلوق بروتوبلازمي آكل للبشر»، كما يقول الشريط الترويجي للفيلم. تنتهك مجموعة من علماء الآثار في المكسيك حرمة هرم صحراوي غامض يعود إلى حضارة المايا، فيهاجم المخلوق المتوحش كالتيكي أحدهم وهو ماكس غونتر (جيرارد هيرتر)، الذي يتسبب مجرد لمسه لهذا المخلوق بتآكل جلد ذراعه. وفي مدينة مكسيكو، وفي

حين كان مذنب مشع يقترب من كوكب الأرض، تنمو عينة من مخلوق الكالتيكي أحضرها العلماء معهم وتتحول إلى كتلة هائلة، في الوقت الذي يفر فيه ماكس المضطرب عقلياً من المستشفى. ثم يفترس الكالتيكي ماكس قبل أن يقضي عليه جنود مكسيكيون مدججون بالدبابات وقاذفات اللهب. وعلى الرغم من أن الفيلم نسب إلى المخرج ريكاردو فريدا، فإنه كان في الواقع التجربة الإخراجية الأولى للمصور السينمائي ماريو بافا. يذكر من الممثلين الذين شاركوا في الفيلم كل من جون ميريفيل ودانييلا روكا وأرتورو دومينيشي وجياكومو روسي ستيوارت، في حين وضع روبرتو نيكولوزي ورومان فلاد الموسيقى التصويرية.

تبنى فيلم «مصاص دماء العصر الذري» - Atom Age Vampire (١٩٦٠) لأنطون جيوليو ماخانو سيناريو عالم مجنون يقوم بعمليات ترميم وجه جراحية. إذ تصاب راقصة التعري جانيت مورنو (سوزان لوريه) بتشوهات في وجهها نتيجة تعرضها لحادث سيارة فيعالجها البروفسور ألبرت ليفين (ألبرتو لوبو) ومساعدته مونيك (فرانكا باريزي) بمصل لتجديد الشباب لم يتم اختباره من قبل. لكن تأثير المصل لا يستمر إلا لفترة قصيرة وكانت ديمومته تقتضي الحصول على مورثات نسائية طازجة. وكان هنالك كذلك مصل آخر ذو تأثيرات جانبية. إذ يحول هذا المصل البروفسور ليفين إلى سيدوك وهو مخلوق مستذئب شرس. يجوب ليفين شوارع المدينة التي يعمها الضباب بهذه الهيئة ويقتل النساء مستخدماً إياهن من أجل إدامة جمال جانيت. ويستمر الأمر على هذه الحال إلى أن يحاصره عشيقها بيير (سرجيو فانتوني) والمفوض بروشار (إيفو غاراني). صنع الفيلم بطريقة مبتذلة إجمالاً على الرغم من موسيقى أرماندو ترافاجولي الغريبة والأداء المتقن لروبرتو برتيا بدور ساشا، تابع ليفين الأبكم. ويعتبر فيلم «مصاص دماء العصر الذري» مزيجاً من الرعب والخيال العلمي. إذ كان البروفسور ليفين قد درس طرق علاج البشرة التي استخدمت في هيروشيما بعد إلقاء القنبلة الذرية عليها، فاستخدم الإشعاع الذري في علاج جانيت وفي العودة بنفسه من هيئة سيدوك إلى حالته الأصلية. ترتاب الشرطة في أن سيدوك هو، في الواقع، واحد من ضحايا

هيروشيما، أي إنه «مصاص دماء من العصر الذري». استخدمت تقنية الستوب موشن في تصوير التحول الذي يطرأ على ليفين من خلال إضافة طبقات جديدة من الشعر ومساحيق التجميل مع كل لقطة إضافية. والواقع أن تقنية الستوب موشن أثبتت فعاليتها في العديد من أفلام الرعب الكلاسيكية.

كواكب متوحشة: أنطونيو مارغريتي

كان المخرج أنطونيو مارغريتي من رواد أفلام الخيال العلمي الإيطالية، وقد عمل في أفلام كثيرة تحت الاسم المستعار أنطوني داوسون أو أنطوني م. داوسون. وكان مارغريتي قد أرسى قواعد أفلام الخيال العلمي مع الفيلم الملون «المهمة: الفضاء الخارجي»- Assignment: Outer Space (١٩٦٠- «رجال الفضاء») الذي صوره في غضون أربعة أسابيع وبكلفة إجمالية بلغت أربعة وعشرين مليون لير إيطالي. تبدأ أحداث الفيلم في السابع عشر من كانون الأول عام ٢١١٦ حين يستقل المراسل الصحفي راي بيترسون (ريك فان نوتر) من صحيفة "أخبار الكواكب" النيويوركية السفينة الفضائية برافو زولو ٨٨ لتغطية مهمة فحص روتيني للتسرب الإشعاعي من المجرة غالاكسي م-١٢ التي تبلغ مدتها عشرة أيام. يلتقي بيترسون، في قمر صناعي مأهول، بالملاحة لوسي ويتشاجر مع قائدها جورج (ديفيد مونتريسور). يباشر الطاقم مهمة سرية للغاية تهدف إلى الكشف عن المصير الذي آلت إليه المركبة الفضائية ألفا تو التي لم تكن تستجيب للاتصالات اللاسلكية. تتجه البعثة إلى كوكب الزهرة كي تكتشف أن السفينة ألفا تو كانت في طريقها إلى كوكب الأرض وقد مات ربانها، وخلقت مولداتها الفوتونية حقل قوة مرتفع الحرارة كفيلاً بتحويل كوكب الأرض إلى «كتلة من الطين الذي يغلي». يرسل الربان آل (أرتشي سافاج) صاروخاً ذرياً باتجاه المركبة ألفا تو، لكنه ينفجر قبل أن يصل إليها. ثم ينجح بيترسون في الهبوط على متن المركبة وتدمير عقلها الإلكتروني. عانى الفيلم من مستوى أداء هابط ومن حبكة مفككة تصعب متابعتها. وتضمنت المؤثرات الخاصة مشهداً يتم

فيه تزويد سفينة فضائية بالوقود وحماماً من الكويكبات وسير بيترسون في الفضاء عبر حقل نجمي متجهاً نحو أحد الأقمار الصناعية وارتطام حطام سفينة بالقمر فوبوس. وقد أفصح هبوط المركبة برافو زولو ٨٨ على سطح التابع فوبوس، وهو كوكب سديمي بركاني حار، عما في جعبة سينما الخيال العلمي، في حين استخدم مارغريتي القاعدة الفضائية في كوكب الزهرة (نموذج مصغر)، بقبتها الزجاجية الإهليلجية ومواقع إطلاق الصواريخ والمقذوفات، في أفلام أخرى. تشبه السفينة الفضائية ألفا تو محقنة علقت فيها بالونات. أما رواد الفضاء، فيطلقون شتائم نسمعها عادة في أفلام الدرجة الثانية (من شاكلة "بحق كل حلقات زحل")، على الرغم من أن الخوذات الفضائية التي يعتمرونها والتي تشبه المصابيح الكهربائية سهلت إلى حد كبير عمليات الدوبلاج.

يكتشف العلماء، في فيلم «معركة العوالم»- Battle of The Worlds (١٩٦١) لمارغريتي، كوكباً يتجه نحو الأرض، على الرغم من قناعة البروفسور بنسون (كلود راينز) الراسخة أنه سوف يخطئها. وقد أثبتت الأحداث أنه كان محقاً حين يبدأ الكوكب في الدوران حولها. يطلق بنسون على هذا الكوكب القادم من نظام شمسي آخر اسم «المتطفل»، ويبلغ اللجنة المتحدة أنه يجب تدمير هذا الطفيلي. يرسل كوكب الأرض فريق استكشاف، لكن الأطباق الطائرة التي كانت تنطلق من «المتطفل» تدمره. يتسبب «المتطفل» بنوبة ذعر عالمية وثورانات بركانية وحرائق وزوابع وأعاصير (كانت كلها لقطات من مصادر أخرى)، فيدمر بنسون الأطباق الطائرة مستخدماً أمواجاً صوتية ثم يهبط على سطح «المتطفل»، فيكتشف كهفاً مليئاً بجثث، لها شكل حشرات، لمجموعة من «الهاربين من عالم يحتضر»- وقد استحال طود نوح الذي أنقذهم، في بادئ الأمر، «قبراً لهم». يحدد بنسون مكان عقل الكوكب الإلكتروني ويدرك، بعد فوات الأوان، أنه يستطيع أن يحول مساره. إذ يتداعى الكوكب أمام عينيه قبل أن تجعله الصواريخ المنطلقة من كوكب الأرض أثراً بعد عين.



فيلم نبوئي يسبق عصره بمائة عام: الملصق الأمريكي لفيلم الخيال العلمي «معركة العوالم» (١٩٦٠) لأنطونيو مارغريتي الذي يتهدد «المتطفلون» فيه كوكب الأرض

كانت حبكة فيلم «معركة العوالم» رائعة وكذلك كان تنفيذه. إذ كانت الخدع التصويرية التي اعتاد مارغريتي على تنفيذها قد تطورت كثيراً. وعلى الرغم من ذلك، كانت الأطباق الطائرة فقيرة وكذلك حزم الليزر الأبيض التي كانت تنطلق خلال المعركة الجوية، لكن الديكور بشكل عام، بدءاً بمختبر البروفسور المليء بالأزهار مروراً بالشاشات التي تملأ قاعة المؤتمرات وصولاً إلى المعالم الكهفية لكوكب «المتطفل» الغاطسة باللون الأحمر، ساعد بدرجة كبيرة على دفع القصة إلى الأمام. كانت المشاهد الافتتاحية للفيلم التي تصور المرصد الموجود على إحدى جزر كوكب الأرض غريبة للغاية حيث نشاهد العالمة إيف بارنيت (مايا برنت) تهبط درجات من الحجر الكلسي إلى الشاطئ حيث كان زميلها العالم فريد ستيل (أومبرتو أورسيني) يسبح (كانت الحبكة الفرعية التي تتمحور حول قصة الحب المتأرجحة التي جمعتهما نقطة الضعف الرئيسية في الفيلم). ترافق هذا المشهد موسيقى طليعية رائعة كتبها ماريو ميلياردي ينوح خلالها صوت أنثوي بأبيات شعر مشوهة نميز منها عبارة «المتطفل آت!». يذكر من الممثلين الذين شاركوا في الفيلم بيل كارتر بدور القائد المريخي بوب كول وكارول دانيل بدور زوجته كاثي وجاكلين ديرفال بدور «الأرملة السوداء» الغامضة السيدة كولينز وكارلو دانجيلو بدور الجنرال نافد الصبر فاريك وماسيمو ريغي بدور الربان لويس بويد في حين حاول نجم المستقبل جيوليانو جيما لفت الأنظار إليه من خلال الدور الصغير الذي جسد فيه شخصية الفني موارن. كما ظهر كلود راينز، الذي كان في ذلك الحين قد بلغ الثانية والسبعين من عمره، في واحد من آخر الأفلام التي شارك فيها قبل أن يتوفى عام ١٩٦٧. يمضي راينز، بدور البروفسور العجوز، «المتطفل» السرمدي، بنظارته السميكة والسيجار الذي لا يفارقه، الفيلم في الشكوى من الأشخاص النافذين في الحكومة وفي الكفاح المستمر لطلب العلم: «ما أهمية الحياة إن لم تكن تعني أن نعلم؟» يتساءل البروفسور.

تابع أنطونيو مارغريتي إنتاج الأفلام العلمية المبدعة التي تنبض بالحيوية: «حرب الكواكب» (١٩٦٦)، والجزء الثاني منه «الكوكب المتوحش» (١٩٦٦)، «حرب بين الكواكب» (١٩٦٦) و«شياطين الثلج» (١٩٦٧). لعب طوني راسل دور البطولة في الفيلمين الأولين بشخصية القائد مايك هالستيد ولعب جياكومو روسي ستيوارت دور البطل في «حرب بين الكواكب» و«شياطين الثلج». وقد صورت هذه الأفلام الأربعة لصالح شبكات التلفزة الأمريكية (أنتجت شركة MGM الفيلمين الأولين) باستخدام طاقم الممثلين نفسه والديكورات نفسها خلال اثني عشر أسبوعاً.

كان فيلم «الكوكب المتوحش» - The Wild, Wild Planet مزيجاً من فيلم بوليسي مستقبلي وفيلم رعب وفانتازيا. على متن محطة الفضاء غاما وان، يرتاب القائد هالستيد في أن البروفسور نورمي (ماسيمو سيراتو)، الذي يعمل لصالح شركة CBM الدوائية، يجري تجارب مميتة على البشر، في حين كان الناس في كوكب الأرض، بمن فيهم الجنرال فاولر (إنزو فييرمونتيه)، يختفون دون أن يتركوا خلفهم أثراً. تقبل صديقة مايك، الملازم كوني غوميز (ليزا غاستوني)، دعوة نورمي لقضاء عطلة في ديلفوس التي تقع فيها منشأة أبحاثه. وفي مقر «قيادة الفضاء الديمقراطية المتحدة»، يكتشف مايك أن ضحايا عمليات الخطف كانوا يشحنون، في الواقع، إلى ديلفوس لصالح تجارب نورمي.

كان فيلم «الكوكب المتوحش» متوحشاً بحق. فعلى الرغم من أن النماذج المصغرة لمحطات الفضاء والمركبات الفضائية وعاصمة الأرض التي استخدمها مارغريتي في كل أعماله لم تكن واقعية، إلا أن الأزياء المستقبلية (بيرنيس سبارو) والماكياج (أوكليد سانتوليس) والتصوير المتقن كانت متعة للنظر، بدءاً بالسيارات الفضائية الرشيقة والمقببة التي كانت تجوب طرق الأرض السريعة إلى الديكورات الداخلية (صممها بييرو بوليتي في استديوهات دي باوليس) والمعدات المدهشة (كالبنادق القاذفة لأشعة الليزر). كما كتب أنجيلو لافانينو موسيقى تصويرية مناسبة لأجواء الفيلم كانت مزيجاً من سمفونيات فضائية

ممتعة وطقطقات حرة. لعب كارلو جيوستيني وفرانكو نيرو دور مساعدي مايك، الملازم كين والملازم جايك. أما فرانكو ريسيل، فجسد شخصية الملازم جيفريز الذي يعمل في المحطة غاما وان، في حين يساعد رجل الأعمال الخطرة غوفريدو أونغر في التحقيقات الجارية على كوكب الأرض كما لعب أومبرتو راهو دور بول ميتلاند، وهو جنرال في قيادة الفضاء الديمقراطية المتحدة يرفض تصديق أن نورمي مذنب.

ارتبطت أكثر مشاهد الفيلم إبداعاً بأنشطة نورمي الشائنة التي كانت تهدف لخلق جنس كامل: تبلغ هذه الأنشطة ذروتها حين يدمج نورمي جسده بجسد كوني. ولتنفيذ عمليات الخطف، كان نورمي يرسل إلى الأرض فرقة من النسوة الآليات المقاتلات بصحبة رجال من مخلوقات الزومبي الصلعاء المتعطشة للدم التي تعتمر قلنسوات وتضع نظارات شمسية وترتدي معاطف مطرية. تكتشف الشرطة أن هذه المخلوقات تتمتع بأربعة أذرع تخفيها تحت المعطف الذي ترتديه وأنها نتاج عمليات التطعيم والدمج التي كان نورمي يجريها. أما وظيفتها فكانت تصغير الأرضيين إلى أحجام صغيرة تسهل نقلها إلى ديلفوس. يروح مايك وطاقمه عن أنفسهم في ملهى ليلي كما يرتادون مسرح بروتيو لحضور عروض فنية تقدمها راقصات يتنقلن على خشبة المسرح برشاقة. يتسلل مايك وفرقته إلى ديلفوس، لكنهم يقعون في الأسر ويشاهدون مساعدي المختبر يحومون حول عربات تنقل قطع خردة (أكف، أذرع، وأعضاء بشرية أخرى). وكان لدى نورمي زنزانة (يدعوها «جحيمي الخاص») مملوءة بكائنات متحولة كانت نتاج تجارب مبكرة وغير ناضجة. يعزم نورمي على تدمير الحاسوب المركزي- يفتح بوابات فتحات التصريف، فتتدفق كميات كبيرة من الدماء من حوض سباحة تغرق المنشأة برمتها بطوفان من البلازما. ثم تصل سفن إنقاذ من كوكب الأرض، فيطلق مايك أكثر الجمل غرابة في تاريخ سينما الخيال العلمي الإيطالية: «دعوا الأمر لميتلاند- فهو سيحرص على تدمير كل شيء».

مركبات وآلهة: بيبلوم الخيال العلمي

ظهر اتجاه آخر في سينما الخيال العلمي تمثل في سلسلة من أفلام السيف والصندل وضعت أبطالها في أجواء مستقبلية تحت أرضية أو أقحمتهم في مواجهة زوار من عوالم أخرى- كان الأمر وكأن هذه الأفلام أعادت صياغة كتاب «عربة الآلهة» لإيريك فو دانيكين، لكن باستخدام عربات حقيقية هذه المرة. لعب غوردون ميتشيل، في فيلم «عملاق متروبوليس»- The Giant of Metropolis (١٩٦١) لأومبرتو سكاربيلي، دور أوبرو الذي يسافر إلى مدينة أتلانتيس عام ٢٠٠٠٠ قبل الميلاد. كان الملك يوتار (رولاندو لوبي)، حاكم مدينة متروبوليس المستقبلية، يجري اختبارات زراعة دماغ لابنه إلموس (ماربيتو). يحيي يوتار والده العجوز إيغون (فوريو مينيكوني) لكن زوجة يوتار، الملكة تيكسين (ليانا أورفي) وابنته الأميرة مرسيد (بيلا كورتيز) تعارضانه. يختبر يوتار قوة أوبرو- يواجه أوبرو عملاقاً نياندرتالياً مسلحاً بهراوة (الممثل العملاق كرونوس) وخمسة أقزام (يحاولون تمزيق جلده بأسنانهم) وحراس يوتار السود (بقيادة أوغو ساسو) بسيوفهم القصيرة ورماحهم ذات الرأس المخلبي. يحرر إيغون أوبرو الذي ينجح في الفرار برفقة مرسيد وإلموس في حين تتداعى مدينة أتلانتيس بطريقة كارثية بعد أن اجتاحتها الفيضانات والهزات الأرضية (تمت الاستعانة جزئياً بلقطات من فيلم «هرقل يفتح أتلانتيس»).

بدا منظر الصحراء البركانية الذي يمثل العالم الخارجي (تم تصويره في جبل إتنا الواقع في جزيرة صقلية) غريباً غرابة الأجواء الشيطانية لمدينة متروبوليس التي صنعت بأسلوب تصوير بافي وموسيقى بيانو وآلات نفخية نحاسية وخشبية ألفها أرماندو تروفاجولي. تم بناء المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس والواجهة الخارجية للقصر في استديوهات أوليمبيا. ويذكر من المناظر الرائعة، التي صنعها جوزيف ناثانسون باستخدام تقنية

المرشحات، مرصد يوتار المثير للإعجاب (بتيليسكوبه العملاق) ومخبر الفنون والعلوم والنوازل الكهفية المتناثرة ومغارة الكوارتز. كما أن آلات صناعة الجليد عملت ساعات إضافية طويلة، دون أدنى شك، من أجل إغراق مدينة متروبوليس بضباب يصل إلى مستوى الركبة. يتعرض أوبرو لاختبار قاس يقوم على وضعه في درب حزم ضوئية محرقة تعمي الأبصار. أما أشقاؤه، فيسفعهم يوتار بأشعة «زوبعة الموت». لكن أوبرو يصارع هذه المعجزات المستقبلية بلحمه الحي وبالسلاح الأبيض.

يروي فيلم «فاتح أتلانتيس» - The Conquerer of Atlantis (١٩٦٥- «مملكة الرمال») لألفونسو بريسكيا قصة مماثلة، حيث يحط كيرك موريس (في آخر مشاركاته في أفلام البيبلوم)، بدور البطل الإغريقي هرقل، رحاله في مصر ويتورط في نزاعات قبلية. غير أن الحبكة تغير مسارها بصورة مفاجئة حين تختطف الأميرة البدوية فيرنا (لوشيانا جيلي) إلى جبال الأموات التي تقع خلفها مدينة الأطياف. هكذا يجد هرقل والأمير كار (أندريا سكوتي) نفسيهما في مدينة مستقبلية يسكنها الناجون من كارثة أتلانتيس ويحكمها رامير (بييرو لولي) الذي غسل دماغ فيرنا وتوجها ملكة. تكمن قوة فيلم «فاتح أتلانتيس»، بلقطاته المبهرة التي صورت في مصر (كان الفيلم إنتاجاً إيطالياً- مصرياً مشتركاً) وراقصاته الشرقيات اللواتي أضفين على الفيلم مسحة محلية، في تبنيه لنموذج قصص المغامرات المصورة فلاش غوردون في تصميم قصر رامير الملكي الذي يجثم على وسادة غازية تقع فوق قمة بركان ينفث دخاناً. يذكر من المناظر الداخلية البارزة في الفيلم قاعة العرش المحدبة وعجلة توربينية وغرف غاز وشاشات تلفزيون، في حين يلوح رامير وزوجته الملكة الشريرة أمينغ (هيلين شانيل) بمسدسي أشعة. يرتدي رامير، بحاجبيه المقوسين ولحيته الخضراء الطويلة المدببة، أثواباً سوداء ويعتمر خوذة كخوذات قبيلة الموهيكان ويتمنطق بحزام شائك، وكانت تحرسه أمازونيات من راميات النبال. أما أتباع رامير، فهم رجال حولتهم تجاربه إلى

أطياف ذهبية لا تموت. وقد كان هؤلاء الرجال، بأثوابهم الضيقة ومآزرهم ذات اللون الأزرق ووجوههم وأيديهم وأحذيتهم الذهبية، أكثر المخلوقات التي ظهرت في أفلام البيبلوم مدعاة للضحك. تندلع معركة طاحنة تدور رحاها في واد صحراوي بين الأطياف الذهبية والمقاتلين البدو (المسلحين بسلاسل ذات كرات ثقيلة) يختتم بها الفيلم.

يصور فيلم «هرقل ضد الرجال القمريين» -Hercules Against The Moon Men (١٩٦٤) لجياكومو جينتيلومو، ما يمكن أن يكون عليه اللقاء بين حضارة قديمة وزوار من الفضاء الخارجي. يستدعى هرقل (ماشيستيه في النسخة الإيطالية، وقد لعب دوره ألان ستيل) إلى مملكة سامار التي تحكمها الملكة المستبدة سامارا (جيني كلير) بالاستعانة بحرسها الشخصي الذي يقوده موغول (غوفريدو أونغر). كان نيزك غامض قد تحطم في جبل سامار وتختبئ مخلوقات قمرية غريبة في أحشاء الجبل فيقدم سكان سامار أطفالهم قرابين في جبل الموت إرضاء للرجال القمريين. توشك سامارا على التضحية بشقيقتها الأميرة بيليس (ديليا دالبيرتي) وكان الرجال القمريون يحتاجون إلى دمائها الطازجة لإحياء ملكتهم سيلينا الأمر الذي سيجعلهم، في حال تحققه، سادة الأرض. لكن هرقل، بمساعدة آغار (حبيبة هرقل التي جسدت آنا ماريا بولاني شخصيتها) والأمير داريكس (جان بيير هونوريه) خطيب بيليس وعصبة من المتمردين، يحبط خطة سامارا ويحمل على الرجل القمري العملاق ريدولفيس (روبرتو شيكاتشي) وجيشه المكون من رجال حجريين يبلغ طولهم ثلاثة أمتار.

بدا ستيل في الفيلم بطلاً نموذجياً في حين لعبت كلير بشعرها الأحمر (تذكرنا بسيلفيا لوبيز في فيلم «هرقل طليقاً») دور نظيرته السلبية. يصارع هرقل قرداً عملاقاً ذا أنياب في حين تحاول سامارا سحقه بين فكي شرك شائك ثم تحاول تخديره باستخدام «مرشح الحب». تم بناء ديكورات الفيلم في استديوهات شينيشيتا وصورت بعض المشاهد في كهوف لاتسيو وفي تور

كالدارا (حين يقود رجال سامارا أرتالاً من الرجال المحكومين بالإعدام إلى جبل الموت). وقد استثمر الفيلم منطقة تور كالدارا إلى أقصى الحدود فصورت لقطات لمداخلها الرملية وشاطئها ورأسها ومنحدراتها والغابات المحيطة بها من كل زوايا التصوير الممكنة. أما الموسيقى التصويرية الملحمية التي كتبها كارلو فرانشي (آلات نحاسية ووترية يرافقها كورس جديد بملحمة فالكيري)، فكانت مشتقة من الموسيقى التي كتبها لفيلم «ماشيستيه في الجحيم». ويمكن أن نذكر من الكوارث التي عرضها الفيلم ارتفاع منسوب المحيط وثورانات بركانية وحمماً متدفقة (لقطات من مصادر أخرى) بالإضافة إلى عاصفة رملية متعددة الألوان (تم تصويرها في الاستديو). وفي الوقت الذي تبدأ فيه دماء بيليس النازفة بإحياء سيلينا، يسحق الرجال الحجريون سامارا وتتم الإطاحة بالدماغ الزمردي الخافق (مركز قوة الرجال القمريين) ويدمر ريدولفيس العملاق وتنهار الكهوف على رؤوس الرجال الحجريين.

الخيال المستقبلي

في الوقت الذي عادت سينما البيبلوم فيه بالخيال العلمي إلى الماضي، فقد ألقى فيلم «آخر الرجال على كوكب الأرض» - The Last Man on Earth (١٩٦٤) على المستقبل نظرة عدمية. كان ذلك الفيلم إنتاجاً أمريكياً إيطالياً مشتركاً تعاون على إخراجه كل من أوبالدو راغونا وسيدني سالكو ولعب دور البطولة فيه فنسنت برايس بدور الدكتور روبرت مورغان، وهو الناجي الوحيد من وباء اجتاح العالم. عند حلول الظلام، يعود مورغان، الذي يبدو للوهلة الأولى أبكمَ، إلى منزله الحصين الذي تهاجمه أعداد كبيرة من مصاصي الدماء. أما في النهار، فيسافر مورغان إلى المدينة بسيارته الشبيهة بالنعش حيث يطعن مصاصي الدماء بالرماح ويرمي جثثهم في مقبرة جماعية دائمة الاتقاد تدعى «الحفرة». تجري أحداث الفيلم عام ١٩٦٨ مع مشاهد صورت بطريقة الفلاش باك تعرض كيف انتشر الوباء في العالم عام ١٩٦٥ عن طريق الهواء وكيف

وقعت ابنته كاثي (كريستي كورتلاند) وزوجته فيرجينيا (إيما دانييلي) وبين كورتمان (جياكومو روسي ستيوارت)، زميله في العمل في معهد أبحاث ميرسر الكيميائي، ضحايا لهذا الوباء. أما الآن، فيقود بين هجوماً ليلياً على منزل مورغان، الذي يكتشف من خلال روث كولينز (فرانكا بيتويا) وجود ناجين آخرين يعملون على بناء مدينة اسمها «المجتمع الجديد» ويرون في مورغان معلماً لهم، إذ تقول له روث: «أنت أسطورة في المدينة». يتسلل الوباء إلى المجتمع الجديد لكن الفيروس يبقى تحت السيطرة بفضل لقاح هو عبارة عن «دم معالج بالصدمة الكهربائية». ينقل مورغان كمية من الدم لإنقاذ روث، لكن سكان المجتمع الجديد يطاردونه ويحاصرونه في الكنسية، فيصرخ مورغان فيهم بينما كانوا يطعنونه بمسمار حديدي قائلاً: «أيها الوحوش، أنا إنسان، الإنسان الوحيد الناجي». ثم نشاهد روث، التي أبلت الآن من مرضها، تقول لطفل تحمله بين ذراعيها: «لا داعي للبكاء. لقد أصبحنا جميعاً بأمان الآن».

اقتبس فيلم «آخر الرجال على كوكب الأرض» من رواية «أنا أسطورة» التي كتبها ريتشارد ماثيسون عام ١٩٥٤. يفتتح الفيلم بلقطات لشوارع مقفرة تنتشر فيها سيارات محطمة مهجورة وأعداد من الجثث. صور الفيلم في مواقع في مدينة روما بما في ذلك درجات قصر المدنية وبرج فونغو المميز بشكله الذي يشبه نبات الفطر والواقع في مقاطعة أور. أدى برايس، بأسلوب ممتاز، شخصية روبرت مورغان (روبرت نيفيل في الرواية)، المنتقم المهووس الذي يجوب شوارع المدينة الخربة بمطارقه وأوتاده ممارساً نشاطه الروتيني النهاري. وعلى الرغم من أنه لم يعد هنالك أي مجتمع في المدينة، إلا أن مورغان يواظب على ممارسة بعض الطقوس. إذ يزور المتجر المحلي الذي تسد مدخله عربات مهجورة (للحصول على بعض الثوم) ومعرضاً للسيارات (كي يأخذ سيارة جديدة). وكان مورغان يعلق على باب منزله ثوماً وصليباً خشبياً ومرايا لرد مصاصي الدماء عنه. أما مناعة مورغان تجاه الوباء، فهي عائدة لكونه تلقى عضة خفاش مصاص للدماء أثناء عمله في بنما، الأمر الذي جعل «جراثيم

مصاصي الدماء» تدخل دمه قبل انتشار الوباء. يشبه مصاصو الدماء بمشيتهم المتثاقلة مخلوقات الزومبي بل إن بعض مشاهد الفيلم بدت وكأنها مشاهد مبكرة من فيلم «ليلة الأحياء الأموات» (١٩٦٨) لجورج روميرو.

تنقل عدسة فرانكو ديلي كولي فيلم «آخر الرجال على كوكب الأرض» إلى مستويات جديدة من الكآبة. يحاول كلب أسود مهزول مرافقة مورغان، فيكتشف أنه مصاب بالمرض ويطعنه بوتد. كانت أولى أعراض الإصابة بالمرض فقدان البصر وهو الأمر الذي دفع مورغان إلى رمي ابنته نفسها في «الحفرة». إذ كان مورغان قد حمل جثمان زوجته في وقت سابق وقام بدفنها في الضواحي. لكن صوتاً ناداه من الخارج، في الليلة نفسها، قائلاً: «دعني أدخل يا روبرت». ففتح الباب كي يجد زوجته التي عادت إلى الحياة تحاول الاعتداء عليه. عمر فيلم «آخر الرجال على كوكب الأرض» مدة طويلة ولا تزال أجواؤه العدمية تحتفظ بالقوة نفسها حتى اليوم.

كان فيلم «الضحية العاشرة» - The 10th Victim (١٩٦٥) لإيليو بيتري فيلم هجاء ساخر للنزعة التجارية التي تنحو إلى تسليع كل شيء وللتلفزيون ولأسلوب الحياة الذي يخلو من العاطفة. وهو مقتبس من قصة قصيرة لروبرت شيكلي بعنوان «الضحية السابعة» ويعتبر علامة مضيئة في السينما المستقبلية الإيطالية. تحول القتل في القرن الحادي والعشرين إلى ممارسة شرعية وصار المتنافسون في بطولة «الصيد الكبير» يطلقون النار في الشوارع بقصد القتل. إذ كان على المشارك في هذه المنافسة الحصول على عشر طرائد - خمس منها بوصفه صياداً، وخمس أخرى بوصفه طريدة، وينال أول الناجحين بجمع عشر ضحايا جائزة المسابقة البالغة مليون دولار ولقب الديكاتون. أما الطرف الآخر في المباراة، أي الضحايا، فيختارهم، بصورة عشوائية، حاسوب موجود في جنيف. بقي أمام المتسابقة الأمريكية كارولين ميريديث (أورسولا أندروز) ضحية واحدة قبل أن تنال لقب البطولة. أما ضحيتها العاشرة، فكانت المتسابق الإيطالي مارشيلو بوليتي

(مارشيلو ماسترورياني بشعر أشقر ناصع). تسافر كارولين إلى روما لاصطياد ضحيتها، لكن الخصمين يصبحان، في خضم المطاردة، متحابين. تنجح كارولين في استدراج طريدتها إلى معبد فينوس الذي يتم فيه تصوير المبارزة التي تنشب بينهما كي تستخدم كإعلان تجاري لراعي المسابقة، شركة «شاي مينغ». لكن أحداً من الخصمين يعجز عن قتل الآخر ويسافر الاثنان على متن رحلة تجارية حيث ترغم كارولين مارشيلو على الاقتران بها تحت تهديد السلاح.

صور فيلم «الضحية العاشرة» في استديوهات تيتانوس أبيا وفي مواقع في روما بما فيها ساحة القديس بطرس والبياتزا نافونا والكولوسيوم ومطار فيوميشينو الدولي. ينضم مارشيلو، في سياق مطاردته لضحيته السادسة، البارون فون أشنبرغ (فولفغانغ هيلينغر)، إلى قداس تقيمه جماعة «عبدة غروب الشمس» على شاطئ أوستيا، قبل أن ينجح في القضاء عليه بتفجير حذاء لركوب الخيل أثناء مهرجان للفروسية كان يقام في ميدان سيينا في ميدان البياتزا دي سيينا الواقع في الفيلا البورغيزية. أما الإعلان التلفزيوني الذي تظهر فيه فتيات استعراض وأكواب شاي راقصة، فينتهي بأصوات إطلاق نار في أطلال معبد فينوس الذي كانت كارولين ومارشيلو يواجهان فيه ليديا (لوتشيه بونيفاسي)، طليقة مارشيلو، وعشيقته أولغا (إيلسا مارتينيلي). لعب ماسيمو سيراتو دور محامي مارشيلو وميلو كويسيدا دور رودي (المعجب بكارولين) وجاك هيلان دور حكم المسابقة. يفتتح الفيلم بمشهد تتعرض فيه كارولين لمطاردة ضحيتها التاسعة (جورج وانغ) في شوارع نيويورك، حيث يلاحقها حتى نادي مازوخ الذي كانت أندروز تقدم فيه رقصة تعر بمايوه بيكيني فضي اللون قبل أن تقتله بمسدس تخرجه من صديريتها. ينتمي فيلم «الضحية العاشرة» الذي أنتجه كارلو بونتي وجوزيف ليفاين إلى فئة أفلام البوب أرت المبدعة بديكوراته التي صممها بييرو بوليتي (الذي عمل لفترات طويلة مع ميكيلانجيلو أنطونيوني) وأزيائه المستقبلية الأنيقة الصادمة التي صممها كولتيلاتشي. أما الموسيقى الطروب، بما في ذلك أغنية «الفالس الحلزوني» التي أدتها مغنية البوب مينا، فقد قدمها بييرو بيتشوني.



«أنا أسطورة»: الدكتور روبرت مورغان (فنسنت برايس) يحارب مصاصي الدماء الذين أصابهم فيروس في فيلم «آخر الرجال على كوكب الأرض» (١٩٦٤)، وهو فيلم إيطالي أمريكي تم إنتاجه في الولايات المتحدة من قبل شركة AIP

النجم الأسود: بافا في الفضاء

حمل فيلم «كوكب مصاصي الدماء»- Planet of The Vampires (١٩٦٥ - "«كوكب الشيطان») لماريو بافا، وهو مزيج من الرعب والخيال العلمي، الكثير من روح الأسلوب المستقبلي الذي يتميز به مارغريتي. تتحرى المركبتان أرغوس وغاليوت إشارات غريبة يبثها الكوكب أورا الغارق بالضباب. تحط المركبتان على سطح الكوكب بعد أن سحبتهما جاذبيته إليه، ويدب الشجار بين أفراد طاقم المركبة أرغوس، إلا أن سرعة بديهة الكابتن مارك ماركاري (باري سوليفان) تنقذهم. لكن ركاب المركبة غاليوت لم يكونوا محظوظين بهذا المقدار - إذ يتم العثور على ماركوري وأفراد طاقمه وقد فارقوا الحياة. هكذا يجد رواد الفضاء أنفسهم عالقين على سطح هذا الكوكب الغريب. وفيما هم على هذه الحال، يعثرون على حطام مركبة فضائية عملاقة. في هذه الأثناء، يعود أفراد طاقم غاليوت إلى الحياة على شكل مخلوقات زومبي وقد استولت عليهم أرواح متطفلة من كوكب أورا، فيهاجمون المركبة أرغوس ويسرقون جهاز طرد النيازك الثمين. تغيب شمس أورا ويحاول رواد الفضاء استدعاء مركبة كي تأخذهم بعيداً. يهاجم طاقم أرغوس المركبة غاليوت ويدمرون السفينة بمن فيها من الأموات الأحياء بالبلوتونيوم قبل أن يغادروا الكوكب.

اقتبس بافا فيلمه هذا من قصة لريناتو بيستينييرو بعنوان «ليلة من إحدى وعشرين ساعة» نشرت في مجلة Interplanet # 3 Science Fiction Magazine. صور بافا الفيلم برمته في استديوهات شينيشيتا التي خلق فيها عالم كوكب أورا المخيف مستخدماً دوامات من الضباب الملون والتشكيلات الصخرية المثلمة والحمم الحارة ومؤثرات صوتية تبعث على الاضطراب حين يزأر البرق الذي تنبثق أضواؤه من قلب الضباب الزاحف. وقد دعم بافا ذلك كله بهدير مولدات وصافرات سونار وانفجارات نيازك وزمجرة رياح، حيث تولى باولو كيتوف مسؤولية خلق كافة المؤثرات الإلكترونية. وقد





كوكب الشيطان: المركبة الفضائية أرغوس تدنو من الضباب الفضائي الذي يلف كوكب أورا في الملصق الإيطالي لفيلم «كوكب مصاصي الدماء» (١٩٦٥) لماريو بافا

استبدلت بعض النسخ التي عرضت في الخارج بموسيقى جينو مارينوتسي الأصلية مقطوعات إلكترونية ألفها كيندال شميدت تتألف موسيقى التيترات الكونية فيها من نغمات سينثيسايزر متعاقبة (تحاكي الأصوات الناتجة عن تدفق البيانات الحاسوبية) وتتخللها أصداء إلكترونية ثاقبة. أما السفينة الفضائية الكبيرة الصدئة بأنوارها الداخلية الحمراء المرتجفة وهياكل أفراد طاقمها العظمية المتهالكة على لوحة التحكم، فتعتبر واحدة من أعظم مخلوقات بافا التي ألهمت فيما بعد ريدلي سكوت في فيلم «الغريب»- Alien (١٩٧٩).

لعبت نورما بينجيل دور سانيا، أحد أفراد الطاقم وأنجيل أراندا دور المهندسة ويس بالإضافة إلى إيفان راسيموف (كارتر) وإيفي ميراندا (تيونا) وماريو موراليس (إيلدون) وستيليو كانديلي (براد) وفرانكو أندريه (بيرت) وفيرناندو فيلينا (الدكتور كاران) وهؤلاء جميعاً هم من أفراد طاقم المركبة أرغوس. أما طاقم غاليوت فكان منهم فيديريكو بويدو (كير) وماسيمو ريغي (الكابتن سالاس) وألبرتو شيفينيني (توبي شقيق ماركاري). صنع أماتو غاربيبي الماكياج المخيف الذي يغطي وجوه الأموات الأحياء، في حين صمم غابرييل ماير بذات الفضاء المستقبلية الضيقة المصنوعة من جلد أسود مع حواف برتقالية. وعلى الرغم من أن الفيلم أطلق على الجثث التي تظهر فيه اسم «مصاصو الدماء الفضائيون» إلا أنَّ هذه الجثث كانت في الواقع مخلوقات زومبي. يفر ماركاري وسانيا وويس على متن المركبة أرغوس، لكن ماركاري وسانيا كانا في واقع الأمر ممسوسين فانعطفا إلى أقرب كوكب كانت «حضارته على قدر كبير من السقم» اسمه كوكب الأرض. وقد حرص بافا، حتى في الفضاء الخارجي، على تصوير مشهد قيامة الأموات بالحركة البطيئة العزيزة على قلبه. إذ يدفن ماركاري وطاقمه رواد فضاء المركبة غاليوت، لكن شواهد قبورهم تتحرك ببطء ويضطرب الضباب الفضائي حولها ويصدر النعش المعدني صوت صرير ويتحرك غطاؤه ببطء وينبثق منه رواد الفضاء الذين يمزقون أكياس الجثث التي كانت تلف أجسادهم قبل أن يتواروا في ليل أورا الدائم.

وسم اقتباس بافا لقصص الرسوم المصورة ديابوليك لحظة بلغت السينما الإيطالية فيها حداً من النشوة جعل فيليني يصنع فيلماً لجيمس بوند. وقد كان فيلم ديابوليك- Diabolik الأول في سلسلة من ثلاثة أفلام أوروبية اقتبست من قصص الرسوم المتحركة عام ١٩٦٨ وأفضلها على الإطلاق. أما الفيلمان الآخران، فهما «ساتانيك»- Satanik و«بارباريلا»- Barabarella. كان فيلما «ديابوليك» و«بارباريلا» حصيلة إنتاج مشترك لشركتين هما: دي لورينتيس (روما) وماريان (باريس). جسد جون فيليب لو (الذي أدى دور الملاك الضرير بيغار في فيلم «بارباريلا») شخصية ديابوليك، وهو لص بالغ المهارة يتقدم على الدوام خطوة واحدة عن مطارده المفتش جينكو (ميشيل بيكولي). تحاول السلطات كل ما في وسعها للقبض عليه، بما في ذلك إعادة إنفاذ عقوبة الإعدام وتخصيص جائزة مقدارها مليون دولار لمن يساعد على تسليمه. تقوم عصابة سيد الجريمة رالف فالمونت باختطاف إيفا كانت (ماريسا ميل)، حبيبة ديابوليك، لكن ديابوليك يحبط خطة فالمونت ويقتله. ثم يسطو ديابوليك على عشرين طناً من سبائك الذهب كانت تنقل على متن قطار في عملية أطلق عليها اسم غولدفان. لكن السبائك كانت، في الواقع، مشعة وهو الأمر الذي يساعد رجال الشرطة على تعقب ديابوليك حتى وكره الواقع تحت الأرض الذي يهزم فيه عندما ينفجر الذهب المصهور محولاً إياه إلى تمثال ذهبي إلى الأبد.

عرض دينو دي لورينتيس ميزانية للفيلم مقدارها ثلاثة ملايين دولار، إلا أن بافا تمكن من إنتاج فيلم «ديابوليك» بمبلغ لم يتجاوز أربعمائة ألف دولار. تم تصوير الفيلم في الفترة الممتدة بين نيسان وحزيران من عام ١٩٦٧ في مصنع شركة فيات في تورينو وفي مواقع في روما وفي المغارة الزرقاء في كابري. كما استخدمت تور كالدارا كي تكون مقراً لقلعة سانت جوست الواقعة على حافة جرف (باستخدام تقنية المرشحات) ولتصوير المشهد الذي يهبط فيه ديابوليك بالمظلة لإنقاذ إيفا من براثن العصابة حيث نصبت الشرطة له فخاً. أما المناظر

الداخلية، فصورت في استديوهات دي لورينتيس في روما. لعب أدولفو شيلي، بطل فيلم «كرة الرعد»، دور فالمونت. والواقع أن مشاهد عملية السطو، التي تجري فصولها تحت سطح الماء (نيكولا باليني) عندما يسحب ديابوليك سبائك الذهب بعيداً باستخدام بالونات قابلة للنفخ ومزلجة نفاثة قادرة على الغوص، تشبه المشاهد تحت الماء في فيلم «كرة الرعد». وعلى الرغم من أن الشرطة تستخدم الطوافات والسيارات والدراجات النارية التقليدية وأن الأزياء المستخدمة تضع الفيلم في فئة أفلام بوب أرت الستينيات، إلا أن التكنولوجيا التي يستخدمها ديابوليك كانت مستقبلية بحق. فعندما يقتحم ديابوليك قلعة سانت جوست لسرقة عقد أكساند الشهير المصنوع من الزمرد، فإنه يتسلق أسوار القلعة على طريقة الرجل العنكبوت مستخدماً محاجم ماصة. ولكي يسرق شحنة من الأموال النقدية مقدارها عشرة ملايين دولار، فإنه يرفع سيارة الرولز رويس باستخدام رافعة لتفريغ السفن ويفر على متن قارب مزود بمحرك وبسيارة جاغوار من الفئة E. كما أنه يدمر جسر لورنس من أجل إخراج القطار الذي ينقل سبائك الذهب عن مساره. وقد كتب بافا وكتاب السيناريو نصاً إبداعياً بارعاً حافلاً بروح الدعابة: إذ يحدث ديابوليك إيفا عن لباسه المقاوم للحرارة قائلاً: «بهذه البذة، أستطيع السباحة حتى مركز الشمس».

صنع بافا في هذا الفيلم سلسلة من المشاهد المميزة صورها أنطونيو رينالدي بألوان مشرقة مستخدماً أسلوب بافا المميز في التقريب والتحريك السوطي للعدسة وغير ذلك من الحركات والابتكارات التي تتميز بها كتب القصص المصورة. ظهر لو في الفيلم بصورة مثالية بتجسيده شخصية ديابوليك فارتدى مجموعة متنوعة من البذات الضيقة والأقنعة اللافتة للنظر صممها كارلو رامبالدي. كما أدت ميل (التي حلت محل كاترين دونوف بعد سحب الدور منها) دور إيفا بالامتياز نفسه. ظهر تيري توماس في الفيلم لفترة وجيزة بدور وزير الداخلية غير الكفؤ ولعب كلاوديو غورا دور رئيس الشرطة وأندريا بوسيتش دور مديرة شركة فيرست إنترناشيونال بنك

الائتمانية وجيوليو دونيني دور الدكتور فيرنييه وآني غوراسيني دور روز (عشيقة فالمونت)، كما ظهر كل من فيديريكو بوادو وتيبيريو ميتري وفولفغانغ هيلينغر كأعضاء في عصابة فالمونت.

كانت الموسيقى التصويرية الفريدة لفيلم «ديابوليك» من أفضل ما كتبه إينيو موريكونيه. فعندما يقود ديابوليك سيارته باتجاه وكره تحت الأرضي، تتخذ ألحان موريكونيه الراقصة- مزيج من السيتار والطبلة والكمان- صورة التقاء عالمين متباعدين هما موسيقى رافي شانكار الهندية وموسيقى الروك أند رول لفرقة فيلفيت أندرغراوند الأمريكية. ويرقص، في النادي الليلي الصاخب الذي يملكه فالمونت، مجموعة من الهيبيين على أنغام ترومبيت تعزف موسيقى الأسيد بوب. ويعلن صرير غيتارات كهربائية عن مقدم ديابوليك، في حين ترافق نغمات غيتار مسعورة المطاردات اللاهثة التي يحفل بها الفيلم. وأدت كريستي أغنية الشارة ذات الألحان الإيقاعية. وتتوالى عملية السطو تحت الماء فصولاً على إيقاع صوت مغنية السوبرانو إيدا ديلورسو وهي تدندن: واه... واه... واه"، وتصدح الطبول والغيتارات الكهربائية، في أبهى اللحظات الموسيقية التي عرفها الفيلم، في معزوفة على شاكلة مقطوعة «حمى الذهب» الشهيرة تجعلنا نتخيل «الجيد» و«السيء» و«القبيح» يؤدون رقصة تويست. تم دوبلاج فيلم «ديابوليك» إلى اللغة الإنكليزية مرتين: حملت النسخة الأولى ذات اللكنة الأمريكية اسم «ديابوليك» وكان اسم اللص فيها يلفظ: ديابوليك، في حين حملت النسخة الثانية ذات اللكنة البريطانية اسم "الخطر: ديابوليك" وكان اسم اللص فيها يلفظ: دايابوليك.

لعب غلين ساكسون دور المجرم الجبار ذي الوجه الذي يشبه الجمجمة في فيلم «كريمينال»- Kriminal (١٩٦٦) لأومبرتو لنزي وصنع بافا نسخة ساخرة منه بعنوان «أريفا دوريليك»- Arriva Dorellik (١٩٦٧) ولعب فيه جوني دوريلي دور القاتل المأجور دوريليك. كما حمل الفيلم كذلك اسم «كيف تقتل ٤٠٠ من عائلة دوبون»- How To Kill 400 Duponts وهو فيلم كوميدي على نسق فيلم «قلوب رقيقة وتيجان»- Kind Hearts and Coronets ويتضمن أكثر

وصلات الملاهي الليلية إثارة في تاريخ السينما الجماهيرية الإيطالية حيث ترقص بيبي إيفا (مارغريت لي) على أنغام أغنية Crash sci-sci patapum!

تبتكر الطبيبة العجوز ذات الوجه المثلوم مارني بانيستر (ماغدا كونوبكا)، في فيلم ساتانيك (١٩٦٨) لبييرو فيفاريلي، مصلاً لتجديد الخلايا («مفتاح الخلود») في مدريد. كان من شأن هذا الدواء تحويلها إلى شابة حسناء، لكنه أطلق كذلك «غرائزها البدائية» من عقالها، فتتجول مخلفة وراءها الجثث، فتقتل تاجر ماس ثرياً (أومبرتو راهو) وتسرق هوية ستيلا ديكستر عشيقة أحد رجال العصابات. تسافر مارني إلى بحيرة جنيف وتقيم في كازينو يقوم على ضفافها يملكه دودو لاروش المحتال (لويجي مونتيني)، حيث يقبض عليها في وقت لاحق المفتش ترنت من سكتلنديارد.

يعتبر فيلم «ساتانيك»، الذي تعززه موسيقى بوسا نوفا مثيرة ألفها مانويل برادا، مزيجاً من قصص الخيال العلمي وسرقة المجوهرات والجاسوسية والاستغلال الجنسي والجرائم الغامضة. أدى أرماندو كالفو دوره بإتقان بوصفه غونزاليس رئيس شرطة مدريد والأمر نفسه ينطبق على خوليو بينيا في دور المفتش ترنت الذي كان يقضي إجازته، في حين بدت كونوبكا المثيرة (المعروفة خارج الأوساط السينمائية بلقب «القطب المغناطيسي») رائعة في دور السيدة القاتلة حيث ارتدت مجموعة من الأثواب المثيرة ساعدتها على البقاء متقدمة خطوة واحدة على رجال القانون. خضعت نهاية الفيلم لمعالجة حسنة حيث تكشف مارني هويتها الحقيقية (كما تكشف أشياء أخرى) لترنت أثناء تأديتها رقصة تعر في كازينو «شي موا» بزي ديابوليكي مثير وقناع على إيقاع البيانو والساكسوفون اللذين كانا يعزفان مقطوعة ستريب بلوز أدتها فرقة جيبي وجيبي. تفر مارني على متن قارب ذي مجذافين لكن مفعول المصل ينتهي فتعود مارني إلى هيئتها السابقة كامرأة عجوز الأمر الذي يسمح لها بالإفلات من قبضة رجال الشرطة. تسرق مارني سيارة دون مكابح من أحد المرائب، لكنها تتعرض لحادث على طريق جبلي، قبل أن تعود مرة أخرى، في خضم الفوضى، إلى هيئتها الفتية.



الملصق الأمريكي لكلاسيكية ماريو بافا الرائعة «ديابوليك» (١٩٦٨)، بطولة جون فيليبس لو بدور معلم الجريمة البارع وماريسا ميل بدور حبيبته الحسناء إيفا

نجوم بلا نجوم: السبعينيات

مضى عقد كامل تقريباً لم تنتج خلاله إيطاليا أي فيلم خيال علمي. لكن النجاح الكبير الذي حققه فيلم «حرب النجوم» (١٩٧٧) على مستوى العالم أعاد إحياء هذا النوع السينمائي من جديد. يرسل إمبراطور النجوم (كريستوفر بلومر)، في فيلم «اصطدام النجوم»- Starcrush (١٩٧٨) للويجي كوزي، المهربين ستيلا ستار (كارولين مونرو) وأكتون (مارجو غورتنر) مع رفيقتهما الشرطية الآلية إيل (جود هاميلتون بزي رجل آلي) للتحقيق في شأن الكونت زارثارن (جو سبينيل) الذي طور آلة الهلاك. تصل ستيلا إلى مكان وجود سيمون (ديفيد هاسيلهوف)، ابن إمبراطور النجوم ويهاجمان معاً محور الشر الذي شكله زارثارن ويدمران كوكبه ديموندیا ويستخدمان تكتيكاً يعرف باسم «صدام النجوم: هجوم البعد الرابع» لمهاجمة مقرات قيادته الموجودة على متن محطات فضائية. صور الفيلم في استديوهات شينيشيتا وكانت المؤثرات الخاصة فيه أعلى بكثير من المتوسط في أفلام الخيال العلمي الإيطالية حيث كانت المركبات الفضائية تنزلق، بسلاسة تخلو من الفأفأة، عبر حقول نجمية مدوية غارقة بالألوان. وعلى الرغم من أن بعض المؤثرات الخاصة التي استخدمت في الفيلم جعلت المركبات الفضائية تبدو وكأنها عالقة في جرم من الحمم البركانية، إلا أن مدافع الأشعة التي كانت تدوي في نهاية الفيلم فاقت كل التوقعات. شكلت الموسيقى التصويرية التي وضعها جون باري رافعة حقيقية للفيلم حيث قدم باري مقطوعات بوندية حافلة بالأبواق والآلات الوترية تتناسب مع أجواء هذه المغامرة العابرة للمجرات.

يفتتح فيلم «صدام النجوم» أحداثه على سفينة فضائية تمر فوق رؤوس المتفرجين (شبيهة بفيلم «حرب النجوم») ونص تمهيدي يقول: «في زمن قبل بدء الزمن، كانت هنالك حياة في المجرات الخارجية». يستخدم أكتون سيفاً ضوئياً، في حين يرتدي أتباع زارثارن جميعاً بذات سوداء تجعلهم يشبهون جنود قوات العاصفة النازيين. يصادف الأبطال أمازونيات جميلات بقيادة الملكة كوريليا

(ناديا كاسيني) وأمازونية آلية عملاقة ومسخين آليين يمتشقان سيوفاً ورجال كهوف يصدرون أصواتاً كأصوات الخنازير. تقبض الشرطة الإمبراطورية على ستيلا متلبسة بالتهريب، فيحكم عليها بالأشغال الشاقة في منجم للراديوم. يعود الفضل بالجماهيرية التي حققها فيلم «صدام النجوم» إلى فتاة بوند السابقة ونجمة شركة هامر الملكة مونرو التي تتبختر في الفيلم بزي سباحة بيكيني وجزمة تصل حتى الفخذين. كما لعب روبرت تيسيه دور ثور، الشرطي المرتد ذي السحنة الخضراء. وفي حين كان يفترض بغورتتر ذي الشعر المجعد وهاسلهوف نجم مسلسل باي واتش المستقبلي أن يكونا هدفاً لعواطف ستيلا، إلا أنها كانت تفضل صحبة إيل. أما إيل التي يؤدي صوتها هاميلتون كامب، فهي مجرد راو للقصة يفسر المفسر باللكنة المتشدقة التي يتميز بها أبناء الغرب الأوسط في الولايات المتحدة. كان أداء بلومر لشخصية إمبراطور الحلقة الأولى للكون إمبراطورياً بحق فأضاف بعداً أخلاقياً إلى سيناريو عديم القيمة.

وعلى الرغم من أن المؤثرات الخاصة تحسنت خلال العقد الذي تلا فيلم «فاتح أتلانتيس»، إلا أن الأعمال التالية التي صنعها ألفونسو بريسكيا في فترة السبعينيات لا يمكن أن تنبئ بهذه الحقيقة. وقد كان فيلم «كوزموس: حرب الكواكب» - Cosmos: War of Planets (١٩٧٧)، أحد أكثر ملاحمه الفضائية شهرة وهو إعادة لفيلم «كوكب مصاصي الدماء». تلتقط مركبة فضائية يقودها الكابتن فريد هاميلتون (جون ريتشاردسون) كانت في مهمة في القطاع فيغا إشارة غريبة صادرة من كوكب غريب. يعيش سكان ذلك الكوكب تحت سطوة رجل آلي («الوحش الخالد») يشبه ما تصنعه شركة تكساس إنسترومنتس. يقود السكان الصلع ذوي البشرة الخضراء والآذان المدببة أموك (صوت بلا جسد) وزعيمهم إيتور (نيك جوردان/ ألدو كانتي) وهو غول ضخم يرتدي مئزراً. يدمر رواد الفضاء الرجل الآلي ويتعرض الكوكب لانفجار لا ينجو منه سوى إيتور ورجاله. يستحوذ حاكم الكوكب على اثنين من رواد الفضاء ويقتل هاميلتون ورجاله مخلوقات الزومبي، إلا أن الرجل الآلي يسيطر على الحاسوب الموجود

على متن مركبتهم أثناء عودتهم إلى الأرض. كان أبطال فيلم "كوزموس: حرب الكواكب" من ممثلي الصف الثاني وما يليه من ممثلين كانوا يحاولون الوصول إلى الصف الأول مستخدمين أسماء مستعارة. لعبت يانتي سومر دور ميلا، أحد أفراد طاقم هاميلتون، وكانت ترتدي زياً مريعاً. وعلى الرغم من أن الفيلم استخدم خلفيات كونية جيدة، إلا أن مشكلته الحقيقية كانت، في الواقع، في ما يجري في الواجهة. فقد كانت الموسيقا الرادارية التي وضعها مارشيلو جيومبيني تتألف من نتف من طقطوقات لباخ عزفها بلا كلل على آلة الكي بورد. أما رواد الفضاء، فكانوا يتجولون ببذات رياضية بيضاء ضيقة ويعتمرون خوذات حمراء (جعلتهم أشبه بقذائف مدفعية بشرية) وكان يمضون أوقات «حب كوني» غير تفاعلي في تلك الليالي الفضائية الموحشة وكان خبيرهم في محطة أوريون الذي يعرف كل شيء عن الحواسيب يدعى ويز. يعتبر فيلم «كوزموس: حرب الكواكب» من أكثر أفلام الخيال العلمي اتساقاً: فكل ما فيه رديء بدءاً بالسيناريو والمؤثرات الخاصة وانتهاء بالأزياء والموسيقى والتمثيل. كان أموك قد قال في وصفه لزوال كوكبه: «أنا أتحدث عن كارثة ذرية». ومن المؤكد أن بريسكيا قد جسد هذه الجملة في فيلمه خير تجسيد .

أتبع بريسكيا هذا الفيلم بفيلم لا كلاسيكي آخر عنوانه «حرب الروبوتات»- The War of The Robots (١٩٧٨) لعبت فيه سومر دور الضابط المستجد جولي التي تخدم في مركبة الفضاء تريسي تحت إمرة الكابتن جون بويد (أنطونيو ساباتو). تصطدم جوليا بالكابتن الذي كان يحب لويس (ميليسا لونغو). يخطف رجال ذهبيون من الكوكب أنثور البروفسور كار (جاك هيرلين) وجوليا من كوكب الأرض. وكان كار قد طور صيغة سرية تضمن الخلود. فتبدأ تريسي في مطاردة الخاطفين في حين كان المفاعل الأرضي الذي لا يعرف تشغيله إلا كار ينذر بالانفجار. تهاجم لويس الخائنة، التي أصبحت الآن إمبراطورة أنثور المتعطشة للسلطة، تريسي وينخرط بويد وجوليا ولويس في معركة جوية كانت كفيلة بحل مشكلة مثلث الحب الذي يربطهم.

يتضمن فيلم «حرب الروبوتات» ديكورات مقبولة (في استديوهات دي باوليس) ومؤثرات خاصة شبيهة بمؤثرات «غزاة الفضاء» وأزياء لا بأس بها. قدمت شركة تريسي للتجهيزات الرياضية بذات الفضاء البلاستيكية المقاومة للإشعاع التي يبرز عليها اسم تريسي وهو السبب الذي يقف، احتمالاً، وراء اختيار بريسكيا لتريسيا اسماً لمركبته. أما الرجال الذهبيون، فهم رجال آليون ببذات ذهبية وشعور مستعارة شقراء وهيئة تشبه أعضاء فرقة الروك السويدية آبا. كتب جيومبيني نفسه الموسيقى التصويرية النابضة للفيلم متخلياً هذه المرة عن باخ لصالح موسيقى أوركسترالية أكثر تقليدية. وقد بدا في الفيلم أن الممثلين الإيطاليين المعروفين من جياكومو روسي ستيوارت وماسيمو ريغي وفينانتينو فينانتيني وروجر براون قد عاشوا هذه الأحداث من قبل. إذ لم يبد على روسي ستيوارت، الذي بلغ السابعة والأربعين من عمره الآن، أنه يولي أي اهتمام بمادة الفيلم، وكان واضحاً أنه شارد الذهن. أما ألدو كانتي فيتفوق في هذا الفيلم على تجسيده لشخصية إيتور في الفيلم السابق، من خلال أدائه الرياضي لشخصية الكائن الفضائي كوبا، العدو القديم للرجال الذهبيين، الذي تحرر من سطوة الكوكب آزار. بل إنه أسندت إليه في هذا الفيلم بضع عبارات على العكس من إيتور الذي كان يتخاطب مع الآخرين عن طريق التخاطر. يستخدم الرجال الذهبيون، في أحد المشاهد، سيوفاً ضوئية (تدعى السيوف الإنديرية) في تقليد واضح لفيلم «حرب النجوم». ثم ما الذي كان يفكر فيه بالضبط الممثلون الذين نفذوا عملية الدوبلاج باللغة الإنكليزية، أثناء الغارة الجوية التي شنها الرجال الذهبيون بقيادة الجنرال غوناد؟ وأخيراً، فإن التعليق التالي لجولي قد يلخص تجربة متابعة أفلام الخيال العلمي التي أخرجها بريسكيا خير تلخيص: «رائع أن أكون لا أزال على قيد الحياة بعد أن شارفت على الموت».

أخرج ألدو لادو فيلم «البشر الآليون» - Humanoid (١٩٧٩) باسم جورج ب. لويس (وليس جورج لوكاس). قاد إنزو كاستيلاري الوحدة الثانية

ونفذ أنطونيو مارغريتي المؤثرات الخاصة وصنع إيميليو رويز ديل ريو النماذج التي استخدمت في الفيلم. وقد كانت النماذج والمؤثرات الخاصة على حد سواء- المركبات الفضائية ومستوطنة ميتروبوليس على كوكب الأرض- أعلى من المتوسط بالنسبة إلى الأفلام الإيطالية. صورت المناظر الداخلية في استديوهات شينيشيتا وديار واستخدمت تقنية المرشحات لتصوير توضع متروبوليس وسط منطقة صحراوية. استلهم فيلم «البشر الآليون» من فيلم «حرب النجوم» وفيلم «فرانكنشتاين» حيث يعمل الدكتور كراسبين (أرثر كينيدي) مع اللورد غرال (إيفان راسيموف)، الذي يذكرنا بدارث فادير، والذي يأمل في السيطرة على كوكب الأرض. سرق الطبيب آلة كاداترون الحيوية من معهد غروفن، فأصبح قادراً بذلك على خلق جنس لا يهزم من البشر الآليين. كانت باكورة أعمال كراسبين تحويل المفتش غولوب من مستوطنة ميتروبوليس إلى بشري آلي. هكذا، يعدو غولوب مسعوراً في شوارع المستوطنة مدمراً في طريقه الديكورات المتهالكة على الرغم من أنه يقف في وقت لاحق في صف المدافعين عن الأرض ضد الغزاة.

لعب ريتشارد كييل (معتمراً خوذة طيار من الحرب العالمية الثانية) دور غولوب، وهو نفسه الذي أدى دور الفك في اثنين من أفلام جيمس بوند هما «الجاسوس الذي أحبني» و«حاصد القمر». كما كان قد ظهر من قبل في فيلم الخيال العلمي الأمريكي الإيطالي «مستنسخو البشر»- Human Duplicators (١٩٦٥) بدور المخلوق الفضائي الضخم كولوس. وكان الطفل التيبيتي الغريب توم توم (ماركو بيه) والزعيم الأرضي الأخ الكبير (ماسيمو سيراتو) الشخصيتين الطيبتين الرئيسيتين في الفيلم. احتفظت ليدي أغاثا (بربارة باخ، فتاة بوند، التي تشبه في الفيلم قطة سيامية)، وهي من أتباع غرال، بشباب دائم بفضل حقن كان يقدمها لها الدكتور كراسبين. لم يدع فيلم «البشر الآليون» جانباً من فيلم «حرب النجوم» دون أن يستغله بدءاً بالتيترات التي تحلق كمركبات فضائية وصولاً إلى المعركة التي دارت عند نهاية الفيلم بحزم الليزر. أما نيك البطل (ليونارد مان)

فقد كان استنساخاً للوك سكايووكر وبربارة غيبسون المهددة بالخطر (كورين كليري) الأميرة ليا أورغانا، في حين بدت الروبوتات اللطيفة، التي يمثلها الكلب الفضائي الآلي كيب، كآلات تمزيق ورق تسير على عجلات. وكانت الموسيقى التصويرية التي قدمها موريكونيه بمثابة إعادة توزيع جزئية لمقطوعته السابقة «Burn!» (١٩٦٩) باستخدام الكي بورد. أدى تحول غولوب إلى بشري آلي إلى زوال لحيته بصورة غريبة. أما نيك، فحواره يزخر بعلامات التعجب على شاكلة: «حسناً، أنا على وشك التفكك!» في حين يبدو على كينيدي أنه يأخذ مشروعه على محمل الجد. يعتبر فيلم «البشر الآليون»، بالإجمال، فيلماً كلاسيكياً لم يحظ بقدر كبير من المشاهدة وهو يستحق، في الواقع، المكان الذي احتله في تاريخ أفلام الخيال العلمي.

وظف ميكيل لوبو بذكاء، في فيلم «المأمور وصبي الفضاء»- The Sheriff and The Stallite Kid (١٩٧٩)، كاري غوفي، الذي لعب دور الطفل الذي يخطفه الفضائيون في فيلم «لقاءات من النوع الثالث»- Close Encounters of The Third Kind (١٩٧٧) لسبيلبيرغ. لعب بود سبنسر في الفيلم دور هال، المأمور المزهو لمدينة نيونان سيتي، الواقعة في ولاية جورجيا، التي تسيطر عليها حمى الأطباق الطائرة. ينقذ الشريف H7- 25 (غوفي)- وهو طفل من خارج كوكب الأرض يتمتع بقدرات خارقة- من الوقوع في قبضة الحرس الوطني بقيادة الكابتن بريغز (رايموند هارمستورف). صور الفيلم في مواقع في ولاية جورجيا، في مدينة نيونان نفسها وفي قاعدتين جويتين هما وورنر روبينز ودوبينز وفي نصب الحرب الأهلية الكونفيديرالي الذي تم نحته في جبل ستون. لعب جيجي بونوس دور ألان، مساعد المأمور وجو بوغنر دور السجين الملتحي برينان وظهر رجال الأعمال الخطرة ريكاردو بيتسوتي وكلاوديو روفيني وجيوفاني شيانفريليا كجنود في الحرس الوطني. ومن المؤثرات الخاصة التي تبرز بطولات H7-25 نذكر وجود حيوانات ناطقة والعديد من اللقطات السريعة واللقطات البطيئة واللقطات العكسية. أما أغنية الديسكو الصاخبة «المأمور» التي

كتب ألحانها غيدو وماوريتسيو دي أنجيليس، فسوف تقودك إلى الجنون بالتأكيد. لكن «المأمور وصبي الفضاء» هو، بالإجمال، فيلم فانتازيا كوميدية متقن استطاع بذكاء استثمار سوق الأطفال النهم لقصص الخيال العلمي في السبعينيات.

ثم صنع لوبو جزءاً آخر، كان مؤسفاً في الواقع، لفيلم «المأمور وصبي الفضاء»، بعنوان «كل شيء يحدث معي»- Why Did You Pick On Me (١٩٨٠)، يعود فيه سبنسر وغوفي للعب دوريهما السابقين حيث يصبح المأمور وصديقه الصغير (الذي يدعو نفسه تشارلي وارين) مطاردين. أصبح هول مأموراً لبلدة مونرو في ولاية جورجيا ويواجه لصوصاً محليين وفريقاً من الآليين الفضائيين (بقيادة روبرت هوندار) يسعون خلف H7-25. ثم يهاجم المجرمون المحليون (بمن فيهم رجلا الأعمال الخطرة ريكاردو بيتسوتي ولورنزو فينيسكي) قوة الشرطة (التي غسل الفضائيون أدمغة أفرادها) أثناء شجار جماعي جرى في مهرجانات يوم الإلدورادو، الذي تم تصويره في حديقة ملاهي الرايات الست في مدينة أتلانتا. زود غيدو وماوريتسيو دي أنجيليس الفيلم بموسيقى تصويرية أقل شأناً من أن تذكر وكانت عصابة الدراجين من مثيري المشاكل تقليداً مباشراً لفيلم «الطيب والقاسي والمجنون»- Every Which Way But Loose لكلينت إيستوود. والواقع أن الفيلم ينضح بانتهازية منتجه إيليو سكارداماليا، الذي فعل حسناً بإنتاج الفيلم الأول. لم يبرز فيلم «كل شيء يحدث معي» غوفي وقدراته الخاصة في هذا الفيلم إلا بالكاد وينتهي بتقديم تحية خاصة لفيلم «تشيتي تشيتي بانغ بانغ»- Chitty Chitty Bang Bang حين يطير هول وH7-25 إلى الفضاء على متن سيارة كلاسيكية صفراء مزودين إيانا بما يكفي من الأسباب كي نبقي عيوننا معلقة باتجاه السماء.

الفصل السادس

الحياة على الطريقة الإيطالية

الحب والموت

بالإضافة إلى قصص الأبطال الملحميين وأفلام الخيال العلمي، عرجت السينما الإيطالية بشكل عارض على عالم الواقع. وقد قدمت روما الأجواء المناسبة لإنتاج العديد من الأفلام الهوليوودية الكبيرة، كان منها أفلام عاطفية مثل «إجازة في روما»- Roman Holiday (١٩٥٣) و"ثلاث قطع نقود معدنية في النافورة"- Three Coins in The Fountain (١٩٥٤) و«تلال روما السبعة»- Seven Hills of Rome (١٩٥٨). استطاع المخرجون الإيطاليون، في الأفلام التي تتحدث عن بلادهم، أن يدهشوا المشاهدين حول العالم بقصص الحب والحياة التي قدموها التي تزخر بالتفاؤل ويتخللها شيء من التشاؤم. وفي الستينيات، صنع مخرجون مثل فيديريكو فيليني وفيتوريو دي سيكا وميكيلانجيلو أنطونيوني سينما جديدة لاقت نجاحاً عالمياً كبيراً. وقد استطاعت السينما الإيطالية أن تجد التعبير الحقيقي عنها في أفلام تتراوح بين سير المخرجين والمشاهير وفظاعات الحرب وصولاً إلى الحياة في بيوت الصفيح والجرائم والاضطرابات العقلية.

العلاج على الطريقة الرومانية: أنطونيوني

يبدأ فيلم «المغامرة»- The Adventure (١٩٦٠) لميكيلانجيلو أنطونيوني بحفلة على يخت يجوب الجزر الأيولية البركانية في البحر التيراني شمال صقلية: حملت السفينة على متنها كلاً من ساندرو (غابربيل فيرزيتي) وخطيبته آنا (ليا ماساري) وصديقتها كلوديا (مونيكا فيتي) وكورادو (جيمس أدامز) وزوجته جيوليا (دومينيك بلانشار) وريموندو (ليليو لوتاتسي) وباتريتسيا (إزميرالدا روسبولي). تختفي آنا في جزيرة ليسكا بيانكا دون أن يؤدي البحث المكثف عنها إلى أية نتيجة. يتابع ساندرو وكلوديا تحرياتهما في جزيرة صقلية وتنشأ علاقة عاطفية بينهما في هذه الأثناء ثم يطلب ساندرو من كلوديا أن تقبل الزواج به. وفي فندق قريب من مدينة ميسينا، تكتشف كلوديا أن ساندرو ينام مع مومس في حين لم يتم العثور على آنا على الإطلاق.

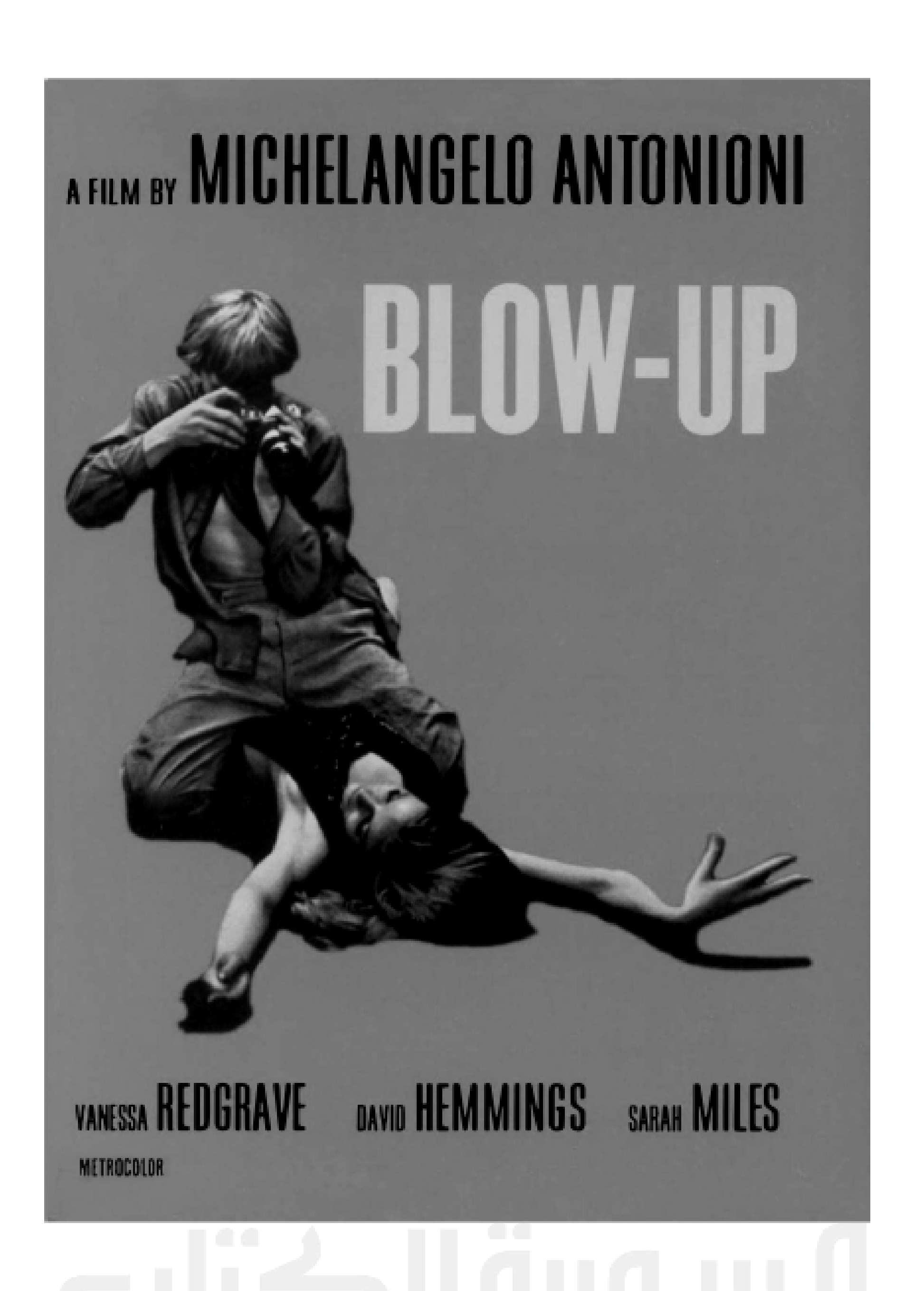
حول فيلم «المغامرة» مونيكا فيتي إلى نجمة سينمائية ومنح أنطونيوني اعترافاً دولياً. يتلاشى التوتر الذي يسود المشاهد الأولى من الفيلم فجأة، ولاسيما اختفاء آنا المفاجئ بعد أن أخبرت ساندرو أنها بحاجة إلى فترة استراحة من علاقتهما، قبل أن تتلاشى بالتدريج من القصة. يتحول بحث كلوديا عن آنا إلى علاقة عاطفية تربطها بساندرو على الرغم من أنه يبدو بوضوح أن الاثنين عاجزان عن الالتزام عاطفياً. أما ساندرو، فيكافح السأم الذي يميز حياة يكتنفها القبح، في حين تصبح كلوديا بالنسبة إليه بمثابة آنا، خطيبته المفقودة، فتتحول تلك العلاقة إلى علاقة ثلاثية غريبة بين ساندرو وكلوديا والحضور الشبحي الدائم لآنا. يبرز أنطونيوني، من خلال استخدام التصوير باللونين الأبيض والأسود (ألدو سكافاردا)، الفجوة التي تفصل بين ساندرو وكلوديا التي تجعلهما متباعدين من الناحية العاطفية حتى ولو كانا متقاربين مكانياً. ويعتبر التعليق التالي الذي وجهته كلوديا لساندرو نموذجاً لنظرة أنطونيوني التجريدية: «قل إنك تريد تقبيل ظلي على الجدار». صور

أنطونيوني فيلمه في مواقع في صقلية، بما في ذلك في جزيرة ليسكا بيانكا. وقد اكتنف الخطر هذا الجزء من التصوير، لأن طاقم الفيلم كان مضطراً للإبحار من جزيرة باناريا إلى موقع التصوير النائي على متن قارب صيد. يقود البحث الذي أجراه ساندرو وكلوديا الاثنين في جولة في أرجاء جزيرة صقلية: من محطة قطارات ميلاتسو إلى ميسينا ثم باليرمو ونوتو، قبل أن يحطا رحالهما في فندق قريب من ميسينا. أما الآن، فصارت كلوديا وحيدة تفتش عن ساندرو في الفندق الكبير المقفر وقد أصبحت تشعر بالقلق من أن آنا ربما تكون قد عادت. فقد صارت كلوديا، بعد أن أمضت وقتاً طويلاً في البحث عن صديقتها، تتساءل: «أخشى أنها لا تزال على قيد الحياة». استقبل الفيلم، في بادئ الأمر، في مهرجان كان بصيحات الاستهجان، لكنه حقق فيما بعد نجاحاً عالمياً، مبشراً بمقدم لغة سينمائية جديدة. ويتميز أسلوب أنطونيوني السينمائي بتمرير مشاهد طويلة تخلو من الحوار وبجعل الممثلين يحدقون إلى البعيد بنظرات ذات مغزى. يتكشف الغموض الذي يكتنف دقائق الفيلم المائة والثلاث والأربعين ببطء شديد دون أن يقدم أنطونيوني حلاً تقليدياً للغز اختفاء آنا، تاركاً هذا السؤال الكبير دون إجابة.

استمر أنطونيوني، في فيلميه التاليين: «الليلة» (١٩٦١- بطولة مارشيلو ماسترویاني وجان مورو ومونيكا فيتي) و«الكسوف» (١٩٦٢)، على المنوال نفسه في إرباك الجمهور بمفاجآته السردية. لعب آلان ديلون، في فيلم «الكسوف»، دور وسيط في البورصة اسمه بييرو يرتبط بعلاقة عاطفية مع فيتوريا (فيتي) وينتهي الفيلم بصورة محبطة بموعد لم يلتزم به أي من الاثنين. وتلعب فيتي، في فيلم «الصحراء الحمراء» (١٩٦٤)، وهو أول أفلام أنطونيوني الملونة، دور جيوليانا، الضعيفة عقلياً التي تقع في حب كورادو زيلر (اسمه الحقيقي غير معروف وظهر في تتيرات الفيلم الإيطالية باسم ريتشارد هاريس) أثناء إبلالها من إصابات تعرضت لها نتيجة حادث سيارة. يتميز الفيلم بأسلوب تصويره الملون (تبدو الصور وكأنها لونت باليد)

وبالموسيقى التصويرية الطليعية التي مزجت الموسيقى التقليدية بأصوات أنين وصراخ إلكترونية وباستخدام أنطونيوني المدهش لأجواء الخرسانة والفولاذ الضبابية في مدينة رافينا الواقعة في الشمال الإيطالي- أبراج التوتر العالي، مداخن المصانع، هوائيات لاسلكية، شاحنات بضائع، من أجل التعبير عن انهيار جيوليانا.

وفي حين قدم فيلم «الصحراء الحمراء» أنطونيوني بالألوان للمرة الأولى، فإن فيلم «انبثاق»- Blowup (١٩٦٦) سجل أول نجاحات أنطونيوني الدولية- ويبقى هذا الفيلم الوحيد من أفلام أنطونيوني التي احتلت المراكز الأولى في شبابيك التذاكر. اقتبس فيلم «انبثاق» من قصة صغيرة للأرجنتيني خوليو كورتازار بعنوان «هذيان الشيطان» ولعب دور البطولة فيه ديفيد هيمينغز بدور توماس وهو مصور أزياء فوتوغرافي لندني أناني ونافد الصبر. تلتقط عدسة توماس، أثناء قيامه بالتصوير في حديقة ماريون في تشارلتون، رجلاً وامرأة يتبادلان القبلات، فتتجه المرأة (فانيسا ريدغرايف) نحوه طالبة منه بغضب أن يسلمها الفيلم لكنه يرفض. يعود توماس إلى الاستديو لتحميض الصور فيكتشف أنه حال دون وقوع جريمة قتل: إذ يكتشف في الصور التي انتهى لتوه من تحميضها رجلاً مسلحاً كامناً بين الشجيرات خلف سياج كان على وشك إطلاق النار على حبيب المرأة، قبل أن يدرك مع ظهور المزيد من الصور أن الرجل قد قتل بالفعل- فقد استطاع أن يرى جثته بعد أن كبر إحدى الصور. يزور توماس الحديقة أثناء الليل ويجد جثة الرجل ملقاة هناك. لكن كافة الأدلة المتعلقة بالجريمة كانت قد سرقت من الاستديو قبل عودته إليه. هكذا، لم تعد الجريمة موجودة الآن إلا في عقل توماس. ينتهي الفيلم بعودة توماس إلى حديقة ماريون كي يشاهد هناك شخصين يتظاهران بلعب التنس. «تحط» الكرة الوهمية بالقرب منه، فيقذفها بعيداً قبل أن يتلاشى بدوره ببطء تاركاً النهاية مفتوحة لمخيلة المتفرجين.



غموض وقتل: توماس (ديفيد هيمينغز) يصور العارضة فيروسكا في ملصق دولي لفيلم «انبثاق» (١٩٦٦) لميكيلانجيلو أنطونيوني

يعتبر فيلم «انبثاق» فيلماً كئيباً وبارداً، لأن أنطونيوني يلقي فيه على لندن النظرة المبهمة نفسها التي يلقيها على الأجواء المدينية الإيطالية. فهو يصف، في الفيلم، مدينة متوترة لا تتحرك إلا بالكاد، ناهيك عن كونها خلواً من الحيوية، إلى درجة أن إحدى حفلات الروك (يتابع فيها توماس جيمي بايج وجيف بيك من فرقة The Yardbirds) تنتهي بطريقة صاخبة عندما يخرج أحد العازفين عن طوره ويحطم غيتاره. يلجأ أنطونيوني في الفيلم إلى الاستطراد موقفاً، لبعض الوقت، تقدم القصة الأصلية- كي نشاهد توماس يطارد الحسناوات ويشتري مروحة من متجر للعاديات ويناقش كتاباً كان يؤلفه مع رون، شريكه في العمل (بيتر باولز)، ويزور عشيقته باتريسيا (سارة مايلز) وزوجها الفنان (جون كاستل) ويلهو مع عارضتين حسناوين (جيليان هيلز وجاين بيركين). كما نشاهد في الفيلم جلسة تصوير لعارضة الأزياء الألمانية فيروسكا، قبل أن نعود مرة أخرى إلى مسار القصة الغامضة. كانت أحداث جريمة القتل الغريبة التي جرت في الحديقة، على وقع أصوات حفيف أوراق الأشجار وصفير الريح، واحدة من أجمل المشاهد التي صنعها أنطونيوني. أما المشهد الذي يعيد فيه توماس بناء مجريات الجريمة من خلال سلسلة من الصور الفوتوغرافية بالأبيض والأسود معلقة في الاستديو، فهو مشهد غوداري بامتياز من حيث عودته بالتصوير السينمائي إلى أبسط أشكاله. ونشاهد، في سلسلة الصور تلك، الرجل والمرأة يتعانقان، ورجلاً مندساً وسط الشجيرات ثم جثة ممددة وسط الأشجار. وقد تابع هيمينغز طريقه في عالم الألغاز مع فيلم «الأحمر العميق» - Deep Red (١٩٧٥) لداريو أرجنتو.

أنتج كارلو بونتي وشركة MGM فيلم «انبثاق» الذي تم تصويره في استديوهات MGM في بورهاموود وفي مواقع في لندن. وقد كان «انبثاق» الفيلم الأول الذي تظهر فيه امرأة بكامل عريها في مواجهة الشاشة، الأمر الذي ساعد، بلا ريب، الفيلم على التقدم في شباك التذاكر، لكنه وضعه، في الوقت نفسه، في فئة الأفلام المخصصة للبالغين. خص هيربي هانكوك الفيلم بموسيقى جاز

تضمنت المقطوعة الكلاسيكية التي عزفتها بنجاح كبير فرقة جيمس تايلور كوارتيت عام ١٩٨٥ (تحت اسم Blow Up) كما استخدمتها فرقة دي لايت (Deee-Lite) البريطانية في أغنية «ندبة في القلب» (Groove is the Heart) التي احتلت، عام ١٩٩٠، مراتب متقدمة في لوائح أغاني البوب الأكثر شعبية. فاز فيلم «انبثاق» بالسعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي وفاز أنطونيوني بجائزة الشريط الفضي في إيطاليا وتم ترشيح الفيلم لجائزة أوسكار عن أفضل سيناريو وأفضل إخراج. أما فيلم أنطونيوني الأمريكي الأول، فكان فيلم «نقطة زابريسكي»- Zabriskie Point (١٩٧٠) الذي تدور أحداثه في مناخات الثقافة المضادة التي عاشتها الولايات المتحدة في الستينيات. وقد أحدث الفيلم ضجة كبيرة. وكان فيلم «المسافر»- The Passenger (١٩٧٤) أفضل أعمال أنطونيوني في السبعينيات. ويلعب جاك نيكلسون في هذا الفيلم دور المراسل الصحفي ديفيد لوك، في فيلم يعتبره الكثيرون أفضل أفلامه على الإطلاق. يتبادل نيكلسون في هذا الفيلم هويته مع هوية رجل ميت يكتشف أنه تاجر سلاح مهدد بالقتل. صور لوشيانو توفولي الفيلم في مواقع في أفريقيا وألميريا.

امرأتان: لورين، باردو وسينما النخبة

كان فيلم «الطريق»- La Strada (١٩٥٤- بطولة أنطوني كوين بدور الرجل القوي المسافر) لفيديريكو فيليني أول فيلم أجنبي يفوز بجائزة الأوسكار لأفضل فيلم عام ١٩٥٦ كما فاز فيليني بالأوسكار في العام التالي عن فيلم «ليالي كابيريا»- Nights of Cabiria (الذي تم تحويله إلى فيلم موسيقي بعنوان «الإحسان الجميل»- Sweet Charity). فازت آنا مانياني بجائزة الأوسكار لأفضل ممثلة عن دورها في الفيلم الأمريكي «وشم الزهرة»- The Rose Tattoo (١٩٥٥) كما أصبح الممثلان الإيطاليان روسانو براتسي وجينا لولوبريجيدا نجمين عالميين في أفلام مثل «جنوب الهادي»- South Pacific (١٩٥٨)

و«سليمان وملكة سبأ»- Solomon and Sheba (١٩٥٩). كما ذاع صيت المخرج فيتوريو دي سيكا على الصعيد العالمي بفضل معالجته الواقعية الجديدة لقصص الدراما العاطفية. يحصل أنطونيو ريتشي (لامبرتو ماجيوراني)، في فيلم «سارقو الدراجة»- The Bicycle Thieves (١٩٤٧- «سارقو الدراجات» في الولايات المتحدة) على وظيفة جديدة تساعده على إطعام أسرته الجائعة يقوم، بمقتضاها، بتعليق ملصقات فيلم «غيلدا» لريتا هيوارث على جدران روما. لكن دراجته فيديس (الإيمان) تسرق، فيقلب المدينة، مع ابنه الصغير برونو (إنزو ستايولا)، بحثاً عنها، بلا طائل، حتى يصل القنوط به إلى الانحدار إلى مرتبة اللصوص.

تعرف صوفيا لورين وبريجيت باردو، وهما من كبار نجوم السينما الأوروبية، بأفلامهما الرومانسية والكوميدية الخفيفة، أكثر مما تعرفان بأفلامهما الدرامية العميقة. لكن النجمتين صورتا، في بداية الستينيات، عدداً من الأفلام في إيطاليا أظهرت مواهبهما التمثيلية المذهلة. اقتبس دي سيكا فيلم «امرأتان»- Two Women (١٩٦٠) من رواية ألبرتو مورافيا التي كتبها عام ١٩٥٧ وأنتج كارلو بونتي الفيلم الذي لعبت زوجته لورين دور البطولة فيه. تجري أحداث الفيلم في زمن الحرب العالمية الثانية ويعالج العلاقة بين أم أرملة وابنتها أصبحتا لاجئتين بعد فرارهما من روما هرباً من قصف الحلفاء للمدينة. كان مقرراً، في الأصل، أن تلعب لورين، التي كانت في السادسة والعشرين من عمرها في ذلك الوقت، دور الابنة إلى جانب آنا مانياني ذات الاثنين والخمسين عاماً بدور الأم. لكن مانياني، التي وصفت لورين ذات يوم بأنها «زرافة نابوليتانية»، احتجت قائلة: «أنا أصغر سناً من أن أكون والدة لورين. فلتلعب هي نفسها دور الأم». عندئذ، استدعى دي سيكا إليانورا براون للعب دور الابنة روزيتا التي صار عمرها اثني عشر عاماً كي تستطيع لورين أداء دور الأم شيزيرا. تترك الامرأتان متجر البقالة الذي تديرانه في رعاية جيوفاني (راف فالونيه)، عشيق

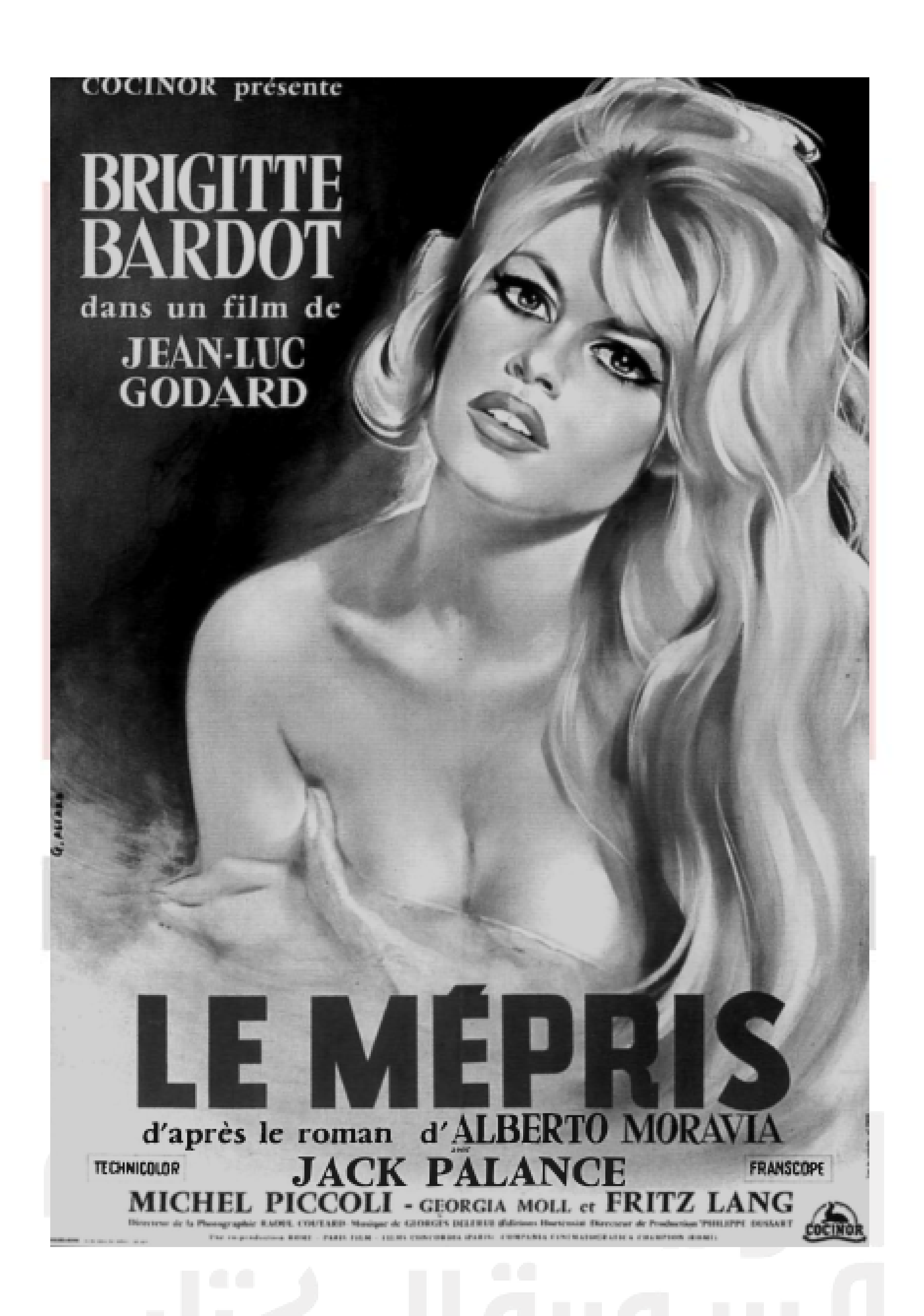
تشيزيرا وتتجهان صوب الجبال للإقامة لدى أقربائهما. تنخرط الامرأتان في الحياة الريفية وتلتقيان بالمثقف السياسي ميكيليه (جان بول بلموندو). تتوارد الأنباء أن موسوليني صار في السجن وأن الأمريكيين قد غزوا إيطاليا، فتقرر شيزيرا وروزيتا العودة إلى روما التي تحررت. لكن، وبينما كانت الامرأتان تؤويان في كنيسة خربة، يعتدي عليهما جنود مغربيون (كانوا يقاتلون إلى جانب الحلفاء).

جعل التصوير السينمائي بالأبيض والأسود الذي نفذه غابور باغاني فيلم «امرأتان» أحد أروع الأفلام الإيطالية ووثيقة واقعية جديدة عن إيطاليا الريفية. صورت المناظر الداخلية في استديوهات تيتانوس والمناظر الخارجية في ساراشينيسكو الواقعة إلى الشرق من روما وفي إيتري الواقعة إلى الجنوب منها. لعب أندريا كيتشي دور مسؤول فاشي وريناتو سالفاتوري دور صبي ريفي يصطحب روزيتا إلى الرقص (الأمر الذي يثير غضب والدتها) ولوشيانو بيغوتسي دور جندي إيطالي يرغم الفتية الريفيين على الالتحاق بالجيش. يعتبر فيلم «امرأتان» بالنسبة إلى لورين بمثابة «استعراض امرأة واحدة»- وهو، في الواقع، أعظم أفلام لورين وقدمت فيه أكثر أدوارها إقناعاً. ففي حين استطاعت لورين في أفلام أخرى تجسيد شخصية فتاة الشارع أو شخصية الأميرة، إلا أنها ظهرت هنا كامرأة عاملة قوية وكلاجئة تطمح لتقديم الأفضل لابنتها. وقد كانت المشاهد التي تحمل لورين فيها حقيبة السفر على رأسها وهي تسير في الطرقات الريفية المغبرة أو تلك التي تتمدد فيها وقد استولى عليها الإحباط والدموع تملأ عينيها بعد الاعتداء الجنسي الذي تعرضت له مشاهد أسطورية بحق.

يعالج فيلم «امرأتان» الأثمان الإنسانية الباهظة للحرب. إذ نشاهد كيف يحاول جندي أمريكي كان يلتقط صوراً فوتوغرافية إغواء شيزيرا التي تتضور جوعاً كي تريه ساقيها، في حين كان كل ما تريده هو الحصول على بعض الطعام. أما الانفجارات العنيفة الناجمة عن الغارات الجوية، فقد كانت تبدو في أعين الفلاحين الذين يراقبونها عن بعد استعراض ألعاب نارية. كما أن الحلفاء

أنفسهم، لا الأعداء، هم من اعتدوا على شيزيرا وروزيتا، مخلفين وراءهم امرأتين محطمتين تغيرت حياتهما في لحظة واحدة: إذ تفقد روزيتا براءتها وتحطم نفسياً في حين تجد شيزيرا نفسها عاجزة عن حماية ابنتها، وهو الأمر الذي نجحت في القيام به على أكمل وجه طيلة سنوات الحرب. ويعتبر مصير ميكيليه مثالاً آخر عن سوداوية الفيلم. إذ تجبره دورية ألمانية منسحبة (بقيادة فرانكو بالدوتشي) على مرافقتها عبر الجبال من أجل إيصالها إلى بر الأمان، قبل أن تعثر شيزيرا، في وقت لاحق، على جثته مرمية في التلال. فازت لورين عام ١٩٦١ بجائزة الأوسكار لأفضل ممثلة في مواجهة أودري هيبورن (عن فيلم «فطور لدى تيفاني») وبايبر لوري وجيرالدين بايج وناتالي وود- وهي المرة الأولى التي تفوز فيها ممثلة أجنبية بهذه الجائزة عن فيلم ناطق بلغة أجنبية، على الرغم من أن الفيلم دبلج إلى اللغة الإنكليزية بصوت لورين نفسها. وقد علقت لورين فيما بعد على مشاركتها في هذا الفيلم قائلة: «قبل أن أصنع فيلم «امرأتان»، كنت مجرد مؤدية. لكني لم أصبح ممثلة إلا بعد ذلك الفيلم».

أنتج كارلو بونتي فيلم «ازدراء»- Contempt (١٩٦٣) الذي أخرجه جان لوك غودار والمقتبس من رواية لمورافيا بعنوان «شبح في منتصف النهار» وتم تصويره في استديوهات شينيشيتا. تجري أحداث الفيلم في روما، حيث يكلف المنتج الأمريكي جيري بروكوش (جاك بالانس) كاتب السيناريو بول جافال (ميشيل بيكولي)، إثر نجاح النص الذي كتبه لفيلم «توتو ضد هرقل»، بكتابة سيناريو مقتبس من ملحمة الأوديسا لهوميروس لصالح فيلم سيتم تصويره في كابري. يتردد بول في تولي المهمة، لكن الأجر المعروض عليه والبالغ عشرة آلاف دولار كان كافياً لتسديد أجرة الشقة التي يقيم فيها في روما. تنتاب الشكوك كاميل (بريجيت باردو)، زوجة بول، في أن زوجها يخونها مع سكرتيرة بروكوش ومترجمته فرنشيسكا فانيني (جورجيا مول)، وبالمقابل يشتبه بول في أن زوجته لم تعد تحبه وأنها تخونه مع بروكوش.



شبح في منتصف النهار: بريجيت باردو في شخصية كاميل الزانية في تحفة جان لوك غودار الفرنسية «ازدراء» (١٩٦٣)، وهو قصة تراجيدية تم تصويرها في ديكورات رائعة في استديوهات شينيشيتا وفي جزيرة كابري

يعتبر فيلم «ازدراء» من الأعمال السينمائية العالمية العظيمة، بدءاً بمشهد التيترات الذي تتقدم فيه الكاميرا ببطء إلى الأمام ويقوم صوت خارجي بسرد أسماء المشاركين في الفيلم. ثم تستدير الكاميرا ببطء كي تواجه المتفرجين ويتابع الصوت الخارجي قائلاً: «قال بازان ذات مرة: ما نراه يدفعنا إلى القول إن السينما ترسي عالماً يطابق رغباتنا- وفيلم «ازدراء» يروي قصة هذا العالم. و«ازدراء» هو كذلك فيلم يسخر من نفسه: فهو يروي قصة فيلم عالمي من إنتاج مشترك يشارك فيه ممثلون من جنسيات مختلفة، في سخرية واضحة من هذا النوع من الأعمال. أسند إخراج فيلم «الأوديسا» للمخرج النمساوي المهاجر فريتز لانغ (يؤدي شخصيته نفسها) ويلعب غودار فيه دور مساعد لانغ (المسؤول عن أعمال التصوير في شينيشيتا). أما مصور لانغ فهو راؤول كوتار (مدير التصوير في فيلم «ازدراء»). أراد غودار أن تسند بطولة الفيلم لفرانك سيناترا وكيم نوفاك، في حين ارتأى بونتي إشراك مارشيلو ماسترورياني وصوفيا لورين. وقد علقت بريجيت باردو بحماسة على مشاركتها في الفيلم قائلة: «رائع. لقد انضممت إلى تيار الموجة الجديدة الآن!». وقد تلقت باردو عن مشاركتها في الفيلم خمسمائة وعشرة آلاف دولار وهو الأجر الأعلى الذي حصلت عليه حتى تاريخه. وكانت باردو قد أضاعت الكثير من الوقت في أفلام من المرتبة الثانية، قبل أن تقدم في هذا الفيلم أفضل أداء لها بتجسيدها شخصية كاميل. بل إنها بدت في هذا الفيلم جميلة كما لم تبد من قبل بخصلات شعرها الأشقر المشعث الذي تثبته باستخدام عصبة رأس وبنظرات الازدراء واللوم التي ترمق بها زوجها الخائن.

استلهم فيلم «ازدراء» شخصية بروكوش من منتجي الفيلم جوزيف ليفاين (القادم بقوة من فيلم «هرقل») وكارلو بونتي. وقد أشرف ليفاين على توزيع الفيلم حول العالم. يبيع بروكوش جزءاً من الاستديو الذي يملكه كي يصبح مركز تسوق. وبسبب حاجته للحصول على فيلم تجاري، يحض بروكوش لانغ على تضمين الفيلم المزيد من مشاهد العري. يقابل غودار

أبطال ملحمة الأوديسا بشخصيات فيلمه مسنداً لكاميل دور بينيلوبيه. يقول بروكوش: «أحب الآلهة، أحب الآلهة كثيراً. إني أعلم تمام العلم مشاعرها». تبلغ حيوية بروكوش ذروتها، أثناء تصوير مشهد تظهر فيه حسناء عارية (ليندا فيراس) تسبح في الماء، ويقرض بول كتاباً يتناول فن الرسم الروماني كي يستلهم منه نصه، مع العلم أن الأوديسا ملحمة إغريقية. كما يقول المنتج: «كلما سمعت كلمة ثقافة، وضعت يدي على دفتر شيكاتي». والواقع أن بروكوش كان يحمل معه على الدوام كتيباً للأمثال لا يفارقه ويقتبس جملاً منه تجعله يبدو في نظر الآخرين أكثر ذكاء. بل إن لانغ وبول يستشهدان، بين الفينة والأخرى، بمقولات فلسفية وشعرية وأدبية كلاسيكية يحفظانها عن ظهر قلب. هكذا لم يكن ب.ب.، في الواقع، سوى برتولد بريخت الذي يستعير بول إحدى مقولاته كي يصف هوليوود: «في كل صباح أنهض فيه لكسب قوت يومي، أتجه إلى السوق الذي يشتري الناس منه الأكاذيب على أمل أن يجدوا لهم مكاناً فيه إلى جانب الباعة الآخرين».

صور غودار فيلمه في مواقع في كابري حيث استطاعت عدسة راؤول كوتار العريضة التقاط زرقة البحر وبياض المنحدرات وخضرة الغطاء النباتي. أما فيلا بروكوش الجاثمة على قمة نتوء صخري (بدرجها الكبير الذي يصل إلى سطح الفيلا حيث يمكن للمرء أخذ حمام شمسي) فكانت فيلا مالابارتيه. كتب جورج دولرو الموسيقى التصويرية المثيرة للعواطف- وهي من أعظم ما كتب للسينما. أما نهاية الفيلم، فهي جديرة بالملاحم الإغريقية. إذ ترحل كاميل مع بروكوش تاركة خلفها ملاحظة مكتوبة لبول. وفي طريقهما إلى روما، يتوقفان أمام إحدى محطات الوقود لملء خزان السيارة. وعند مغادرتهما المحطة، تصطدم سيارة الألفا روميو الحمراء ذات السقف المكشوف التي كانا يستقلانها بشاحنة صهريج فيقتلان على الفور. أما رسالة كاميل التي تملأ كلماتها الشاشة الآن، فكانت تقول: «وداعاً... كاميل».

عرض الفيلم في فرنسا باسم Le Mépris وكان الممثلون في هذه النسخة يتكلمون كل بلغته (بيكولي وباردو بالفرنسية ولانغ بالألمانية والفرنسية وبالانس بالإنكليزية) وكانت فرنشيسكا، مترجمة بروكوش، تتلو الترجمة من أجلنا. كما عرض الفيلم في إيطاليا باسم Il Disprezzo (تم تقصير مدة العرض إلى أربع وثمانين دقيقة مع موسيقى تصويرية جديدة كتبها بييرو بيتشيوني) وعرض في الولايات المتحدة باسم Contempt (مائة وثلاث دقائق). أراد المنتجون أن تمنحهم باردو المزيد من العري، لذلك، أضيف مشهد نرى فيه بول وكاميل متمددين في السرير - وهي عارية - يناقشان أدق التفاصيل التشريحية لباردو (وقد نالت باردو مبلغاً إضافياً على هذا المشهد بلغ عشرين ألفاً وثلاثمائة دولار). أما في المملكة المتحدة، فلم يعرض الفيلم، إلا عام ١٩٧٠، بعد أن أصبح ناطقاً بالإنكليزية تماماً الأمر الذي جعل دور فرنشيسكا نافلاً وكانت الدعاية الترويجية المضللة تقول: «باردو في أقوى وأجرأ تجلياتها! تعربد في روما... تلهو في كابري... مطاردتها كفيلة بجعل أسرع العدائين يتهاوون منهوكين!». أما الجملة الترويجية الفرنسية فهي تحفة أدبية بحق: «المرأة... الرجل... إيطاليا... السينما... قصة تراجيدية في أجواء ساحرة، قصة ساحرة في أجواء تراجيدية». يعتبر «ازدراء» فيلماً جميلاً من الناحية البصرية وثرياً من حيث الموضوع كما أنه يتمتع بقوة تراجيدية كبيرة وهو أعظم الأفلام التي تتناول صناعة الأفلام وواحد من أفضل الأفلام التي تعالج موضوع الحب والثقة والخيانة والتحلل.

وكانت صوفيا لورين على موعد جديد مع جائزة الأوسكار في ثلاثية دي سيكا الكوميدية الجنسية «البارحة واليوم والغد» - Yesterday, Today and Tomorrow (١٩٦٣) الذي فاز بجائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي عام ١٩٦٤. لعبت لورين في الفيلم دور «أديلينا من نابولي»، وهي بائعة سجائر في السوق السوداء تستغل ثغرة قانونية تتيح لها تجنب تنفيذ حكم بالسجن صادر بحقها. إذ ينص القانون على أنه لا يمكن تنفيذ الحكم فيها طالما أنها

حامل. هكذا، تستمر أديلينا في إنجاب الأطفال الذين بلغ عددهم سبعة، إلى أن يصاب زوجها كارمين (مارشيلو ماستروياني) بانهيار عصبي ينتهي بها وراء قضبان السجن. وتظهر لورين، في «آنا من ميلانو»، بأبهى حللها، في أثواب من تصميم كريستيان ديور، بدور آنا سيدة المجتمع الثرية والسطحية التي تنفصل عن عشيقها رينزو (ماستروياني) عندما يصدم سيارتها الرولز رويس بجرار زراعي. ولعبت لورين، في «مارا من روما»، دور مومس تصيب كاهناً متدرباً اسمه أومبرتو (جيوفاني ريدولفي) بالجنون. وقد أدت لورين، في هذا الجزء أشهر رقصات التعري في تاريخها في حين يعوي زبونها، أوغستو روسكيوني (ماستروياني)، كالذئاب. قدم تروفاجولي موسيقى تصويرية ساحرة وتم تصوير الفيلم في استديوهات تيتانوس وفي مواقع في نابولي، في حين تطل شقة مارا في روما على البياتزا نافونا. أما النسخة الناطقة بالإنكليزية التي قدمها ليفاين، فكانت أقل شأناً من الفيلم الإيطالي الأصلي.

كما لعب ماستروياني دور البطولة في فيلم «الطلاق على الطريقة الإيطالية»- Divorce- Italian Style (١٩٦٢) الذي فاز فيه إينيو دي كونشيني وألفريدو جيانيتي وبييترو جيرمي بأوسكار أفضل سيناريو أصلي. قدم كارلو روستيكيلي الموسيقى التصويرية وأخرج جيرمي الفيلم. كما تم ترشيح ماستروياني لجائزة أفضل دور عن شخصية البارون فرديناندو شيفالو الذي يقرر قتل زوجته المهووسة جنسياً روزاليا (دانييلا روكا)، بدلاً من طلاقها، بحيث يتمكن من الزواج بعشيقته الشابة أنجيلا (ستيفانيا ساندريلي). صور الفيلم في مدينة أرغومونتيه في صقلية حيث يزامن البارون فعلته مع عرض لفيلم «الحياة الحلوة» في إحدى صالات السينما المحلية. ثم أتبع ماستروياني «طلاقه» بـــ «زواج على الطريقة الإيطالية»- Marriage, Italian Style (١٩٦٤) مع دي سيكا وهو الفيلم الذي رشحت من أجله صوفيا لورين مرة أخرى لأوسكار أفضل ممثلة، حيث لعبت في الفيلم دور فيلومينا التي تتزلف لحبيبها دومينيكو سوريانو (ماستروياني) وتخادعه محاولة إقناعه بالزواج بها.

روما فيليني

استطاع فيلم «الحياة الحلوة»- La Dolce Vita (١٩٦٠) لفيديريكو فيليني التقاط روح المدينة الأبدية في ستينيات القرن العشرين. يتسكع الصحفي مارشيلو روبيني (مارشيلو ماسترورياني) برفقة مصوره باباراتسو (والتر سانتيسو) في شارع فينيتو ويرتاد ملاهيه الليلية كي يصطاد مشاهير المدينة وينقب في قصصهم وأسرارهم. يكشف فيليني في هذا الفيلم النقاب عن الحياة المتهتكة لطبقة المشاهير الرومانية كما يصف الفيلم حياة مارشيلو نفسها من خلال انعكاسها في علاقاته بخطيبته الغيورة إيما (إيفون فورنو) وعشيقته مادالينا (أنوك إيميه) التي يشاركها الطبيعة المتهكتة والسطحية وسيلفيا رانك (أنيتا إيكبرغ) وهي نجمة سينمائية أمريكية جاءت إلى روما لتصوير فيلم للمنتج توتو سكاليزيه (كارلو دي ماجيو).

يمارس مارشيلو ومادالينا الحب في شقة مومس غارقة بالماء (المنظر الخارجي للشقة في تور دي سكيافي) وتحاول خطيبة مارشيلو الانتحار. يغطي مارشيلو وصول سيلفيا إلى مطار شيامبينو ويحضر مؤتمرها الصحفي في فندق إكسيلسيور. تزور سيلفيا كنيسة القديس بطرس وقصر كويرينال وتتسلق سلالمه الحلزونية وصولاً إلى قبته. يتسلل مارشيلو وسيلفيا من حفل في أحد الملاهي الليلية (في حمامات كركلا) ويجوبان الشوارع الساكنة. تعثر سيلفيا على قطيطة شاردة فترسل مارشيلو لإحضار بعض الحليب لها. وفي هذه الأثناء، تستحم سيلفيا في نافورة تريفي بثوبها الأسود الكاشف للعنق، في لحظة استغلت بكثافة في الحملة الدعائية للفيلم. وقد استند هذا المشهد في الواقع إلى حادثة حقيقية من حياة إيكبرغ، على الرغم من أن هذه الأخيرة استحمت، في واقع الأمر، في شهر آب، في حين أن فيليني كان يصور فيلمه في أجواء شهر آذار

الجليدية. يخوض مارشيلو النافورة من أجل الوصول إليها- وقد ارتدى ماستروياني في هذا المشهد بذة غوص وابتلع زجاجة من الفودكا كي يقي نفسه من شدة البرد. يغطي مارشيلو قصة «حقل المعجزات» في ضواحي روما حيث زعم صبيان (ماسيمو وجيوفاني بوسيتي) أن السيدة العذراء ظهرت لهما، فتتجمع الصحافة في المكان ويتقاطر المرضى من كل مكان على أمل الإبلال من أمراضهم. يحضر مارشيلو وإيما سهرة أقيمت في منزل ستاينر (ألان كوني)، وهو مثقف يعاني من الاكتئاب ويحاول إقناع مارشيلو بالتخلي عن الصحافة الصفراء وأن يصبح كاتباً حقيقياً. يصل والد مارشيلو (أنيبال نينكي) من الريف من أجل زيارة ابنه، فينخرط في علاقة جنسية مع فتاة الاستعراض فاني (ماغالي نويل)، لكن ذائقته «للحياة الحلوة» كادت أن تقضي عليه.

تتدهور حياة مارشيلو بصورة مطردة. فيحضر حفلة أرستقراطية في قلعة في باسانو دي سوتري (صورت في فيلا ليفيو أوديسكالكي التي تعود إلى القرن السادس عشر والواقعة في الباسانو رومانو في فيتيربو). كان الانحلال الأخلاقي لضيوف الحفلة الأرستقراطيين يتضارب، بجلاء، مع عظمة المكان وكان لباسهم وسلوكهم يوحي بممثلين يشاركون في فيلم رعب قوطي. أما مضيفا الحفل، فهما الدون جيوليو (جيوليو كويستي، الذي أخرج فيما بعد فيلم «اقتل يا دجانغو!»- Django, Kill! وخطيبته نيكولينا (نيكو، وهي عارضة الأزياء أصبحت فيما بعد مغنية فرقة الروك فيلفيت أندرغراوند). شاركت إيدا غالي في الفيلم بدور إيرين، الفتاة المستجدة على الحفلات وأودري مكدونالد بدور الرسامة الإنكليزية جاين. ثم يطلق ستاينر النار على ابنيه قبل أن يطلق النار على نفسه، فيتجمع ضباع الصحافة في انتظار عودة زوجة ستاينر (رينيه لونغاريني) الغافلة عما جرى، كي يصطادوا ردات فعلها. وفي حفلة على الشاطئ في منزل ريكاردو (ريكاردو غارونيه) أقيمت للاحتفال بطلاق ناديا

(وهو أمر جدير بالاحتفال في عالم فيليني الكلبي)، تؤدي ناديا رقصة تعر في حين ينخرط الحضور في طقس مجون باخوسي نشاهد فيه مارشيلو يمتطي كارا الثملة (فرانكا باسوت) قبل أن يغطي جسدها بالريش. ظهر جاك سيرناس في الفيلم بدور معبود الحفلة ولورا بيتي بدور فتاة الحفلات. ثم يطرد ريكاردو ضيوفه خارجاً فيسيرون على الشاطئ في فجر بارد، في حين يجر صيادو سمك جثة متفسخة لسمكة شفنين عملاقة على الشاطئ (صور المشهد في باسو أوسكورا) فيتجمع ضيوف الحفلة حولها. يصادف مارشيلو باولا (فاليريا شيانغوتيني) وهي فتاة من أومبريا كان قد اجتمع بها في وقت سابق في أحد المقاهي. تناديه الفتاة من بعيد لكنه يعجز عن سماعها ويتابع سيره في دروب «حياته الحلوة» التي تفتقر إلى الغائية.

صور فيليني فيلمه (كان عنوانه المؤقت «فيا فينيتو») في الشارع الذي يحمل الاسم نفسه وفي استديوهات شينيشيتا بين شهري آذار وأيار من عام ١٩٥٩. بني مقهى باريس الواقع على امتداد شارع فينيتو في الاستديو. صور أوتيلو مارتيلي الفيلم بالأبيض والأسود بعدسة توتالسكوب ١:٢,٣٥، وهو المصور نفسه الذي صور فيلم «الطريق» (١٩٥٤) و«الخداع»- The Swindle (١٩٥٥) و«ليالي كابيريا»- Nights of Cabiria (١٩٥٧) لفيليني. يقدم فيلم «الحياة الحلوة» واحدة من أجمل أعمال نينو روتا الموسيقية، حيث تستحم سيلفيا في نافورة تريفي على أنغام قيثارة عذبة. وقد أدى عجز المخرجين عن الحصول على حقوق استخدام أغنية «ماك المدية»- Mack The Knife، إلى دفع روتا إلى دمج لحن الأغنية في المقطوعة التي ألفها كي ترافق الحفلة التي جرت في القلعة. وترافق موسيقى «باتريسيا» لبيريز برادو رقصة التعري التي أدتها ناديا، كما تنبعث المقطوعة نفسها من صندوق الموسيقى في مقهى باولا الواقع بجوار الشاطئ ويقدم مغني البوب أدريانو شيلينتانو أغنيات روك أند

رول في حمامات كركلا. أما مشاهد السيرك العزيزة على قلب فيليني، فيتولاها المهرج العجوز وعازف الترومبيت الحزين بوليدار الذي يقدم فقرة بهلوانية بالكرات على طريقة ملهى التشاتشا التقليدية.

رغب منتجو فيلم فيليني في إسناد دور مارشيلو إلى بول نيومان، لكن فيليني أبى ذلك. والواقع أن ماستروياني أدى الدور بامتياز. نشاهد مارشيلو، في بداية الفيلم، على متن مروحية تحلق فوق مدينة روما لمواكبة عملية نقل تمثال المسيح (الذي يتدلى من مروحية أخرى) جواً إلى الفاتيكان. ومارشيلو شخص رقيق ومدخن شره نراه في الليل يغطي عينيه بنظارات شمسية ويقود سيارة رياضية من طراز تريومف سبايدر ذات سقف قابل للطي. لكن مارشيلو إنسان سطحي يكرس حياته لتلبية شهواته. وعلى الرغم من أن الفيلم يقدمه لنا على أنه شخص متفان في عمله كمندوب إعلانات، إلا أنه ليس، في الواقع، أفضل حالاً من السمكة الممددة على الشاطئ، طلي من الخارج ومتعفن من الداخل على العكس من كل ما توحي به المظاهر.

أطلق على شخصية سيلفيا في بداية الأمر اسم أنيتا، لكن إيكبرغ وجدت في دورها ما يكفي من الإشارات إلى حياتها الشخصية. فقد كان خطيب سيلفيا على شاكلة زوج إيكبرغ في ذلك الحين، أنطوني ستيل. أدت ملكة جمال مالمو السابقة دورها على طريقة آفا غاردنر («الكونتيسة عارية القدمين») وريتا هيوارث في فيلم «غيلدا». وقد حصل فيليني على خدمات إيكبرغ مرة أخرى في فيلم «إغواء الدكتور أنطونيو» - The Temptation of Doctor Antonio، وهو الجزء الذي أخرجه من الفيلم متعدد الحلقات «بوكاتشيو ٧٠» - Poccaccio 70 (١٩٦٢) الذي لعبت فيه أنيتا دور أنيتا، الصورة المثيرة التي تعرضها لوحة إعلانية عملاقة تروج، بطريقة استفزازية، لأحد أصناف الحليب. لكن طيف أنيتا العملاق الذي يسكن هواجس أنطونيو ماتسولو (بيبينو دي فيليبو)، وهو شخص متزمت بإفراط، يتحول إلى حقيقة.



الملصق الأمريكي للفيلم الثلاثي «بوكاتشيو ٧٠» (١٩٦٢) بطولة صوفيا لورين وأنيتا إيكبرغ ورومي شنايدر. أخرج فيتوريو دي سيكا «اليانصيب» وفيديريكو فيليني إغواء الدكتور أنطونيو ولوكينو فيسكونتي «المهمة»

عرض فيلم «الحياة الحلوة» وسط عاصفة من الاحتجاجات في إيطاليا- بل إن أحد أفراد الطبقة المحظية بصق في وجه المخرج- لكن الفيلم صنع ثروة ونال السعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي، كما رشح فيليني لجائزة أفضل مخرج في مهرجان أوسكار وتعززت مكانته كمخرج عالمي. وقد ظهرت نسخة من الفيلم في الولايات المتحدة ناطقة بالإنكليزية. ولا يزال فيلم فيليني الذي عرى فيه ظاهرة التبطل وعبادة النجوم يحتفظ بالقوة نفسها حتى اليوم وهو يعتبر أروع أعماله على الإطلاق.

كان فيلم «ثمانية ونصف»- ½ 8 (١٩٦٣) أقرب أفلام فيليني إلى سيرته الذاتية. لعب مارشيلو ماستروياني في هذا الفيلم دور نظير فيليني، المخرج غيدو أنسيلمي. ينوء غيدو، أثناء إقامته في أحد المنتجعات الصحية، تحت ضغوط هائلة تطالبه بالبدء في مشروعه التالي، وهو فيلم خيال علمي. فقد كان العمل يجري على قدم وساق على بناء ديكور باهظ الكلفة- صاروخ ضخم ومنصة إطلاق - سوف يستخدم في مشاهد يشارك فيها الآلاف من ممثلي الكومبارس. إذ كانت حرب نووية قد دمرت كوكب الأرض، فيصعد الناجون على متن الصاروخ للنجاة بأنفسهم من الوباء الذري الذي اجتاح الكوكب. يصاب غيدو بالصداع بسبب الضغوط التي يمارسها عليه الممولون والممثلون على حد سواء، فيقرر الهروب منهم إلى عالم من أحلام اليقظة ينضح بالنزوات والحنين إلى الماضي. ثم تزداد الأمور تعقيداً حين تصل كارلا (ساندرا ميلو)، عشيقة غيدو وزوجته لويزا (أنوك أيميه) إلى المنتجع. وهذا التجاور بين تهويمات غيدو وحياته الحقيقية هو ما جعله فيليني موضوعاً لفيلمه.

وفي حين أن فيليني ينغمس، بغرور، في دوره «كفنان» يمارس عمله الإبداعي، فإن غيدو كاذب وأناني- يسخر كل ما يقوم به لمنفعته الذاتية. وهو عاجز عن فهم «الفوضى التي تدور في رأسي»، وهي الفوضى نفسها التي يحولها فيليني إلى فيلم- يتخيل غيدو نفسه يعوم كأنه بالون معلق بخيط

ويستذكر ذويه ويسترجع لحظات من طفولته ويغرق في تهويمات حول النساء. وهو عاجز، كذلك، عن اتخاذ قرار حاسم في شأن ما إذا كان ينبغي له أن يبدأ العمل على الفيلم أو أن يطلق النار على نفسه. أما ذروة الفيلم، فتحل حين يتحلق كافة الممثلين في الفيلم حول حلبة سيرك بقيادة غيدو. في هذه اللحظة، يلتفت غيدو إلى لويزا قائلاً: «الحياة حفلة... فلنعشها معاً». أما الموسيقى المرافقة، فتقدمها فرقة من أربعة مهرجين، في حين يعزف «غيدو الطفل» على آلة الفلوت. وكان فيليني قد صور هذا المشهد، في الأصل، كي يكون جزءاً من الحملة الترويجية للفيلم، إلا أنه أحله مكان النهاية التي كانت مقررة أصلاً. أما مشهد الختام الذي يسافر فيه غيدو ولويزا على متن قطار عائدين إلى روما مع الممثلين، فقد حذفه فيليني في نهاية المطاف.

صور جياني دي فينانزو فيلم «ثمانية ونصف» بالأبيض والأسود في مواقع على شاطئ أوستيا (المكان الذي تم فيه بناء الصاروخ) وفي تيفولي وفيلاتشيانو وفيتيربو وفي غابة تقع في مقاطعة أور حيث يقع المنتجع الذي يقيم فيه غيدو. ويذكرنا أسلوب الفيلم البصري ذي الطابع الحلمي بفيلم «العام الماضي في ماريينباد» - Last Year in Marienbad (١٩٦٠) لألان رينيه بأجوائه المسكونة الذي يتحدث عن علاقة عاطفية نصف خيالية. كتب نينو روتا موسيقى الفيلم التصويرية التي يمتزج فيها المرح بالمرارة. هكذا، ترقص لا ساراغينا (إيدرا غايل)، الحسناء ذات الشعر الأسود، على الشاطئ أمام تلميذ المدرسة غيدو وحفنة من أصدقائه على أنغام مقطوعة الأرغن الكوردوفوكس الشهيرة. يملأ فيليني المنتجع بأناس كانوا يحتاجون، بالفعل، للحصول على شيء من الراحة. إذ لعبت روزيلا فولك دور روزيلا، العالمة الروحانية شقيقة لويزا، وغيدو ألبيرتي دور المنتج بايس، وجان روغول دور الناقد الفني فابريتسيو كاريني. أما المنتج ماريو ميتسابوتا (ماريو بيسو) وخطيبته الشابة، الممثلة المبتدئة غلوريا مورين (بربارة ستيل)، فهما نسخة من كارلو بونتي وصوفيا لورين. اضطرت إيميه إلى فقدان سبعة كيلوغرامات من وزنها كي



الملصق الإيطالي لفيلم «ثمانية ونصف» (١٩٦٣) لفيليني الذي يتحدث عن المخرج غيدو أنسيلمي (مارشيلو ماسترويياني) والنساء في حياته التهويمية: ساندرا ميلو، أنوك إيميه، كلوديا كاردينالي، روزا فولك وبربارة ستيل

تجسد شخصية لويزا التي تعاني منذ زمن طويل، وبالمقابل، كسبت ميلو سبعة كيوغرامات لأداء دور كارلا. يجتمع غيدو ومنتجو الفيلم في جلسة اختبارات

أداء لاختيار الممثلين، نتابع فيها مجموعة خيارات متفاوتة. وفي المقابل، كان غيدو يضم كل امرأة يقابلها إلى «حريمه» المتخيل. بل إننا نشاهد غيدو - «الأمير الشرقي»-، في واحد من أكثر مشاهد الفيلم شهرة، «يفرض النظام» على حريمه مستخدماً السوط، وكأنه مروض في السيرك، على أنغام افتتاحية الحركة الثالثة لأوبرا داي فالكيري لفاغنر. لكن غيدو يستثني سيدتين من هذه المعاملة هما والدته وكلوديا (كلوديا كاردينالي)، مثل غيدو الأعلى. إذ يتخيل غيدو نفسه يقابل كلوديا في سياق اختبارات الأداء من أجل الفيلم (تظهر على صورة ممرضة في المنتجع) حتى اللحظة التي يدرك فيها أنه لا يوجد أي دور لها لأنه لم يكن هنالك من فيلم في الأصل. لكن كيف يمكن لنا تعريف فيلم «ثمانية ونصف»؟ وهل إن ما نراه هو «فيلم» في الأصل؟ أم إن الأمر لم يكن سوى حلم يقظة يعيشه غيدو العالق في ازدحام مروري خانق؟ يشير اسم الفيلم إلى عدد الأفلام التي أخرجها فيليني حتى عام ١٩٦٣- سبعة أفلام (من ضمنها فيلم «ثمانية ونصف») بالإضافة إلى فيلم شارك في إخراجه («أضواء حفل منوعات»- Lights of Variety [١٩٥٠]) وفيلمين قصيرين يعادل كل منهما نصف فيلم. حقق فيلم «ثمانية ونصف» نجاحاً كبيراً في إيطاليا وخارجها وفاز عام ١٩٦٣ بجائزة أفضل فيلم أجنبي في مهرجان أوسكار.

حاكى ماستروياني تجسيده لشخصية غيدو بطريقة ساخرة في فيلم «كازانوفا ٧٠»- Casanova '70 (١٩٦٥) لماريو مونيشيلي، وهو فيلم هزلي على شكل حلقات متسلسلة تدور أحداثه في مدن أوروبية مختلفة من ضمنها باريس وصقلية ونابولي. لعب ماستروياني في الفيلم دور الميجور أندريا روسي كولومبوتي، وهو ضابط ارتباط في حلف الناتو ورجل شهواني لا يبلغ مرحلة الإثارة الجنسية إلا عندما يحيق به الخطر. تربط أندريا علاقات عاطفية متعددة بفتيات أوروبيات حسناوات: فيرنا ليسي، ميشيل ميرسييه، روزماري ديكستر، مارغريت لي، ماريسا ميل، مويرا وليانا أورفي، سينيا سين ويولاندا موديو. لعب إنريكو ماريا ساليرنو دور محلل نفسي يحاول

علاج أندريا كما ظهر ميمو كاروتينوتو في دور قصير هزلي جسد فيه شخصية مزور أعمال فنية يعلن عن حيازته لـــ «زوجين من الملائكة على الطراز الباروكي يعودان إلى أواخر القرن الثامن عشر، خارجين لتوهما من التنور، ساخنين كالبيتزا». زود أرماندو ترافاجولي وكانتوري موديرني الفيلم بموسيقى تصويرية ذات إيقاع سريع. ينتهي فيلم «كازانوفا ٧٠» بمحاكمة يتحول فيها «حريم» أندريا إلى شهود إثبات. وقد علق ماستروياني على الفيلم قائلاً إنه «مبني على مسعى- قريب إلى قلبي- يهدف لتحطيم صورة الفحل الإيطالي العاشق على الطريقة اللاتينية، وهي صورة بعيدة كل البعد عن أن تكون مقبولة».

كان فيلم «جولييت الأرواح»- Juliet of The Spirits (١٩٦٥) أول أفلام فيليني الملونة. تلعب جولييتا ماسينا (زوجة فيليني) في الفيلم دور جولييت (جولييتا في النسخة الإيطالية) التي ترتاب في أن زوجها الفاسد جيورجيو (ماريو بيسو) يخونها فتلجأ إلى وكالة تحقيقات خاصة اسمها عين النسر كي تكتشف أن زوجها يقابل عارضة في الرابعة والعشرين من عمرها اسمها غابرييلا أولسون. ثم يتخلى الرجل الذي تعتبره جولييت «زوجاً وأباً وحبيباً وصديقاً... وبيتاً» عنها من أجل عشيقته. يصور فيليني هذا الانفصال بأسلوبه المفرط، حيث تتدهور حالة جولييت العقلية، الهشة أصلاً، بسبب تصرفات زوجها الطائشة- المكالمات الهاتفية الغامضة التي يتلقاها، بقاؤه في المكتب حتى ساعات متأخرة من الليل- وتبدأ في اختبار رؤى ذات طبيعة سوريالية. فتتذكر الزمن الذي هرب فيه جدها (لو جيلبرت) بصحبة راقصة سيرك اسمها أيريس (ساندرا ميلو) على متن آلة غريبة يتبين أن الأخوين رايت قد قاما ببنائها. تزور جولييت عرافاً ومعلماً روحياً هو رجل وامرأة في الوقت نفسه اسمه بيشما (فاليسكا غيرت) يبشرها بدين يقوم على عبادة «روح الحب الكونية». تتذكر جوليا كيف لعبت في طفولتها دور إحدى شهيدات المسيحية في عرض مسرحي نظمته راهبات وكيف أن المسرحية انتهت

بإعدام جوليا حرقاً على يد الرومان. ويتكرر مشهد الاستشهاد مرة أخرى أمام عينيها حين تلتهم ألسنة اللهب المتصاعدة ضحية متسربلة بثوب أبيض وقلنسوة بيضاء كانت تحدق بنظرات ملؤها الذعر.

قابل فيليني، في إطار استعداداته لإنجاز الفيلم، عدداً من الوساط الروحيين، بل إنه اختبر عقار الهلوسة بنفسه، وهما أمران ساعداه على صنع فيلم «جولييت الأرواح» الذي يذكر، على وجه الخصوص، بالتصوير السينمائي الذي نفذه جياني دي فينانزو بنظام تكنيكولور، وبتسخير الألوان بطريقة إبداعية في ترميز الديكورات، كما يذكر بالأزياء الأنيقة والقبعات الكبيرة وأسلوب فيليني المميز في وصف رحلات جوليا في عالم الخيال. صور فيليني الفيلم في موقع مجاور لبيته الشاطئي في فريجينيه، شمال فيوميشينو. أما المناظر الداخلية، فصورت في استديوهات بالاتينو وشينيشيتا. تقطن سوزي (ساندرا ميلو) في المنزل المجاور لجوليا. وهي امرأة شهوانية غريبة الأطوار تستضيف في منزلها حفلات مجون يرتادها ضيوف يشبهون إلى حد كبير الأشخاص الذين تراهم جولييت في تهويماتها. تستكمل موسيقى الجاز الكرنفالية التي كتبها نينو روتا تلك الصور الغنية، والمنحرفة في كثير من الأحوال- تعزف في إحدى الحفلات التي شهدها منزل سوزي موسيقى إيقاعية ذات توزيع شرقي على وقع ترنيمات جيانا سبانيولو.

لعبت سيلفيا كوسينا دور سيلفيا شقيقة جولييت، عارضة الأزياء المتألقة ولويزا ديلا نوتشيه دور أديل، التي هي شقيقة جولييت من الناحية العملية وكاترينا بوراتو دور والدة جولييت. ينقل فيليني ضيوف سوزي إلى الشاطئ على متن مركب، على طريقة كيلوباترا، في حين تتخيل جولييت خيولاً ضامرة على متن طود وقارب شراعي بدائي، في مشهد يعتبر استباقاً لفيلم «فيليني ساتيريكون». تضمنت رؤى جولييت أزهاراً ناطقة وأيريس في ثوب زفاف جالسة على أرجوحة وصفوفاً من راهبات محنيات الظهور ومتشحات

بالسواد- وهي رؤى تحولت، مع مرور الوقت، إلى كوابيس نهارية. تشاهد، جوليا في حفلة جرت وقائعها في حديقة، شهيدة تحترق ولوحة «ولادة فينوس» لبوتيشيلي وامرأة عارية تجلس بجوار شجرة (تغطي أفعى عملاقة زلقة الملمس جسدها وتلتف حولها) وعربة لنقل الموتى تنقل جولييت، صديقة طفولة لورا، التي أقدمت على الانتحار. ثم يرحل جيورجيو فترحل الأرواح معه- موضبة أغراضها ومغادرة بصورة جماعية على متن عربة متداعية. والواقع أن الصور التي قدمها فيليني في هذا الفيلم شبيهة بصور ماريو بافا الشاذة، مع فارق وحيد وهو أن فيليني يميل إلى التحليل النفسي لموضوعاته، في حين أن بافا يجاهد من أجل إبراز كل ما هو فائق للطبيعة.

ازدادت سرديات فيليني المتشظية تشوهاً مع فيلم «روما»- Roma (١٩٧٢)، الذي يقابل فيه روما القديمة بروما المعاصرة. تخبرنا المشاهد الترويجية للفيلم التي كانت وابلاً من صور لا تنسى أن «فيليني يدرس سقوط الإمبراطورية الرومانية: ١٩٣١-١٩٧١». يتابع الفيلم رحلة فيليني (بيتر غونزاليس)- وهو صحفي شاب يصل إلى محطة قطارات تيرميني في روما قادماً من المقاطعات الشمالية- ويعرض انطباعاته عن المدينة الفاشية في زمن الحرب. ويتداخل تصوير فيليني لحياة الأسرة الإيطالية الصاخبة وللعروض الفنية والمواخير والملاجئ التي تستخدم للاحتماء من الغارات الجوية مع لقطات لروما الحديثة، التي تحولت إلى مدينة اجتاحها الهيبيون. قام فيليني ببناء شارع روماني كامل، بما فيه من عربات تراموا، هو شارع فيا ألبالونيا، في الاستديو الخامس في شينيشيتا. كما يتضمن الفيلم العديد من المشاهد جرى تصويرها وسط آثار المدينة (الكولوسيوم، نافورة تريفي، جسر سانت أنجيلو وقلعة سانت أنجيلو). أما الأدراج الإسبانية فكانت مغطاة بذوي الشعور المنسدلة، في حين قامت الشرطة بإبعاد طلاب متظاهرين من نافورة في ميدان سانتا ماريا. ظهر فيليني نفسه في لحظات مختلفة من الفيلم وهو يمارس الإخراج. كما تم حذف لقطات قصيرة لمارشيلو ماستروياني وألبرتو سوردي

من المونتاج النهائي للفيلم في حين أدت آنا مانياني- من فيلم «روما، مدينة مفتوحة»- ظهورها الأخير في السينما. يجتاح، في لحظة ذروة الفيلم، عدد كبير من الدراجين شوارع المدينة ليلاً في مشهد يخاله المرء مستخرجاً من فيلم «١٩٩٠: محاربو البرونكس» أو غيره من أفلام الثمانينيات الإيطالية.

يعتبر «روما» فيلماً فيلينياً مفككاً، من حيث أنه يعرض سلسلة غير مترابطة من الأحداث، على الرغم من كونه ينضح بالحيوية. وتذكرنا الجولة السوريالية في طريق روما الالتفافي (راكوردو أنولاريه) الذي تزدحم السيارات فيه تحت أمطار غزيرة والذي تبلغ الفوضى المرورية فيه ذروتها مع وقوع حادث مروع، تنقلب فيه شاحنة نقل مواشٍ، بوصول توبي داميت في فيلم «قصص مذهلة». تتجه إحدى الأسر إلى صالة السينما لمتابعة فيلم مجالدين مثير يليه شريط إخباري فاشي. ويكتشف المهندسون وجود منزل روماني مذهل في نفق ضخم يمتد تحت المدينة، لكن الصور الجدارية الملونة التي كانت محفوظة تماماً تتحول، على الفور تقريباً، إلى اللون الرمادي. يصف مسرحي كبير الفودفيل بأنه مزيج من «سيرك وماخور»، في مقولة تلخص بطريقة ممتازة سينما فيليني. ويتجاذب غور فيدال أطراف الحديث مع الصحفي جون فرنسيس لاين على هامش مهرجان نوانتري، حيث يصف فيدال مدينة روما قائلاً: «إنها في نهاية المطاف مدينة الكنيسة والحكومة والأفلام... وهي، جميعها، تصنع الأوهام». أما أشهر مشاهد الفيلم فهي ذلك الذي يظهر فيه عرض أزياء كنسي يختال فيه العارضون والعارضات على المنصة بأزياء غريبة من تصميم دانيلو دوناتي- أغطية رأس راهبات تخفق كالنوارس وكهنة يقودون دراجات وينتعلون أحذية ذات عجلات بالإضافة إلى تصاميم لوحات من الزجاج الملون مضاءة بأنوار النيون وكاردينالات من لاس فيغاس بتيجانهم البراقة وعباءاتهم المتألقة وأكسسواراتهم المبهرجة. لم يطف فيلم «روما» في أرجاء إيطاليا كما ينبغي، كما أنه لم يلق القبول الجماهيري إلا في مدينتي روما وميلانو. ويظهر الملصق الإعلاني المميز

للفيلم امرأة ذات ثلاثة أثداء تدب على أربعة وتشبه الذئبة التي أرضعت روميلوس وروميوس.

ينقب فيلم «أماركورد»- Amarcord (١٩٧٣- كلمة عامية إيطالية تعني «أتذكر»)، الذي تدور أحداثه في منتجع ريميني الواقع على شاطئ البحر الأدرياتيكي في شمال غرب إيطاليا (مسقط رأس فيليني)، بأسلوب كئيب في ماضي فيليني. كان وصف فيليني لإيطاليا، في فيلم يعتبره الكثيرون أفضل أعماله، أقرب إلى أن يكون نكوصاً، إلى ذكريات مراهقته في منتصف الثلاثينيات، اتسم بمسحة وردية طفيفة. يقودنا، في مسارات الفيلم المتعرجة، محام (لويجي روسي) يقدم لنا السياق التاريخي لأحداث الفيلم. يغطي فيلم «أماركورد» سنة واحدة تبدأ في فصل الربيع مع وصول «جنية الزغب» حاملة معها أبواغاً بيضاء تذروها الريح، بعد أن كان فصل الشتاء قد اختتم بإحراق تمثال «ساحرة الشتاء العجوز». أما شخصيات الفيلم الرئيسية فهي الشاب تيتا بيوندي (برونو زانين) وأفراد أسرته الكبيرة- ومنهم والدته ميراندا (بوبيلا ماجيو) ووالده أوريليو (أرماندو برانشيا) وهو رئيس ورشة بناء- بالإضافة إلى نينولا (ماغالي نويل) وهي مصففة شعر محلية رائعة الجمال تعرف باسم غراديسكا وتتمتع بنظرات نجمة سينمائية تجعلها محط اهتمام رجال البلدة.

يعتبر فيلم «أماركورد» أكثر أفلام فيليني تماسكاً وقابلية للفهم. وهو يقدم لنا موسيقى تصويرية كتبها نينو روتا تمزج الفرح بالمرارة وتصويراً سينمائياً غنياً نفذه جيوسيبيه روتونو. يتضمن الفيلم فصولاً نشاهد فيها تيتو مع رفاق صفه في المدرسة وأثناء اللهو- يحاول شيتشيو ماركوني (فرناندو دي فيليشيه) البدين أن يواعد ألدينا كورديني (دوناتيلا غامبيني) التي لا تبالي به، في حين يتابع تيتا أفلام وسترن في سينما فولغور ويتبول من الشرفة على قبعة صديق والده. تستمتع غراديسكا بلقاء عاطفي في الفندق الكبير (صورت المناظر الخارجية في أنزيو) جمعها بأمير يزور البلدة وتحلم بالعثور على

الرجل المناسب. تتدفع السيارات المشاركة في الدورة السابعة من رالي الألف ميل في شوارع البلدة ويلتئم اجتماع فاشي حاشد للترحيب بالسكرتير الإقليمي للحزب. ينطلق الناس في البحر على متن قوارب صغيرة من أجل رؤية السفينة ريكس العابرة للمحيطات («أعظم إنجازات الحكومة») التي كانت عائدة من رحلة عبرت خلالها المحيط الأطلسي. كما نشاهد موسوليني يتكلم في جموع حاشدة محاطاً بأكاليل من الورود. وعند عودة فصل الشتاء، تتعرض البلدة لعاصفة ثلجية تغرق شوارعها في ثلوج تبلغ سماكتها متراً واحداً محولة إياها إلى تيه رائع.

أما شخصيات فيليني النسائية، فهن صورة نمطية لفتيات المواخير. إذ تبدو فولبينا (جوزيان تانزيلي) الشقراء الشبقة وكأنها ضلت طريقها من فيلم «فيليني ساتيريكون»، في حين تطلب لوتشيا (ماريا أنطونييتا بيلوتسي)، بائعة التبغ الشهوانية ذات الصدر الناهد من تيتا المذعور، أن يمص ثدييها الوافرين. وتنتشر في أرجاء الفيلم تهويمات جنسية مراهقة- إذ إن «نصب النصر» لا يلقى التقدير إلا بسبب مؤخرته الحادة في حين يروي بائع متجول وضيع قصصاً طويلة عن دعوته إلى جناح في الفندق الكبير استضاف ثلاثين من عشيقات الأمير الزائر. لعب شيتشيو إنغراسيا دور تيو، عم تيتا المجنون الذي يتسلق شجرة، خلال نزهة عائلية، ويقول: «أريد امرأة»، قبل أن تنزله راهبة قزمة. غير أن وفاة والدة تيتا خلال الشتاء بالإضافة إلى أجواء القمع الفاشي كانت كفيلة بتقويض هذه الكوميديا الغريبة. فقد كانت الغالبية العظمى من سكان البلدة من الفاشيين، باستثناء أوريليو الاشتراكي الذي يتعرض للتعذيب بإرغامه على شرب زيت الخروع. ينتهي الفيلم، وقد عثرت غراديسكا في نهاية المطاف، على الحب وتزوجت رجل شرطة اسمه ماتيو («غاري كوبر خاصتها»). تعود «جنية الزغب» مرة أخرى وتستمر الحياة في شمس تلك البلدة المطلة على شاطئ البحر. استحق فيلم «أماركورد» نيل جائزة أفضل فيلم أجنبي في مهرجان أوسكار لعام ١٩٧٤.

يعود فيلم «سينما باراديسو»- Cinema Paradiso (١٩٨٨) لجيوسيبيه تورناتوريه- وهو فيلم إيطالي آخر فاز بأوسكار أفضل فيلم أجنبي- بأسلوب ينضح بالنوستالجيا إلى سينما الشباب، بالطريقة نفسها تقريباً التي تناول بها فيليني ماضيه في ريميني، من خلال العلاقة التي تربط موظف عرض أفلام صقلي اسمه ألفريدو (فيليب نواريه) بالشاب سالفاتوريه دي فيتا الملقب بــ «توتو» (سالفاتوريه كاشيو) وحبهما المشترك للسينما. إذ يشاهد الرجلان معاً على الشاشة الفضية المترجرجة جون واين في فيلم «عربة الجياد»- Stagecoach (١٩٣٩) وكيرك دوغلاس في فيلم البيبلوم المبكر «أوليسيس»- Ulysses (١٩٥٤) لماريو كاميريني وفيتوريو غاسمان والممثل الكوميدي توتو. وقد كانت هذه القصة العاطفية بموسيقاها التصويرية الحزينة والرائعة التي كتبها موريكونيه فيلماً فيلينياً خفيفاً موجهاً بصورة رئيسية للجمهور الأجنبي.

الدخلاء: فيسكونتي، ديلون، بيلوكيو وبازوليني

رسم مخرجون مثل لوكينو فيسكونتي وماركو بيلوكيو وبيير باولو بازوليني صورة لإيطاليا تختلف عن تلك التي قدمها فيليني من خلال ذكرياته عن بلدة ريميني، صورة لبلد تمزقه الكراهية والفقر والعنف. سجل فيسكونتي حضوره الأول من خلال لوحة واقعية جديدة عن صياد سمك في فيلم «الأرض ترتجف»- The Earth Trembles (١٩٤٨). واقتبس فيسكونتي فيلم «روكو وأشقاؤه»- Rocco and His Brothers (١٩٦٠) من رواية لجيوفاني تيستوري اسمها «جسر غيسولفا». يتحدث الفيلم عن الأشقاء الخمسة باروندي ووالدتهم الأرملة روزاريا (كاتينا باكسينو) الذين ينتقلون من صقلية إلى ميلانو. يتشارك اثنان من الأشقاء هما روكو (ألان ديلون) وسيمونيه (ريناتو سالفاتوري) حبيبة واحدة هي المومس ناديا (آني جيراردو) التي يطعنها سيمونيه بعنف حتى الموت. أما الممثلون المساعدون، فنذكر منهم باولو ستوبا وروجر هانين وكلوديا كاردينالي. قدم الموسيقى التصويرية لهذا العمل

الدرامي المثير للجدل نينو روتا ونفذ جيوسيبيه روتونو عمليات التصوير السينمائي بالأبيض والأسود.

كان ألان ديلون، الذي كان يعتبره الكثير من النقاد عارضاً وسيماً أكثر منه ممثلاً، قد شارك في مجموعة من أفضل أفلام الستينيات الأوروبية مثل «روكو وأشقاؤه الخمسة» و«الكسوف» و«النمر» و«الساموراي». كما لعب ألان ديلون دور توم ريبلي في فيلم «ظهيرة قرمزية»- Purple Noon (١٩٦٠- «شهوة الشيطان» أو أيضاً «شمس حارقة») لرينيه كليمان، وهو فيلم إيطالي مقتبس من رواية بوليسية لباتريسيا هايسميث عنوانها «السيد ريبلي الموهوب». يصادق توم، في مدينة روما، فيليب غرينليف (موريس رونيه) وخطيبته مارج (ماري لافوريه). وبينما كان الثلاثة يمخرون البحر التيراني، يتسبب توم بحدوث خلاف بين فيليب ومارج، فتغادر مارج السفينة في ميناء تاورمينا الصقلي. ثم يقوم توم بطعن موريس ويقيده بحبل ويدليه بمرساة قبل أن يرميه في البحر. يصل صديق فيليب الأمريكي فريدي مايلز (بيل كيرنز) إلى روما كي يجد توم وقد تقمص شخصية فيليب: إذ يسمع، بمحض الصدفة، امرأة تناديه باسم غرينليف، فيقدم توم على قتله. يرتاب المفتش ريكوردي (إيرنو كريزا) في أن فيليب المتواري عن الأنظار هو من ارتكب الجريمة. وفي مرفأ مونجيبيلو الصقلي، ينفذ توم خطة ترمي للإيحاء بأن فيليب قد أقدم على الانتحار. إذ كان فيليب قد ترك كل ثروته لمارج التي أصبح توم يخطط الآن لإغوائها.

كان فيلم كليمان هذا مزيجاً هيتشكوكياً من الغموض والرومانسية والقتل. كما تخلق مشاهد التيترات المفعمة بالحيوية- لقطات تصويرية ملونة من مدينة روما ترافقها مقطوعة موسيقية درامية ألفها نينو روتا- جواً حافلاً بالحدة، على شاكلة أفلام هيتشكوك. صور هنري ديكاي الفيلم في مواقع إيطالية باستخدام نظام إيستمانكولور، حيث تم تصوير الفيلم في روما (الكولوسيوم، ميدان الشعب

وميدان نافونا) بالإضافة إلى لقطات في خليج نابولي وفي البلدة القديمة في نابولي نفسها وفي جزيرة إيسكيا وفي الواجهة البحرية لجزيرة بروشيدا بمرفئها الفريد ومبانيها الملونة. جرى قدر كبير من أحداث الفيلم في جزيرة صقلية وفي جبل إتنا وميناء تاورمينا. كانت زرقة البحر التيراني اللازوردية تتباين بشدة مع بياض اليخت الأنيق (كان اسمه مارج كذلك) الذي يرسو في نهاية المطاف في الميناء الجاف كي يكون شريكاً في السر الأخير الذي يبوح به الفيلم. يؤدي ديلون، بإطلالته الرشيقة، دور القاتل ذي الدم البارد بطريقة مقنعة. إذ يظهر توم إنساناً ضعيف البنية، على الصعيدين الجسدي والعقلي على حد سواء، حالماً، يعيش كذبة كبيرة، وينمو على الخداع والتزييف. يمازح فيليب توم أثناء الرحلة على متن اليخت فيتركه يشوى لساعات طويلة تحت الشمس اللاهبة متسبباً له بحروق كبيرة في ظهره. وعندما يبدأ توم بتقمص شخصية فيليب، نتابع كيف يزيل كليمان بالتدريج عن جسد توم الطبقات المتقرحة كي تتكشف تحتها شخصية قاتل ومتقمص شخصيات.

كان فيلم «القبضتان في الجيب»- Fists in the Pockets (١٩٦٥- «قبضتاه في جيبه» في الولايات المتحدة)، باكورة أعمال الكاتب والمخرج ماركو بيلوكيو. يتناول الفيلم أسرة مفككة تعيش في فيلا ريفية منعزلة في الجبال. تتألف الأسرة من ثلاثة أشقاء هم أوغوستو (مارينو مازيه) وأليساندرو (أو ساندرو ويؤدي دوره لو كاستيل) وليونيه (بيير لويجي تروليو) وشقيقتهم جيوليا (باولا بيتاغورا) ووالدتهم الضريرة (ليليانا جيراس). يعاني أليساندرو وليونيه وجيوليا من مرض الصرع وتنتاب جيوليا مشاعر حب محرم تجاه أليساندرو وأوغوستو، وهو الفرد الوحيد في الأسرة الذي يعمل لتحصيل قوت الأسرة. يخطط أليساندرو المتبلد والطفلي ذو الشخصية الهامشية لتخليص أوغوستو من أفراد أسرته الشنيعين كي يتمكن أوغوستو من الانتقال إلى المدينة برفقة حبيبته لوشيا (جيني مكنيل).

يحفل الفيلم بصور جميلة وباعثة على الاضطراب - جنائز، هطول الثلوج، مشاعل، شجارات عائلية - الأمر الذي يخلق مزيجاً غريباً من الدراما والرعب، بل وحتى السخرية السوداء. يدعي أليساندرو كذباً أنه اجتاز بنجاح اختبار قيادة السيارة - يخطط لقيادة أفراد الأسرة إلى الهاوية أثناء رحلتهم إلى المقبرة لزيارة ضريح الوالد قبل أن تصيبيه نوبة صرع تجلعه ينسى ما خطط له. كان أليساندرو بحاجة إلى ثلاثة ملايين لير لتمويل مشروع لتربية المواشي، وهو، بالضبط، المبلغ الذي تنفقه الأسرة سنوياً للعناية بالأم الضريرة، فيدفع أليساندرو والدته عن قمة جرف ثم يغرق ليونيه في الحمام الأمر الذي يجعل جوليا تقع من قمة السلم فتصاب بجروح لكنها تبقى على قيد الحياة. وعندما يصاب أليساندرو بنوبة صرع تجعله يتلوى كسكمة خارج الماء، لم تنهض جيوليا، التي كانت تتعافى من إصابتها، من فراشها لمساعدته على الرغم من أنها كانت قادرة على ذلك. جسد كاستيل شخصية ساندرو، الشاب دائم الغضب الذي يضع يديه في جيوبه، بشكل ممتاز. تضع جيوليا بجوار سريرها بطاقة بريدية عليها صورة لمارلون براندو يبدو فيها وكأنه الشقيق الأكبر لكاستل المشاكس. لقد كان فاتناً بحق ذلك الأداء الذي قدمه ابن الثالثة والعشرين. حيث نرى أليساندرو، في مشهد يبعث على الإزعاج يقرأ الصحيفة لوالدته لكنه يغير العناوين الحقيقية ويقرأ لها عناوين من اختلاقه فيقول بنبرة رخيمة: «جريمة قتل مع سبق الإصرار... ابن يقتل والدته»، فكان رد والدته محبطاً: «هذا أمر حسن». ثم يتابع أليساندرو القراءة: «زوجان متقاعدان يقتلان نفسيهما بالغاز. الرجل في الثامنة والستين والمرأة في الثالثة والخمسين». فتجيب والدته: «إنها في مثل سني... ألا يوجد أي نبأ سار؟»

صور ألبرتو ماراما الفيلم بالأبيض والأسود بطريقة كئيبة، وكان الفيلم نذيراً لسلسلة أفلام التشويق النفسي التي سوف تعرفها السينما الإيطالية، بل إن ذلك الشبه يزداد من خلال الموسيقى الطليعية التي ألفها إينيو موريكونيه التي تتألف من رنين أجراس كذلك الذي ينبعث من صندوق الموسيقى ونحيب سوبرانو وأنغام وترية مخيفة وجميلة.

شارك لوكينو فيسكونتي في إخراج حلقة واحدة من خماسية «الساحرات»- The Witches (١٩٦٦) بعنوان «الساحرة تحرق حية». في تلك الحلقة من الفيلم، تصل الممثلة النجمة غلوريا (سيلفانا مانغانو)، التي تبدو على شفير انهيار عصبي، إلى كوخ ألبي يقع في بلدة كيتزبول للإقامة مع صديقتها فاليريا (آني جيراردو). تتحول غلوريا في الكوخ إلى محط لاهتمام ضيوفه من الرجال. لكن غلوريا تفقد وعيها، فتستغل النسوة اللواتي يغرن منها الفرصة لإزالة زينتها- رموشها الصناعية، غطاء رأسها الذهبي على طراز كليوباترا وكحل عينيها- كي يتبدى للجميع أن جمال غلوريا زائف. تكتشف غلوريا أنها حامل، لكن زوجها ومنتج أعمالها أنطونيو الذي كان يحدثها على الهاتف من نيويورك يقترح عليها الإجهاض. أما صورة أنطونيو التي تضعها غلوريا بجوار سريرها فليست سوى صورة المنتج دينو دي لورينتيس. يتحلق مصورو الباباراتزي حول غلوريا التي تبدو على وشك الانهيار إلى أن تصل مروحية غامضة تقل على متنها مصممي أزياء يحضرون غلوريا لمواجهة عدسات الصحافة، فيلفونها بمعطف ذي قلنسوة مصنوع من جلد النمر ويضعون على عينيها نظارة شمسية ثم ينطلقون بها بعيداً. يعالج فيلم «الساحرة تحرق حية» مسألة هشاشة النجومية والضغوط النفسية التي يرزح تحتها النجوم.

يمثل فيلم «أكاتونيه»- Accatone (١٩٦١) البداية الإخراجية للروائي والشاعر بيير باولو بازوليني. ويلعب دور البطولة فيه فرانكو شيتي بدور فيتوريو أكاتونيه وهو مجرم وقواد حقير يعيش في أحياء روما الفقيرة، في حين لعبت سيلفيا كورسيني دور عاهرته مادالينا. اقتبس الفيلم من رواية لبازوليني تحمل الاسم نفسه وأحدثت واقعيته صدمة كبيرة في أوساط الجمهور. يسرق فيتوريو المال من شقيقه لشراء حذاء لحبيبته ستيلا (فرانكا باسوت). جسد شيتي شخصية أكاتوني (يعني الاسم بالإيطالية الشحاذ) ذا الوجه القاسي بامتياز. عمل برناردو بيرتولوتشي مساعداً للمخرج وقدم تونينو ديلي صورة سينمائية متسخة ومشمسة بالأبيض والأسود أما الموسيقى فكانت «آلام المسيح بحسب القديس

متى» لباخ (الأوركسترا بقيادة كارلو روستيكيلي). استمر بازوليني في الأحياء الفقيرة في فيلم «ماما روما»- Mamma Roma (١٩٦٢) الذي تلعب بطولته آنا مانياني دور مومس أخرى وإيتوريه غاروفالو دور ابنها إيتوريه. ومرة أخرى يقدم ديلي كولي صورة واقعية بالأبيض والأسود في حين كتب روستيكيلي الموسيقى التصويرية.

كان فيلم «النظرية»- Theorem (١٩٦٨) مزيجاً من حكايات بازوليني عن الأحياء الفقيرة وموضوعات دينية وأسطورية كان قد تناولها في فيلمين سابقين هما «الإنجيل بحسب القديس متى»- Gospel According to St Matthew و«أوديب الملك»- Odepuis Rex. يتحدث الفيلم عن الحياة المقفرة التي تعيشها أسرة ميلانية بورجوازية: باولو (ماسيمو جيروتي)، الذي يملك مصنعاً وزوجته لوشيا (سيلفانا مانغانو) وولديهما أوديتا (آن فيازيمسكي) وبييترو (أندريس خوسيه كروز سوبليت) والخادمة إيميليا (لورا بيتي). يزور الأسرة ضيف غامض (تيرانس ستامب) يغوي كل أفرادها بدءاً بإيميليا، ويترك الأسرة لدى مغادرته محطمة. إذ تصاب أوديتا بشلل أصاب الأطباء بالحيرة فيتم نقلها إلى مصح علاجي. أما بييترو الفنان، فيكره أعماله ويتبول على لوحاته، في حين تجوب لوشيا شوارع المدينة بسيارة ميني كوبر باحثة عن حبها الضائع من خلال علاقات جنسية عابرة. أما باولو، فيتخلص من ممتلكاته (بما فيها مصنعه) ويتعرى في محطة قطارات ميلانو ويسير على غير هدى، عارياً وصارخاً، في صحراء موحشة يعمها الدخان، وقد صار مفلساً من الناحية الأخلاقية والمالية على حد سواء. وحدها إيميليا استفادت من اتصالها بالزائر الغريب. إذ تعود إلى قريتها وتتحول فيها إلى قديسة ريفية من أكلة الشوك وتمارس أعمال الشفاء العجائبي على سكان القرية قبل أن تحلق فوقها وتدفن حية في موقع بناء حيث تشكل دموعها بركة تتحول إلى ينبوع للماء المقدس.

صور جيوسيبي روتسوليني فيلم «النظرية» في ربيع عام ١٩٦٨ في مواقع في لومبارديا وميلانو وفي استديوهات إيليوس. استخدم بازوليني

موسيقى لموزارت عزفها كورس الأكاديمية الروسية وأوركسترا موسكو الفيلهارمونية. نشر بازوليني قصة الفيلم على شكل رواية قبل إطلاقه في الصالات. وفازت بيتي، لدى عرض الفيلم في افتتاح الدورة التاسعة والعشرين لمهرجان البندقية السينمائي في أيلول ١٩٦٨، بجائزة أفضل ممثلة. أما ستامب، زائر بازوليني الملائكي، فيظهر في الفيلم عارياً في مواجهة الكاميرا في أولى مشاهد العري الذكوري الكامل في السينما الجماهيرية. وقد صودر فيلم «النظرية» وحوكم بازوليني في البندقية بتهمة الفحش دون أن يدان.

ثم حقق بازوليني أعظم نجاحاته التجارية في «ثلاثية الحياة»- Triology of Life التي تدور أحداثها في أجواء قروسطية. أنتجت شركة بيا لألبرتو غريمالدي الأفلام الثلاثة وصمم دانيلو دوناتي أزياءها وكتب بازوليني وموريكوني موسيقاها. اقتبس فيلم «ديكاميرون»- The Decameron (١٩٧٠) من قصص لجيوفاني بوكاتشيو وظهر بازوليني في الفيلم على سقالة يرسم لوحة جدارية لكنيسة. وقد كانت هذه الحلقة الأكثر تأثيراً مصدر إلهام كذلك للشاعر جون كيتس في قصيدة «إيزابيلا: أو حوض الكنيسة». تكتشف إيزابيلا أن حبيبها المتوفى مدفون في قبر قليل العمق في غابة (دفنه أشقاؤه الذين قتلوه) فتقطع رأسه وتزرعه في حوض نباتات في كنيسة. أما الحلقات الأخرى في القصة، فتظهر فيها راهبات يتمتعن بجاذبية جنسية مفرطة وممارسات جنسية سرية وحفلات زفاف واحتفالات ليلية صاخبة. وقد ساعد العري الوافر في الفيلم (مع الضجة التي أثارها) بالإضافة إلى الإنتاج الضخم الفيلم على تحقيق نجاح كبير في إيطاليا وكان مصدر إلهام للعديد من الأفلام التي حاولت تقليده مثل «ديكاميروتيكوس»- Decameroticus (١٩٧٢). كان الأمر في هذا الفيلم كما قال إنزو سيشيليانو تماماً «الفن في انتصاره على البورنو». تظهر سيلفانا مانغانو لفترة وجيزة في خاتمة الفيلم- التي تصور السماء والجحيم في مقلع للحجارة- على هيئة عذراء عملاقة تهيمن على المشهد الفوضوي في حين يلقى بالمدانين العراة في الجحيم.

صور فيلم «حكايات كانتربري»- The Canterbury Tales (١٩٧١) المقتبس من كتابات لجيفري شاوسر في بريطانيا مع طاقم ممثلين إيطالي بريطاني. خلق بازوليني في هذا الفيلم، مع مصوره ديلي كولي ومصمم الأزياء دوناتي، أجواء إنكليزية قديمة لا تنسى (مبان نصف خشبية، أكواخ، كنائس قوطية، خانات) صورت في المواقع الأصلية- كامبريدج، باث، كانتربري، تشيبينغ كامبدن، واروك، راي، مايدستون، رولفندن، لافرهام، ويلز، هاستينغز (أطلال معركة آبي). وقد أسند الفيلم أدواراً مميزة لكل من لورا بيتي وفرانكو شيتي وهيو غريفيث وجوزيفين شابلن ومايكل بالفور كما ظهرت جيني روناكر. لعب نينيتو دافولي، في مقطع كوميدي من الفيلم، دور رجل مشرد على طريقة تشارلي شابلن. كما ظهر في الفيلم توم بيكر، الذي سوف يلعب دور «الدكتور هو» في المستقبل، عارياً وروبن أسكويث (الذي سوف يظهر في المستقبل في مسلسل «اعترافات» البريطاني الذي ينتمي إلى فئة الكوميديا الجنسية) يتبول من شرفة على صانعي الجعة. لعب بازوليني دور تشوسر الذي يكتب وهو جالس إلى مكتبه المزخرف. وقد أعدمت معظم شخصيات الفيلم أو أصيبت بالعمى: اخترق قضيب مجمر حار حتى الاحمرار ظهر أحدهم. يزور بازوليني، في واحد من أكثر مشاهد الفيلم إثارة للجدل، الجحيم الذي تم تصويره في جبل إتنا الرمادي والضبابي، وسط مشانق وسوى ذلك من أدوات التعذيب، حيث نشاهد شياطين مجنحين بشعين يعذبون أرواحاً عارية، على وقع أجراس موريكونيه وموسيقى كنسية ممتزجة بصراخ المطهر. وقد حفل الفيلم بالعري وكان النجاح الكبير الذي حققه في إيطاليا مصدر إلهام للعديد من الأفلام المتهتكة التي حاولت محاكاته مثل «المزيد من الحكايات الجنسية من كانتربري»- More Sexy Tales from Canterbury و«حكايات كانتربري الأخرى»- The Other Tales of Canterbury و«زوجات كانتربري الشبقات»- The Lusty Wives of Canterbury (وجميعها أنتجت عام ١٩٧٢).

أما فيلم «ليال عربية»- Arabian Nights (١٩٧٣) لبازوليني فقد كان أكثر غرائبية من الناحية الإيروتيكية من سابقيه. صور جيوسيبيه روتسوليني الفيلم في إثيوبيا واليمن وإيران ونيبال. تظهر إينيس بيليغريني، في قصة الفيلم المفككة، بدور أمة شابة تبهر أحد الرجال وتتوج ملكة. كما ظهر في الفيلم كل من دافولي وشيتي، حيث لعب شيتي دور مشعوذ طائر أحمر الشعر يحول رجلاً إلى قرد تشامبانزي. ثم يصبح هذا القرد ملكاً عندما يكتشف الناس أن هذا الحيوان قادر على الكتابة. رافقت حكايات الحب والسحر وغرق السفن والقوافل الصحراوية والخيانة والجنس معزوفات جميلة من موريكونيه على القيثارة والآلات الوترية. كان فيلم «ليال عربية» أكثر أفلام الثلاثية صراحة من الناحية الجنسية، وبدا فيه أن معظم ليالي «ألف ليلة وليلة» قد أنفقت في المجون. لم يصنع بازوليني بعد ذلك سوى فيلم واحد هو «مائة وعشرون يوماً في سدوم»- Salo, Or The 120 Days of Sodom (١٩٧٥) الوحشي والشنيع قبل أن يتوفى عن ثلاثة وخمسين عاماً في تشرين الثاني من عام ١٩٧٥ حين دفعه مومس شاب إلى الثمالة حتى الموت بالقرب من شاطئ البحر في أوستيا.

الموت على الطريقة الإيطالية

تفوق المخرج الإيطالي المبدع والمعروف بتشاؤمه لوكينو فيسكونتي على نفسه في فيلم «موت في البندقية»- Death in Venice (١٩٧١) المقتبس من رواية للروائي الألماني توماس مان كتبها عام ١٩١٢ ويتحدث عن موت فنان (روائي في القصة الأصلية، في حين كان مؤلفاً موسيقياً في الفيلم). يصل البروفسور غوستاف فون آخنباخ (ديرك بوغارد)، وهو مؤلف موسيقي وعازف استوحيت شخصيته من النمساوي غوستاف مالر، إلى مدينة البندقية لقضاء فترة نقاهة إثر إصابته بانهيار عصبي، حيث يقيم في فندق دي بينز الكبير في الليدو ويقضي أيامه على الشاطئ يراقب سير الحياة. تصيب غوستاف حالة من الذهول ثم التثبيت قبل أن يصبح مهووساً بنزيل الفندق

الشاب تادزيو (بيورن أندرسن)، وهو مراهق بولندي وسيم أشقر يأتي برفقة والدته السيدة موز (سيلفانا مانغانو) وشقيقاته الثلاث ومربيتهم (نورا ريتشي) لقضاء العطلة. فقد بدا أن تادزيو استطاع لفت انتباه غوستاف بغمزاته وسلوكه المستفز، إلا أن الاثنين كانا منذورين للتنائي. لم تكن البندقية ذلك الملاذ الذي كان غوستاف يحلم فيه، لأن المدينة كانت قد تعرضت لجائحة الكوليرا.

ينتمي فيلم «موت في البندقية» إلى ذلك النوع من الأفلام الذي برع فيه فيسكونتي- الأفلام النخبوية ذات الإيقاع البطيء التي تحتاج إلى إنتاج سخي ومتأن وموسيقى رائعة. صمم بييرو توسي أزياء الفيلم وتولى فرديناندو سكارفيوتي منصب المدير الفني. استخدم فيسكونتي السيمفونية الثالثة والسيمفونية الخامسة لمالر اللتين قدمتهما أوركسترا سانتا شيشيليا الأكاديمية الوطنية بقيادة فرانكو مانينو مع دور بارز لمغنية الألتو لوكريزيا ويست. وقد تكاملت هذه المعزوفات الضخمة ذات النكهة الملحمية الحزينة بطريقة مبدعة مع التصوير السينمائي لباسكوالينو دي سانتيس لنظام البانافيجن. صورت المناظر الداخلية في استديوهات شينيشيتا، في حين صورت مشاهد رصيف المرفأ والبحيرة الشاطئية والشاطئ والشارع في مدينة البندقية. ومع انتشار الوباء، تغسل الشوارع ببخار أبيض مطهر في حين تحيل النار التي استخدمت للغايات التطهيرية نفسها شوارع المدينة الجميلة إلى أحياء قذرة- وهو الوصف الذي يطلقه فيسكونتي على فيلم «موت البندقية».

يقاطع فيسكونتي مسار الأحداث بمشاهد فلاش باك تعرض نتفاً من حياة غوستاف في مدينة ميونيخ- حيث نراه منخرطاً في جدل نظري مع زميله ألفرد (مارك برنز)، ثم نتابع وفاة ابنته والاستقبال الكارثي الذي حظي به أحدث أعماله وعلاقته بزوجته (ماريسا بيرنسن) وزياراته السرية للمومس إزميرالدا (كارول أندريه). يعتبر فيلم «موت في البندقية» تحفة فنية أنيقة، وهو يبدو، بحق، واحداً من مقطوعات مالر. وقد جسد بوغارد في الفيلم

شخصية غوستاف بامتياز، إذ استطاع أن يلتقط بحساسية فنية عالية تفاصيل شخصية الموسيقي الساخط، تماماً كما أرادها فيسكونتي، مضفياً إليها تفسيره الخاص لها. يصل غوستاف إلى البندقية محاصراً بمعنوياته المتدنية وبإحساسه بالغربة بين نزلاء الفندق من البورجوازيين، دون أن يكون شيء قادراً على إرضائه الأمر الذي أثار حفيظة مدير الفندق المهذب (رومولو فالي). يزور غوستاف حلاقاً يغير مظهره تماماً- فيصبغ شعره وحاجبيه باللون الأسود ويشذب شاربيه ويطبق على بشرته طبقة سميكة من مستحضر أساس أبيض اللون ويطلي شفتيه بأحمر شفاه. لكن تلك الواجهة التجميلية تتحول بالنسبة إلى غوستاف إلى قناع للموت. وربما يكون غوستاف أحد أكثر أبطال الأفلام الإيطالية وحدة في المشهد الذي نراه فيه جالساً على كرسي شاطئي يراقب، تحت شمس المساء الصقيلة، تادزيو- حبه المستحيل- الذي يتمشى عند حافة الماء. ثم يسيل صباغ الشعر على خدي غوستاف راسماً دمعة سوداء قبل أن يغيب بعيداً ويهوي في كرسيه على وقع أنغام مالر. الفن باق، أما الموت فسوف يطالنا جميعاً.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل السابع

أطلق النار أيها الغرينغو

الوسترن الإيطالي

من بين كل الصرعات الإيطالية، يبقى السباغيتي وسترن أكثرها شهرة ونفوذاً واستمرارية. كانت الديكورات ومواقع التصوير، في كل حلقة من الحلقات السينمائية الإيطالية، تنتقل من فيلم إلى آخر، دون أن تستثنى من ذلك الحبكات والأزياء والممثلون. وقد برهنت سينما السباغيتي وسترن عن أنها انخرطت في عملية المزج والمطابقة هذه أكثر من غيرها من الأجناس السينمائية الأخرى كما أنها خلقت بدورها قائمة من الأبطال كان دجاغنو ورينغو وسارتانا وساباتا وترينيتي أكثرهم صيتاً. كان الأسلوب المتبع في إنتاج أفلام السباغيتي وسترن أحد أهم مزايا هذا الجنس السينمائي. إذ تم تصوير كافة هذه الأفلام في إيطاليا وإسبانيا. بيد أن أشجار السرو الإيطالي المميزة- التي تصلح لأفلام البيبلا أكثر مما تصلح لأفلام الوسترن- دأبت دائماً على خذلان مواقع التصوير الإيطالية، كما أن مراعي لاتسيو الخضراء كانت أشبه بويلز منها بمناطق الجنوب الغربي الأمريكي، في حين أن الأراضي الإسبانية الجرداء المحيطة بمدريد أو تلك الواقعة في ألميريا كانت أكثر قدرة على الإيحاء بأجواء أراضي تكساس ومكسيكو الحدودية.

الغرب الأقصى على الطريقة الإيطالية

كان فيلم «مبارزة في تكساس» - Nuello net Texas (١٩٦٣) لريكاردو بلاسكو مدخلاً مبكراً إلى أفلام الوسترن، ويسعى فيه ريتشارد للانتقام لموت والده على أيدي ثلاثة قتلة من الباحثين عن الذهب (جياكومو روسي ستيورات، بارتا باري، ألدو سامبريل). عرض الفيلم في إسبانيا تحت عنوان «غرينغو» وفي الولايات المتحدة وبريطانيا تحت عنوان «إطلاق نار في الريد ساندز» - (Gunfight at Red Sands أو Gunfight in The Red Sands). وقد تمايزت النسخة البريطانية عن النسخة الأمريكية بالدوبلاج وبالحوار، وقدم الموسيقى التصويرية للفيلم مؤلف شاب اسمه دان سافيو (إينيو موريكونيه).

اتخذت غالبية أفلام الوسترن الإيطالية الأولى مغامرات «الكاوبوي والهندي» موضوعاً لها. ويعتبر فيلم «بوفالو بيل، بطل الغرب الأقصى» - Buffalo Bill, Hero of The Far West (١٩٦٤) نموذجاً أصلياً لهذا التوجه، حيث ينوء الفيلم تحت ثقل النفوذ المزدوج الذي تمارسه أفلام البيبلوم من جهة وأفلام الوسترن الهوليوودية من جهة أخرى. أخرج ماريو كوستا الفيلم تحت الاسم المستعار «جون دبليو فوردسون» ولعب غوردون سكوت دور البطولة مجسداً شخصية الكولونيل بيل كودي، «صياد الجواميس ذي الوجه الشاحب»، الذي يتم إرساله إلى حصن فورت أدامز الواقع ضمن أراضي الإينديان كريك لإخماد انتفاضة هنود السايوكس. يكتشف كودي أن جاك مونرو (جان هندريكس)، مالك حانة الغولدن داست ورفيقه ريد (بييرو لولي) ومالك المتجر بيغ سام (ماريو بريغا) يبيعون اليد الصفراء (ميركو إيليس)، وهو متمرد هندي، بنادق وينتشستر ومشروبات كحولية. تدور في الفيلم حبكة ثانوية حول علاقة حب بين كودي وعذراء هندية اسمها شعاع القمر الفضي (كاثرين ريبيريو)، كما يخطب الكابتن جورج هنتر (هانز فون بورسودي) ود ماري (إينغبورغ شونر)، ابنة الكولونيل. لعب أوغو ساسو دور سناك، جندي الاستطلاع لدى الكولونيل وقدم روستيكيلي مقطوعات وسترن تقليدية سريعة. ينخرط كودي، كما هو متوقع

من رجل قوي اسمه غوردون سكوت، في العديد من الشجارات وتبادل اللكمات التي تنتهي في معظم الأحيان بتمزيق هندامه. صور الفيلم في إيطاليا وإسبانيا. حيث استضافت شلالات مونتي جيلاتو مخيم اليد الصفراء، وينحدر كودي إلى الأسفل في شلالات مورموريه في أومبريا كما استخدم المعبر الضيق في تولفا لنصب فخ وكهوف دي سالونيه كمنجم مهجور، في حين بني حصن فورت أدامز في لاتسيو. أما بلدة إينديان كريك الهندية، فبنيت ديكوراتها في استديوهات إيليوس في روما. كما تم تصوير عدة مشاهد في جوار مانزاناريس إل ريال بالقرب من مدريد، بما في ذلك التشكيلات الجبلية الصخرية في اللا بيدريزا (جبل قبيلة السايوكس المقدس) بالإضافة إلى حوض سانتيلانا الرائع.

لعب ريك فان نوتر دور بوفالو بيل في فيلم «اشتباك لسبع ساعات»- Seven Hours at Gunfire (١٩٦٥) لخواكين روميرو مارشنت، حيث ظهر نوتر في التيترات تحت الاسم المستعار كلايد روجرز. لعب أدريان هوفن دور السكير المشاكس وايلد بيل هيكوك الذي يعمل في شركة بوني إكسبرس لخدمة البريد وغلوريا ميلاند دور كالاميتي جاين المشاكسة وإيلغا سومرفلد دور إيثيل- ابنة المبشر الأب نورمان (باكو سانز)- التي تقع في حب كودي. تتحدث حبكة الفيلم عن كيفية قيام كودي وهيكوك بمساعدة فرانك نورث (ماريانو فيدال مولينا)، الزعيم الأبيض لقبيلة الباوني على الإيقاع بمهربين يبيعون السلاح لقبيلة سايوكس بقيادة الغيمة الحمراء الذي كان يستعد لشن الحرب. يفتتح فيلم «اشتباك لسبع ساعات» بمارش وطني قدمه أنجيلو فرنشيسكو لافانينيو وبكلمات تمهيدية مكتوبة بخط اليد تمتدح الأبطال قائلة: «لهم جميعاً، ولأمثالهم ممن جعلوا من الأمة الأمريكية الفتية أمة عظيمة، كرس هذا الفيلم». ويعتبر الفيلم أشبه بقصة مصورة عن التاريخ الأمريكي تمزج أحداثاً حقيقية ببطولات متخيلة على طريقة سيسيل دي ميل في فيلم «بوفالو بيل»- The Plainsman (١٩٣٦). صور الفيلم في مواقع تقع بجوار مدريد بما في ذلك بلدة في الغرب الأمريكي بنيت في كولمينار فييخو ومعسكر لسلاح الخيالة الأمريكي (فورت فليتشر) ومستوطنة ليفنسورث نصف المبنية في منطقة لا بيدريزا والغولدن سيتي، وهي إحدى بلدات الغرب الأمريكي

المتوحش، التي بنيت في هوخو دي مانزناريس. جسد شخصيات مهربي السلاح كل من لورنزو روبيلدو (تشارلي) وألفارو دي لونا (أتر) وأنطونيو مولينو روخو (رئيسهما مستر ديدل)، في حين لعب ألفونسو روخاس دور قائد حصن فورت فليتشر وراف بالداساريه دور ويليام، رفيق الأب نورمان. كانت أزياء الوسترن الزاهية التي استخدمت في الفيلم أشبه بملابس ألعاب الأطفال: حيث يرتدي بوفالو بيل سترة ذات أهداب مصنوعة من جلد الغزال ومنديل عنق أحمر اللون وقبعة سوداء وجزمة ذات أبازيم تصل إلى مستوى الركبة وهو زي محض خيالي من وجهة النظر التاريخية على الرغم من أنه بدا رائعاً.

مسدسات وحفنات: إيستوود وليونيه

صور، في عام ١٩٦٤، فيلما وسترن متتاليان في إسبانيا، في المواقع نفسها وبمصاحبة الطاقم الفني نفسه- «المسدس لا يقبل الجدال»- Pistols Don't Argue و«من أجل حفنة من الدولارات»- A Fistful of Dollars. أنتج الفيلمين بصورة مشتركة كل من جولي فيلم (إيطاليا) وكونستانتين (ألمانيا الغربية)- بدعم من أوشن فيلم الإسبانية من أجل فيلم «من أجل حفنة من الدولارات»، في حين فازت تريو فيلم بحقوق عرض فيلم «المسدس لا يقبل الجدال» في إسبانيا. كما قدم كل من الفيلمين نجماً طويل القامة، على الرغم من أن وجه الشبه بينهما ينتهي عند هذا الحد، إذ يقف البطلان على طرفي نقيض من حيث المهنة التي يزاولانها. قدم فيلم «المسدس لا يقبل الجدال» نجم الكابوي الكندي رود كاميرون الذي كان في الرابعة والخمسين من عمره والذي عرف عنه عام ١٩٦٠ أنه طلق زوجته كي يتزوج والدتها، في حين قدم فيلم «من أجل حفنة من الدولارات» ممثلاً كاليفورنياً في الثالثة والثلاثين من عمره يدعى كلينت إيستوود كان في ذلك الحين أحد أبطال سلسلة الوسترن التلفزيونية الأمريكية «روهايد».

يلعب رود كاميرون في فيلم «المسدس لا يقبل الجدل» (أو «الرصاص لا يقبل الجدل») لماريو كايانو دور بات غاريت مأمور بلدة ريفرتاون. يسطو

الأخوان كلانتون- بيلي كلانتون (هورست فرانك) المواظب على قراءة الكتاب المقدس وجورج كلانتون (أنجيل أراندا) سهل القياد- على مصرف ريفرتاون ويفرغانه من محتوياته البالغة ثلاثين ألف دولار ويفران إلى المكسيك في يوم زفاف غاريت نفسه، فيضطر غاريت إلى قضاء شهر عسله في مطاردة اللصين، قبل أن يلقي القبض عليهما في بلدة كورونا ويعود بهما عبر وادي الشيطان حيث تعترض طريقه عصابة من الأشقياء المكسيكيين بقيادة سانتيرو (ميمو بالميرا)- وعلى الرغم من أننا لا نشاهد أي هندي في الفيلم، إلا أن سلاح الخيالة الأمريكي كان مستعداً للتدخل على الدوام. صور كايانو فيلمه في شمال مدريد: استخدمت ديكورات غولدن سيتي نفسها لتصوير ريفرتاون. بدت ديكورات كولمينار فييخو كمدينة أشباح، أما نهر الريو غراندي فلم يكن سوى نهر ألبيرش في ألديا ديل فريزنو. كما صورت مشاهد أخرى في مقاطعة ألميريا الواقعة في جنوب إسبانيا- جسدت بلدة لوكاينينا دي لا توريس مدينة كورونا المكسيكية. كما ظهرت في الفيلم منطقة سييرا ألهاميلا الجبلية (بمنتجعها ذي الطابع الأزتيكي) وكثبان كابو دي غاتا الرملية على أنها وادي الشيطان. لعب خوسيه مانويل مارتين دور ميغيل، مساعد سانتيرو. أما الموسيقى التي كتبها سافيو/ موريكونيه، فقد تكون أكثر ما يميز فيلم الوسترن العادي هذا. يبدأ الفيلم بأغنية «بيلي الوحيد»- Lonesome Billy (أغنية شعبية راقصة أداها بيتر تيفيس) وهو يضم مقطوعات من تلك التي عادة ما ترافق مشاهد ركوب الخيل عزفت باستخدام بوق فرنسي كان يعزف اللحن البسيط مدعوماً بآلات وترية. وقد عاشت هذه المقطوعة طويلاً واستخدمت في الكثير من أفلام الوسترن، بما في ذلك فيلم «سبع نساء لعائلة مكغريغور»- Seven Women fot The MacGregors و«فيفا دجانغو»- Viva Django!، دون أن تنسب لمؤلفها.

كما عمل موريكونيه مع سيرجيو ليونيه في فيلم «من أجل حفنة من الدولارات»، لكن هذا التعاون لم يكن، بالنسبة إليه، سوى نقطة انطلاق كبرى في عالم موسيقى أفلام الوسترن. كان ليونيه وموريكونيه قد ارتادا المدرسة نفسها وقد أفضت صلاتهما القديمة هذه إلى واحدة من أعظم علاقات التعاون بين

مخرج ومؤلف موسيقي في تاريخ السينما. خص موريكونيه فيلم «من أجل حفنة من الدولارات» بلحن مميز (أداه أليساندرو أليساندريني صفيراً) ذاع صيته بالقدر نفسه الذي ذاع فيه صيت الفيلم. كان فيلم «من أجل حفنة من الدولارات»، في الواقع، إعادة لفيلم «يوجيمبو»- Yojimbo (١٩٦١) للياباني أكيرا كوروساوا. لعب كلينت إيستوود في هذا الفيلم دور رجل من الغرينغو «لا اسم له» يصل إلى بلدة سان ميغيل المكسيكية الحدودية. كانت البلدة، في ذلك الوقت، موطناً لعصابتين متصارعتين: عصابة الباكسترز الأمريكية وعصابة الروخوس المكسيكية. هكذا يدخل الغرينغو الغريب العصابتين في صراع دموي- حيث يعمل قاتلاً مأجوراً لصالح عصابة روخوس ثم لصالح عصابة الباكسترز- إلى أن تترك العصابتان بلدة سان ميغيل بسلام وتنتقلان إلى بوت هيل.

استخدم ليونيه الغولدن سيتي بوصفها بلدة سان ميغيل ونفذ مذبحة على ضفة النهر في ألديا ديل فريزنو. أما المشاهد الصحراوية، فصورت في ألميريا وفي إيل سوتيلو بالقرب من سان خوسيه وفي قرية لوس ألباريكوكويس. وقد استطاعت عدسة ماسيمو دالامانو السينمائية التقاط هذه المواقع بألوان بهية جعلت الفيلم أشبه بقصة وسترن في مجلة رسوم كرتونية في حين صورت المشاجرات ومشاهد تبادل إطلاق النار بأسلوب أنيق. أما إيستوود، بغموضه وبدثار البونشو المكسيكي الذي يرتديه وبوجهه العابس وسيجاره الذي لا يفارق شفتيه، فقد بدا رائعاً بدور البطل السلبي القاسي. وفي نهاية الفيلم، يحرض «الرجل الذي لا اسم له» زعيم الأشقياء رامون روخو (جيان ماريا فولونتيه) على استهدافه في قلبه- «القلب يا رامون»- لكنه ينتصر في المبارزة عن طريق الخداع- لأنه كان يضع تحت دثار البونشو سترة مرتجلة مضادة للرصاص. أدى صوت إيستوود في النسخة الإيطالية إنريكو ماريا ساليرنو، الذي كان قد أدى صوت إنريكيه إيرازوكوي في فيلم «الإنجيل بحسب القديس متى» لبازوليني. وبهذا لم يجد الجمهور الإيطالي أي فرق بين صوت المنتقم الذي لا اسم له وصوت المسيح.



الملصق الأمريكي الأصلي لفيلم «من أجل حفنة من الدولارات» (١٩٦٤) لسرجيو ليونيه الذي يقدم كلينت إيستوود بدور «الرجل الذي لا اسم له» كما يقدم لعشاق الوسترن أسلوباً سينمائياً جديداً

حقق فيلم «من أجل حفنة من الدولارات» عام ١٩٦٤ أكبر عائدات يحققها أي فيلم عرض في إيطاليا على الإطلاق محولاً إيستوود إلى نجم سينمائي. ثم تعاون ليونيه مرة أخرى مع موريكوني ودالامانو في صنع الحلقة الثانية من فيلم «من أجل حفة من الدولارات» والتي حملت عنوان «من أجل بضعة دولارات إضافية»- For a Few Dollars More (١٩٦٥). يعود إيستوود في هذا الفيلم للعب دور البطل الذي صار له الآن اسم هو مانكو الذي يتعاون مع الكولونيل دوغلاس مورتيمر (لي فان كليف)، وهو صياد جوائز مسلح حتى أسنانه، في مطاردة إيل إينديو (فولونتيه) وعصابته من لصوص المصارف الذين يسرقون خزنة مصرف مدينة إيل باسو المموهة على شكل خزانة للمشروبات الروحية. كان فيلم «من أجل بضعة دولارات إضافية» إنتاجاً إيطالياً- إسبانياً- ألمانياً غربياً مشتركاً تم تصويره في ألميريا وفي مدريد، في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات شينيشيتا. بنيت بلدة إيل باسو بالقرب من تابرناس في ألميريا- وهي لا تزال مفتوحة حتى اليوم للسياح وأطلق عليها اسم «ميني هوليوود».

يعتبر فيلم «من أجل بضعة دولارات إضافية» مثالاً مثيراً للاهتمام على الطريقة التي صورت فيها أفلام الوسترن متعددة الجنسيات هذه. فقد صور الفيلم، بين شهري نيسان وتموز ١٩٦٥، دون صوت بحيث يستطيع الممثلون تأدية حواراتهم بسهولة، كل بلغته الأم. إذ ضم الفيلم، بالإضافة إلى إيستوود وفان كليف الناطقين بالإنكليزية، كلاً من النمساوي جوزيف إيغر والألمان كلاوس كينسكي وفيرنر أبرولات ومارا كروب وكورت زيبس والإيطاليين ماريو بريغا وروبرتو كامارديل ولويجي بيستيلي وبينيتو ستيفانيلي والإسبان ألدو سامبريل وخيسوس غوزمان وريكاردو بالاسيوس وأنطونيو رويز واليوناني بانوس بابادوبولوس- الذين لعبوا أدواراً تراوحت بين موظفي فنادق ورجال يانكيين ومأمورين فاسدين ورجال محنيي الظهور سريعي الغضب. وقد سمح هذا الأسلوب في تصوير الفيلم بتحضير نسخ متعددة للفيلم ناطقة

بخمس لغات مختلفة- الإنكليزية، الفرنسية، الإسبانية، الألمانية، الإيطالية- وتميزت كل منها بمشاهد تيترات مختلفة وحملات ترويجية متمايزة حرصت كل حملة منها على إبراز مجموعة مختلفة من الممثلين بما يناسب السوق المستهدفة. بدأ موريكونيه، في هذا الفيلم، يتوسع بأسلوبه الموسيقي مازجاً الأصوات المألوفة (الصفير والنقر على آلات وترية) باقتباسات مباشرة من مقطوعات كلاسيكية لبتهوفن وباخ وفاغنر.

لم يستقبل النقاد العالميون الفيلم بترحاب كبير وكتبت عنه بينيلوبيه مورتيمر في الأوبزرفر قائلة: «الفيلم، منذ رصاصته الأولى وحتى الرصاصة الأخيرة، نكتة ردئية لا طعم لها». لكن الفيلم حقق المرتبة الأولى من حيث العائدات على رأس الأفلام التي عرضت في إيطاليا عام ١٩٦٥ وارتقى فان كليب إلى مرتبة النجومية. وقد بلغ إعجاب شركة اليونايتد أرتيستس بفيلمي الوسترن اللذين صنعهما ليونيه مبلغاً دفعها إلى شراء حقوق توزيعهما حول العالم حيث حقق الفيلمان نجاحات باهرة. كما حقق فان كليف نجاحين آخرين متعاقبين- في فيلم «الموت يمتطي جواداً»- Death Rides a Horse (١٩٦٧) لجيوليو بيتروني و«يوم غاضب»- Day of Anger لتونينو فاليري (١٩٦٧)- اللذين ظهر في كل منهما إلى جانب رجل شاب مسلح (جون فيليب لو وجيوليانو جيما بالترتيب) يتتلمذ على يد المعلم العجوز فان كليف.

في ذلك الوقت، أخرج ليونيه فيلم «الجيد، السيئ والقبيح»- The Good, The Bad And The Ugly (١٩٦٦) الذي تعاون على إنتاجه كل من اليونايتد أرتيستس وألبرتو غريمالدي من شركة بيا اللتين وفرتا لهذا الفيلم ميزانية بلغت مليوناً ومائتي ألف دولار أنفقها ليونيه بسهولة بالغة على إنتاج قصة ملحمية من الحرب الأهلية الأمريكية ضمت ثلاث شخصيات تسعى للحصول على كمية كبيرة من الذهب المسروق في خضم معارك ضارية كانت دائرة بين الاتحاديين والكونفيديراليين من أجل السيطرة على نيو مكسيكو. لعب كلينت إيستوود دور «الجيد»، وهو صياد جوائز اسمه بلوندي في حين لعب

فان كليف دور «السيء»، وهو قاتل مأجور ذو نظرات جليدية يلقب بعيني الملاك وإيلي والاش دور «القبيح»، وهو شقي مكسيكي ذو صوت أجش اسمه توكو راميريز. صور ليونيه مغامرات أبطاله الثلاثة في مواقع متفرقة في إيطاليا وإسبانيا بما فيها الصحراء الألميرية وجبال مانزاناريس إيل ريال بالقرب من مدريد وفي الريف الهضابي الأخضر الرائع في الكاستيلا ليون الواقعة بين مدريد وبورغوس. صورت مشاهد المدينة في استديوهات إيليوس في حين لعبت كولمينار فييخو وتابيرناس دور مستوطنتين بائستين بيوتهما مبنية من ألواح خشبية دمرتهما الحرب وأشاعت فيهما الحرمان. في حين لعبت الكثبان الرملية في كابو دي غاتا في ألميريا دور صحراء خورنادا ديل مويرتو القاحلة («مسيرة يوم الرجل الميت») في حين لم يكن خط يونيون الحديدي سوى سكة القطار الممتدة بين ألميريا وغواديكس، كما تم تصوير المستشفى التبشيري الذي تديره راهبات في سان أنطونيو في مبنى الكورتيخو دي لوس فريليس التاريخي الواقع في مقاطعة ألميريا كذلك وفي دير سان بيدرو أرلانزا الواقع شمال مدريد.

يشبه فيلم «الجيد، السيء والقبيح» كتاب مغامرات خيالية تاريخية مصوراً وقد أصبح أحد أشهر أفلام الوسترن في العالم. وقد ضمنت إحدى نغمات موريكونيه- عواء قيوط مذعور عالق في فخ- للفيلم موقعاً في مصاف كلاسيكيات السينما، دون أن ننسى، بالتأكيد، الثالوث غير المقدس المؤلف من إيستوود وفان كليف ووالاش الذين كانوا مدهشين بشرهم. وبالإضافة إلى الصفير الذي صار علامة مسجلة له، فقد ألف موريكونيه نغمات رثائية لمشاهد الحرب الأهلية. حيث يتعرض أسرى القوات الكونفيدرالية للضرب والسلب في أحد سجون الاتحاد- إذ لا كرامة للمهزوم، أما الغنائم، فهي من نصيب المنتصر. أما مشهد الاشتباك الثلاثي الختامي الذي تجري أحداثه في مقبرة مترامية الأطراف وسط مئات من الأضرحة التي تضم قتلى الحرب، فكان مجالدة حقيقية في أجواء الغرب

الأمريكي في زمن الحرب الأهلية. درس ليونيه، في إطار استعداداته لإنتاج الفيلم، أرشيفات تضم صوراً ضوئية تعود إلى زمن الحرب، فكانت المغامرات الصاخبة، التي قدمها لنا في الفيلم تصويراً أميناً لتلك الحقبة وارتدى الجنود الإسبان، فيه، أزياء مطابقة لتلك التي كان جنود الجيشين الشمالي والجنوبي يرتدونها في تلك الفترة التاريخية. والواقع أن العناية الشديدة التي أولاها ليونيه لأدق التفاصيل في وصفه لحقبة تاريخية معينة لم تكن بعيدة عن تلك التي أظهرها الكثير من المخرجين الإيطاليين مثل فيسكونتي («النمر») وبازوليني («الإنجيل بحسب القديس متى»). صمم كارلو سيمي الأزياء ومواقع التصوير بالأسلوب نفسه الذي اتبعه في فيلمي «الدولارات» السابقين.

كما يمكن لنا أن نذكر من الممثلين المساعدين كلاً من لويجي بيستيلي (الراهب بابلو شقيق توكو) وماريو بريغا (العريف الاتحادي والاس) وكليو ألونسو (فلاحة مكسيكية) ورادا راسيموف (المومس ماريا) بالإضافة إلى عدد من رجال الأعمال الخطرة هم رومانو بوبو وبينيتو ستيفانيلي ولورنزو روبليدو وفرانك برانيا وألدو سامبريل. بلغ أسلوب ليونيه البصري- من حيث اللقطات القريبة والمبارزات الطويلة والأجواء المشمسة والمغبرة- في هذا الفيلم ذروته، حيث يصر مسلحوه الأسطوريون على الاستمرار في القتال حتى الرجل الأخير في أرض قاسية لا أمل فيها. حولت عدسة تونينو ديلي كولي السينمائية الأشخاص إلى مجرد لطخات تظهر من مسافة بعيدة عند خط الأفق في صحراء شاسعة تمتد رمالها إلى ما لا نهاية. هكذا تبدت الصحراء القاحلة التي عودنا عليها ليونيه- التي تكافح فيها الأشجار نفسها كي تبقى على قيد الحياة- في هذا الفيلم بأبهى حللها وملأت الشاشة بخوائها الكبير. وقد كان هذا الفيلم أكثر الأفلام التي شهدتها إيطاليا عام ١٩٦٦، نجاحاً وتفوق، من حيث العائدات، على فيلم «الكتاب المقدس... البدايات» لدي لورنتيس كما حقق نجاحاً عالمياً ساحقاً لدى عرضه خارج إيطاليا عام ١٩٦٨.

الغريب والغريب

حفزت شخصية الرجل الغريب الذي لا اسم له، كما جسدها إيستوود، على ظهور العديد من المقلدين. فقد حاولت بعض الشركات التجارية الإيطالية استخدام حلقات قديمة من مسلسل «روهايد» موحية للجمهور الغافل أنها أفلام جديدة لإيستوود وأطلقت عليها أسماء مثل Il Magnifico Straniero أو El Maladetto Gringo أو El Gringhero. كما لعب ميكي هارغيتاي، في فيلم «غريب في ساركامنتو» - A Stranger in Sacramento (١٩٦٥) لسرجيو بيرغونزيلي، دور مايك جوردان، الذي يقتل بارنيت (ماريو لانفرانكي) والده وأشقاءه ويستولي على ماشيتهم. يشبه هذا الفيلم أعمال الوسترن التي أنتجتها هوليوود بما في ذلك أدق تفاصيل الأزياء التي ارتداها رعاة البقر. صورت مدينة ساكرامنتو في ديكور وسترن تم بناؤه في استديوهات إيليوس واستخدمت أراضي لاتسيو المحيطة بمانزيانا بوصفها كاليفورنيا. يفقد هارغيتاي ذو العضلات المفتولة قميصه بسرعة كما هو متوقع (يصنع منه وشاحاً لجواده)، أما بارنيت الشرير فيغطي يده الصناعية بقفاز جلدي. تتخلل الفيلم لحظات مثيرة للاضطراب كما هي الحال عندما ينبش جوردان مع آخرين جيفة بقرة في خضم بحثهم عن جثث لأنسبائه مدفونة في الأرض.

كما تظهر مجموعة أفلام «الغريب» التي لعب طوني أنطوني بطولتها مقدار التغيير الذي يمكن أن يصيب أفلام الوسترن الإيطالية فتتحول معه من شيء قريب من المنطق، بدرجة أو بأخرى، إلى شيء آخر بعيد كل البعد عن سياقه إلى درجة تبعث على الدهشة. كان فيلم «غريب في البلدة» - A Stranger in Town (١٩٦٧ - «من أجل دولار بين الأسنان») فيلماً إيطالياً أمريكياً مشتركاً أعاد تمثيل قصة «من أجل حفنة

من الدولارات». يصل رجل غريب يرتدي دثار بونشو (أنطوني) إلى بلدة سيرو غوردو المكسيكية الحدودية (ديكور وسترن في استديوهات شينيشيتا) كي يساعد الشقي المكسيكي أغويلا (فرانك وولف) على سرقة شحنة من الذهب عائدة للجيش الأمريكي. لكن أغويلا يرفض سداد حصة الغريب فيحتفظ بكامل كمية الذهب لنفسه. صورت إطلالات الفيلم الوجيزة على الصحراء المكسيكية في أحد مقالع لاتسيو. أما زلة الفيلم الخطيرة، فتتمثل في دندنات غيتار ساذجة تكاد لا تتوقف ألفها بينيديتو غيليا. حقق الفيلم نجاحاً كبيراً في فئة الأفلام الأمريكية من المرتبة الثانية محولاً أنطوني إلى نجم ثانوي.

ويتحدث فيلم «عودة الغريب» -The Stranger Returns (١٩٦٧- «رجل، حصان، مسدس» أو كذلك «أطلق النار ثم اضحك») عن عصابة من الخارجين على القانون اسمها «كنز الحدود» ويقودها إن بلين (دان فاديس) تسطو على عربة تحمل ذهباً تبلغ قيمته مئتي ألف دولار وتلوذ بالفرار إلى بلدة سانتو سبيريتو (ديكور مكسيكي في استديوهات إيليوس). لكن الغريب يقضي على الأشقياء، بمساعدة النبي (ماركو غوليمي)، مستعيناً ببندقيته ذات السبطانات الأربع. لعب إيتوريه ماني دور ستافورد الملازم في الجيش الأمريكي. كتب ستيلفيو شيبرياني موسيقى تصويرية (تكرر استخدامها كثيراً في أفلام الوسترن اللاحقة) تقود أحداث الفيلم على إيقاع الأجراس والفلوت وضربات الغيتار الكهربائي وألحان الترومبيت والصرخات المفجوعة. لم ينس أنطوني أن يقدم خلال الفيلم تحية مباشرة لإيستوود على الشاشة: إذ يقوم الغريب بتسليم نفسه للجيش الأمريكي زاعماً أنه مفتش البريد روس، ملاحظاً أنه «في هذه الأيام، يستطيع أي إنسان أن يتسكع في الأرجاء زاعماً أنه شخص آخر».

أما فيلم «الغريب الصامت»- The Silent Stranger (١٩٦٨- «الغريب في اليابان»)، فيمكن تصنيفه على أنه فيلم وسترن - إيسترن ينتقل الغريب فيه إلى اليابان من خلال سيناريو مكتوب بأسلوب «اليوجيمبو». يجند الغريب، في فيلم فرديناندو بالدي «كن حقيراً»- Get Mean (١٩٧٦)، لنقل الأميرة إليزابيث ماريا دي بورغوس (ديانا لوريس) إلى زوجها المقيم في إسبانيا. صور الفيلم وسط قلاع غرناطة الجميلة وتشكيلات لا بيدريزا الصخرية وكويداد إينكانتادا وكثبان كابو دا غاتا وشاطئها. كما استخدم موقع رائع يقع وسط الصحراء الألميرية (قلعة إيل كوندور) من أجل تجسيد حصن رودريغو وعزفت فرقة بيكسيو فريتزي تيمبيرا لحناً آسراً. يعتبر فيلم «كن حقيراً» إعادة أخرى لفيلم «من أجل حفنة من الدولارات»، تدور أحداثه في خضم الحرب الأهلية في إسبانيا بين جنود الأميرة ماريا من العرب ذوي العمائم والغزاة البرابرة (الذين يشبهون الفايكينغ بخوذاتهم ذات القرون ولحاهم وشواربهم وضفائر شعرهم المجنونة). لكن من يأبه لحقيقة أن غرناطة، التي كانت آخر معاقل العرب في إسبانيا، قد سقطت، في الواقع، عام ١٤٩٢؟ أما عدو الغريب اللدود، فهو الزعيم البربري دييغو (راف بالداساريه)- الذي يقتله الغريب بإسقاط عدد كبير من العقارب داخل درعه- والرجل الأحدب سومبرا (لويد باتيستا الذي شارك في كتابة السيناريو) الذي يشبه ريتشارد الثالث. يصل الغريب إلى المشاهد الختامية في حصن رودريغو مسلحاً حتى أسنانه، مزنراً نفسه بالديناميت ومتمنطقاً مسدساً سداسياً وبندقية ذات أربع سبطانات من أجل مواجهة سومبرا الذي ينصب بدوره مدفعاً رشاشاً. يعتبر فيلم «كن حقيراً» صورة مصغرة عن السينما الجماهيرية الإيطالية من حيث كونه يمزج الأنواع السينمائية بحرية مستنداً إلى مخيلة واسعة لتحقيق أكبر قدر من التسلية.

يدعونه رينغو

كان جيوليانو جيما منافساً جدياً لإيستوود وفان كليف على زعامة شباك التذاكر الإيطالي. لعب جيما (الذي ظهر في التيترات باسم مونتغومري وود)، في فيلم «مسدس لرينغو» - A Pistol for Ringo (١٩٦٥)، الذي كان فاتحة أفلام الوسترن التي أخرجها دوتشيو تيساري، دور رام مرتزق اسمه رينغو ويلقب بوجه الملاك. تلجأ عصابة بقيادة الشقي المكسيكي سانشو (أنطونيو سانشو) إلى مزرعة ميجور كلايد (أنطونيو كاساس)، وهو أرستقراطي من تكساس وابنته روبي (زوجة تيساري لوريلا دي لوكا) بعد أن كانت قد سطت على مصرف كويمادو في فترة عيد الميلاد في عام ١٨٩٤. يفرض خطيب روبي المأمور بن (جورج مارتان) طوقاً على المزرعة ويرسل رينغو لتحرير الرهينتين. أخرج جيما في هذا الدور كل ما في جعبته من أجل تجسيد شخصية الرامي المغرور ويذكر من الممثلين المساعدين كل من خوسيه مانويل مارتن بدور بيدرو، مساعد سانشو ونييفيس نافارو بدور الشقية دولوريس، عشيقة سانشو وباخاريتو بدور مساعد المأمور تيم. تم تصوير مزرعة ميجور كلايد في منزل ريفي حصين يقع في واد في الإيل روميال في مقاطعة ألميريا. أما بلدة سان خوسيه، التي قتل رينغو فيها الأشقاء بنسون، فتم تصويرها في بلدة في ألميريا تحمل الاسم نفسه. في حين صورت بلدة كويمادو في مدينة إيسبلوغاس سيتي، وهي بلدة على طراز بلدات الغرب الأمريكي تم بناؤها في استديوهات بالكازار بالقرب من برشلونة وأطلق عليها اسم إيسبلوغاس دي لوبريغات. قدم موريكونيه موسيقى تقليدية تضاف إلى أغنية شارة حملت اسم «وجه الملاك» أداها موريتسيو غراف بأسلوب رشيق. وتذكرنا مقطوعات متفرقة، من بينها أنشودة مرحة بعنوان «الليل الساكن» وأغنية سريعة بعنوان «ميسيكو إيرويكا»، بألحان البوق التي قدمت في فيلم «المسدس لا يقبل

الجدال». حقق فيلم «مسدس لرينغو» نجاحاً ساحقاً في إيطاليا واحتلت أغنية «وجه الملاك» المرتبة الأولى في قائمة الأغنيات الأكثر رواجاً.

ولم يمض وقت طويل قبل أن تطفو على السطح أفلام تحاكي رينغو كان أسرعها إلى الظهور فيلم «مائة ألف دولار لرينغو»- $100.000 for Ringo لألبرتو دي مارتينو على الرغم من أن الشخصية التي جسدها ريتشارد هاريسون لم تحمل، في الواقع، اسم رينغو. يعود لي بورتون (هاريسون) بعد مشاركته في الحرب الأهلية إلى بلدة رينبو فالي، فيظنه الناس وارد كلستر خطأ. وكانت روز (مونيكا راندال)، زوجة كلستر قد قتلت على يد سارق الأراضي توم شيري (جيرار تيشي) في حين يقوم هنود الأباتشي بتنشئة ابنه سين (لوريس لودي). يهرب شيري شحنة من الأسلحة إلى الجيش المكسيكي مقابل مائتي ألف دولار. لكن رينغو يتغلب على الجنود، بمساعدة صياد الجوائز تشاك (فرناندو سانشو)، أثناء موعد تم ضربه في كنيسة تودو سانتوس، ويعثر على المال مخبأ في برج الكنيسة. يعتبر فيلم «مائة ألف دولار لرينغو»، إلى جانب «التكسيكي»- The Texican و«دولار من نار»- A Dollar of Fire و«خمسة دولارات لرينغو»- Five Dollars for Ringo (أنتجت جميعها عام ١٩٦٦) نموذجاً عن أفلام البوتيفارا (صنف من المقانق تشتهر به مقاطعة كاتالانيا) وسترن. صورت بلدة رينبو فالي في ديكورات إيسبلوغاس سيتي، في حين صورت المشاهد الصحراوية في فراغا وكانداسونز في هويسكا (إقليم أراغون) وكاستيلديفيلس (إقليم كاتالانيا) بالقرب من برشلونة وسط تلال تشبه الأهرامات. تميز الفيلم بالموسيقى التي قدمها برونو نيكولاي وبأغنية الشارة، «هلم يا رينغو إلى القتال» التي أداها بوبي سولو بصوت مرتجف على طريقة إلفيس بريسلي. لعب رافائيل ألباكين دور الدب الرمادي، وهو زعيم هنود الأباتشي، ولويس إيندوني دور مأمور رينبو فالي عديم الكفاءة وماسيمو سيراتو (تحت اسم مستعار ديناميكي هو جون باراكودا) دور إيف السكير الذي يتعافى

من إدمانه وإيليونورا بيانكي دور عشيقته المتسامحة ديبورا. يبدأ الفيلم بمفاجأة عنيفة: إذ تحاصر عصابة من الأباتشي روز وطفلها الرضيع فيطلق شيري النار على المهاجمين قبل أن يطعنها برمح. حرص فيلم «مائة ألف دولار لرينغو» على أن يرمي في وجوه المشاهدين كل ما طالته يداه، لكن هذا المزيج المكون من رينغو وهنود وصيادي جوائز ولصوص ومسلحين وانتقام أثبت أنه مزيج رابح- إذ احتل الفيلم المرتبة السابعة في قائمة أكثر الأفلام رواجاً في إيطاليا عام ١٩٦٥.

ثم يعود رينغو الحقيقي من جديد مع فيلم «عودة رينغو»- The Return of Ringo لتيساري، الذي خرج إلى صالات العرض في فترة أعياد الميلاد عام ١٩٦٥. تحذر ملصقات الفيلم الإيطالية المشاهدين قائلة: «احذروا المسدسات الزائفة- رينغو الحقيقي الوحيد موجود هنا!». يعود الكابتن مونتغومري براون (جيوليانو جيما) إلى موطنه في بلدة ميمبرز بعد شهرين من انتهاء الحرب الأهلية كي يجد والده ميتاً وزوجته هالي (لوريلا دي لوكا) وابنته إليزابيث (مونيكا سوغرانيس) رهينتين في الفيلا التي تقيمان فيها. أما الأشرار فهم الشقيقان المكسيكيان باكو وإيستيبان فوينتيس (جورج مارتان وفرناندو سانشو). لعب أنطونيو كاساس دور كارسون، مأمور بلدة ميمبرز الكحولي المغلوب على أمره وجسدت باخاريتو شخصية بائعة الأزهار مورنينغ غلوري ونييفيس نافارو شخصية قارئة الطالع الغجرية روزيتا. صور فيلم «عودة رينغو» في إيسبلوغاس سيتي (بلدة ميمبرز) وفي صحراء فراغا في هويسكا. والواقع أن فيلم «عودة رينغو» هو، في جوهره، رواية جديدة لأوديسا هوميروس تم تقديمها من خلال حبكة حسنة الإعداد وهو يبرز المسار المستقل الذي اتخذه تيساري مقارنة بليونيه- فهذا الفيلم أقرب إلى أن يكون فيلم وسترن هوليوودياً بالمعنى الكلاسيكي للكلمة. قدم موريكونيه للفيلم موسيقى تصويرية مزاجية بالإضافة إلى أغنية الشارة التي أداها غراف واحتل الفيلم المركز الثالث من حيث عائدات الأفلام في

إيطاليا لعام ١٩٦٥. كما حظي جيما برصيد كبير في شباك التذاكر مع أفلام، مثل «دولار فضي واحد»- One Silver Dollar (١٩٦٥) و«وداعاً يا غرينغو»- Adios Gringo (١٩٦٥) و«ذهب فورت يوما»- Fort Yuma Gold (١٩٦٦) و«أيام الانتقام الطويلة»- The Long Days of Vengeance (١٩٦٦) و«يوم غضب»- Day of Anger (١٩٦٧) و«مطلوب»- Wanted (١٩٦٧)، حولته إلى نجم كبير في إيطاليا على الرغم من أن شعبيته لم تمتد إلى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. كان فيلم «ذهب فورت يوما» فيلم وسترن على طريقة أفلام السيف والصندل تدور أحداثه في أجواء الحرب الأهلية وظهر جيما فيه إلى جانب زميله في أفلام البيبلوم جاك سيرناس.

صور سرجيو كوربوتشي فيلم «جوني أورو» عام ١٩٦٥ لكنه لم يعرض في إيطاليا إلا عام ١٩٦٦ ومنح، في النسخة الدولية، اسماً جديداً هو «رينغو والمسدس الذهبي»- Ringo and His Golden Pistol. جسد مارك ديمون شخصية جوناثان غونزاليس الملقب بجوني رينغو وهو صياد جوائز مكسيكي يحمل مسدساً ذهبياً صلباً. يقسم الشقي المكسيكي خوانيتو بيريز (فرانكو دي روزا) على الانتقام من رينغو الذي قتل أشقاءه ويعقد تحالفاً مع زعيم هنود الأباتشي سيباستيان (جيوفاني شيانفريليا). يهاجم هنود الأباتشي بلدة كولدستون (في استديوهات إيليوس) التي كان رينغو، فيها، نزيل السجن لدى المأمور بيل نورتون (إيتوريه ماني). يقتل سيباستيان غيلمور المسلح (أندريا أوريلي) مالك الحانة بفأس يشق جمجمته ويطلق خوانيتو النار على مارجي (فاليريا فابريتسي) قبل أن ينسف البطل هنود الأباتشي وبلدة كولدستون على حد سواء بالديناميت محيلاً كل شيء إلى فتات. صورت معظم لقطات الفيلم في تور كالدارا في حين صورت وحدة ثانية مشاهد ركوب الخيل في حوض في لا بيدريزا وفي مانزاناريس إيل ريال في إسبانيا. قدم كارلو سافينا معزوفات جميلة على آلة الترومبيت ومقطوعات أديت بطريقة الصفير.



الملصق الإيطالي لفيلم «مسدس لرينغو» (١٩٦٥) لدونتشيو تيساري بطولة جوليانو جيما بدور المسلح حاضر البديهة الملقب بوجه الملاك

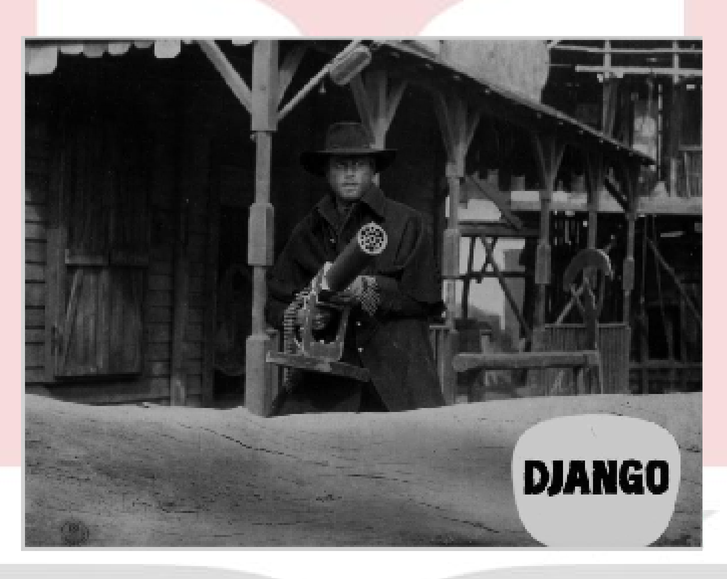
وحل ودماء: الغرب على طريقة كوربوتشي

أعاد سرجيو كوربوتشي، على نسق ليونيه، تقديم فيلم «يوجيمبو» تحت اسم «مينيسوتا كلاي»- Minnisota Clay (١٩٦٤) الذي تم تصويره في مواقع بالقرب من مدريد. لعب كاميرون ميتشيل في الفيلم دور المسلح كلاي موليغان الذي يفر من معسكر درانر للعمل الإجباري ويوقف حرب عصابات في ميزا إنكانتادا (ديكورات بلدة الغرب الأمريكي التي خلفها فيلم «من أجل حفنة من الدولارات») تدور رحاها بين فوكس (جورج ريفيير) الذي نصب نفسه مأموراً للبلدة والجنرال المكسيكي دومينغو أورتيز (فرناندو سانشو)، على الرغم من أن كلاي يفقد بصره في نهاية المطاف.

كما كان فيلم «يوجيمبو» مصدر إلهام لكوربوتشي في فيلم «دجانغو»- Django (١٩٦٦) الذي كان الأثر الذي تركه في إيطاليا يعادل أثر فيلمي «الدولارات» لسرجيو ليونيه. لعب فرانكو نيرو دور حفار القبور دجانغو، البطل الملطخ بالأوحال في هذا الفيلم الكلاسيكي الملطخ بالدماء، وهو جندي اتحادي يعود من الحرب كي ينتقم لموت زوجته. لكن البلدة التي تحولت إلى مدينة أشباح أصبحت تقع الآن تحت سيطرة رجال كونفيديراليين متعصبين دينياً يغطون وجوههم بأقنعة حمراء ويقودهم الميجور جاكسون (إدواردو فاخاردو) وعصابة من قاطعي الحناجر المكسيكيين بقيادة الجنرال هوغو رودريغيز (خوسيه بودالو). صور كوربوتشي الفيلم في شتاء عام ١٩٦٥ في مواقع في إيطاليا وإسبانيا. صورت البلدة المنكوبة ضمن ديكورات في استديوهات إيليوس تم تحويلها إلى حظيرة خنازير. أما مقبرة البلدة والسبخات الطينية والجسر المصنوع من الحبال، فتم تصويرها في تور كالدارا ولاتسيو التي صار التعرف إليها بوصفها الموقع المفضل لتصوير أفلام البيبلوم متعذراً. كما صورت مشاهد ركوب الخيل في لا بيرديزا في إسبانيا.

يمكن أن نذكر من المشاهد المروعة التي حفل بها الفيلم مشهد غرق جندي كونفيديرالي في مستنقع للرمال المتحركة ومصارعة تدور بين عاهرات في بركة من الطين ومشهد الكاهن الكونفيديرالي الأخ جوناثان (جينو بيرينتشيه) وهو يأكل أذنه وأخيراً، مشهد دجانغو وقد سحقت يده اليمنى بعقب بندقية وينتشستر وراحت خيول المكسيكيين تدوسها بسنابكها. لكن دجانغو ينجح، أخيراً، في القضاء على الرجال المتعصبين مستخدماً مدفعاً رشاشاً ثبته إلى حوضه وهو أمر كان من شأنه، في الواقع، أن يقذفه بعيداً وسط الأوحال بسبب ارتداده القوي. ينتهي الفيلم بمقتل كافة الممثلين تقريباً بمن فيهم نادل الحانة اللطيف ناثينيال (أنجيل ألفاريز). لعب رجل الأعمال الخطرة ريمو دي أنجيليس دور ريكاردو مساعد هوغو وجسد كل من سيمون أرياغا ولوشيو دي سانتيس وخوسيه كاناليخاس ورافائيل ألباكين شخصيات مكسيكيين مرتدين. أما رجال الكوكلاكس كلان، فنذكر منهم إيفان سكراتوليا ولوشيانو روسي وخوسيه تيرون الذي جسد شخصية رينغو، القاتل الذي يحمل ندبة على وجهه. ولعبت لوريدانا نوسياك دور ماريا، حبيبة دجانغو، التي تم جلدها بوحشية في بداية الفيلم. قدم لويس إنريكويز باكالوف للفيلم موسيقى تراجيدية تضاف إلى أغنية الشارة التي يؤديها روكي روبرتس (روبرتو فيا) بطريقة رائعة والتي حملت اسم «دجانغو». وقد فاز الأرجنتيني باكلوف، في وقت لاحق، بجائزة الأوسكار عن الموسيقى التي قدمها لفيلم «ساعي البريد»- Il Postino (١٩٩٤) لمايكل رادفورد. أدى طوني راسل صوت فرانكو نيرو في النسخة الناطقة بالإنكليزية وكان صوته في النسخة الناطقة بالإيطالية أفضل بما لا يقاس. لم تزدد شعبية فيلم «دجانغو» بنسخته الناطقة بالإنكليزية إلا مع ظهور أجهزة الفيديو المنزلية لأن الفيلم لم يعرض في صالات السينما في الولايات المتحدة وفي المملكة المتحدة على حد سواء. لكننا ننصح من يفتش عن نسخة أصلية للفيلم منسوخة على قرص ضوئي أن لا يتعب نفسه، لأن أفضل ما يمكن أن يحصل عليه هو نسخة مشوشة،

يستطيع عرضها على جهاز VHS متهالك، تتفاقم بالصورة الرملية التي صنعها إنزو باروني أصلاً. وقد ساعد المنظر المتداعي للبلدة الغارقة بالطين والصلبان الخربة التي تنتشر في مقبرتها والنغمات الذابلة على إعطاء جو الفيلم مسحة من الكآبة والانكسار.



وحول ودماء: فرانكو نيرو بدور المسلح المنتقم دجانغو في موقع التصوير في استديوهات إيليوس الواقعة في روما من أجل فيلم «دجانغو» (١٩٦٦) لسرجيو كوربوتشي

لم يصنع كوربوتشي أي فيلم دجانغو آخر، لكنه أعاد تركيب الحبكة نفسها في فيلم «الصمت الكبير»- The Big Silence (١٩٦٧- «الصمت العظيم»). صور كوربوتشي فيلمه في بلدة كورتينا دامبيتسو المغطاة بالثلوج والواقعة في مقاطعة دولوميتيس. أما بلدة سنو هيل، فتم تصويرها في استديوهات إيليوس واستخدم الضباب الصناعي ورغوة الحلاقة من أجل إعطائها مسحة ألبية. لعب النجم الفرنسي جان لوي ترانتينيان دور المنتقم الأبكم الملقب بـــ «الصمت» وفونيتا ماكغي دور بولين ميدلتون التي تستأجر خدمات «الصمت» للقضاء على قاتل زوجها لوكو (كلاوس كينسكي). لعب

فرانك وولف دور غيديون بورنيت مأمور بلدة سنو هيل، في حين تمثل الأشرار بكل من لويجي بيستيلي وبرونو كوراتساري وراف بالداساريه وريمو دي أنجيليس وماريو بريغا. يلقب البلطجي، الذي أدى كينسكي دوره، بالنمر (تيغريرو في النسخة الإيطالية) ويصفه بورنيت بأنه "رجل ذكي يرتدي قبعة كاهن ومعطفاً نسائياً من الفرو". طغى اللون الأبيض بطريقة رائعة على الصور التي صنعها سيلفانو إيبوليتي مساهماً بذلك، إلى جانب موسيقى موريكونيه الشاعرية (ولاسيما أغنية E L'Amore Verrà الحزينة الرائعة)، في جعل فيلم «الصمت الكبير» أحد أفلام الصف الأول في سينما الأكشن دراما الأوروبية على الرغم من إخفاقه في الحصول على أي موزع في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. وإذا كان لنا أن نعتبر كوربوتشي صانعاً ماهراً للكوكتيلات، فإنه يقدمها لنا كذلك بطريقة مفعمة بالانعطافات الساخرة. والواقع ان النهاية العدمية لفيلم «الصمت الكبير» نجحت في تقديم أكثر مفاجآت الفيلم قسوة على الإطلاق عندما يزرع لوكو، بقسوة متناهية، رصاصة في رأس «الصمت» الذي كان عاجزاً عن الدفاع عن نفسه.

وغد يدعى دجانغو

يعتبر دجانغو أكثر أبطال الوسترن الإيطالي صموداً وأكثرهم شعبية، إذ عاشت هذه الشخصية طيلة الفترة الممتدة بين عام ١٩٦٦ وحتى عقد الثمانينيات. تستأجر شركة دنفر للمناجم، في فيلم «بضعة دولارات لدجانغو» – A Few Dollars for Django (١٩٦٦) لليون كليموفسكي، خدمات صياد جوائز يدعى ريغان (أنطوني ستيفن) من أجل إلقاء القبض على مجموعة من اللصوص. يقدم ريغان نفسه في بلدة مايلز سيتي في ولاية مونتانا باسم المأمور كولمان. كانت ولاية مونتانا، في تلك الفترة، ممزقة بسبب حرب تدور رحاها بين مربي الماشية بزعامة أموس براندسبوري (ألفونسو روخاس) والمزارعين بزعامة تريفور نورتون (فرانك وولف) وهو، في

الواقع، الرجل الخارج على القانون الذي كان ريغان يسعى خلفه. لعب إينيو جيرولامي (حمل في التيترات اسم توماس مور) وخوسيه لويس لوش دور سام ليستر وباك داغو، وهما مسلحان يستأجر براندسبوري خدماتهما. وجسدت غلوريا أوسونيا شخصية سالي، نسيبة نورتون، وجو كامل شخصية غراهام، المتحدث باسم المزارعين، وأنجيل تير دور سميتي، مساعد المأمور سريع الغضب. صورت المناظر الداخلية للفيلم في استديوهات دي باوليس والمناظر الخارجية في مواقع تقع شمال مدريد: صورت مدينة مايلز سيتي في ديكورات كولمينار فييخو وفي مزرعة رانتشو كوبيرو وغالسيا التي جسدت في الفيلم مزرعة نورتون. تضمنت الموسيقى التي قدمها كارلو سافينا للفيلم أغنية المقدمة التي أداها دون باول والتي كانت بعنوان «سيأتي صباح جديد» - There Will Come a Morning. أعاد إنزو كاستيلاري استخدام بعض لقطات الحركة في هذا الفيلم في فيلم «سبع بنادق وينتشستر من أجل مجزرة» - Seven Winchesters for a Massacre (١٩٦٧) الذي يعرض مآثر الميليشيات الكونفيديرالية بقيادة الكولونيل بلايك (غاي ماديسون).

يستطيع المرء، بإجراء عملية بحث دؤوبة، أن يكتشف أن الممثل الهولندي رويل بوس (ظهر في التيترات باسم غلين ساكسون) هو من جسد شخصية غلين غارفين (المعروف في المكسيك باسم دجانغو) في فيلم «دجانغو يطلق النار أولا» - Django Shoots First (١٩٦٦ - «هو من يطلق النار أولاً») لألبرتو دي مارتينو. يصل دجانغو إلى بلدة سيلفر كريك (استديوهات إيليوس) كي يجد أن والده المتوفى توماس غارفين كان قد تقاسم ممتلكاته في البلدة مع المصرفي المحتال كين كلستر (ناندو غاتسولو). وكان كلستر قد أساء إلى توماس، لكن دجاغنو ينجح، بمساعدة غوردون الكسول (فرناندو سانشو) والرجل الغريب الغامض دوك (ألبرتو لوبو)، في تطهير اسم توماس. ثم يقوم دجانغو بقتل كلستر أثناء مبارزة جرت في مقبرة. إلا أن جيسي (لويجي مونتيفيوري)، ابن كلستر، يظهر فجأة للمطالبة بثروة والده. زود برونو

نيكولاي الفيلم بأغنية شارة جميلة اسمها «رقصة الخطر»- Dance of Danger أداها دينو. صورت مشاهد الفيلم في إيطاليا وإسبانيا- يحاصر رجال كلستر دجاغنو في مقبرة (في تور كالدارا، لاتسيو) ثم يساق مخفوراً على ظهر جواد إلى حوض سانتيلانا (صورت هذه المشاهد في مانزناريس إيل ريال بالقرب من مدريد). يمتطي ساكسون صهوة فرسه كأنه كيس من البطاطس ويرتدي لوبو، بشخصية دوك، ملابسه على طريقة لي فان كليف: حيث يصل إلى البلدة وفي حوزته مدية نابضية للانتقام من زوجته جيسيكا (إيفلين ستيوارت/ إيدا غالي) التي تزوجت كلستر. لعبت إيريكا بلانك دور المرأة التي يحبها دجانغو (مالكة البار الآنسة لوسي) وفالنتينو ماكي دور هيكس، مأمور بلدة سيلفر كريك المتلعثم وغيدو لولوبريجيدا دور وارد، مساعد كلستر ذي الرداء الأسود. ضمت المشاهد السابقة للشارة، التي تم تصويرها في مرتفعات ألميريا، بعضاً من أفضل لحظات الفيلم. حيث يلتقي دجانغو برينغو صياد الجوائز (خوسيه مانويل مارتين) ويقتله ثم ينقل جثمان والده نفسه على متن عربة إلى البلدة للفوز بالجائزة.

حملت الحلقة التالية من قصص دجانغو اسم «عشرة آلاف دولار مغمسة بالدم»- $10.000 Blood Money (١٩٦٧) لرومولو غويريري. يطلق سراح المكسيكي الخارج على القانون مانويل فاسكويز (كلاوديو كاماسو شقيق جيان ماريو فولونتيه) من السجن بعد أن قضى فيه أربع سنوات ويخطف دولوريس (أدريانا أمبيزي) شقيقة مالك الأرض الثري مندوزا. يستعين مندوزا بصائد الجوائز دجاغنو (جياني غاركو الذي يظهر في التيترات باسم غاري هدسون) لاستعادتها، لكن دجاغنو يرفض تولي المهمة إلا إذا وصل التعويض الذي سيتقاضاه إلى عشرة آلاف دولار. يتسلل دجاغنو إلى صفوف الخاطفين ويساعدهم على مهاجمة عربة تنقل ذهباً (صورت المشاهد في وادي تولفا في إيطاليا). ثم يلاحق دجاغنو مانويل إلى تامبا (قرية مكسيكية في استديوهات إيليوس) التي يقع فيها على الرجل الذي يطارده. أثبت فيلم

«عشرة آلاف دولار مغمسة بالدم»، بصورة غير متوقعة، أنه فيلم وسترن قوي منذ مشهده الافتتاحي الشاعري (صور على شواطئ ألميريا المتوسطية المشمسة) الذي يتمتع دجاغنو فيه بحمام شمسي. زودت نورا أورلاندي الفيلم بموسيقى عاطفية ضمت نغمات وترية وقرع أجراس وعزفاً منفرداً رائعاً على الترومبيت ممزوجاً بأنغام غيتار إسباني وموسيقى آلة الثيرمين. صور الفيلم بغالبيته العظمى في مواقع من مقاطعة لاتسيو في إيطاليا مع لقطات عابرة في سلسلة جبال ألميريا أضفت على الفيلم لمسة ملحمية. ظهر فرناندو سانشو في الفيلم في دور قصير جسد خلاله شخصية ستاردست والد مانويل. يتعرض دجاغنو لضرب مبرح على يد رجال مانويل ويصاب بجروح خطيرة، فتساعده مالكة الحانة ميخانو (لوريدانا نوسياك) حتى يشفى وتحاول إقناعه بالتخلي عن مهنة صيد الجوائز. لكنها تقتل، بشرك ينصبه لها مانويل، أثناء مغادرتها على متن عربة متجهة إلى فريسكو. كانت المشاهد العاطفية التي جمعت غاركو ونوسياك صادقة إلى حد جعل موتها العبثي أشد وقعاً.

أخرج جيوليو كويستي عام ١٩٦٧ فيلماً بعنوان مؤقت هو «أورو هوندو» قبل أن يصبح اسمه في إيطاليا «إن كنت حياً أطلق»- Si Se Vivo, Spara! في حين حملت الإصدارات الدولية اسم «اقتل يا دجانغو! (إن كنت حياً أطلق)»- Django Kill! (If You Live, Shoot) كي يندس بهذه الطريقة في رتل أفلام دجانغو. لعب توماس ميليان دور الغريب الذي لا اسم له في إعادة كويستي هذه لفيلم «من أجل حفنة من الدولارات»، حيث يعلق البطل بين عصابة من مربي الماشية الساديين الذين يتزعمهم ملاك الأراضي زورو (روبرتو كاماردييل) ومزارعين يستسهلون شنق الناس دون محاكمة بزعامة هاغرمان (باكو سانز) وصاحب حانة اسمه تمبلر (ميلو كويسادا). استخدم كويستي الديكورات التي خلفها ليونيه في جبال مانزاناريس محولاً إياها إلى البلدة المكونة من أكواخ خشبية التي صور فيها عمليات الشنق والتعذيب وسلخ فروات الرأس. أدى ميليان ذو النظرات المشدوهة دور البطل بامتياز في حين لعب فرانك برانيا دور

تابع تمبلر وراي لوفلوك دور إيفان، ابن تمبلر. كما ظهرت ماريلو تولو بدور فلوري، أسوأ مغنية حانات شهدتها أفلام الوسترن. ولعبت باتريتسيا فالتوري دور إليزابيث، زوجة هاغرمان مشعلة الحرائق التي تتسبب، في خاتمة الفيلم، بالحريق الكبير الذي أدى إلى انهيار منزل هاغرمان- حيث يكتسي وجه زوجها بقناع موت مصنوع من صهارة الذهب.

أنجز فرانكو ديلي كولي أعمال التصوير ببراعة باستخدام نظام تكنيكولور محولاً الفيلم إلى واحد من أفضل أفلام الوسترن الإيطالية من حيث المظهر. صور المشهد الذي يرتكب فيه أوكس (بييرو لولي) الخارج على القانون مذبحة في صحراء أكسبتها الشمس لوناً ناصعاً في موقع ورشة بناء بالقرب من مدريد في حين يصطاد الغريب الجياد البرية بحبله في كالدارا دي مانزيانا في إقليم لاتسيو. كما صورت إحدى المقابر بالقرب من جبال مانزاناريس في حين لم تكن مزرعة زورو- التي يتجاذب فيها أطراف الحديث مع ببغائه الخارق- سوى فيلا موسوليني، المحاطة بالأسوار والواقعة في لاتسيو، وإسطبلها. يبلغ طول نسخة الفيلم (المصنف في المملكة المتحدة على أنه لمن هم أكبر من سن الخامسة عشرة) الكاملة مائة واثنتي عشرة دقيقة وتتضمن عملية سلخ فروة رأس واستخراج أحشاء وحوارات إضافية تدور بين الغريب وطبيبين هنديين أبطأت إيقاع الفيلم. أما النسخة المنقحة، فتبلغ مدة عرضها أربعاً وتسعين دقيقة وهي النسخة الأجمل لأنها حافظت على الزخم الكابوسي للفيلم وإيقاعه الجدير بقصص المغامرات المصورة. وقد كانت هذه النسخة المسحورة هي التي عرضتها شركة غولدن إيرا عام ١٩٦٩ في المملكة المتحدة (صنف الفيلم على أنه للبالغين فقط، في العام نفسه الذي رفض فيه فيلم «دجانغو» لكوربوتشي) ثم ظهر الفيلم مرة أخرى عام ١٩٨٠ على شرائط الفيديو المنزلي. يعتبر فيلم «اقتل يا دجانغو!» قصة وسترن كلاسيكية مزجت الابتزاز والانحراف والقتل في إطار من الفحولة اللاتينية العذبة.

كان الظهور التالي لدجانغو مع فيلم «ريتا الغرب»- Rita of The West (١٩٦٧- «ريتا الغرب الصغيرة» أو كذلك «ريتا الصبية») وجسدت فيه مغنية البوب الإيطالية الشابة (اثنان وعشرون عاماً) ريتا بافونيه شخصية ليتل ريتا، «أشهر رماة الغرب». تبارز ريتا، مع صديقها الألماني الحميم فريتز فرانكفورتر (المغني وكاتب الأغنيات الإيطالي لوشيو دالا)، «صياد الجوائز الخارق» رينغو (كيرك موريس بزي «الرجل الذي لا اسم له») في الشارع الرئيسي في استديوهات إيليوس، حيث يرفع رينغو دثاره كي يظهر تحته مسدس بعيد المدى مزود بأخمص كتف قابل للفك، لكن ريتا تقضي عليه بقنبلة يدوية ذهبية اللون، قبل أن تواجه دجانغو (لوشيو روزاتا بيدين مكسورتين ويجر نعشاً) في بلدة بوت هيل، في تور كالدارا، في الموقع نفسه الذي جرى فيه تبادل إطلاق النار في فيلم كوربوتشي الأصلي. كما تجابه ريتا عصابة من الأشقياء المكسيكيين بقيادة فرناندو سانشو وتسقط صريعة هوى بلاك ستان (تيرانس هيل) الخارج على القانون. بدا غوردون سكوت مستمتعاً بتجسيد شخصية الزعيم الهندي الملقب بالثور الأبله («يا لها من كبيرة ريتا الصغيرة تلك!»). كما ظهر المغني تيدي رينو البالغ الحادية والأربعين من العمر بدور المأمور الجبان- وقد تزوجته بافونيه في السنة التالية في حدث أثار ضجة كبيرة في إيطاليا بسبب فارق السن بينهما.

ظهرت، في حقبة ازدهار الوسترن في إيطاليا، أفلام وسترن كوميدية («سبع نساء لعائلة مكغريغور») وأفلام وسترن بوليسية («موت في أويل روك») وأفلام وسترن جاسوسية («مدفع غاتلينغ») وأفلام وسترن بنكهة الرعب القوطي («وقال الله لقايين»). أما فيلم «ريتا الغرب» فقد بلغ المزج فيه أقصاه، إذ نجد أنفسنا إزاء فيلم سباغيتي وسترن غنائي تنخرط ريتا وفريتز، فيه، وقد نجحا في التخلص من كاسيدي (ريمو دي أنجيليس)، في رقصة ذات إيقاع سريع، قبل أن تبث

الفوضى في مخيم الثور الأبله بأغنية راقصة بعنوان Ma Che Te Ne Fai (التي يؤدي الهنود على إيقاعها رقصة الهوداون الريفية). ثم تغني ريتا في البلدة مع تيدي أغنية دويتو رشيقة بعنوان Rita Sei Totti Noi، تليها أغنية حب رقيقة بعنوان Tu Sei Come تعبر فيها عن حبها لبلاك ستان. وضع جينو لاندي لحن أغنية Ma Che Te Ne Fai (التي تستعاد مرة أخرى في نهاية الفيلم)، التي تؤديها ريتا مع فتيات يرقصن ورعاة بقر يثبون. والواقع أن استديوهات إيليوس لم تشهد هذا القدر من القتل منذ أن أقدم دجانغو على ذبح أفراد عصابة الميجور جاكسون.

نجوم هوليوود في روما

خلال حقبة السباغيتي وسترن، جال العديد من نجوم هوليوود في أرجاء الغرب الأقصى الإيطالي. فقد لعب جوزيف كوتن دور الكولونيل جوناس، الضابط الكونفيديرالي المرتد الذي يحاول إشعال الحرب الأهلية من جديد باستخدام نعش مليء بالأموال المسروقة في فيلم «الهلبندرز»- The Hellbenders (١٩٦٧) لكوربوتشي. كما لعب بيرت رينولدز دور بطل من سكان أمريكا الأصليين من رماة الفؤوس في فيلم «نافاجو جو»- Navajo Joe (١٩٦٦) لكوربوتشي كذلك. وظهر دان دوريا وهنري سيلفا في فيلم «التلال تصطبغ بالأحمر»- The Hills Run Red (١٩٦٦) لكارلو ليتساني- كان دوريا من الأبطال الدائمين لأفلام الوسترن الهوليوودية في الخمسينيات وكان فيلم «التلال تصطبغ بالأحمر» واحداً من أواخر أفلامه. وقد قدم موريكونيه ذو الإنتاج الغزير الموسيقى التصويرية للأفلام الثلاثة تحت اسم ليو نيكولز.

جمع سرجيو ليونيه أعظم ممثلي الوسترن الإيطالي في فيلم «حدث ذات مرة في الغرب»- Once Upon a Time in The West (١٩٦٨)، وهو ملحمة

خطوط حديدية صورت في مواقع في ألميريا ويوتاه وأريزونا. صور ليونيه بعض مشاهد الفيلم في الصخور الجليلة التي تميز وادي المونيومنت فالي في ولاية يوتاه الأمريكية. يعمل فرانك (هنري فوندا) مشرفاً على العمال لصالح إمبراطور الخطوط الحديدية المقعد مورتون (غابرييل فيرتزيتي) الذي يحاول إخراج الأرملة جيل ماكباين (كلوديا كاردينالي) من مزرعة سويتووتر. وكان الخط الحديدي بحاجة إلى الماء كي يستمر في شق طريقه في الصحراء باتجاه المحيط الهادي. استخدمت السكة الحديدية الواصلة بين ألميريا وغوديكس لتجسيد الخط الحديدي الذي تملكه شركة A & PH Morgan (وهي شركة على نسق شركة يونيون باسيفيك) وتم بناء بلدة فلاغستون الصاعدة في ألميريا عند محطة قطارات لا كالاهورا. لعب تشارلز برونسون دور مسلح اسمه هارمونيكا يسعى للانتقام من فرانك بسبب إقدامه على شنق شقيقه. أما جايسون روباردز، فلعب دور شايين غوتيريز الخارج على القانون الذي تلصق به تهمة قتل زوج جيل، في حين ظهرت كاردينالي، بشعرها النحاسي المتدفق الذي يحيط بوجهها الجميل وبالحلة الأصلية التي ترتديها نسوة الغرب الأمريكي، في أبهى صورها على الإطلاق. بدا فرانك في الفيلم واحداً من أعظم ساديي الوسترن سواء بإطلاقه النار على طفلين أو بتخليه عن مخدومه السابق مورتون الذي يموت وحيداً في الصحراء المجدبة. لعب فرانك وولف دور زوج جيل كما ظهر كل من ليونيل ستاندر وكينان واين وباولو ستوبا بأدوار صغيرة. ضمت عصابة فرانك بعضاً من ممثلي الوسترن الإيطاليين ضخام الجثة مثل بينيتو ستيفانيلي وأنطونيو مولينو روخا وفرانك برانيا وفابيو تيستي وسبارتاكو كونفيرسي، أما رجال شايين فكان منهم ألدو سامبريل ولورنزو روبيلدو.

عند هذه اللحظة، انتزع ليونيه لنفسه مكانة مميزة كقاص مع هذا الفيلم الجميل الذي أولى ليونيه فيه عناية فائقة بأدق تفاصيل تلك المرحلة

التاريخية إلى درجة يبدو معها وكأننا إزاء فيسكونتي في فيلم وسترن. وتعتبر الموسيقى التصويرية التي قدمها موريكونيه للفيلم من أكثر أعماله شعبية بمقطوعاتها الأوركسترالية الجارفة والغيتارات الكهربائية الجارحة وأنغام الهارمونيكا النائحة والسوبرانو المميز الذي قدمته إيدا ديلورسو. وقد ساعدت الطباعة الإيطالية القشيبة للفيلم في زيادة حدة اللون الذهبي الذي ميز الصحراء والألوان البنية التي طغت على الأزياء (فبدا الفيلم أشبه بألبوم صور فوتوغرافية عتيقة) في حين تغيب لوحة الألوان الغنية تلك عن الإصدارة الناطقة بالإنكليزية الموجودة على الأقراص الضوئية. تبلغ مدة عرض النسخة الإيطالية مائة وسبعين دقيقة في حين كانت النسخة الإنكليزية أقصر باثنتي عشرة دقيقة. يدوم المشهد الافتتاحي في محطة قطارات كاتل كورنر، حين كان ثلاثة من رجال فرانك (جاك إيلام، وودي سترود، وآل مولوك) يرصدون وصول هارمونيكا، أربع عشرة دقيقة متثاقلة في النسخة الناطقة بالإيطالية مقابل حوالي اثنتي عشرة دقيقة في النسخة الناطقة بالإنكليزية. والواقع أن إيقاع النسخة الإيطالية كان أكثر بطئاً بالإجمال. حقق فيلم «حدث ذات مرة في الغرب» نجاحاً عظيماً في أوروبا لكنه أخفق في الولايات المتحدة بسبب تقصيره إلى مائة وثمانٍ وأربعين دقيقة بطريقة جعلته مفككاً. إلا أن ظهور النسخة الكاملة من الفيلم على الأقراص الضوئية أعاد للفيلم مكانته بوصفه أحد أعظم أفلام الوسترن.

كان مجرد حضور وليام شاتنر (الكابتن كيرك في ستار تريك) كافياً لإنجاح فيلم «الكومانتشي الأبيض» - The White Comanche (١٩٦٨). فلنا أن نتصور إذن الأثر الذي تركه حضوره المزدوج بدور شقيقين توأمين على هذا الفيلم الكلاسيكي الذي تم تصويره في إسبانيا. يحاول المسلح جوني مون (شاتنر) الملقب بــ «العينين البيضاوين» اقتفاء أثر شقيقه التوأم نوتاه

مون (شاتتر مرة أخرى) «الكومانتشي الأبيض» المرتد. إذ كان جوني يعاني من الخلط الذي يجريه الآخرون بينه وبين شقيقه القاتل وهو الأمر الذي يدفعه للبحث عن نوتاه من أجل تسوية هذه المسألة. تدور أحداث الفيلم حول بلدة ريو هوندو (ديكورات الوسترن في كولمينار فييخو) وفي مخيم نوتاه. صورت مشاهد الفيلم بالقرب من مدريد، وعلى وجه الخصوص في جبال مانزاناريس إيل ريال في لا بيدريزا. وتدور في الفيلم حبكة فرعية تتناول حرباً بين جيد غرايمز (لويس بريندبس) مالك الحانة ومالك أراض اسمه الجنرال غارسيا (ماريانو فيدال مولينا) تنتهي بتبادل إطلاق نار كثيف بين الاثنين وسط عاصفة رملية. لعبت روزانا ياني دور كيلي، وهي امرأة اغتصبها نوتاه أثناء عملية سطو وتلقي باللائمة على جوني. أما جوزيف كوتن العجوز، فلعب دور لوغان مأمور ريو هوندو على الرغم من أنه يظهر في الفيلم وكأنه يعاني بشدة من حر الصحراء الإسبانية. وتلعب بيرلا كريستال دور الظبي الأبيض، زوجة نوتاه ولويزا ريفيرا دور الهندية الخائنة كاه تو.

يتفوه شاتتر، بوصفه جوني مون، بعبارات مثل: «كل الصبار، دواء الشيطان، واحلم بالكراهية!» أو «يمكنك القول إن الأمر بيننا نحن الاثنين... أنا وذاتي». لكن شخصية نوتاه هي التي منحت الفيلم مكانته كواحد من الأعمال الكلاسيكية. إذ يبدو صوته الجهوري وكأنه صادر من مكبر للصوت وهو يقود أتباعه في «صلاة على الجبل» استعداداً لمهاجمة ريو هوندو: «لقد رأيت في الحلم الذي لا يكذب أن الظبي الأبيض وكاه تو قد حذرتا ذوي الوجوه البيضاء!» قبل أن يبلغ شعبه أنه بعد سنوات من الانكماش، سوف يعود هنود الكومانتشي عظماء كما كانوا من قبل: «أعظم من الكاونييييي! أعظم من الأباتشيييي!» وقد بدا الاستمتاع على شاتتر واضحاً بأداء دور عمره. قدم جان لودرو للفيلم موسيقى جاز بدت بعيدة عن أجواء الفيلم. ينتمي

فيلم «الكومانتشي الأبيض»، إجمالاً، إلى صف من الأعمال الكلاسيكية التي لا يمكن لهواة السينما الحقيقيين أن يتجاهلوها. إنه باختصار شديد السينما، لكن ليست السينما التي نعرفها.

الاختصاصيون: سارتانا وساباتا

أطلق فيلم «إذا التقيت بسارتانا... فاتل صلاتك الأخيرة»- If You Meet Sartana... Pray for Your Death (١٩٦٨) لجيانفرانكو باروليني سلسلة أفلام سارتانا الذي وقف نداً لرينغو ودجانغو من حيث الشعبية. وسارتانا مشعوذ يرتدي بذة سوداء ومعطفاً ذا بطانة حمراء بأسلوب يذكرنا بالساحر ماندرايك. ظهر جياني غاركو في هذا الدور بصورة البطل الذي لا يقهر الذي يردد باستمرار تلك اللازمة المشؤومة: "أنا حامل نعشك" والذي ينذر صفير ريح شبحية وتكتكات ساعة جيب بقرب وصوله. كانت تلك الشخصية هي كما وصفها غاركو بقوله: «سارتانا هو كخفاش يحلق في الليل ويغير شكله كدراكولا. لا شك أن الجذور الثقافية لهذه الشخصية كامنة في مجلات القصص المصورة».

يسرق الشقي المكسيكي ميغيل ديل مورينو (سال بورغيزيه) شحنة ذهب تنقل على متن عربة من غولد سبرينغ إلى غرين هيل، قبل أن يسرق لاسكي (ويليام برغر) الذهب منه بدوره. لكن قصة سرقة الذهب برمتها لم تكن سوى حيلة نفذها مصرفيان من غولد سبرينغ هما جيف ستيويل (سيدني، ابن تشارلي شابلن) وآل هولمان (جياني ريتسو) من أجل المطالبة بتعويض التأمين. يكتشف سارتانا أن الذهب على وشك أن يشحن إلى توسكون في أريزونا في نعش قاض متوفى. وكان هنالك عدد من الرجال الآخرين الساعين للحصول على المال نذكر منهم رامي خناجر اسمه مورغان (كلاوس كينسكي، الذي يضع أجراساً في مهاميزه) وشقياً

مكسيكياً هو الجنرال إيل تامبيكو (فرناندو سانشو). لعب فرانكو بيسكيه ذو الشعر الأبيض دور الحانوتي العجوز داستي وقدم بييرو بيتشيوني موسيقى تصويرية كانت أقرب إلى موسيقى الحانات على الرغم من أنه استطاع أن يطبع لحظات التوتر في الفيلم بموسيقى مخيفة على طريقة أفلام الرعب، كما في المبارزة الختامية التي جمعت لاسكي وسارتانا في الردهة الخلفية لدكان الحانوتي داستي. صورت بلدتا غولد سبرينغ وغرين هيل في ديكورات وسترن تم بناؤها في استديوهات إيليوس وأوستيا، في حين لم تكن غرين ويلز (المكان الذي يتخلص فيه لاسكي من رجاله مستخدماً مدفع غالتينغ رشاش) سوى أحد مقالع ماليانا بالقرب من روما. أما مزرعة تامبيكو فكانت فيلا موسوليني. استخدم الطريق الأبيض المميز الذي تحفه الصخور وجبل مونتي سيمبرويني من أجل تصوير مشهد السطو على الذهب في حين تم تصوير مشهد الكمين الذي نصب للعربة في الوايت كانيون في مقلع آخر من مقالع ماليانا.

ثم عمل باروليني مع فان كليف في فيلم «ساباتا»- Sabata (١٩٦٩). ظهر السلاح في هذا الفيلم بكثافة (بما في ذلك بندقية وينتشستر مخبأة في علبة مخصصة لآلة بانجو)، لكن باروليني أضاف إلى الفيلم كذلك جرعة كبيرة من البهلوانيات حين كان ثلاثة رجال أعمال فاسدين يخططون لتنظيف خزائن مصرف مدينة دوهيرتي (في استديوهات إيليوس). لعب ويليام برغر دور القاتل الكوميدي بانجو وليندا فيراس دور جاين حبيبة بانجو وفرانكو ريسيل دور هاردي ستينجل زعيم الأشرار. حقق الفيلم نجاحاً كبيراً وقام باروليني بتصويره في مواقع في لاتسيو وألميريا وأصبحت الموسيقى التصويرية المرحة التي قدمها مارشيلو جيومبيني واحدة من كلاسيكيات الأعمال الموسيقية التي تميز هذا النوع من الأفلام. صنع باروليني جزءاً ثانياً مع فان كليف بعنوان

«عودة ساباتا»- Return of Sabata (١٩٧١) كان أكثر جنوناً من الفيلم الأول وإن لم يحقق القدر نفسه من النجاح. كما أخرج باروليني فيلم «وداعاً ساباتا»- Adios Sabata (١٩٧٠- «صيادو الجوائز») مع يول براينر. وقد ظهر جياني ريتسو في أفلام ساباتا الثلاثة بدور الشرير حاله كحال بيدرو سانشيز الذي كان صديق البطل- مكسيكي متبجح خبيث يبحث دائماً عن المكاسب.

وعلى الرغم من أن «ساباتا» قد ولد بعض التتمات غير الرسمية- على سبيل المثال «ساباتا القاتل»- Sabata The Killer (١٩٧٠- «فيفا ساباتا!») لتوليو ديميكيلي بطولة أنطوني ستيفن الذي يملك ماضياً في تقليد كل الشخصيات- إلا أن سارتانا كان هدفاً لعدد أكبر من الأفلام التي حاولت تقليده. فقد لعب جورج هيلتون دور البطولة في الفيلم المثير «أنا سارتانا... بادل مسدسك بنعش»- I Am Sartana... Trade Your Pistol With Coffin (١٩٧٠)، كما لبس ويليام برغر عباءة البطل في الفيلم الرديء «سارتانا في وادي الموت»- Sartana in The Vally of Death (١٩٧٠) وعاد غاركو إلى لعب دور البطل في فيلم «سارتانا حفار القبور»- Sartana The Gravedigger (١٩٦٩- «أنا سارتانا... ملاك موتك»، مرة أخرى مع كينسكي) و«جنازة طيبة يا رفيقي... الحساب عند سارتانا»- Have a Good Funeral Amigo... Sartana Will Pay (١٩٧٠- كل ما في الفيلم يتحدث عن ساباتا بازوليني باستثناء الاسم) و«أشعل الفتيل... فسارتانا قادم»- Light The Fuse... Sartana's Coming (١٩٧٠- «أسرع يا رجل... فسارتانا في البلدة!») التي أخرجها جميعها أنطوني سكوت/جيوليانو كارنيميو. كما لعب غاركو دور مسلح شبيه بسارتانا اسمه سيلفر في فيلم الوسترن البوليسي «ثمن الموت»- Price of Death (١٩٧١).



«أنا حامل نعشك»: جياني غاركو بدور المسلح الأسطوري سارتانا في فيلم «جنازة طيبة يا رفيقي... الحساب عند سارتانا» لجيوليانو كارنيميو (١٩٧٠)

يحرر سارتانا، في فيلم «أشعل الفتيل... فسارتانا قادم»، وهو أفضل أفلام السلسلة، غراند فول (بييرو لولي) من سجن إيفرغلايدز الصحراوي كي يعثر من أجله على مليوني دولار زائفة ونصف مليون دولار من الأوراق النقدية السليمة. يصل سارتانا إلى بلدة مانسفيلد (ديكورات وسترن في استديوهات إيليوس) ويجد نفسه في مواجهة مأمور البلدة الفاسد ماناساس جيم (ماسيمو سيراتو) والأرملة بيل (نييفيس نافارو) والعميل الفيدرالي سام بوتنام (فرانك برانيا) والجنرال مونك (خوسيه جاسبيه) وجيشه المكون من مرتدين. صور كارنيميو الفيلم في موقع بالقرب من مدريد أسبغ على الفيلم فخامة أكبر من سابقاته من الأفلام الإيطالية. لعب خوسيه بيسكيه دور بوم بوم صديق سارتانا الذي يدس تحفة هندية على شكل ساعة حائط تبدو وكأنها ولاعة سيجار إلا أنه كانت في الواقع قنبلة. يقضي سارتانا على الأشرار مستخدماً أرغن كنيسة أخفى فيه مدافع رشاشة وبنادق. كتب برونو نيكولاي الموسيقى التصويرية للفيلم التي كانت في الواقع توزيعاً جديداً لموسيقى فيلم «وداعاً ساباتا».

دجانغو يمتطي صهوة جواده من جديد

عادت سلسلة دجانغو إلى السكة من جديد عام ١٩٦٨ مع فيلم «فيفا دجانغو!»- !Vivia Django لفرديناندو بالدي الذي صوره إنزو باروني بالأسلوب الخشن نفسه الذي يميز كوربوتشي. أدى تيرانس هيل دور دجانغو الذي يواظب على شرب العصائر ويعمل حارساً شخصياً للسياسي الطموح ديفيد باري (هورست فرانك). يتسبب باري ومساعده لوكاس (جورج إيستمان) بإصابة دجانغو بجروح أثناء عملية سطو على شحنة من الذهب تفضي إلى موت زوجته. تمضي خمس سنوات على هذه الحادثة يعود دجانغو بعدها من جديد مقدماً نفسه بوصفه جلاد البلدة. يحرر دجانغو عدداً من الرجال المحكومين بالإعدام، كان يفترض به أن يشنقهم، كي يساعدوه على

السطو على ذهب باري الذي يحتفظ به في سانتا. لعب خوسيه توريس دور رامي الخناجر المكسيكي غارسيا وبربارة سيمون دور زوجته مرسيدس ولي بورتون ولوشيانو روسي وسبارتاكو كونفرسي وإيفان سكارتوليا ولوسيو دي سانتيس دور أفراد عصابة دجانغو «الشبحية». كما ظهر بينوكيو أرديا بدور عامل البرق هوراس الذي يقتني ببغاء ناطقاً (يردد باستمرار عبارة «اقتل يا دجانغو!»).

تم تصوير بلدة ألتوس الغارقة بالطين في ديكورات وسترن ضمن استديوهات إيليوس، في المكان الذي شهد تبادلاً عنيفاً لإطلاق النار: إذ يضرم دجانغو، الذي كان قد تلقى من رجال باري ضربة لن ينساها، النار في الحانة التي يملكها. تم تصوير بلدة منديز فورد التي اختبأ دجانغو فيها عند نهر تريجا الواقع بالقرب من شلالات مونتي جيلاتو كما صور عدد كبير من المشاهد في كامبوسيكو الواقعة بالقرب من كاميراتا نووفو في منتزه مونتي سيمبرويني الوطني في مقاطعة لاتسيو- أودية عشبية وأشجار تبرز وسط تشكيلات صخرية- وهو المكان الذي يواجه دجانغو فيه باري وعصابته في مقبرة بلدة ألتوس. حمل فيلم «فيفا دجانغو!» اسماً بديلاً هو «دجانغو يجهز نعشاً» وهو اسم له ما يبرره في أحداث الفيلم، حيث يجبر دجانغو على الحفر من أجل استخراج ما كان باري يظنه ذهباً مدفوناً في الأرض. يستمر دجانغو في التنقيب حتى يصل إلى تابوت كان قد دفنه في وقت سابق وخبأ فيه مدفعاً رشاشاً. في تلك اللحظة بالذات، تقع الواقعة التي أصبحنا نعرفها جميعاً. كتب جيانفرانكو ريفربيري أغنية حماسية بعنوان «الأفضل لك أن تبتسم» أداها نيكولا دي باري في حين ذاع صيت أغنية «ديغويلو» الكئيبة (نغمات غيتار متثاقلة ترافقها أصوات كورس جنائزي وموسيقى ترومبيت) عام ٢٠٠٦ حين استخدمتها فرقة غنارل باركلي كموسيقى خلفية في أغنية Crazy التي احتلت المراتب الأولى في لوائح أغنيات البوب الأكثر رواجاً.

حمل الفيلم العنيف «لا مكان للموت»- No Room to Die (١٩٦٩) لسرجيو غارونيه اسم «أنشوطة من أجل دجانغو» في بعض الأسواق كما تحول في ألمانيا إلى مجابهة بين دجانغو وسارتانا. وقد كان هذا الفيلم الذي صور في إيطاليا استعادة كئيبة لفيلم «من أجل بضعة دولارات أخرى» مع الموسيقى التي ألفها فاسكو ومانكوزو. لعب أنطوني ستيفن وويليام برغر دور صيادي الجوائز جوني براندون وأفيرت موردوك اللذين يتحالفان لاقتفاء أثر تاجر الرقيق فارغو (ريكاردو غارونيه شقيق المخرج). بدت شخصية موردوك رائعة بوصفه المبشر المواظب على قراءة الكتاب المقدس الذي يتسلح بترسانة تتضمن بندقية بسبع طلقات.

واجتمع غارونيه وستيفن من جديد في فيلم «دجانغو الوغد»- Django The Bastard (١٩٦٩- «بندقية الغريب») الذي شارك فيه ستيفن في كتابة السيناريو إلى جانب غارونيه باسمه الحقيقي أنطونيو دي تيفيه. تجري أحداث الفيلم عام ١٨٨١، عندما يقتفي دجانغو أثر ثلاثة ضباط كونفيدراليين خانوا الفوج الذي كان يقاتل في صفوفه خلال الحرب الأهلية. يقتل دجانغو الملازم سام هاوكينز (فريد روبسان) ثم الكابتن روس هاورد (جان لوي) قبل أن يطارد الميجور رود موردوك (باولو غوزلينو). يحيط موردوك نفسه، في مدينة ديزيرت سيتي، بعصابة من المرتزقة. لكن دجانغو الذي بدا وكأنه يتمتع بقوى خارقة تجعله عصياً على الموت يتمكن من الانتقام بمساعدة شقيقة زوجة موردوك الخائنة أليدا (رادا راسيموف). ظهر ستيفن في فيلم «دجانغو الوغد» في أفضل أدواره وهو يتجول في شوارع مدينة ديزيرت سيتي بمشية الواثق من نفسه ومظهر القاتل الذي لا يرحم فبدا وكأنه «شيطان خارج من قلب الجحيم». يرتدي دجانغو دثار بونشو أسود يجعله يبدو كالخفاش ويسجل موت كل من الأشرار الثلاثة برسم شارة صليب يكتب عليها تاريخ اليوم الذي قتله فيه. لعب لوشيانو روسي (الذي ظهر في التيترات باسم لو كامانتيه) دور

لوك، شقيق موردوك الأمهق المصاب بالصرع في حين يلعب تيودورو كورا دور ويليام محاسب موردوك وفوريو مينيكوني دور مأمور مدينة ديزيرت سيتي. كما يلعب كارلو غادي دور بريت مساعد موردوك ذي العين المفقوءة وتوماس رودي دور المسلح المأجور رولاند. وجسد كل من أوسيريديه ورينزو بافاريلو وبرونو أوكمار وأنجيلو سوزاني وميمو ماجيو وألبرتو ديلاكوا وريمو كابيتاني وكلادويو روفيني شخصيات الرجال الأشرار. صورت المناظر الصحراوية في أحد مقالع ماليانا الواقعة جنوب غرب روما. أما ديزيرت سيتي، فصورت في ديكورات وسترن في استديوهات شينيشيتا في حين صورت مزرعة موردوك في فيلا موسوليني. ساعدت موسيقى فاسكو ومانكوزو النافرة، التي استخدمت الفلوت الذي ترافقه أصوات سوبرانو شبحية، في زيادة قوة المشاهد الليلية المرعبة. لجأ غاروني إلى استخدام العنصر فائق الطبيعة- نشاهد دجانغو ينزف كلما أصيب بالرصاص، إلا أنه كان ينهض في كل مرة سليماً معافى. يقضي دجانغو على موردك فتقول ألدا: «سوف نصبح أثرياء إلى الأبد»، إلا أن الطيف يجيبها: «لن نعيش إلى الأبد»، فتلتفت ألدا كي تجد أن دجانغو قد اختفى. يحاكي فيلم ستيفن «رجل يدعى أبوكاليبس جو»- A Man Called Apocalypse Joe (١٩٧٠) الأكثر مرحاً خاتمة فيلم «دجانغو الوغد» بطريقة ساخرة.

كان فيلم «دجانغو الوغد» آخر الجولات التي يؤديها دجانغو منفرداً، إذ إن معظم الأفلام اللاحقة أقرنته بسارتانا، كما في فيلم باسكواليه سكويتييري (الملقب بويليام ريدفورد) «دجانغو ضد سارتانا»- Django Against Sartana (١٩٧٠) و«فجر يوم لعين... دجانغو يلتقي بسارتانا!»- One Damn Day at Dawn… Django Meets Sartana (١٩٧٠) لديموفيليو فيداني. وكان الملاحظ أن أعداد مرتادي الصالات كانت تصغر بصورة مطردة مع ازدياد أسماء الأفلام طولاً. يتعرض مصرف بلدة تومبستون للسطو، في فيلم «دجانغو ضد

سارتانا»، ويقتل مدير المصرف فيليب سينغر (برنارد فابر) وتختطف نسيبته. تلقى اللائمة في عملية السطو تلك على ستيف (جون ألفار) شقيق دجانغو وعلى مسلح اسمه سارتانا (جورج أرديسون) ويتم شنق ستيف. يشتبك دجانغو (طوني كيندال) مع سارتانا لكنه يكتشف أن الجاني الحقيقي هو سينغر الذي يعيش الآن في بلدة فيرا كروز تحت اسم دون فيليبي مربي الماشية. تدور أحداث الفيلم عام ١٨٧١ (على الرغم من أن الأزياء وتسريحات الشعر توحي أننا في عام ١٩٧١) وتم تصويره برمته في إيطاليا (في مقلع ماليانا وفي تيبورتينا) وبدت معالم شح الموارد المالية المخصصة لإنتاجه جلية. إذ بدت ديكورات استديوهات إيليوس (بلدة تومبستون) متداعية وكان عدد المارة من سكان البلدة قليلاً. ظهر ريك بويد وسالفاتوريه بيلا بدورين صغيرين كاثنين من المسلحين الذين يعملون لدى سينغر، ولعب تيودورو كورا دور الشقي خوان كورفو وفلوفيو مينغوتسي دور مأمور بلدة تومبستون وخوسيه توريس دور لوكو، الهندي الأبكم رامي المدى. ثم هنالك موت سينغر الجديد بالذكر، حيث تغرس في رأسه قرون وعل ميتة هي الأولى من نوعها في تاريخ هذه الفئة من الأفلام. استخدم الفيلم موسيقى كان بييرو أوميلياني قد كتبها لفيلم «ابن دجانغو»- Son of Django (١٩٦٧- الذي لعب البطولة فيه غابرييل تينتي بدور كلينت، ابن دجانغو)، على الرغم من أن كلمات إحدى الأغنيات تشير إلى دجانغو بوصفه «كان والدي» بما يتضارب بوضوح مع محتوى الفيلم.

كما أخرج ديموفيليو فيداني فيلم «فجر يوم لعين... دجانغو يلتقي بسارتانا!»- One Damn Day at Dawn… Django Meets Sartana باسم مايلز ديم. كما عمل فيداني تحت أسماء مستعارة أخرى مثل سليم ألون وسين أونيل وديك سبيتفاير وهو سلوك يسهل فهم دوافعه إذا تابع المرء أعمال هذا المخرج. كانت مسيرة هذا الفيلم متعرجة لا تضبطها حبكة ودارت أحداثه في مقالع لاتسيو المبتذلة المألوفة. يكتشف جاك رونسون مأمور بلدة بلاك سيتي (فابيو تيستي

بمعطف وقبعة ووشاح بطول ثلاثة أمتار) أن بلدته صارت هدفاً سهلاً للمهربين بود ويلر (دين ستراتفورد) وسانشيز (دينيس كولت). فيمد دجانغو (هانت باورز)، الذي هو، في واقع الأمر، سارتانا المسلح ذائع الصيت، يد العون لرونسون. يتميز أسلوب فيداني - بدءاً باختيار الممثلين ووصولاً إلى تأثيث مواقع التصوير - بالاقتصاد كما أنه يوظف ممثلين مساعدين يعجز أكثر هواة أفلام الوسترن دأباً عن التعرف إليهم. وتتميز أفلام الوسترن التي صنعها فيداني، وعلى وجه الخصوص هذا الفيلم، بميتات بهلوانية يؤديها رجال أعمال خطرة تبدو أقرب إلى الحركات الجمبازية أو عمليات الإعدام بالصدمة الكهربائية. كانت ديكورات الوسترن في استديوهات إيليوس التي أدت دور بلدة بلاك سيتي الغارقة بالأمطار أكثر ما ميز هذا الفيلم، بالإضافة إلى الموسيقى التصويرية التي وضعها لولو غوري والتي كانت أفضل بما لا يقاس من الفيلم الذي كتبت لأجله. وقد ظهر تيستي في العام نفسه في فيلم «حديقة فينزي- كونتينيس» - The Garden of The Finzi- Continis لفيتوريو دي سيكا الفائز بجائزة أفضل فيلم أجنبي في مهرجان أوسكار لعام ١٩٧١.

كثيراً ما عقدت المقارنة بين فيداني ومخرج أفلام وسترن إيطالية آخر هو إد وود. والواقع أن المرء لا يستطيع أن يعيب على فيداني الأسماء التي يختارها لأفلامه وهي، في جميع الأحوال، تتمتع بقدر من الخيال أكبر بكثير من محتوى الأفلام التي تحملها. أخرج فيداني فيلماً يعنوان «قصة دجانغو» - The Story of Django (١٩٧١- «أمسكت بك أيها الوغد!») تحت الاسم المستعار لوكي ديكرسون ويستعيد فيه دجانغو (هانت باورز) مع وايلد بيل هيكوك (دين ستراتفورد)، في إحدى الحانات، ذكريات أشهر مغامرات دجانغو التي كانت لقطات من أعمال فيداني الهزيلة السابقة بما فيها فيلم «الغريب الذي يجثو إلى جانب ظل جثة» - The Stranger That Kneels Besife The Shadow of a Corpse

و«سارتانا، إن خانتك يسارك فاقطعها»- Sartana, If Your Left Arm Offends You, Cut It Off المعروف كذلك باسم «دجانغو وسارتانا قادمان... إنها النهاية!»- Django and Sartana Are Coming... It's The End، النهاية نفسها التي حلت سريعاً بعد هذا العمل المضحك.

مضت إحدى وعشرون سنة على فيلم كوربوتشي الأصلي قبل أن يبعث فرانكو نيرو دجانغو حياً في حلقة رسمية من سلسلة مغامرات هذا البطل حملت اسم «دجانغو يضرب من جديد»- Django Strikes Again (١٩٨٧- دجانغو ٢: العودة الكبيرة) وأخرجها نيللو روساتي (تيد أرتشر). ثار حنق نيرو عندما لاحظ أن كل أفلام الوسترن التي مثلها تقريباً حملت في ألمانيا اسم «دجانغو»، لذلك ارتأى أنه يحق له أن يؤدي هذه الشخصية بنفسه. أصبح جانغو الآن راهباً يقيم في دير سانتو دومينغو تحت اسم الأخ أغناطيوس. لكن دجانغو يعود عن تقاعده بعد أن أصبحت ابنته ماريسول أسيرة أحد تجار الرقيق. أما خصم دجانغو، فهو الأمير أورلوفسكي (كريستوفر كونيلي) هاوي الحشرات ومجموعة المرتزقة الذين يعملون لصالحه من المجريين ذوي الأزياء البيضاء الذين يمخرون عباب النهر على متن سفينتهم البخارية المدرعة- «ماريبوزا نيغرا»، وهو اسم فراشة سوداء أسطورية كان الأمير يجد في إثرها- ويهاجمون القرى ويسخرون سكانها للعمل لديهم. يقع دجانغو أسير هؤلاء الرجال فيتم نقله للعمل في منجم للفضة لكنه ينجح في الإفلات، حيث نراه في مشهد رشيق يستخرج مدفعاً رشاشاً من قبر يحمل اسم دجانغو قائلاً لرفيقه القديم: «كان بإمكانك استعمال شيء من الزيت. فأمامك المزيد مما يجب عليك القيام به».

وفيلم «دجانغو يضرب من جديد» هو فيلم وحشي صاخب فيه بعض من مشاهد الحركة التي لا تنسى. إذ يتقمص دجانغو شخصية حانوتي ويسافر متنكراً على متن عربة لدفن الموتى ويقتل الأشرار بالبولا والرماح والديناميت والمسدس ومدفعه الرشاش وهو السلاح الذي يمحضه كل ثقته في سلسلة من

مشاهد إطلاق النار التي كانت حسنة الإعداد. تم تصوير الفيلم بنظام الإيستمانكولور على يد ساندرو مانكوري وكان التصوير السينمائي إضافة حقيقية للفيلم ناهيكم عن الموسيقى التصويرية الإنجيلية التي كتبها جيوفاني بلينيتزيو بأسلوب يحاكي فيه موريكونيه والتي تضم غناء سوبرانو وعزفاً أوركسترالياً مترفاً مع آلات نقرية وأصوات أجراس مجلجلة. يذكرنا مشهد المنجم- الذي يضم مئات من ممثلي الكومبارس- بمشاهد مماثلة من فيلم «باراباس». صور الفيلم في كولومبيا. والواقع أن أجواء الفيلم كانت شبيهة بأجواء مغامرات الأدغال (بل إن أحد المصارف التي كان أورلوفسكي يخطط للسطو عليها يحمل اسم «بانكو تروبيكال»). لعب دونالد بليزانس دور غان، وهو خبير فراشات اسكتلندي سجين لدى أورلوفسكي، وجسدت كونسويلو رينا شخصية دونا غابرييلا، حبيبة دجانغو والممثلة طويلة القامة ليشينيا لنتيني، دور الكونتيسا حبيبة أورلوفسكي التي يطعنها، فيما بعد، خصم حبيبها، وهو نخاس أسود مهيب يرتدي بيكيني من جلد النمر ويتزين بسلاسل ذهبية. يمضي دجانغو، في نهاية الفيلم، على صهوة جواده مؤكداً أنه «سيعود»، على الرغم من أن نيرو لم يظهر بعد ذلك الفيلم.

نجمان صاعدان: هيل وسبنسر

في الفترة التي سبقت النجاح الذي حققاه على المستوى العالمي كنجمين كوميديين، كان تيرانس هيل وبود سبنسر قد بلغا مرتبة النجومية بالفعل في ثلاثية وسترن أخرجها جيوسيبي كوليتسي، صديق ليونيه: «الله يغفر... أما أنا فلا»- God Forgives... I Don’t (١٩٦٧) و«آيس هاي»- Ace High (١٩٦٨) و«بوت هيل»- Boot Hill (١٩٦٩). حمل فيلم «الله يغفر... أما أنا فلا» اسماً مؤقتاً هو «الكلب، القط والثعلب». أما الكلب فهو هاتش بيسي (سبنسر) وهو مندوب تأمين يعمل لصالح مصرف هارولد في إيل باسو ويجد في أثر شحنة مفقودة من الذهب تبلغ قيمتها مائة ألف دولار، في حين أن

الثعلب هو بيل سان أنطونيو (فرانك وولف) الخارج على القانون الذي يدعي الموت ويتعاون مع مدير المصرف السيد هارولد، ولم يكن القط سوى المسلح كات ستيفنز (هيل) الذي يتعاون مع هاتش من أجل العثور على الذهب. يختبئ بيل في المكسيك بالقرب من بلدة بونتال. هكذا، يسرق كات وهاتش الخزنة الحديدية ويدفنانها في الصحراء. ثم تقع مبارزة بين بيل وكات تنتهي ببيل وقد مزقه الديناميت إرباً.

تم تصوير «الله يغفر... أما أنا فلا» في مواقع في ألميريا، في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات إيليوس في روما. أما الخط الحديدي الممتد بين ألميريا وغواديكس فلعب دور السكة الحديدية بين مدينتي إيل باسو وكانيون سيتي التي يفتتح الفيلم بها مع وصول قطار تابع لشركة MK&T لا يقوده أحد إلى مدينة إلى كانيون سيتي وقد كان كل من على متنه أمواتاً. أجاد هامي وولف أداء دور بيل سان أنطونيو الذي تحولت وسامته الشاحبة إلى أشلاء بسبب تفجير عبثي عنيف. كما جسد رفيق كل الأبطال خوسيه مانويل مارتن شخصية بود، مساعد بيل المغفل. وقد ساعد التباين الصارخ بين هيل، البهلوان حلو المعشر وسبنسر، ذي الجسد الضخم على تقطيع مسار القصة الجاد بطريقة ذكية: وقد بدا هيل بوضوح أنه يحاول تقليد كلينت إيستوود في حين كان سبنسر الملتحي أكثر أصالة بمعطفه الأشعث الكبير المصنوع من شعر الماعز. شهدت مقاطع الحركة العنيفة في الفيلم تعرض كات وهاتش للتعذيب بفواصل زمنية منتظمة، حيث يجبر كات على الغطس في هذه البئر أو ذاك بشكل متكرر (مع العلم أن القطط تكره الماء) في حين يدمغ هاتش بالحديد المحمى. وقد عانى هيل في هذا الفيلم بحق، إذ نراه، تارة، متدلياً رأساً على عقب وقد علق في فخ نصب له وطوراً يسحل على طول صحراء ألميريا المحرقة. أطلق على كات وهاتش في النسخة الإيطالية كات «دوك» ستيفنز وهاتش إيرب، في حين حملا في النسخة الألمانية (التي أخذت اسم «الله يغفر... أما دجانغو فلا») اسم دجانغو ودان. كتب كارلو

روستيكيلي للفيلم موسيقى تصويرية أوبرالية عظيمة رافقها كورس ينشد بأعلى صوته مقاطع من نشيد يوم الدينونة (Dies Irae). كان فيلم «الله يغفر... أما أنا فلا» (الذي عرض في بريطانيا تحت اسم «نهر الدماء») أكثر الأفلام نجاحاً في إيطاليا عام ١٩٦٧.

يعيد كات وهانتش، في فيلم «آيس هاي» (١٩٦٨)، الكنز المسروق إلى إيل باسو (ميني هوليوود في ألميريا) ويطالبان بالجائزة الموضوعة لمن يقبض على بيل. فيستأجر مدير المصرف، السيد هارولد (ستيفان زاكارياس)، قاتلاً مداناً اسمه كاكوبولوس (إيلي والاش) كي يسرق مال الجائزة من كات وهانتش. لكن كاكو كان يسعى للانتقام من الرجال الثلاثة الذين غدروا به قبل خمسة عشر عاماً: المكسيكي المألوف باكو روزا (ليفيو لورنزون) ومالك الأراضي درايك (كيفن ماكارثي) وهارولد، لذلك يوافق كات وهانتش على مساعدة كاكو. يقتل كاكو هارولد ويقتفي أثر باكو إلى معقله الحصين بالقرب من قرية تولا المكسيكية ويقضي عليه بمساعدة ثوار يقودهم كانغاسييرو (ريمو كابيتاني). ثم يتوجه كاكو وصحبه إلى بلدة فير سيتي الواقعة بالقرب من ممفيس التي يدير درايك فيها كازينو قمار مشبوهاً ويخطط لسرقته.

كان إيقاع فيلم «آيس هاي» متثاقلاً بعض الشيء ولم يرق إلى المعايير التي وضعها فيلم «الله يغفر... أما أنا فلا»، إذ يدخل كوليتسي المزيد من الكوميديا على المزيج العنيف الذي قدمه في الفيلم بما في ذلك الاشتباك الأول بالأيدي الذي يقع بين هيل وسبنسر. مرة أخرى يقدم كارلو روستيكيلي الموسيقى التصويرية وصورت مشاهد الحركة الصحراوية في ألميريا في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات إيليوس. لعب والاش، الخارج حديثاً من نجاح كبير حققه في فيلم «الجيد، السيء والقبيح»، دور سجين فار مصاب بالقمل من أصول يونانية. ولعب بروك بيترز دور توماس، البهلوان الأسود الماهر في السير على الحبل الذي ينضم إلى الأبطال في مؤامرتهم لسرقة الكازينو. كانت المعركة الختامية التي جرت في كازينو درايك الفاخر

حسنة الإعداد: إذ يتواجه في هذه المعركة كات وهاتش وتوماس وكاكو من جهة ودرايك وأربعة من رجاله من جهة أخرى، في حين كان المقامرون الأثرياء يذرعون الكازينو جيئة وذهاباً. يأمر كاكو الفرقة الموسيقية بأداء معزوفة «فالس حلوة وبطيئة» أثناء دوران كرة الروليت حول العجلة. وأخيراً، تتوقف عجلة الروليت عن الدوران أخيراً عن افتتاح إطلاق النار. تم تمويل الفيلم جزئياً من قبل شركة سان ماركو التي سبق وشاركت في تمويل فيلم «حدث ذات مرة في الغرب»، وقد ضمنت الميزانية الكبيرة أن يحقق الفيلم نجاحاً كبيراً في شباك التذاكر الإيطالي: إذ احتل الفيلم المرتبة الثانية في أكثر أفلام الوسترن نجاحاً في إيطاليا عام ١٩٦٨، بعد فيلم «حدث ذات مرة في الغرب». أعيدت تسمية فيلم «آيس هاي» في بريطانيا كي يصبح «انتقام في إيل باسو» على الرغم من أن فعل الانتقام الختامي وقع في بلدة فير سيتي وتمحور حول عجلة روليت وليس حول طاولة بوكر.

شهد فيلم «بوت هيل» اتحاد كات وهاتش مرة أخرى لمساعدة شارب (إنزو فييرمونتيه) وهو أحد معارفهما في بلدة ليبريتيفيل، التي يستغل طاغية البلدة البدين هوني فيشر (فيكتور بوونو) فيها عمال المناجم. يصيب رجال فيشر المسلحون كات بجروح يتعافى منها في كنف سيرك متجول، ويعزم، مع هاتش وشريكه الأبكم الأصم بيبي دول (جورج إيستمان)، على الإطاحة بفيشر. يعتبر فيلم «بوت هيل» أقصر أفلام الثلاثية (اثنتان وتسعون دقيقة) على الرغم من أنه يبدو أطولها، لأننا لا نشاهد هيل وسبنسر فيه إلا نادراً. لم تكن الاستعانة بسيرك متجول فكرة جديدة، إلا أن كوليتسي يسهب في عرض المهارات البهلوانية التي يتمتع بها فنانو الفرقة من خلال لاعبي الأرجوحة والراقصات بالإضافة إلى فرقة موسيقية أعضاؤها أقزام. لعب وودي سترود دور توماس وهو مسلح سابق تحول إلى لاعب سيرك (في استعادة لدور بروك بيترز في الفيلم السابق) وليونيل ستاندر دور مدير الحلبة وقارئ البخت مامي. قدم روستيكيلي الموسيقى

التصويرية للفيلم التي يستخدم فيها مقطوعات من الفيلمين السابقين، كما يعرض الفيلم التناقض الصارخ بين وجوه سكان البلدات الحدودية المبللة بالعرق وملابسهم المغبرة ووجوه فناني السيرك المطلية بالألوان وأزيائهم الزاهية. تم تصوير المشاهد الخارجية في ألميريا (صورت مشاهد تبادل إطلاق النار الليلي الذي شهدته ليبرتيفيل في ديكورات ميني هوليوود)، في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات لورينتيس واستديوهات إيليوس. كان العنوان الإنكليزي للفيلم (Boot Hill) نتيجة خطأ غير مقصود في ترجمة الاسم الإيطالي وهو La Collina Degli Stivali الذي يترجم إلى الإنكليزية The Hill of Boots. وعلى الرغم من أن فيلم «بوت هيل» كان أقل أفلام الثلاثية نجاحاً، إلا أن سبنسر وهيل حافظا على الشعبية الهائلة التي اكتسباها في الفيلمين السابقين وكان الفيلم أعلى أفلام الوسترن تحقيقاً للإيرادات في إيطاليا عام ١٩٦٩. وقد كانت ثلاثية كوليتسي بمثابة الحافز لتحول أفلام الوسترن الإيطالية في بداية السبعينيات من العنف إلى كوميديا التهريج من خلال ظهور ثنائيات حاولت تقليد هيل - سبنسر.

الفصل الثامن

جوازات سفر إلى الجحيم

عالم الجريمة الأوروبية

اتخذت الأفلام البوليسية الإيطالية أشكالاً متنوعة تراوحت بين تقليد أفلام الجريمة الدولية الخارقة على الطريقة البوندية ومحاكاة أفلام الأبطال الجبابرة الذين يتدثرون بالعباءات وقصص السرقات الكبرى. تفردت الجريمة باحتلال صدارة الموضوعات الأكثر رواجاً في السينما العالمية في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات، بسبب الشعبية التي حققتها أفلام المافيا (إثر الاجتياح المذهل لسلسلة أفلام «العراب» لشبابيك التذاكر والأمجاد الكبيرة التي عرفتها هذه السلسلة في مهرجانات الأوسكار) وشخصية رجل الشرطة العنيف التي جسدها كلينت إيستوود في فيلم «المفتش هاري»- Inspector Harry (١٩٧١) وتجارة المخدرات ومطاردات السيارات في فيلم «الصلة الفرنسية»- The French Connection (١٩٧١) وفكرة أن يأخذ المرء على عاتقه مهمة إحقاق العدالة التي قدمها فيلم «أمنية موت»- Death Wish (١٩٧٤). وكما هو متوقع، لم يتأخر المخرجون الإيطاليون في معالجة هذه الأنواع السينمائية الجديدة بأسلوبهم المميز الأمر الذي أفضى إلى ظهور أفلام حققت نجاحات كبيرة في شباك التذاكر وإلى صنع أفلام بوليسية مفرطة في عنفها.

قاتل بلا رخصة: أفلام الجاسوسية

كانت أفلام جيمس بوند أكثر سلاسل الأفلام نجاحاً في الستينيات ومارست تأثيراً كبيراً على السينما الجماهيرية في مختلف أرجاء العالم. وكان اللقب الرمزي 007 أقوى وقعاً من أن ينجح سادة الاستنساخ الإيطاليون في مقاومته، حتى وصل الأمر بشركة يونايتد أرتيستس، التي نفد صبرها حيال المخرجين الذين يشيرون إلى الرمز 007، حداً دفعها إلى التحذير قائلة: وحده جيمس بوند... من يستطيع أن يكون العميل 007. لذلك فإننا نحذر كافة الشركات الإيطالية التي تحاول استغلال نجاح العميل 007 من خلال تمييز أبطال أفلامها بأرقام مماثلة. غير أن ذلك التحذير لم يردع المنتجين الإيطاليين واستمروا في إنتاج عملاء سريين مرمزين لم يحاولوا إخفاء شبههم ببطل أيان فليمينغ.

فقد لعب كين كلارك دور ديك مالوي، عميل الاستخبارات المركزية رقم 077، في «المهمة: بلودي ماري»- Mission Bloddy Mary (١٩٦٥) و«من الشرق مع الحقد»- From The Orient With Fury (١٩٦٥- بدلاً من الاسم البوندي «من روسيا مع الحب») و«المهمة الخاصة: الليدي شابلن»- Special Mission Lady Chaplin (١٩٦٦). يعتبر فيلم «المهمة الخاصة: الليدي شابلن»، الذي أخرجه ألبرتو دي مارتينو وأعد مشاهد الحركة فيه جيورجيو أوبالدي والمخرج المستقبلي إنزو كاستيلاري، أوضح نماذج البوندية الإيطالية. يقتفي مالوي في هذا الفيلم أثر ستة عشر صاروخ بولاريس نووي سرقت من الغواصة النووية الأمريكية يو إس إس تريشر. يتحرى مالوي، في إسبانيا، عن رجل ثري يدعى كين «كوبر» زولتان (جاك بيرجيراك) ويلتقي بقاتلة فرنسية حسناء هي الليدي أرابيلا شابلن (دانييلا بيانكي) وهي فنانة بارعة في التنكر تتقمص شخصية مصممة أزياء وتظهر، تارة– بزي راهبة تطلق النار من مدفع رشاش برفقة اثنين من الجواسيس

الصناعيين (يتنكران بشخصية راهبين)، وطوراً، بهيئة كونتيسة عجوز تقتل أحد الشهود باستخدام مسدس مخفي في كرسيها المتحرك. أما شريكة أرابيلا في ارتكاب الجرائم، فهي كونستانس داي (إيدا غالي باسمها المستعار إيفيلين ستيوارت). يستخدم زولتان حبالاً مطاطية تم تطويرها حديثاً لسرقة الصواريخ التي يخطط لبيعها لعميلة معادية اسمها هيلد (هيلدا لاين) مقابل ماس تبلغ قيمته خمسة ملايين دولار. لكن أرابيلا تقع فيما بعد بحب مالوي وتعمل عميلة مزدوجة وتفشل خطة زولتان.

أنتج إدموندو أماتي أفلام مالوي الثلاثة لصالح شركة فيدا سينيماتوغرافيكا. صور الفيلم في مواقع في إسبانيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا، حيث تنطلق مهمة مالوي التي كلفه بها رئيسه في جهاز الخدمة السرية القائد هستون (فيليب هرسنت) من نيويورك. كما صور الكثير من مشاهد الحركة في مدريد (بما في ذلك فندق لوز بالاسيو) وفي جنوب إسبانيا: ميناء إيسكومبريراس ومحطة طاقة في قرطاجة وفي دير سان بيدرو دي بيناتار وكابو دي بالوس بالإضافة إلى مواقع في مورسيا وملقة وماربيا. وفي لندن (جسر لندن وميدان ترافالغار وساعة بيغ بن)، تسرق الليدي شابلن الوقود الصاروخي من قطار عسكري كان في طريقه إلى دوفر. ثم يعرج الفيلم على باريس حيث يصعق مالوي إيفان (بيتر بلايدز) مساعد زولتان ذي المخالب الحديدية بالتيار الكهربائي بعد معركة جرت فصولها عند الخط الحديدي المعلق في الساكريه كور. ثم يلاحق مالوي زولتان وأرابيلا إلى مخبأ الصواريخ الذي يقدمه الفيلم على أنه في المغرب على الرغم من أنه لم يكن في الحقيقة سوى موقع على الشاطئ الإسباني المتوسطي. لعب توماس بلانكو دور رجل الشرطة الإسباني سولر وألفريد مايو دور السير هيلاري، كبير الباحثين الخائن في البرنامج الصاروخي البريطاني. كما جسد كل من غوفريدو أونغر وخواكين بارا وإنزو كاستيلاري شخصيات رجال زولتان في مشهد تبادل إطلاق النار مع مالوي في حلبة لمصارعة الثيران.

حظي فيلم «المهمة الخاصة: الليدي شابلن» بإنتاج ضخم وأزياء غريبة ارتدتها كل من بيانكي وغالي ولاين. كتب برونو نيكولاي موسيقى تصويرية نحاسية ذات طابع جاسوسي وأغنية شارة دراماتيكية عنوانها «الليدي شابلن» أداها بوبي سولو. بدا 077، على طول الثلاثية، عميلاً سرياً بارعاً إلا أنه كان مجنوناً بالنساء على الرغم من أن الفيلم الثالث يركز على الحبكة ومشاهد الحركة. حيث تهاجم مروحيتان إحدى السفن في حين كان مالوي يتفحص الغواصة تريشر. وكان من مشاهد الحركة المميزة التي قدمها الفيلم فرار مالوي من سيارته التي كانت تسحق تحت وطأة دلو آلة حفر (حيث يقذف كرسي السيارة مالوي خارجاً)، وفرار الليدي شابلن من طائرة بالاستعانة بثوبها الذي يتحول إلى مظلة، ومشهد تبادل إطلاق النار على شاطئ كان مالوي يحاول أن يطلق منه رمحاً ذا رأس متفجر، ثم المعركة الختامية بين مالوي وزولتان في حجرة لتخزين الصواريخ تشتعل النيران فيها وتنتهي بموت زولتان لسعاً على يد عقاربه المحاربة نفسها. ثم تنجح أرابيلا في تحويل الوقود الصاروخي غير المستقر بواسطة تفاعل كيميائي إلى مادة حمراء تنسج منها تشكيلة من الأثواب. وعندما تتعرض عميلة المخابرات المركزية المتخفية جاكلين (مايبل كار) لإطلاق نار أثناء ارتدائها أحد هذه الأثواب، فإنها تنفجر.

لعب لويس دافيلا، في الفيلم الإسباني الإيطالي «عملية في طنجة»- Espionage in Tangiers (١٩٦٥) لغريغ تالاس، دور مايك مورفي العميل السري S. 0.77 الذي يوقع النساء أسيرات سحره بسهولة بالغة والذي تذهب تعليقاته اللماحة أدراج الريح بفضل الدوبلاج الإنكليزي الذي يفتقر إلى البراعة. يتم إرسال مورفي في أثر مدفع أشعة ابتكره البروفسور غريف (توماس بلانكو) كان قادراً على تحويل أهدافه إلى غبار. صور الفيلم في طنجة ونيس (على الرغم من أنها بدت أشبه بإسبانيا)، وامتاز الفيلم ذو الإيقاع السريع بمقطوعات تمت تأديتها باستخدام الصفير (ألفها بينيديتو غيليا)

وبالحضور العذب لخوسيه غريسي وبيرلا كريستال على الرغم من أن التصوير السينمائي المتواضع للفيلم جعله أشبه بفيلم تلفزيوني.

أما فيلم «اغتيال في روما»- Assassination in Rome (١٩٦٧) لسيلفيو أماديو، فيحقق فيه الصحفي ديك شيرمان (هيو أوبريان) محرر صحيفة أميركان ديلي الرومانية في اختفاء ويليام نورث زوج محبوبته السابقة شيلي (سيد كاريس). لكنه يكتشف أن ويليام كان متورطاً بعمليات تهريب الهيروين، فيبدأ في استجواب مجتمع متعاطي المخدرات في روما وكان ممن استجوبهم فنان (أنطونيو كاساس) وعازف ترمبيت وممثل أفلام بيبلوم في استديوهات شينيشيتا يقدم لمحة عن كيفية صناعة الأفلام وسط ديكورات خارجية فخمة يملؤها ممثلو كومبارس يشاركون في فيلم عن كليوباترا، الأمر الذي يدفع ديك إلى التساؤل عند مروره بالقرب من كليوباترا وبطانتها: «ولكن أين هو ريتشارد بورتون؟». يمكن لسوية التصوير السينمائي العالية أن تكون الدافع الرئيسي لمتابعة فيلم «اغتيال في روما» الذي صورت مشاهده في روما والبندقية والذي يبدأ باكتشاف جثة بالقرب من نافورة تريفي. تتضمن المشاهد الخارجية للفيلم لقطات لقنطرة قسطنطين والكولوسيوم ومطار فيوميشينو. يعتبر الفيلم، بالإجمال، فيلماً هوليووديا ميلودرامياً على الطراز القديم مطعماً بنكهة تشويق إيطالية فيها بعض الشبه بفيلم «ثلاث جثث في النافورة».

يكتشف البروفسور روني (باكو سانز)، في فيلم «السهم الصاعق»- Lightning Bolt (١٩٦٥- «العملية غولدمان») لأنطونيو مارغريتي، وجود نشاط إشعاعي مصدره كيب كينيدي لكن سرعان ما يختفي هذا النشاط. فتكلف الكابتن بات فلاناغان (ديانا لوريس) والملازم هاري سينيت (أنطوني إيزلي) من الفرع S بتحري المسألة. أما الجاني في هذه القضية، فهو بارون الجعة دائم الابتسام ريتيه (فولكو لولي) الذي يرأس مصنعاً لإنتاج الجعة يحمل اسمه ويستخدم حزماً ليزرية يتم إطلاقها من سيارات نقل الجعة لتدمير صواريخ وكالة ناسا. أما خطته بعيدة الأمد فهي إيصال حزمة ليزر إلى القمر. يمزج

مارغريتي في هذا الفيلم الخيال العلمي بقصص الجاسوسية البوندية: حيث يدير ريتيه نشاطه انطلاقاً من مدينة تقع تحت سطح البحر (تم بناء ديكوراتها في استديوهات باوليس) في حين يوشك هاري وبات على الغرق في وعاء عملاق لتخمير الجعة. بدا لولي في الفيلم عسيراً على الوصف في تجسيده لشخصية ملك الجعة الشرير ذي اللكنة الألمانية، في حين كانت الشخصيات النسائية- بات والعميلة المعادية أورسولا (لويزا ريفيلي) وكاري (واندیسا غيدا) الأسيرة لدى ريتيه- أكثر أهمية مما هي عليه عادة في أفلام الجاسوسية. وعلى الرغم من أن أحداث الفيلم تدور في ولاية فلوريدا كما هو مفترض، إلا أن هاري يمر، أثناء توجهه إلى موقع إطلاق الصواريخ، فوق كلمة أنزيو- ANZIO مطلية بأحرف كبيرة على الأسفلت عند إحد التقاطعات الطرقية. كان مجمع ريتيه الواقع تحت الماء مؤتمتاً بالكامل- وهو العذر الذي لجأ إليه مارغريتي لتبرير قلة عدد رجال ريتيه بملابسهم وأقنعتهم السوداء التي تجعلهم يشبهون ديابوليك. يستثمر مارغريتي بشكل جيد لقطات من مصادر أخرى، بما فيها لقطات من غرفة التحكم في وكالة الفضاء الأمريكية ومشاهد لانطلاق الصواريخ من قاعدة كيب كينيدي. كما يستخدم مارغريتي، في تنفيذ المشهد الذي تجتاح فيه الحمم البركانية قاعدة ريتيه، لقطات من أحد أفلامه السابقة وهو «الكوكب المتوحش». كما أن «حجرة السبات» التي تعيش فيها وحوش في حالة من الانتظار، مستوحاة من فيلم «الكوكب المتوحش» نفسه. وعلى الرغم من أن هاري سينيت لا يشبه جيمس بوند، إلا أن الفيلم لا يتورع عن وصفه بأنه «يضرب كالصاعقة».

أخرج سرجيو سوليما اثنين من أفلام العملاء السريين مستخدماً الاسم المستعار سيمون سترلينغ هما «جواز سفر إلى الجحيم»- Passport to Hell و«صياد المجهول»- Hunter of The Unknown (١٩٦٦) ولعب البطولة فيهما جورج أرديسون بوصفه والتر روس العميل السري وبطل الكاراتيه 3S3- أي العميل السري الثالث في الفرقة الأمريكية الخاصة الثالثة. ينطلق

روس في فيلم «جواز سفر إلى الجحيم» في أثر السيد أ وهو أحد ملوك الجريمة. يتصل روس، بعد مقتل العميلة إيليزا فان سلوت (بياتريس ألتاريبا) في هولندا، بابنة السيد أ، جاسمين فون فيتهايم (بربارة سيمونز) في أجواء فيينا الثلجية ثم يسافر برفقتها إلى لبنان للعثور على والدها حيث يكتشفان أنه مات منذ زمن طويل في الفيلا التي يملكها في جزيرة رابيد أيلند. أما الشرير الحقيقي، فلم يكن سوى السيد ب.، البروفسور ستيف ديكسون (جورج ريفيير) الذي يخطط لقتل روس وجاسمين. غير أن عميل أرديسون يستخدم مزيجاً من النعومة والقسوة ويحمل معه رصاصة ذهبية حفر عليها الحرف A كانت بالنسبة إليه بمثابة تميمة حسن الطالع. أما خصومه، فهم غوتييريز (المصارع داكار) وبيل آمي (فرانك أندروز) والعربية الساحرة فوزية (ليونتين ماي) وجاكي ين القبيحة (سينيا سين). يناقش اثنان من قتلة السيد أ المأجورين، هما نوبيل ذو النظارتين (باكو سانز) وسالكوف الأبكم (كاليستو كاليستي) المهمة الموكلة إليهما في العجلة الدوارة في مدينة الملاهي في فيينا التي سبق أن ظهرت في فيلم «الرجل الثالث»- The Third Man. لعب خوسيه ماركو دور أحمد، حليف روس في بيروت وفرناندو سانشو دور دوليوكين السفير الروسي وكل من توم فيليغي وأنطوني غرادويل دور اثنين من رؤساء روس وهما الميجور تايلور والكابتن موران. يعتبر فيلم "جواز سفر إلى الجحيم"، من حيث لجوؤه إلى لقطات سابقة تظهر مواقع أجنبية، فيلم تجسس إيطالي نموذجي. يقاتل روس، في مشهد لا ينسى، عصابة من البلطجية ذوي السترات الجلدية (كان منهم فيديريكو بويدو وسال بورغيزيه وبييترو توريسي وجينو باربيكانيه) في إحدى الحانات الذي كان الفونوغراف الآلي يصدح فيها بأغنيتين لفريق The Kinks هما Everybody’s Going to Be Happy و Let Me Free بصوت إيديث بيترز.

ويرسل روس، في فيلم «صياد المجهول» (حمل اسماً آخر هو «العميل 3S3: مجزرة تحت الشمس)، إلى جزيرة سان فيليبيه الواقعة في البحر

الكاريبي- يحكمها الجنرال الديكتاتور سيكويريوس (فرناندو سانشو) الذي يعمل مع خبير اليورانيوم كارلستون (إدواردو فاخاردو). يتسلل روس إلى الجزيرة متخفياً بشخصية مهرب سلاح للبحث عن العميل 3S4 (لويس إيندوني) الذي كان قد اختفى هناك في وقت سابق. لعب فرانك وولف (وقد صبغ شعره بلون أشقر) دور العميل الروسي إيفان تيرينتشزوف الذي أرسله إلى الجزيرة رئيسه في الكرملين (جون كارلسن). كتب الموسيقى التصويرية للفيلم أوميلياني نفسه كما كتب أغنية شارة جميلة اسمها Trouble Galore غنتها أوريبيتا بيرتي.

أبدى فيلم «أشد فتكاً من الذكور»- Deadlier Than The Male (١٩٦٦) الذي تم إنتاجه بتمويل بريطاني، تأثراً كبيراً بأفلام الجاسوسية الإيطالية. لعبت إيلكه سومر وسيلفيا كوسينا دور إيرما وبينيلوبيه، وهما قاتلتان مثيرتان على طراز الليدي شابلن. تخرج الفتاتان من البحر وهما ترتديان ثوبي سباحة كاشفين كي تقتلا المحقق واينغارد باستخدام رمح صيد بحري في فيلا إيريكس الواقعة على الساحل الإيطالي. تتألف ترسانة الفتاتين المميتة من سيجارات محشوة بالرصاص وقنابل ومسدسات تطلق سهاماً بالإضافة إلى السم، غير أن شعراً مستعاراً ناسفاً يحولهما إلى أشلاء. يعيش مجنون العظمة الشرير (نايجل غرين) في قلعة تطل على المنظر الساحر لبلدة ومرفأ كاستيلماريه (بلدة ليريتشي الواقعة على خليج الشعراء في الشمال الغربي الإيطالي) وقد جسد شخصية مساعده المخلص تشانغ مصارع البيبلوم ميلتون ريد، الذي ظهر كذلك في فيلمين بونديين هما «الدكتور نو» (١٩٦٢) و«الجاسوس الذي أحبني» (١٩٧٧).

كان فيلم «الهدف المتحرك»- Moving Target (١٩٦٧- موت من الحركة) المعقد لسرجيو كوربوتشي فيلم جاسوسية أقل غرابة مما كانت عليه أفلام الجاسوسية الإيطالية المماثلة. جسد الممثل الأمريكي تاي هاردن شخصية جيسون، وهو لص على طريقة هوديني كان فاراً في مدينة أثينا.

كان لدى هاردن، من بين كافة الممثلين الذين اتخذوا أسماء مستعارة، كل المبررات إقناعاً للقيام بذلك: فاسمه الأصلي هو أورسون ويبل هنغرفورد الثاني. يجد جيسون نفسه، تحت ضغط الابتزاز، مرغماً على سرقة ميكروفيلم ثمين من جثة عميل توفي مؤخراً في السجن. فقد تم إخفاء الميكروفيلم، الذي يتضمن لائحة بأسماء عملاء أساسيين يعملون في الشرق وفي الغرب على حد سواء، في فجوات في أسنان العميل المتوفى وكان على جيسون استخراج الفيلم من فكه. ثم يتحول جيسون في أثينا إلى هدف لعصابتين متنافستين بالإضافة إلى الشرطة اليونانية بقيادة المفتش ستراكيس (ناندو بوغي). غير أنه ينجح، بمساعدة صديقه القديم بيتسا (فيتوريو كابريولي)، وهو إيطالي يملك نادياً للتعري اسمه النجم الذهبي، وغريتا (باولا بيتاغورا)، التي تعمل دليلاً سياحياً في الأكروبوليس، في الإفلات من الاعتقال حيث يقوم بعد ذلك بتسليم الميكروفيلم للسلطات مقابل الإفراج عن ابن شقيقة غريتا المحتجز لدى الشيوعيين الأشرار. صور فيلم "الهدف المتحرك" في مواقع في اليونان كان منها التل الشهير الذي ينتصب عليه معبد الأكروبوليس والعديد من الشوارع الخلفية التي أضفت على الفيلم نكهة محلية. وقد دعمت موسيقى الجاز التي ألفها إيفان فاندور الأجواء الجاسوسية للفيلم. كما ساعدت مشاهد إطلاق النار وتبادل اللكمات التي صورها كوربوتشي بأسلوبه الحماسي المعهود على تبسيط حبكة الفيلم المعقدة: تقتل غريتا وتفقأ عيناها انتقاماً للسن الضائع، على مبدأ العين بالعين والسن بالسن. لعب غوردون ميتشيل دور رجل العصابات الألباني البارد وظهر فاسيلي كاريس وريمو دي أنجيليس، المشرف على الأعمال الخطرة لدى كوربوتشي، كاثنين من رجال رجل العصابات المنافس ديميتريوس. ولعبت غرازييلا غراناتا دور راقصة التعري رومبا ومايكل ريني دور الميجور واشنطن كلارك العميل لدى جهاز استخبارات جلالة الملكة الذي كان، في الواقع، عميلاً مزدوجاً.

اضحك اضحك... أطلق أطلق: الجواسيس الهزليون

بعد سلسلة أفلام رينغو، وظف دوتشيو تيساري جيوليانو جيما بدور الرجل الإنكليزي كيرك وارن في فيلم «قبل قبل أطلق أطلق» -Kiss Kiss Bang Bang (١٩٦٦). تنقذ الاستخبارات السرية البريطانية وارن من حبل المشنقة، إثر إدانته بالخيانة العظمى والسرقة، وتجنده، في المقابل، في مهمة تهدف إلى سرقة معادلة سرية لإنتاج خليط معدني جديد يتمتع بدرجة انصهار مرتفعة تؤهله كي يستخدم في صناعة الطائرات ومركبات الفضاء. وكان السيد إكس بدوره يسعى للحصول على المعادلة السرية إياها المحفوظة في خزنة سويسرية يتطلب اقتحامها مهارات علي بابا نفسه. هكذا، يشكل كيرك فريق اقتحام مكوناً من لاعب الأكروبات تشيكو بيريز (جورج مارتان) وسارق الخزنات دوبون (باخاريتو) وخبير الإلكترونيات باديريسكي، وهو أستاذ يلقب بـــ «الرادار» (أنطونيو كاساس). ينجح الفريق في اقتحام الخزنة وتلقين ببغاء ناطق المعادلة السرية. غير أن الطائر يموت لسوء الحظ بإطلاق النار عليه.

بلغ فيلم تيساري في العديد من المواقف مرتبة من الذكاء لم تكن في مصلحته على الإطلاق. فالتلميحات في الفيلم إلى العميل السري ذي الصفر المزدوج عديدة وكان منها ذلك المشهد الذي يعلق كيرك فيه على فيلم يتناول المنشأة السويسرية التي كان عليه أن يقتحمها قائلاً: «إنها أفضل من أفلام جيمس بوند». أما جيما، فقد تم تنفيذ دوره في النسخة الناطقة بالإنكليزية بلغة إنكليزية صقيلة لا تتلاءم مع الشخصية التي يجسدها وكان يرتدي نظارتين على طريقة هاري بالمر. كان أداء جيما رائعاً في مشاهد الحركة، لكن الفيلم بالغ في التجوال بين لندن وسويسرا وإيطاليا (كورتينا دامبيتسو والبندقية) وإسبانيا. كانت مشاهد السرقة متقنة حيث نتابع كيف يتجاوز اللصوص غير الأكفياء الأسوار المكهربة والحراس المسلحين وشاشات المراقبة وحزم الأشعة المميتة. يمتلئ الفيلم باللقطات الفكاهية

(تتردد فيه نكتة عن جواسيس مختبئين في سلة للنفايات) والأسلحة السرية التي كان منها حبوب غاز الضحك وسيارة مائية تجوب قنوات البندقية المائية وحمامة ناطقة في ميدان القديس مرقس. ينحدر الاشتباك الأخير بالأيدي الذي بدأ في أرض معارض قبل أن ينتقل إلى إحدى القلاع، إلى مستوى السخف ذاته الذي أصيب به الكثير من أفلام الستينيات- إلا إذا كان تيساري يقصد السخرية، هنا أيضاً، من ذلك وهو أمر لن نكون قادرين على التأكد منه.

لعبت لوريلا دي لوكا دور فاني (زوجة تيساري)، حبيبة كيرك ذات العقل الخفيف، في حين لعب أنطونيو مولينو روخا دور خطيبها بارون النفط ونييفيس نافارو دور هيلاري شكسبير (عميلة مزدوجة) ودانييل فارغاس دور خبير جودو ياباني شرير وناتسارينو زامبيرلا دور سائقه وخوسيه مانويل مارتين دور السجين جامايكا. كما لعب جورج ريغو دور السير سيباستيان ويلكوكس (المعروف باسم السيد إكس) وهو عميل في خدمة التجسس المضاد يعمل في مجال الصناعات العسكرية. كتب برونو نيكولاي موسيقى تصويرية بوندية وأغنية شارة راقصة لا تنسى بعنوان Love Love… Bang Bang أدتها نانسي كومو. وقد عاد جيما، بعد هذه الانعطافة المستجدة، إلى المشاركة في أفلام الوسترن حتى نهاية الستينيات.

حقق أدولفو شيلي نجاحاً عظيماً في دور «الطيف رقم ٢» إيميليو لارغو، في الفيلم البوندي «كرة الرعد» (١٩٦٥)، الذي يعيش في مزرعته في ناساو ويملك يختاً فاخراً اسمه ديسكو فولانتيه. ثم لعب شيلي دور بيتا، الرجل الثاني في منظمة الجريمة العالمية ثاناتوس (إله الموت لدى الإغريق) في فيلم «أوكيه كونري»- OK Connery (١٩٦٧) لألبرتو دي مارتينو، وهو أكثر الأفلام البوندية الإيطالية الرخيصة سماجة. كما يعرف الفيلم كذلك باسم «العملية المزدوجة 007» و«عملية الأخ الصغير» والاسمان يلمحان إلى حضور نيل كونري (الشقيق الأصغر لسين كونري)

في الفيلم بدور الجراح التجميلي نيل كونري، شقيق «كبير عملاء التجسس المضاد في صفوف الحلفاء». استأجر منتج الفيلم داريو ساباتيلو العديد من الوجوه البوندية: لويس ماكسويل (الآنسة مونيبيني) وبرنارد لي (الرئيس م) ودانييلا بيانكي (العريفة تاتيانا رومانوف في فيلم «من روسيا مع الحب») وأنطوني دواسون (البروفسور دنت الشرير في فيلم «الدكتور نو»). لعب داوسون دور ألفا، الرجل الأول في منظمة ثاناتوس وبيانكي دور مايا، العميلة المعادية التي تساعد كونري. يلقى وارد جونز (ناندو أنجيليني) مصرعه في مطار ملقة، عندما تصدم طائرته سيارة يتم التحكم فيها عن بعد، في حين تتلقى خطيبته ياشوكو (ياشوكو ياما) العلاج في مونت كارلو على يد جراح التجميل العالمي الشهير الدكتور كونري الذي هو كذلك خبير في الكاراتيه والتنويم المغناطيسي وقراءة الشفاه. وكان وارد قد استخدم ياشوكو كـــ «دماغ إلكتروني بشري» إثر تنويمها باستخدام معلومة سرية عن خطة منظمة ثاناتوس. يخطط ألفا وبيتا، في «العملية ابتزاز»، للتحكم بالمخزون العالمي من الذهب من خلال سرقة عنصر ذري يولد موجة مغناطيسية فائقة التردد تتمتع بالقدرة على صهر المعدن النفيس. يستعين رئيس جهاز التجسس المضاد الحليف القائد كوننغهام (برنارد لي) وسكرتيرته الآنسة ماكسويل (لويس ماكسويل) بكونري لاقتفاء أثر ياشوكو فتقوده المهمة من مونت كارلو وملقة إلى مدينة تطوان المغربية قبل أن يستقر به الأمر أخيراً في مقر قيادة منظمة ثاناتوس، وهي كهف يقع تحت قلعة بالقرب من مدينة ميونيخ. أما الخاتمة السوريالية للفيلم، فتشهد قيام مايا بقيادة فريق من رماة النبال يمتطون صهوات الخيول باقتحام مقر القيادة في حين يطلق عليهم خصومهم السهام ورماح الصيد البحري.

يشذ فيلم «أوكيه كونري» بشدة عن المنحى العام الذي تتخذه أفلام التجسس ويحفل بالابتكار والسرقة السينمائية. نتابع، في إحدى الحبكات

الثانوية في الفيلم، منظمة ثاناتوس تستخدم حائكاً مغربياً ضريراً لحياكة بسط مشعة، كما نشاهد كونري وهو يمارس على خصومه لعبة التحكم بالعقول مستخدماً نظرته ذات التأثير المنوم. يذكر من الممثلين المساعدين كل من غيدو لولوبريجيدا (بدور كورت، رجل بيتا) وأنطونيو غاردولي (بدور مفتش في شرطة مونت كارلو) وأغاتا فلوري (بدور ميلدريد، التي تعمل قاتلة لدى منظمة ثاناكوس). أما ماريا نويه فتجسد دور خبيرة التعذيب لوتيه كرايندورف التي تشبه إلى حد بعيد لوتيه لينيا بدور روزا كليب في فيلم «من روسيا مع الحب». تؤدي كريستي أغنية المقدمة «رجل من أجلي» بصوت ثاقب على إيقاع لحن كتبه إينيو موريكونيه وبرونو نيكولاي. يرتدي شيلي وبيانكي وفلوري أزياء غنية بالألوان تعود إلى حقبة الستينيات تتراوح بين الملابس الجلدية الفيتيشية ذات اللونين الأحمر والأسود وأثواب الريش الوردية التي لا تصلح للاستخدامات اليومية والقفاطين الذهبية وكان بيتا يملك يختاً راسياً في ميناء مونت كارلو كان جميع أفراد طاقمه من النساء. تتقمص فتيات عصابة مايا شخصية راقصات كانكان وينصبن كميناً لقطار عسكري بهدف سرقة العنصر الذري قبل أن يلذن بالفرار بزي مضيفات ملهى الوايلد بوسي كلوب. يعرب كونري عن شكوكه في أن بيتا يخطط لتفجير عصابة مايا على متن اليخت، فتجيبه مايا بابتسامة هازئة: «أنت تقرأ الكثير من روايات فليمينغ». ينتهي الفيلم بهزيمة الأشرار وإنقاذ العالم، فيلتفت كوننغهام إلى الدكتور كونري ويقول له: «كان عليك أن ترى وجه أخيك عندما سمع بما قمت به». وكان نيل كونري يعمل طياناً، قبل أن يدخل عالم التمثيل، الأمر الذي قد يفسر اللمسة الصقيلة التي أضفاها على عملية إزالة مقر قيادة منظمة ثاناتوس من الوجود باستخدام قنبلة موقوتة وبأسلوب بوندي للغاية.

الغزاة ذوو العباءات والمنتقمون ذوو الأقنعة على الطريقة الإيطالية

كما كان لأمريكا أبطالها الذين يحاربون الجريمة- مثل باتمان وسوبرمان وسبايدرمان - كذلك كان الأمر بالنسبة إلى إيطاليا. يتحدث فيلم «الساحرات» ذو الحلقات الخمس الذي ظهر فيه كلينت إيستوود عن نجوم مجلات الرسوم الإيطالية المشهورين مثل ديابوليك وماندرايك الساحر وفلاش غوردون وباتمان وساديك ونيمبو كيد (الاسم الإيطالي لسوبرمان)، في حين يغزو الشاشة في أفلام أخرى أبطال يرتدون العباءات، في أفضل أشكال الاستغلال الإيطالي للقصص الناجحة.

يعتبر سوبرارغو أشهر محاربي الجريمة الإيطاليين وهو مصارع على شاكلة البطلين المكسيكيين المعروفين سانتو والشيطان الأزرق. لعب دور بطل المصارعة سوبراغو، في فيلم «سوبراغو ضد ديابوليكوس»- Superago Against Diabolicus (١٩٦٦) لنيك نوسترو، رجل الأعمال الخطرة ذو الفك العريض جيوفاني شيانفريليا (الملقب بكين وود)، الذي يلف جسده الضخم زي ضيق أحمر اللون مضاد للرصاص. يعتزل سوبرارغو الحلبة لتسببه بقتل خصمه الملقب بالنمر، عن طريق الخطأ، أثناء نزال على كأس العالم، ثم يجنده الكولونيل كينتون (فرنشيسكو كاستيلو إيسكالو)، رئيس جهاز الخدمة السرية، لتحري سفينة شحن هاجمها قراصنة وسرقوا منها كمية من اليورانيوم والزئبق. يتابع سوبرارغو أثر الفاعل إلى جزيرة باستخدام حبات زيتون مزودة بقائس غايغر. وهناك يواجه سوبرارغو ديابوليكوس الشرير (جيرار تيشي)- «حاكم الكون القادم»- وشريكته السادية (لوريدانا نوسياك) في معقلهما الواقع تحت سطح الأرض. وكان ديابوليكوس، الخيميائي الذي اكتشف سر تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب باستخدام الطاقة النووية، يخطط لإغراق العالم بكميات كبيرة من المعدن النفيس. لعبت مونيكا راندال دور ليديا، حبيبة سوبرارغو، التي يختطفها كونراد (جيوفري كوبلستون)، حليف ديابوليكوس في الخدمة السرية.

كان فيلم «سوبرارغو ضد ديابوليكوس» من مصادر الإلهام الرئيسية لماريو باڤا في فيلم «الخطر: ديابوليك». إذ يقود سوبرارغو الذي لا يقهر سيارة جاغوار رياضية مضادة للرصاص ومحملة بالأسلحة. كما أن مشاهد الكهوف في الجزيرة ووكر ديابوليكوس وموسيقى الترومبيت التي كتبها فرانكو بيسانو ومعزوفة الفلوت الجميلة كانت، جميعها، بمثابة استباق فيلم «ديابوليك». تم تصوير الفيلم بطريقة أنيقة باستخدام عدسة كروموسكوب ونظام إيستمانكولور. صورت المناظر الداخلية في استديوهات بالكازار (برشلونة) واستديوهات دي باوليس (روما). يستخدم سوبرارغو العديد من الأسلحة السخيفة في الهجوم الذي شنه على قتلة ديابوليكوس المدججين بمدفع رشاش وقاذف لهب وطفاية حريق ناهيك عن الديناميت. يغطي سوبرارغو وجهه بقناع مصارع (لإخفاء هويته) وهو يتمتع بالقدرة على الصمود في درجات حرارة مرتفعة للغاية وعلى التنفس تحت الماء كذلك. يحاول ديابوليكوس الفرار من الجزيرة على متن صاروخ يتسع لشخص واحد، إلا أن سوبرارغو يغلق أبواب منصة الإطلاق مانعاً الصاروخ من الإقلاع الأمر الذي يؤدي إلى دمار الجزيرة.

يتحالف سوبرارغو (وود)، في حلقة أخرى بعنوان «سوبرارغو»- Superargo (١٩٦٨- «سوبرارغو والعمالقة الذين لا وجه لهم» أو كذلك «ملك المجرمين») لباولو بيانكيني، مع كامير (ألدو سامبريل) وهو رجل هندي يشبه المرشدين الروحيين يقوم بتدريب سوبرارغو على أساليب التلاعب النفسي بالعقول وعلى الطرق الصوفية. يعمل سوبرارغو على حل لغز «قضية الأبطال المختفين»- إذ كان ستة عشر بطلاً رياضياً قد اختفوا على مدار العامين الماضيين، كان آخرهم المصارع جو براند. يوفر سوبرارغو الحماية لكلير (لويزا باراتو)، شقيقة براند، لكنها تختطف بدورها على يد آليين طوال القامة لا وجوه لهم يرتدون خوذات وكتافيات وقفازات معدنية. تقودنا الأحداث إلى مقر البروفسور المجنون ووند (غاي ماديسون)

وعشيقته غلوريا ديفون (ديانا لوريس) وهي ابنة عالم بارز تقوم بتخليق أعضاء بشرية، حيث صنع ووند هناك جيشاً من البشر الآليين يتم التحكم بهم عن بعد. يتميز فيلم «سوبرارغو» الممتع بحق بمعزوفة ساكسوفون جميلة ألفها فرانكو بيسانو، تشبه إلى حد ما موسيقى فيلم «النمر الوردي» التي ألفها هنري مانسيني. أبلى وود بلاء حسناً في مشاهد القتال واستمر، حتى بعد اعتزاله المصارعة، في ارتداء زيه الأحمر الرائع وسرواله الأسود وقفازيه وقناعه- لأن هذا الزي يجلب له حسن الطالع. وهو يقود، بالإضافة إلى مهاراته القتالية، سيارة كبيرة يحمل غطاء محركها أنصالاً حادة. يعلق سوبرارغو وكامير في زنزانة مليئة بغاز سام، فيرتفعان فوق السحابة السامة. ثم يقضيان على جيش من الآليين باستخدام مدافع أشعة قبل أن يرمي سوبرارغو ذو القلب القاسي ووند في بركة من الرمال المتحركة ويتركه يغرق- «فهذا هو المصير الذي يستحقه».

صنع جيانفرانكو باروليني فيلم «الرائعون الثلاثة»- The Fantastic three (١٩٦٧- «الجبابرة الرائعون الثلاثة») على نسق أفلام سوبرارغو، مطلقاً بذلك سلسلة من الأفلام الأكروباتية. لعب طوني كيندال وبراد هاريس ونيك جوردان دور الأبطال الثلاثة طوني وبراد ونيك الذين يرتدون بذات واقية من الرصاص وأقنعة ومعاطف. وقد تضمنت السلسلة كذلك فيلمين آخرين هما «الجبابرة الثلاثة في طوكيو»- Three Supermen in Tokyo (١٩٦٨) و«الجبابرة الثلاثة في الغرب»- Three Supermen in The West (١٩٧٣). استخدم ألفونسو بريسكيا، في فيلمه السوريالي «الهزليون الجبابرة في مواجهة المرأة العجيبة»- The Super Stooges Versus The Wonder Woman (١٩٧٣)، ديكورات وأزياء وممثلين من فيلم سابق له بعنوان «حسناء البرابرة»- The Beauty of The Barbarian الذي يقدم ثلاثة أبطال جبابرة (محارب وخبير كونغ فو ورجل أسود ضخم الجثة) في مواجهة الأمازونيات.

كان فيلم «أرغومان الرائع»- The Fantastic Argoman (١٩٦٦) الذي أخرجه سرجيو غريكو تحت الاسم المستعار تيرانس هاثاواي، فيلماً ساخراً يلعب فيه روجر براون دور السير ريجينالد هوفر وشخصه البديل أرغومان وهو رجل جبار يحارب الجريمة بزي أصفر ودثار أحمر وقناع أسود ويتمتع بالقدرة على تحريك الأشياء والتحكم بالعقول الطيعة باستخدام التخاطر. يطلب منه المفتش لورانس (داريو دي غراسي) من سكتلنديارد مواجه اللصة الجبارة المثيرة جينابيل (دومينيك بوسكيرو)، التي نصبت نفسها ملكة للعالم والتي قامت بسرقة ماسة عملاقة اسمها Muradoff A-04. تخطط جينابيل للسيطرة على العالم بمعونة جيش مكون من آليين وأعوان يرتدون زياً أسود. تم تصوير فيلم «أرغومان الرائع» في مواقع في لندن وباريس، لكنه لم ينجح في الإيفاء بالوعود التي قدمها في افتتاحيته السوريالية عندما يقف البطل في مواجهة فرقة إعدام صينية، فيتمتم بصورة مفاجئة، وبنبرة رتيبة شبيهة بالرجال الآليين: «اقتلوا بعضكم، اقتلوا بعضكم» فينفذ سجانوه أوامره بطريقة حرفية. لعب إدواردو فاخاردو دور شاندرا الهندي، خادم السير ريجينالد ونانديا مارلوفا دور سامانثا، صديقة ريجينالد وميمو بالميرا دور كورت، رجل جينابيل ضخم الجثة. صنعت ديكورات مقر قيادة جينابيل، المكونة من ردهات وحجرات فولاذية مذهلة قادمة من عصر الفضاء، في استديوهات شينيشيتا. تنتقل جينابيل على متن مركب ذي وسادة هوائية (تقدمة مصانع هوفر كرافت إنغلاند المتخصصة بصناعة هذا النوع من المركبات) وتتسبب بإصابة أرغومان بالجنون بسبب ضخامة أعداد المستنسخين الذين يهاجمونه الواحد تلو الآخر الأمر الذي يدفعه إلى القول بنبرة رجل ثمل في ملهى ليلي موسر: «لقد أفقدتني صوابي بكل هؤلاء المستنسخين». زود بييرو أوميلياني الفيلم بموسيقى الجاز التصويرية. أما بالنسبة إلى الشارة، فمن الواضح أن الشعار الحلزوني ذا اللون الأحمر الذي يضعه أرغومان على جبهته والذي يشبه كتلة من الغائط يعبر تماماً عن هذا البطل الذي لم يبلغ مرتبة رائع.

يعرف فيلم «الرجل الكوغار»- The Puma Man (١٩٨٠) لألبرتو دي مارتينو بأنه من أسوأ أفلام الأبطال الجبابرة على الإطلاق- متساوياً في ذلك مع Rat Pfink a Boo Boo (١٩٦٦) ورجل الكوندور- The Condorman (١٩٨١). يخبرنا النص الافتتاحي الذي يظهر على الشاشة أن «أسطورة أزتيكية قديمة تقول إن إلهاً يهبط على الأرض عند الفجر قادماً من النجوم ويصبح والد أول رجال الكوغار». يلتقي، في لندن، البروفسور طوني فارمز (والتر جورج ألتون)، وهو خبير أمريكي بالديناصورات، بفادينهو الأزتيكي (ميغيلانجيل فوينتيس) الذي يشغل منصباً تطول قراءته هو «كبير كهنة معبد الإله القادم من عوالم أخرى». يدرك فادينهو أن طوني هو الرجل الكوغار الذي يتمتع بالعديد من القدرات الخاصة المستقاة من حيوان الكوغار. ففي اللحظة التي يتمنطق فيها طوني بحزامه السحري، يصبح قادراً على استشعار الأخطار الداهمة والهبوط بأمان على الأرض بعد أن يسقط من ارتفاع شاهق وتمزيق المعادن ببراثنه والرؤية في الظلام، بل وحتى، لبالغ دهشتنا، الطيران. ثم يكتشف الرجل الكوغار، مع مضي الوقت، أنه يمتلك القدرة على اختراق الجدران وعلى الانتقال بنفسه إلى أي مكان وعلى إيقاف قلبه عن العمل من أجل التظاهر بالموت، وهي الموهبة التي قدمها ألتون بأكبر قدر من الإقناع.

لا تبدو على الرجل الكوغار، بسرواله الأسمر المائل للصفرة وبعباءته البنية، سمات الأبطال الجبابرة، إلا أن حسن طالعه جعل الأزياء التي يرتديها خصومه أكثر سخفاً. يفتش الرجل الكوغار عن قناع أزتيكي يتمتع بقدرات خاصة تتيح لمن يرتديه التحكم بعقول الآخرين. تلعب سيدني روم دور جاين دوبسون (خبيرة في شؤون الأزتيك يحبها طوني) وسيلفانو ترانكويلي دور والدها السفير. وكان كوبراس (دونالد بليزانس) ورجله رانكور (بينيتو ستيفانيلي) اللذان يرتديان حلة بلاستيكية لماعة، قد سرقا القناع. يؤدي نيلو باتسافيني وجيوفاني شيانفريليا وغيدو لولوبريجيدا دور رجال كوبراس الأشداء. يسيطر الأشرار على عقل جاين ويخضعون مجموعة من الجنرالات الذين

كانوا مجتمعين في قمة دولية للتنويم المغناطيسي. كان كل الممثلين، باستثناء بليزانس، يلفظون اسم رجل الكوغار ممطوطاً أي Poo-ma Man بطريقة أضفت شيئاً من الحيوية على النص الرديء. كتب ريناتو سيريو موسيقى ديسكو شبابية بدت غير مناسبة لموضوع الفيلم. أما بلاند ألتون فلا يمكن اعتباره ممثلاً، كما أنه لا يؤدي مشاهد الحركة ببراعة - وهو ليس بالتأكيد تجسيداً لشخص يتمتع بـــ «قدرات رجل إله، قدرات رجل بووو - ما». والواقع أن كل ما في الفيلم يشي بانعدام البراعة، إلا أن مشاهد الطيران بلغت آفاقاً غير مسبوقة حين نشاهد رجل الكوغار يطير، متعثراً وقد تدلى بأسلاك ربطت بمؤخرته، أمام صور جوية لمدينة لندن يبدو أنه تم تصويرها بعدسة سوبر-٨ كانت ترتج باستمرار. أما المؤثرات، الخاصة منها وغير الخاصة، فالأدلة على وجودها في الفيلم نادرة. ومع ذلك، فلا حاجة بنا إلى القول أنه ما يزال لرجل البووو - ما جمهور من المعجبين الذين اكتسبوا بطريقة سحرية ما المناعة اللازمة تجاه الدوبلاج السيء والمؤثرات الخاصة الرديئة.

الجريمة تجدي: عمليات السطو الكبرى

سمحت أفلام السرقات الكبرى العالمية التي ظهرت في الستينيات للمنتجين بمزج الأسماء المشهورة بالجمال والجنس والنكهات المحلية الغرائبية في كوكتيل بوندي يصبح اللصوص الأشرار فيه أبطالاً. يعتبر فيلم «الغراند سلام»- Grand Slam (١٩٦٧) لجيوليانو مونتالدو، الذي كان اسمه الأصلي «مهما يكن الثمن»، أفضل أفلام السرقات الإيطالية. أما اسم الفيلم فمستوحى من فيلم بوند الثالث، الذي يخطط «ذو الإصبع الذهبية» فيه لتدمير احتياط الذهب الأمريكي المخزن في فورت نوكس في عملية أطلق عليها اسم «عملية الغراند سلام». يرسم البروفسور جيمس أندرز («القيصر الصغير» نفسه إدوارد روبنسون)، وهو أستاذ مدرسة متقاعد، لسرقة ماس قيمته عشرة ملايين دولار مستغلاً فرصة انعقاد مهرجان ريو دي جانيرو في شهر شباط. يجند

أندرز، بمساعدة سيد الجريمة في نيويورك مارك ميلفورد (أدولفو شيلي)، خبير الإلكترونيات أغوستينو روسي (ريكاردو كوتشيولا) وزير النساء الفرنسي الأنيق روبير بريساك المعروف باسم جان بول أودري (روبرت هوفمان) ولص الخزنات الأرستقراطي الإنكليزي غريغ (جورج ريغو) والقاتل المحترف إيريك فايس (كلاوس كينسكي). يتقرب بريساك من ماري آن ديفيس (جانيت ليه) السكرتيرة في شركة الماس المستهدفة التي تحتفظ بمفتاح القبو. وعلى الرغم من الخزنة، وهي من طراز Royal 1964، قد زودت بأرقى أنظمة الإنذار الصوتي واسمه Grand Slam 70، إلا أن العصابة تنجح في إتمام المهمة. لكن فايس الناجي الوحيد الذي تمكن من الفرار قبل أن يقتله ميلفورد لدى اكتشافه أن صندوق الماس فارغ لأن الخطة برمتها لم تكن سوى خديعة صاغها بإتقان البروفسور وشريكته الحقيقية ماري آن.

خصصت لإنتاج فيلم «الغراند سلام» ميزانية ضخمة. ويمزج الفيلم مزايا أفلام السطو مع ذلك الهوس بأدق التفاصيل الذي ميز عملية السرقة في فيلم ريفيفي- Rififi (١٩٥٥) والحل التراجيدي للحبكة كذلك الذي ميز فيلم «غابة الأسفلت»- Asphalt Jungle (١٩٥٠). صور مونتالدو الفيلم في جسر وستمنستر وبرج ساعة بيغ بن ومقر البرلمان (لندن) وفي السلالم الإسبانية والكولوسيوم (روما) وتمثال الحرية ومبنى بانام (نيويورك). كما صورت معظم مشاهد الحركة في ريو دي جانيرو أثناء كرنفال عام ١٩٦٧ وقد ظهرت فيها العديد من معالم المدينة مثل شواطئ كوباكابانا وإيبانيما وبوتافوفو بالإضافة إلى جبل رغيف السكر في خليج غوانابارا وتمثال المسيح المخلص على قمة جبل كوركوفادو. يرسم اللصوص خطتهم في يخت راس في الميناء وقد أمدت مناظر مدينة ريو دي جانيرو الفيلم ببعد بصري إضافي. أما المناظر الداخلية، فصورت في استديوهات دير شينيستودي في روما مع لقطات إضافية لمدينة مدريد. أولى مونتالدو عملية التخطيط للسرقة وتنفيذها عناية فائقة بأدق تفاصيلها: يهبط فايس إلى شبكة الصرف الصحي الواقعة تحت المصرف، ويصل روسي وغريغ إلى

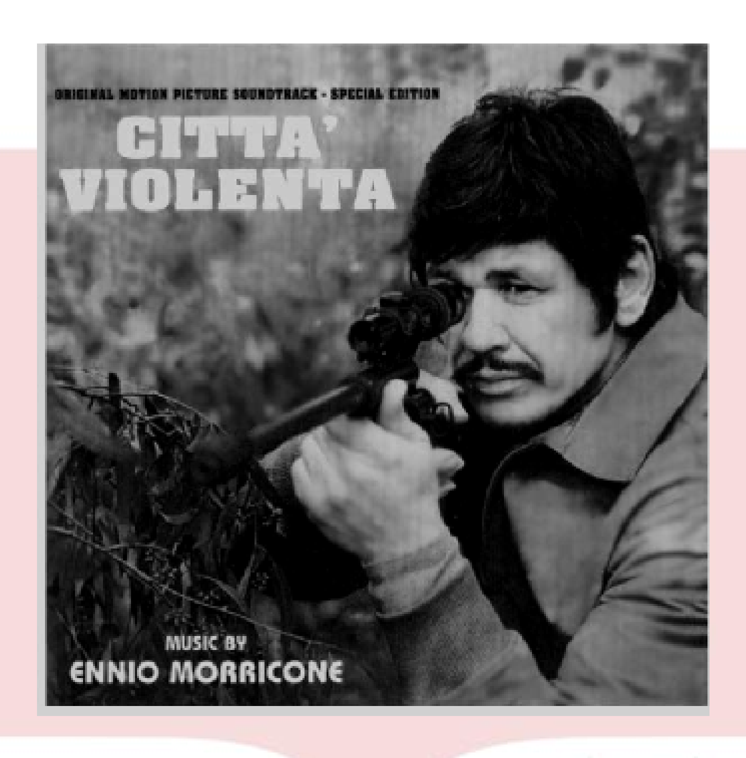
القبو من خلال شارع مزدحم بزوار الريو، في حين يتمكن بريساك من إغواء ماري آن ويسرق منها مفتاح القبو. أما القبو فتتخلله شبكة من حزم الليزر المتقاطعة وهو مليء كذلك بأجهزة إنذار حساسة للصوت. يقدم إينيو موريكونيه موسيقى تصويرية خلاقة تميزت بمعزوفة ترومبيت على إيقاع البوب الأوروبي وغناء ملائكي يقدمه كورس من الأطفال. أما نغمات السامبا التي استخدمت في مشاهد المهرجان فهي لحن أغنية Bafo Da Onca لفرقة LP وقد تم الحصول عليها من تسجيلات روزنبليت موكامبو. كما تغني سيتواكا (أدت دورها جوسارا)، وهي فتاة تعيش على متن سفينة في ميناء ريو، أغنية «اذهب بعيداً أيها الحزن» و«هو وأن» (كان الغناء بصوت مغنية البوسا نوفا البرازيلية مايسا ماتارانسو). كان الفيلم الذي أنتجته شركة جولي فيلم موضع إطراء الكثير من النقاد الذين وصفوه بأنه يشبه أعمال سرجيو ليونيه. وقد حقق نجاحاً كبيراً في عروضه الدولية.

كما جمع مونتالدو طاقماً آخر متعدد الجنسيات من الممثلين في الفيلم المثير «ماكين الرشاش» - Machine Gun McCain (١٩٦٩) المقتبس من رواية لأوفيد ديماريس. ينال هانك ماكين (جون كاسافاتيس) إطلاق سراح مشروط بعد أن أمضى في سجن سان كوينتن اثني عشر عاماً من أصل عقوبة السجن المؤبد التي نالها بسبب ارتكابه عملية سطو مسلح. لكن خروجه من السجن كان بتدبير من رجل العصابات النيويوركي تشارلي أدامو (بيتر فولك). إذ كان على ماكين أن يسطو على كازينو الرويال هوتيل في لاس فيغاس، وهو كازينو جديد مرموق تديره «العائلة» بزعامة دون فرنشيسكو ديماركو (غابرييل فيرزيتي) ودون سالفاتوريه (سالفو راندونيه). يزرع ماكين، بمعونة أيرين تاكر (بريت إيكلاند)، عبوات ناسفة في الكازينو قبل أن يظهر فيه متقمصاً شخصية رجل مطافئ ويسرق مليوني دولار. تكتشف المافيا تورط أدامو في العملية فتقوم بإعدام الخائن ومساعده ديوك ماتسانغا (لويجي بيستيلي) وترسل القاتل المأجور بيت (طوني كيندال) للقضاء على الهاربين.

يتصاعد إيقاع فيلم «ماكين الرشاش» ببطء إلى أن يبلغ درجة السعار في نصف الساعة الأخير حين يعجز هانك وأيرين- بوني وكلايد سينما الجريمة الإيطالية - عن العثور على مكان يؤويهما إليه. أدى كاسافاتيس بامتياز شخصية البطل المشاكس كما أن صوت فولك الأجش جعله مثالياً في أفلام العصابات. تتمثل ذروة الفيلم في أفعال هانك العشوائية التي لا تصدق ولجوئه إلى الإرهاب الأعمى لتحقيق مآربه الأنانية، حين تنفجر سلسلة القنابل وتدمر الفندق. ضم الفيلم طاقماً قوياً من الممثلين المساعدين كان منهم بيرلويجي أبرا بدور جاك، ابن ماكين الجاحد (لص تافه) وفلوريندا بولكان بدور جوني، زوجة أدامو (التي تربطها علاقة غرامية بدون فرنشيسكو) وستيفن زاكارياس بدور آيب ستيلبرمان مدير الكازينو. كما شاركت جينا رولاندز (زوجة كاسافيتيس) في الفيلم من خلال دور قصير جسدت فيه شخصية روزميري سكوت، شريكة ماكين السابقة في الأعمال الإجرامية- كان الاثنان معروفين بلقب «العاشقين الرشاشين». يلقي رجل العصابات بيت القبض على روزميري التي فضلت إطلاق النار على نفسها على أن تشي بالمكان الذي يختبئ فيه ماكين. صور إنريكو مينزير فيلم «ماكين الرشاش» بعدسة تكنيسكوب في استديوهات دي باوليس واستديوهات دير وفي مواقع في خليج سان فرنسيسكو ولاس فيغاس بما في ذلك شارع سنست ستريب المضاء بأنوار النيون. قدم موريكونيه موسيقى الفيلم التصويرية التي تتضمن معزوفة جاز مسعورة صاخبة. أما مقطوعة هانك المتراخية، فتعزفها آلة ترومبيت، بوصفها معزوفة حب جميلة مخصصة لهانك وأيرين. وهنالك كذلك أغنية لموريكونيه بعنوان «بيليندا ماي» تنبعث من مذياع السيارة التي يقودها هانك أثناء مغادرته سجن سان كوينتن. أما عشاق أغنية «أغنية لهانك ماكين» لموريكونيه (غناء جاكي لينتون)، التي يتكرر سماعها في الفيلم، فلا حاجة بهم إلى أن يشعروا بالتشويق لأن دقائق النسخة الإنكليزية الست والتسعين تختصر الأغنية إلى كسرة صغيرة يمكن سماعها أثناء مرور التيترات الختامية. أما النسخة الأصلية الإيطالية التي تبلغ مدة عرضها مائة وخمس عشرة دقيقة، فتستخدم هذه الأغنية بكثافة أكبر.

مهرجان القتل: رجال عصابات وقتلة

عندما لا يكون أشرار الجريمة الإيطالية منهمكين بالسطو على المصارف والكازينوهات، فإنهم يكونون رجال عصابات وقتلة مأجورين ومحتالين حقيرين. يعتبر فيلم «المدينة العنيفة»- Violent City (١٩٧٠) لسرجيو سوليما نموذجاً للنجومية التي عرفها تشارلز برونسون خارج الولايات المتحدة. فقد حقق الفيلم نجاحاً ساحقاً في أوروبا بدقائقه المائة والخمس، في حين كان استقبال النسخة الأمريكية المختزلة إلى اثنتين وتسعين دقيقة باهتاً. وكان على برونسون أن ينتظر فيلم «أمنية موت»- Death Wish (١٩٧٤) حتى يكتسح شبابيك التذاكر في الولايات المتحدة وحتى يعاد عرض فيلم «المدينة العنيفة» باسم جديد هو «العائلة». يكلف القاتل المحترف جيف هستون (برونسون) باغتيال عم كوغان الثري في الجزر الأمريكية العذراء. لكن كوغان، الذي صار ثرياً بسبب الميراث الذي آل إليه، يكمن لجيف ويتركه بين الحياة والموت، فينطلق جيف في إثر كوغان وعشيقته - التي كانت ذات يوم صديقة جيف - فانيسا شيلدون (جيل أيرلند). يتمكن جيف، بمساعدة صديقه القديم كيلين (ميشيل كونستانتين) المدمن على الهيروين، من متابعة كوغان وصولاً إلى حلبة سباق السيارات الدولية في ميشيغان ويقتله. ثم يحدد جيف مكان فانيسا في مدينة نيو أورليانز ويكتشف أنها أصبحت - بل إنها كانت على الدوام - زوجة ملك الجريمة آل ويبر (تيلي سافالاس) الذي يقود «منظمة» تساوي مليار دولار. بيد أن ويبر وكيلين وكوغان، بل وحتى جيف، لم يكونوا سوى بيادق في لعبة فانيسا الكبرى التي تحتال على جيف دافعة إياه إلى قتل كيلين وويبر قبل أن يشي به المحامي المحتال ستيف (أومبرتو أورسيني) وفانيسا. ثم يعلم الاثنان أن جيف قد غادر ولاية لويزيانا وأنه يقاتل الآن في صفوف المرتزقة في أفريقيا. وذات يوم، يصل ستيف وفانيسا إلى ناطحة السحاب التي تعود ملكيتها إلى «المنظمة» كي تحتل فانيسا مكانها كممثلة لمالك الأسهم الرئيسي فيها، لكن جيف كان مختبئاً في انتظارهما.



القاتل المأجور: جيف هدسون يسدد بندقيته باتجاه حلبة سباق السيارات الدولية في ميشيغان في فيلم «المدينة العنيفة» (١٩٧٠) لسرجيو سوليما. صورة لتشارلز برونسون مأخوذة من غلاف ألبوم موسيقي لإينيو موريكونيه

شهد فيلم «المدينة العنيفة» وصول برونسون الرياضي مفتول العضلات إلى قمته الأوروبية. فهذا الفيلم هو، بلا ريب، أفضل الأفلام التي ظهر فيها مع زوجته أيرلند، على الرغم من أنهما كانا يبدلان ملابسهما بمعدلات مفرطة- يسافر جيف متخفياً طليق اليدين، إلا أن الملابس التي يرتديها تتطلب حقيبة سفر بطول مقطورة. ساهمت المخرجة المستقبلية لينا فيرتمولر في كتابة النص، وإليها يعزى الحضور الطاغي لفانيسا في القصة وارتقاؤها من مرتبة عارضة أزياء إلى مرتبة «عرابة». كان المخرج ينوي إسناد بطولة الفيلم (عنوانه المؤقت «الطلقة الأخيرة») لطوني موسانتيه وفلوريندا بولكان، لكن شركة يونيفرسال دخلت على خط الإنتاج رافعة الميزانية المخصصة للفيلم. صور سوليما المناظر

الداخلية في استديوهات شينيشتيا والمناظر الخارجية في جزيرة سان توماس التابعة للجزر الأمريكية العذراء وفي نيو أورليانز (المطار الدولي وأنهار لويزيانا ومستعمراتها الخضراء التي تتميز بالطحالب الإسبانية والحي الفرنسي حيث يحل جيف نزيلاً في فندق كورنستوك فينس) وفي حلبة سباق السيارات الدولية في ميشيغان التي تخترق منطقة التلال الأيرلندية، حيث يكمن جيف متقمصاً شخصية متنزه ويخفي بندقيته القناصة في سلة من القش في انتظار مرور سيارة السباق التي يقودها كوغان كي يجعل موته يبدو عرضياً وناتجاً عن انفجار إطار السيارة. وقد تم، في هذا الإطار، تصوير جولة حقيقية من سباق الكانام - حيث يظهر بصورة عرضية عدد من السائقين مثل سترلينغ موس.

تخلو مشاهد الفيلم الافتتاحية في الجزر العذراء من الحوار، حيث نشاهد جيف وفانيسا وقد صارا هدفاً لمصور فوتوغرافي لم نكن نراه، بل كنا نشاهد الصور التي يلتقطها من خلال الإيقاف المؤقت للحركة. لكن الأمر لم يكن مجرد تقنية أسلوبية، بل كان طريقة لإخبارنا أن أحد أصدقاء ويبر يراقب فانيسا. وفي السان جورج، يتعرض الاثنان لمطاردة عدد من البلطجية- أسندت مهمة تنفيذ هذه المطاردة المسعورة الحافلة بالغبار إلى سائق المخاطر ريمي جوليين الذي سبق له أن شارك في فيلم «المهمة الإيطالية»- The Italian Job (١٩٦٩). يقود جيف سيارة موستانغ بيضاء كما يستخدم سوليما عدداً من السيارات الأمريكية الكلاسيكية التي استطاعت عدسة تكنيسكوب التقاط أدق تفاصيل أناقتها. لكن التصوير السينمائي الصقيل الذي نفذه ألدو تونتي ضاع بالتدريج نتيجة عمليات الاستنساخ المتتالية للفيلم. وفي ختام الفيلم، تستقل «أرملة ويبر» برفقة ستيف المصعد الزجاجي الخارجي من أجل حضور اجتماع مجلس الإدارة. لكن الرصاص يخترق الزجاج في منتصف الطريق إلى الأعلى فيسقط ستيف ميتاً. ثم يعيد جيف، الذي يتمركز على سطح مبنى آي. ل. ليونز وشركاه، في الجهة المقابلة، تسديد بندقيته باتجاه فانيسا. يهيمن في هذه الأثناء على المشهد برمته صمت مطبق في حين تتحرك شفتا فانيسا بالقول: «أرجوك،

لا تجعلني أعاني» قبل أن يضع جيف رصاصة محكمة التسديد في رأسها. كما يتميز الفيلم بموسيقى تصويرية قوية قدمها موريكونيه أسبغت على الفيلم جواً من التهديد المستمر. تبدأ مقطوعة الشارة بموسيقى وترية متصاعدة تليها غيتارات كهربائية حادة ترتقي بالنغمة إلى مستوى أعلى على وقع طبول ونغمات غيتار باس أظهرت المايسترو موريكونيه بأبهى تجلياته.

ثم صنع سوليما فيلم «المسدس»- Revolver (١٩٧٣). يرغم فيتو شيبرياني (أوليفر ريد)، نائب حاكم سجن مونزا، على تحرير اللص التافه ميلو رويز (فابيو تيستي) تحت ضغط قيام إحدى العصابات بخطف زوجته آنا (أغوستينو بيلي). يوافق رويز على مساعدة شيبرياني وتقودنا مجريات الأحداث إلى باريس التي يقيم فيها نجم البوب الهيبي آل نيكو (دانييل بيريتا) الذي أفسدت المخدرات دماغه. يدرك شيبرياني أن العصابة تسعى لقتل رويز لأنه قادر على إثبات براءة رجل اتهم خطأ باغتيال رأسمالي ثري. لكن شيبرياني يقتل رويز، في سبيل إنقاذ زوجته، ثم يمتنع عن التعرف على جثة الخاطف الرئيسي. يمكن وصف فيلم «المسدس» بأنه وغد حقيقي، على شاكلة شيبرياني ذي اللسان البذيء، فاقمت أجواؤه الشتوية الرمادية البائسة موضوعه الداكن أصلاً. صور سوليما فيلمه في ميلانو، في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس. أما اللقطات الباريسية، فضمت شوارع حي المونمارتر الضيقة وكاتدرائية نوتردام (في المكان الذي صور فيه نيكو إحدى أغنياته) وشقة نيكو المطلة على برج إيفل. يتسلل شيبرياني ورويز إلى فرنسا عبر جبال الألب وسط مشاهد ثلجية. يقدم موريكونيه في هذا الفيلم واحداً من أعماله الأقل انتشاراً تبرز فيه مقطوعة صاخبة أنيقة كانت في جوهرها إعادة توزيع لأغنية Un Amico أداها بيريتا (نيكو نجم البوب الذي يشبه المسيح). يذكر من الممثلين المساعدين فريديريك دي باسكواليه بدور الخاطف وتاجر الهيروين ميشيل غارنييه وستيفن زاكارياس بدور جو لاكور (مساعد غارنييه) وباولا بيتاغورا بدور كارلوتا التي يحبها رويز ومارك ماتسا بدور مفتش شرطة فرنسي فاسد وكاليستو كاليستي بدور ماريسيالو فانتوتسي

الحارس في سجن مونزا الذي يقضي عليه رجل غارنييه الصقلي. لعب رينيه كولدهوف دور المحامي الذي يخبر شيبرياني أن المجتمع يملك طرقاً كثيرة للدفاع عن نفسه: «العقوبات الصارمة وقضبان السجن والمسدس» وهو المنطق الذي أقنع شيبرياني بأنه لا يوجد تعارض أخلاقي بين إنقاذ حياة زوجته البريئة وإعدام رويز المحتال. لقي الفيلم تجاهلاً واسعاً خارج أوروبا عند إطلاقه وقد عرض في الولايات المتحدة باسم «دماء في الشوارع» مع الجملة الترويجية التالية: «قادر على تحويل «أمنية موت» إلى مجرد تفكير من خلال الأمنيات».

أسهم لي فان كليف في سينما الجريمة الإيطالية من خلال فيلم «فرانك الدنيء وطوني المجنون»- Mean Frank and Creazy Tony (١٩٧٣). يصل فرانك ديوميديس المعروف باسم فرانكي ديو (فان كليف)، ملك الجريمة في شيكاغو المسن الذي يدخن الغليون، إلى إيطاليا لقتل جيوسيبيه «جو» شيتي (ماريو إيربيكيني). لكن منافسه زعيم الجريمة لويس أنونزياتا (جان روشفور)، تاجر الهيرويين من مدينة مرسيليا، كان مصمماً على إزاحته من المشهد إلى الأبد، فيقتل رجاله ماسارا (فاوستو توتسي)، مساعد فرانكي وشقيقه سيلفستر (سيلفانو ترانكويلي)، وهو طبيب لا علاقة له بعالم الجريمة المنظمة. يستولي فرانكي ورجله الشاب طوني بريدا (طوني لوبيانكو) على شاحنة وقود تابعة لشركة إيسو وينتقلان بها إلى مرسيليا حيث يعترضان عملية بيع هيروين لأنونزياتا كانت تجري على قدم وساق في مصنع حصين لتجميد الأسماك. كما تم إصدار فيلم «فرانك الدنيء وطوني المجنون» بنسخة مختصرة تبلغ مدة عرضها تسعاً وسبعين دقيقة باسم «الهروب من طابور الموت» خسرت ثماني عشرة دقيقة كانت كفيلة بخفض مستويات العنف في الفيلم لكنها أضرت كذلك بتناسق الحبكة.

خط ريز أورتولاني موسيقى الفيلم التصويرية القوية وقد شارك في الفيلم العديد من الوجوه المعروفة في السينما الجماهيرية: فقد لعبت إدويج فينيش دور أوركيد، صديقة طوني التي تعاني منذ زمن طويل وستيفن زاكاريا‌س دور محامي طوني وجيس هان دور جانو، صلة الوصل بفرانكي وكلاوديو روفيني وجيلبيرتو

غاليمبرتي دور سائقي شركة إيسو. ولعب رومانو بوبو دور القاتل الذي يحاول اغتيال فرانكي أثناء جلوسه مسترخياً في باحة السجن كما كان بديلاً لفان كليف في مشاهد الحركة (استخدم بوبو قلنسوة سباحة بلون البشرة كي يبدو أصلعَ). ولعب رجلا الأعمال الخطرة نيلو باتسافيني وأوسيريديه بيفاريلو دور سجينين متنمرين وضمت عصابة أنونزياتا كلاً من أدولفو لاستريتي وغوفريدو أونغر وجيوفاني شيانفريليا وروبرت هوندار، الذي طعن شقيق فرانكي حتى الموت في حجرة للتصوير التلقائي ثم شخر بتهكم لدى خروج الصور الفوتوغرافية من الآلة. يقتل فرانكي هوندار بمثقاب آلي ويكهرب لاستريتي في مغطس الحمام باستخدام مجفف شعر. يقود فرانكي الشاحنة بسرعة على الطريق البحري لمارسيليا متبوعاً بشرطة الحدود الفرنسية وينتهي تبادل إطلاق النار في مصنع الأسماك المجمدة بأن يصبح أنونزياتا حبيس ثلاجة صناعية يخفض فرانكي حرارتها حتى ستين درجة مئوية تحت الصفر كانت كفيلة بتجميد الرجل الشرير.

استثمرت أفلام جريمة إيطالية كثيرة في الجماهيرية المستجدة التي عرفتها أفلام المافيا في شبابيك التذاكر. يصل الصقلي أنطونيو مانكوزو (أنطونيو ساباتو)، في فيلم «زعيم الجريمة»- Crime Boss (١٩٧٢) لألبرتو دي مارتينو، إلى ميلانو للثأر لمقتل والده على يد العراب دون فينشينزو (تيلي سافالاس). في حين يوظف ناردو بونومي، مخرج فيلم «ذراع العراب الطويلة»- The Long Arm of The Godfather (١٩٧٢)، بيتر لي لورنس للعب دور فينشينزو، وهو بلطجي صغير جبان يسرق من رئيسه دون كارميلو (أدولفو شيلي) سيارة نقل محملة بالسلاح. يفر فينشينزو إلى شمال أفريقيا مع حبيبته سابينا (إيريكا بلانك) لكن العراب ورجاله يظهرون فجأة حين كان يحاول بيع السلاح إلى أمير عربي. نشاهد في نهاية الفيلم فينشنزو وسابينا المصابين بجروح مميتة يحاولان الفرار بالمال في قارب سريع على وشك الغرق.

أما فيلم «طوني أرزينتا»- Tony Arzenta (١٩٧٣- «مسدسات كبيرة») لدوتشيو تيساري الذي حقق نجاحاً دولياً كبيراً، فيلعب فيه ألان

دولون أحد أجمل أدواره حين يؤدي شخصية طوني وهو قاتل مأجور يخطط للتقاعد. تشبه شخصية طوني شخصية أخرى لعبها دولون في فيلم «الساموراي»- Le Samouraii (١٩٦٧) هي جيف كوستيلو. يحاول رؤساء طوني المافيويون الأربعة (بمن فيهم ريتشارد كونتي وأنطون ديفرينغ) التخلص منه لكنهم يقتلون زوجته آنا (نيكوليتا ماكيافيلي) وابنه الصغير كارلو، بسيارة مفخخة، عن طريق الخطأ الأمر الذي يجعل طوني ينخرط في عملية انتقام وحشية. صور سيلفانو إيبوليتي الفيلم بامتياز في أرجاء أوروبا على وقع موسيقى تصويرية جميلة كتبها جياني فيريو. وقد وظف فيلم «طوني أرزينتا» كلاً من كارلا غرافينا ومارك بوريل وروجر هانين وإيريكا بلانك وروزابيلا نيري وأومبرتو أورسيني وكلاوديو روفيني وإيتوريه ماني ولوريدانا نوسياك للعب أدوار مساعدة. جسد سيلفانو ترانكويلي شخصية عميل في الإنتربول يحاول السماح لطوني بتحقيق غاياته الثأرية - مقدماً بذلك خدمة جليلة للقانون - لكن طوني يجد نفسه، في زفاف مافيا صقلي، وقد صار هو نفسه هدفاً.

يطلق سراح أوغو بياتسا المعروف باسم «رأس البطاطس» (غاستوني موسكين بدور الرجل القادر على تحمل الألم)، في فيلم «عيار ٩»- Milan Calibre 9 (١٩٧٢) لفرناندو دي ليو، من السجن بعد أن قضى فيه ثلاثة أعوام. كان العراب مبيض الأموال المعروف باسم الميكادو (ليونيل ستاندر) يرغب في معرفة المكان الذي أخفى فيه أوغو مبلغ ثلاثمائة ألف دولار كان قد سرقها من العصابة، لكن أوغو يصرُّ على التزام الصمت على الرغم من الضرب والتعذيب اللذين تعرض لهما. ويذكر من المجرمين الذين اعترضوا دربه كل من ماريو أدورف بدور السادي الثرثار روكو موسكو وأنجيلو إنفانتي وجيوسيبيه كاستيلانو بدور اثنين من رجاله. لعب فيليب لوروا دور كينو، حليف أوغو وإيفو غاراني دور العراب الضرير السابق دون فينشينزو وبربارة بوشيه دور حبيبة أوغو الراقصة نيلي. كما لعب فرانك وولف ولويجي بيستيلي دور رجلي شرطة يسعيان للقبض على الميكادو ويمثلان التناقض بين الشمال والجنوب في إيطاليا

أي بين الثراء والفقر. صور فرانكو فيلا فيلم «عيار ٩»، المقتبس من رواية جيورجيو سكيربانينكو، وقدم لويس إنريكويز باكالوف موسيقى تصويرية قوية أداها فريق روك يدعى أوسانا. تنتهي حبكة الفيلم المعقدة إلى خاتمة عنيفة جديرة بأن تكون موضوعاً لتراجيديا يعقوبية.

وفي فيلم «صيد البشر»- Manhunt (١٩٧٢) لدي ليو نفسه، يصل قاتلان نيويوركيان مأجوران (هنري سيلفا ووودي سترود) إلى ميلانو للقضاء على قواد تافه اسمه لوكا كانالي (أدورف). يقوم القاتلان، في مشهد مروع، بدهس زوجة كانالي (سيلفيا كوسينا) وابنته في الشارع عامدين ثم يندفع كانالي، خلال المطاردة المثيرة التي تلت ذلك، مقتحماً الزجاج الأمامي لسيارة نقل مغلقة ويهاجم السائق. أما قصة اغتيال لوكا فلم تكن سوى خدعة دبرها بدهاء الزعيم المافيوي السادي أدولفو شيلي تفضي إلى مواجهة بين القاتلين المأجورين وكانالي في باحة للخردة.

تجري أحداث فيلم «الزعيم»- The Boss (١٩٧٣) لدي ليو في صقلية ويلعب هنري سيلفا فيه دور لانزيتا القاتل المأجور لدى المافيا الذي يقضي في المشهد الافتتاحي للفيلم على زعيم منافس ورجاله بإلقاء قنبلة عليهم في صالة سينما. ورداً على هذه العملية، يختطف رجال العصابة المنافسة ابنة لانزيتا بعد أن تنكروا بهيئة طلاب راديكاليين، الأمر الذي يشعل حرباً بين العصابتين. لعب جياني غاركو دور مفوض الشرطة المرتبك الذي يعلق في تبادل لإطلاق النار ومارينو مازيه دور رفيق لانزيتا. قدمت ثلاثية المافيا التي صنعها دي ليو مطاردات سيارات وانفجارات وأندية ليلية رخيصة وعمليات تفخيخ شقق وأزياء رائعة وجرائم قتل وضرباً مفرطاً في قسوته وعنفاً مبالغاً فيه وتميز الفيلم بقيمة إنتاجية رائعة وبقصص معقدة مفعمة بالمفاجآت- كما هو متوقع من كاتب سيناريو بارع تحول إلى مخرج.

قدمت سينما الجريمة الإيطالية عدداً من المخبولين البسيكوباتيين- من قتلة متطعشين للدماء يرتكبون أعمال خطف تحفل بالعنف والإذلال الجنسي السادي. يقدم فيلم «كلاب مسعورون»- Rabid Dogs (١٩٧٤- «المخطوفون») لماريو

بافا ثلاثة من المارة هم ماريا (ليا لاندر) وريكاردو (ريكاردو كونتشيولا) وطفلهما المريض (الذي كان ريكاردو يحاول نقله إلى المستشفى) يختطفهم لصوص سطوا على أجور موظفين هم بلايد (ألدو كابوني) ودوك (موريس بولي) واثنان وثلاثون (لويجي مونتيفيوري). وبعد رحلة مروعة، ينجح ريكاردو في تخليص نفسه من خاطفيه قبل أن يكشف لنا الفيلم عن مفاجأة مذهلة وهي أن ريكاردو خاطف بدوره وأن الطفل لم يكن سوى ضحيته. وفي فيلم «ريدنيك» - Redneck (١٩٧٣)، يلعب تيلي سافالاس وفرانكو نيرو دور ممفيس ودينو «البعوضة» بيانكو اللذين يفران بعد عملية سرقة مجوهرات ويخطفان عن طريق الصدفة صبياً في الثالثة عشرة من عمره اسمه لينوكس دونكان (مارك ليستر) وهو ابن دبلوماسي في الأمم المتحدة. وممفيس رجل شرير مجنون سادي مدمن على تدخين الحشيش ومهووس بالنشيد الوطني ويتكلم بلكنة ألابامية ثقيلة. تميز هذا الفيلم العنيف بمشاهد مروعة نشاهد خلالها ممفيس يدفع بأسرة ألمانية محتجزة في مقصورة كرفان إلى النهر.

وفي فيلم «أوتوستوب» - Hitch-Hike (١٩٧٦) لباسكواليه فيستا، يعود مراسل صحفي مدمن على الكحول اسمه مانسيني (نيرو) مع زوجته إيف (كورين كليري) إلى لوس أنجلوس بعد قضاء إجازة صيد فيصبحان رهينتي رجل معتوه اسمه آدم كولينز (ديفيد هيس) كان فاراً بعد أن سرق مليوني دولار. يعتبر فيلم «أوتوستوب» المقتبس من كتاب بيتر كاين «العنف والغضب» فيلماً ترفيهياً متجهماً. طغت النزعة التلصصية على مشاهد الإذلال الجنسي الذي تتعرض له إيف على يد آدم وكانت الموسيقى الوترية المروعة التي وضعها موريكونيه بالإضافة إلى المشهدية الجميلة للجبل الأمرين الوحيدين الجديرين بالذكر في هذا الفيلم. وعلى الرغم من أن أحداث الفيلم كانت تجري في الولايات المتحدة، إلا أن عمليات التصوير جرت في حديقة أبروتسو الوطنية وفي شلالات جبل جيلاتو في لاتسيو.

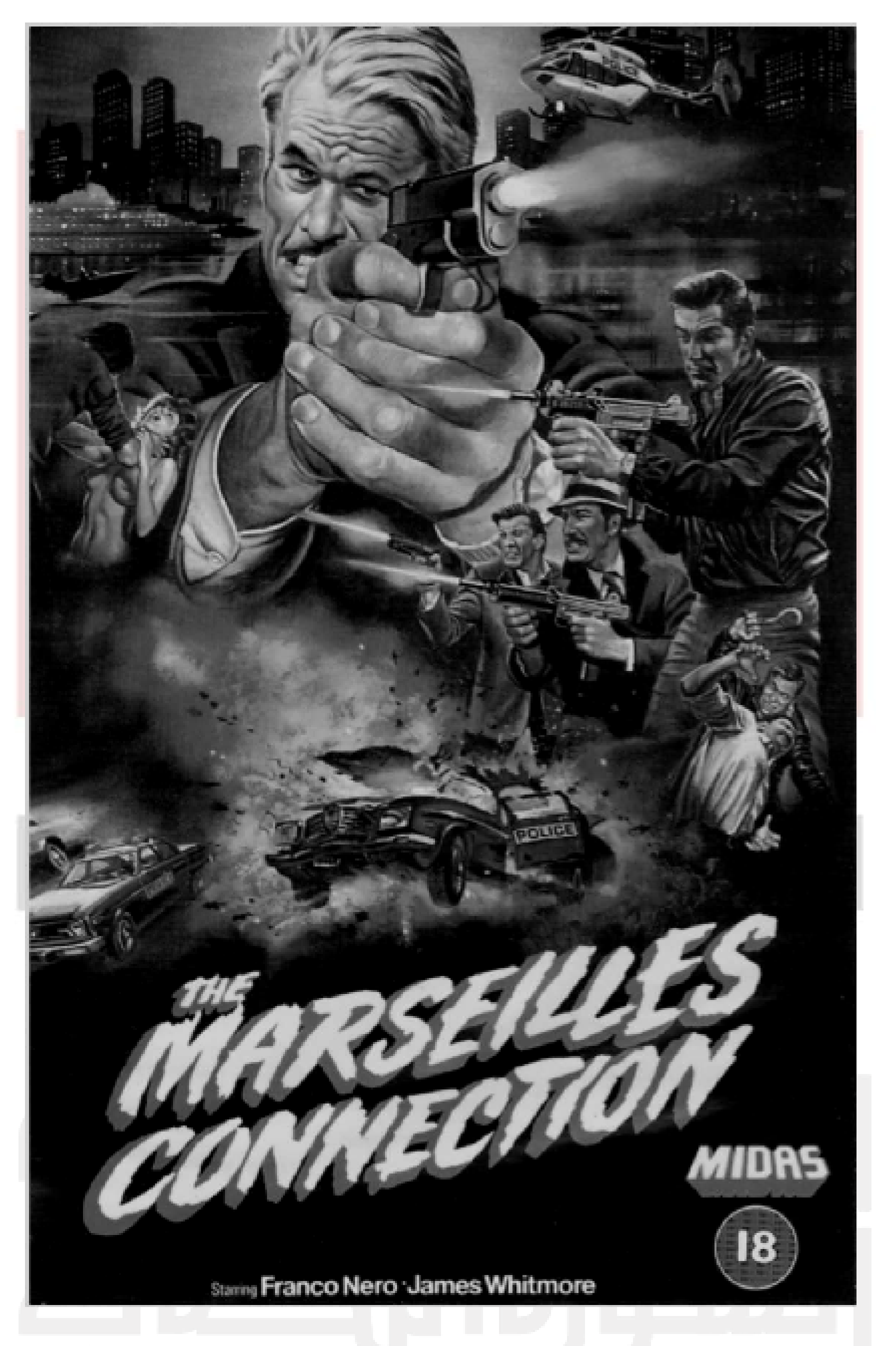
يقدم فيلم «شبه بشري» - Almost Human (١٩٧٤) لأومبرتو لنزي توماس ميليان بدور جيوليو ساكي البسيكوباتي المهووس بإطلاق النار الذي

يختطف وريثة ثرية. لعب ريموند لوفلوك دور كارماين، رفيق جيوليو وهنري سيلفا دور المفتش والتر غراندي. يقدم الفيلم، الذي كتب موريكونيه موسيقاه التصويرية، بعض مشاهد العنف غير المستحب- يفتح جيوليو، في إحدى لحظات الفيلم، النار من مدفع رشاش على منزل مليء بالرهائن ثم يقتل حبيبته إيولا (أنيتا ستريندبرغ) بدفع سيارتها الميني من قمة جرف. وعندما يتبين أن جيوليو قد قتل الوريثة وفر بالمال، يقوم غراندي بإعدامه بنفسه.

استوحى ميكيليه بلاشيدو فيلم "رواية إجرامية"- Crime Novel (٢٠٠٥) أجواء أفلام العصابات التي صنعها كوينتن تارانتينو ومارتن سكورسيزي ناقلاً إياها إلى فيلمه الإجرامي الإيطالي. يصف بلاشيدو في فيلمه صعود ثلاثة خاطفين ينتمون إلى عالم الجريمة هم داندي (كلاوديو سانتاماريا) وليبانيزيه (بيير فرانشيسكو فافينو) وآيس (كيم روسي ستيوارت) في أجواء تجارة المخدرات في روما بين السبعينيات والتسعينيات. بدت مشاهد الحركة السريعة في الفيلم والأزياء التي استخدمت فيه مستوحاة بوضوح من أفلام أخرى كأعمال لينزي. وقد كان هذا الفيلم وراء ظهور سلسلة تلفزيونية صغيرة تحمل الاسم نفسه أخرجها سرجيو سوليما ابن ستيفانو.

رجال الشرطة الأبطال: الأفلام البوليسية الإيطالية

كان التحول الذي شهدته ذائقة الجمهور من الوسترن الإيطالي إلى أفلام الجريمة في بداية السبعينيات انعكاساً لتغير الأزمنة. فقد أصبح الوسترن مادة للضحك من أبطاله من خلال الأفلام الهزلية. هكذا، نقلت أفلام الجريمة الإيطالية العنف على طريقة السباغيتي وسترن إلى شوارع إيطاليا، فحلت بذلك وحشية الشارع بشكلها القادر على إقناع المتفرج محل العنف الفانتازي في الغرب الأمريكي الأقصى. كان الشمال الإيطالي- الواقع ضمن المثلث الصناعي المكون من ميلانو وجنوة وتورينو- مسرحاً للكثير من الأفلام البوليسية كما كان مسرحاً للعديد من الأفلام السياسية الإيطالية.



الجرائم الكبرى: مساعد المفوض بيلي (فرانكو نيرو) يشن على عصابة من تجار المخدرات حملة لا رأفة فيها في الفيلم البوليسي الكلاسيكي «الصلة المرسيلية» (١٩٧٣) لإنزو كاستيلاري. الصورة من ملصق إصدارة الفيديو المنزلي في بريطانيا

يعتبر فيلم «الصلة المرسيلية»- The Marseilles Conenection (١٩٧٣) لإنزو كاستيلاري أكثر الأفلام البوليسية الإيطالية تأثيراً. أما العنوان الإيطالي للفيلم فيمكن ترجمته : «الشرطة تقاضي والقضاء يبرئ». استطاعت عصابة جديدة أن تفرض سيطرتها على تجارة المخدرات بين جنوة ومرسيليا. يقتل تاجر مخدرات يلقب بـــ«اللبناني» بانفجار قنبلة، فيلتمس مساعد مفوض الشرطة بيلي (فرانكو نيرو) من الفرقة الطائرة العون من رجل العصابات كافييرو (فرناندو راي الذي شارك في فيلم «الوصلة الفرنسية»). أما رئيس بيلي، المفوض ألدو سكافينو (جيمس ويتمور، الذي شارك في فيلم «غابة الأسفلت») فيتمكن من تكوين ملف عمن يعتبرهم الجناة، لكنه يقتل في الشارع أثناء محاولته تسليم الملف إلى المدعي العام. يعيد بيلي بناء الملف المفقود، لكن أحبته يقعون على خط النار في اللحظة التي أوشك فيها على القضاء على صلة الوصل المارسيلية.

يعتبر هذا الفيلم أفضل أشكال التعاون بين نيرو وكاستيلاري. لم يعن كاستيلاري، وسط زحام ديكورات السبعينيات وأزيائها النابضة بالحياة، بالجانب السياسي للقصة (لم يظهر العمال المضربون عن العمل الذين كانوا يتظاهرون خارج المصنع سوى لفترة وجيزة)، بل فضل التركيز على المسائل الاجتماعية المفسدة من خلال الهيروين الذين يتم تهريبه من بيروت على شكل جص من النوع الذي يستخدمه الأطفال لصب التماثيل وفي صناديق برتقال. كانت سعة صدر المفوض سكافينو تتناقض بشكل صارخ مع الحماسة المفرطة التي يبديها الشرطي الذي جسده نيرو على الرغم من أنه كان بحاجة إلى التمتع بشيء من الروية وهو أمر استطاع أن يتعلمه في نهاية المطاف. كان سكافينو يرى أنه «لا يوجد أبطال ولا فاتحون... فنحن مجرد رجال شرطة». أضفى

التصوير في مواقع أصلية في جنوة ومرسيليا الكثير من المصداقية على ما كان في الأصل مجرد فيلم عادي. وتجلى كاستيلاري بوصفه الجذل لجرائم القتل التي حفل بها الفيلم من خلال استخدام أنيق لتقنية الحركة البطيئة. إذ تدهس دراجة نارية يقودها ريكو (دانييل مارتان) الصناعي ريفالتا (ماريو إيربيكيني) أثناء ممارسته رياضة الغولف، في حين يقتل ريكو، نفسه، في رصيف المرفأ على يد مجموعة من البلطجية يمزقونه بخطافات تعليق الذبائح. كما يقتل أومبرتو غريفا (دويليو ديل بريتيه)، الفتى اللعوب الباحث عن المتعة- شقيق الصناعي الثري فرانكو غريفا (سيلفانو ترانكويلي) ومصدر خزيه- بطلقات مدفع رشاش تخترق جسده من خلال باب زجاجي. وحده الكلام الفظ كان قادراً على الوقوف نداً للعنف الذي حفل به الفيلم: يعلق كافييرو على سلوك العصابة المنافسة قائلاً: «هنالك من يبصق في حسائنا». تميز الفيلم بافتتاحية قوية شهدت مطاردة على الأقدام في شوارع جنوة الخلفية ومطاردة صاخبة بالسيارات. أما موسيقى المطاردة المرحة التي كتبها غيدو وماوريتسيو دي أنجيليس فعنوانها "قصة رجل عصابات". وقد كانت الموسيقى العصرية التي كتبها الأخوان دي أنجيليس بإيقاعها الرشيق ونغمات البيانو الكهربائي وألحان الفلوت وصدى أصوات تغني واحدة من مكامن الجاذبية في الفيلم. بل إن مشهد قيام أحد المجرمين (برونو كوراتساري) بإطلاق النار على سكافينو في الشارع من مسافة قريبة لم يكن ليترك الانطباع الذي تركه لو لم يترافق بموسيقى دي أنجيليس.

يتعرض المقربون من بيلي لخطر شديد. إذ تتلقى ميريلا (ديليا بوكاردو)، حبيبة بيلي اتصالات تهديد ويضربها اثنان من بلطجية غريفا (نيلو باتسافيني وجيوفاني شيانفريليا). ثم تصل آني (ستيفانيا كاستيلاري، ابنة المخرج)، ابنة بيلي الشابة إلى جنوة، فيرسلها والدها الذي أصبح

بالغ التوتر إلى الريف كي تتوارى هناك. إلا أن تجار المخدرات يقتفون أثرها ويقضون عليها بوحشية. وعندما تبدو القضية وكأنها قد حلت وأن تجار المخدرات قد هزموا في تبادل لإطلاق النار على طريقة الوسترن في إحدى حظائر القوارب، يقضي قاتل مأجور على بيلي، بناء على أوامر الصناعي فرانكو غريفا العصي على المساس به. قدم المخرج كاستيلاري في هذا الفيلم واحدة من لحظاته الهتشكوكية العديدة (ظهر بصورة عابرة بدور مراسل تلفزيوني) كما لعبت ناتاشا ريتشاردسون دور فتاة صغيرة تلعب لعبة النطيطة - وريتشاردسون هي ابنة فانيسا ريدغريف، حبيبة نيرو في الحياة وزوجته في وقت لاحق. بدا فرانكو نيرو في قمة لياقته البدنية في هذا الفيلم الذي اجتاح شبابيك التذاكر - بل إن المشاهد الترويجية المرافقة له أجمل من معظم الأفلام البوليسية ولعب الفيلم دور الصاعق الذي أطلق سلسلة من الأفلام البوليسية التي سارت على نهجه.

يلعب بود سبنسر، في فيلم «ذو القدم المسطحة»- Flatfoot (١٩٧٣) لستينو، دور المفتش ريتسو الملقب بـــ «ذي القدم المسطحة» (مصطلح عامي يطلق على محققي الشرطة)، وهو رجل شرطة غير تقليدي يعمل في المدينة التي ينتمي إليها سبنسر نفسه، وهي نابولي، ويعرف بلجوئه إلى قبضته لحل قضاياه. يجد ريتسو نفسه في مواجهة البارون (أنجيلو إنفانتي) الذي يهرب المخدرات من مرسيليا. يقتل مخبر يعمل لصالح ذي القدم المسطحة اسمه بيبينو الأحدب، فيتحول التحقيق الذي يجريه ريتسو إلى مسألة شخصية الأمر الذي يضعه في خلاف مع رئيسه الجديد المفوض تاباسي (أدالبرتو ماريا ميرلي). لكن ذا القدم المسطحة ينجح في توحيد كافة عصابات الجريمة في نابولي ضد المتطفلين المرسيليين.

تضمن الفيلم، ككل أفلام سبنسر الكوميدية، شجاراً جماعياً بالأيدي تم فيه تبادل اللكمات (في ثلاجة سيارة شاحنة لنقل السمك) دون أن ينفي ذلك حقيقة أن «ذو القدم المسطحة» فيلم بوليسي عنيف ذو حبكة محكمة. يقدم سبنسر في هذا الفيلم أحد أفضل أدواره بشخصية رجل الشرطة ضخم الجثة الذي يتلقى سيلاً من اللكمات دون أن يهتز لها بنيانه الهائل. صور الفيلم في مواقع متعددة من مدينة نابولي المشمسة، في الشوارع الخلفية والواجهة البحرية لهذه المدينة الجميلة، بما في ذلك المرفأ وفندق إكسلسيور (الذي يجتمع فيه البارون مع رؤسائه في كارتيل المخدرات). لعبت جولييت ماينيل دور ماريا، مالكة المنزل الذي يقيم فيه ذو القدم المسطحة وجو جيكينز دور بحار أمريكي متورط في تهريب المخدرات وإنزو كانافاليه دور مساعد المفتش كابوتو (رفيق ذي القدم المسطحة) ودومينيك باروتو دور توم فيرامينتي، تاجر المخدرات. ولعب ماريو بيلار دور «طوني ذي الإصبعين» (مانوموتسا في النسخة الإيطالية) وهو رجل عصابات يقف خلف قتل بيبينو وعملية المخدرات. زادت موسيقى غيدو وماوريتسيو دي أنجيليس حيوية الفيلم حيث أدى سانتو وجوني معزوفة Piedone Lo Sbirro (مقطوعة ذي القدم المسطحة) بأسلوب هانك مارفن في اللعب على الغيتار. تلا هذا الفيلم ثلاثة أفلام أخرى حملت اسم ذا القدم المسطحة نتابع البطل فيها «... في هونغ كونغ» (١٩٧٥) و«... في أفريقيا» (١٩٧٨) و«... في مصر» (١٩٨٠)، أخرجها ستينو ولعب دور البطولة فيها سبنسر.

وفي فيلم «مخاطرة»- Risking (١٩٧٦) لفرانكو بروسبيري، يصادق لص المجوهرات ماسيمو سالفاتوريه (ريموند لوفلوك) زعيم العصابات جيوليانيلي (مارتن بالسام) وينجح، برفقة بييرو (هانز دوميز)، رجل جيوليانيلي في القيام بعملية سرقة. لكن سالفاتوريه لم يكن سوى

رجل شرطة متخف، هو الرقيب ماسيمو تورلاني، كان في مهمة تهدف إلى تدمير شبكة لتجارة المخدرات تمتد من فرنسا إلى سان ريمو وجنوة. كما كان لماسيمو حساب شخصي يريد تصفيته مع تجار المخدرات - إذ أصيبت والدته بالشلل قبل ثلاث سنوات نتيجة إصابتها بطلقات نارية أطلقها اثنان من رجال رجل العصابات مارتي. يقود ماسيمو، الذي يعمل الآن لدى بارون المخدرات بيرونيه (إيتوريه ماني)، سيارة نقل طراز فيات عبر الحدود. كان لوفلوك في قمة أدائه بدور ماسيمو. وقد لعبت إيلكه سومر دور سكرتيرة بيرونيه (التي تعلم أن ماسيمو رجل شرطة) وريكاردو كوتشيولا دور المفوض ساكي. صورت المناظر الداخلية في استديوهات دير مع مناظر خارجية في روما وسان ريمو وجنوة. تماشت الأغنية الحماسية التي كتبها أوبالدو كونتينيلو مع العنف الذي ميز الفيلم. يشارك ماسيمو، الوافد الجديد إلى السجن، في معركة جرت فصولها في باحة السجن الشبيهة بالكولوسيوم، وتتحول مباراة كرة قدم إلى فوضى عارمة كما يشهد الفيلم العديد من حوادث إطلاق النار يتناثر الدم فيها بالحركة البطيئة.

خاض برونو كوربوتشي، الشقيق الأصغر لسرجيو، وهو كاتب ومخرج بارع، وحول الأفلام البوليسية مع فيلم «الشرطي ذو الجينز الأزرق»- The Cop in Blue Jeans الذي احتل المرتبة الثالثة في لائحة الأفلام الأكثر شعبية في إيطاليا عام ١٩٧٦. لعب توماس ميليان دور العميل الخاص العنيف نيكو جيرالدي الذي يحارب لصوص روما. تفوز عصابة من اللصوص بزعامة البارون (غيدو ماناري) بأكثر مما راهنت على الحصول عليه، عندما تسرق من رجل الأعمال الأمريكي نورمان شيلي (جاد بالانس) حقيبة فيها خمسة ملايين دولار تعود ملكيتها للمافيا. كانت تلك هي المرة الأولى التي يلعب توماس ميليان فيها دور الشرطي غير التقليدي جيرالدي،

وهي شخصية رائعة مستوحاة جزئياً من شخصية آل باتشينو في فيلم «سيربيكو» (١٩٧٣). يقود ميليان، في تجسيده الناري لشخصية جيرالدي، دراجة نارية على طريقة إيفل نيفل ويقضي على المجرمين بركلهم في خصاهم. يرتدي نيكو نظارة شمسية وقلنسوة صوفية ووشاحاً مفرط الطول وحذاء رياضياً ومعطف طيارين وسروال جينز. كان جيرالدي في الأصل لصاً (لقبه القرصان)، فيستخدم صلاته السابقة لصالحه. وهو يملك طائراً يطلق عليه اسم الملازم كالاهان (تيمناً بفيلم «هاري القذر») وفأراً منزلياً اسمه سيربيكو. ظهر روبرتو ميسينا بدور المفوض توتسي رئيس جيرالدي وراف لوكا ومارشيلو مارتانا بدور رجلي الشرطة غارجيولو وترينتيني وماريا روزاريو أوماجيو بدور العميلة سينيوريتا كاتانيو (الاسم يليق بها في الواقع) حبيبة ميليان.

صور فيلم «الشرطي ذو الجينز الأزرق» في مواقع في روما نذكر منها مطار فيوميشينو وملعب كرة قدم (كان مسرحاً لمباراة كرة قدم بين فريقي روما ولاتسيو) وفي استديوهات إيليوس. يصور الفيلم عالم روما السفلي ذا السمعة السيئة- تحصل جريمة قتل في مسبح كارامبولو المغلق ويتقمص جيرالدي شخصية قواد في ملهى التمساح في حين يقيد رجال شيلي (يقودهم بينيتو ستيفانيلي) أحد خصومه في إحدى السيارات ويدخلون الدخان العادم إليها عبر النافذة. أدى رجال الأعمال الخطرة في الفيلم أعمالاً مثيرة- يقود جيرالدي دراجته النارية صعوداً على السلم الداخلي لأحد المباني ويدمر سوقاً للفاكهة. بدت الموسيقى الآسرة التي قدمها غيدو وماوريتسيو دي أنجيليس أكثر ملاءمة لفيلم كوميدي على الرغم من وجود مقطوعات تذكرنا بعملهما في فيلم «الصلة المرسيلية». يقدم شيلي نفسه على أنه موظف رسمي في السفارة الأمريكية اسمه ريتشارد ج. روسو كي يتمكن من تهريب أموال الجريمة إلى الولايات المتحدة. وقد نجح بالانس في سرقة الفيلم بنظراته

الشريرة، كما أنه لعب دور مانزاري تاجر المخدرات الذي يشتبك مع منافسه إدموند برودم في فيلم «حكام المدينة»- Rulers of The City (١٩٧٦) لفرناندو دي ليو.

بلغت الشعبية التي حققها ميليان بدور نيكو جيرالدي حداً أدى إلى ظهور سلسلة من عشرة أفلام أخرى عن هذه الشخصية نفسها أخرجها كوربوتشي وعرضت الحلقة الأخيرة فيها عام ١٩٨٤. وقد حرص ميليان في كافة هذه الأفلام على إظهار ذائقته المتطرفة في ارتداء الملابس وفاز نيكو خلالها بزوجة متفانية اسمها أنجيلا (أوليمبيا دي ناردو) ثم بابن في حين كانت السيناريوهات المتعرجة لهذه السلسلة تطير به من روما وميلانو إلى سان فرنسيسكو والحي الإيطالي في نيويورك ومدينة ميامي. كما لعب ميليان، في فيلم «فرقة الطوارئ»- Emergency Squad (١٩٧٤) لستيلفيو ماسي، دور رجل الشرطة المنتقم رافيلي الذي يسعى وراء اثنين من القتلة هما مارسيليز (غاستون موشان) ورينو (ريموند لوفلوك). يتميز الفيلم بمقطوعة على الغيتار يعود الفضل بها إلى ستيلفيو شيبرياني.

لم تقتصر السينما الإيطالية على إعادة ابتكار الأنواع السينمائية، بل وصل بها الأمر إلى إعادة إنتاج الممثلين. فما إن يصبح ممثل ما شعبياً حتى يستخدم السينمائيون الإيطاليون ممثلين يشبهونه في أفلام مماثلة. تلك كانت حال ماوريتسيو ميرلي، توأم فرانكو نيرو، الذي وصل إلى مرتبة النجومية من خلال سلسلة من الأفلام البوليسية وأفلام المغامرات على نمط كلونديك وأفلام الوسترن، على الرغم من أنه كان ممثلاً ممتازاً بحد ذاته. كان أفضل أفلام ميرلي فيلم «روما العنيفة»- Violent Rome (١٩٧٦) الذي حقق جماهيرية ساحقة وأخرجه والد إنزو كاستيلاري، مارينو جيرولامي (باسم فرانكو مارتينيلي) ووضع الأخوان دي أنجيليس موسيقاه التصويرية. يشن المفتش بيتيني (ميرلي) والفرقة الخاصة في روما حملة

على حثالة الشارع الذين ينشلون الحقائب ويسطون على المتاجر. وكان رجل العصابات فرانك سبادوني (جون ستاينر) الملقب بالإنكليزي يقف وراء انتشار الجريمة. يصاب شريك بيتيني، العميل المتخفي بيوندي (ريموند لوفلوك) بالشلل أثناء عملية سطو على مصرف الأمر الذي يجعله حبيس الكرسي المتحرك، فيقوم ميرلي بقتل سبادوني لكنه يحاكم على ذلك. يستقيل بيتيني من جهاز الشرطة في نهاية المطاف وينضم إلى مجموعة مدنية برئاسة المحامي جيورجيو سارتوري (ريتشارد كونتي) تقوم بفرض القانون من تلقاء نفسها.

يفي فيلم «روما العنيفة» بالوعود التي يقدمها اسمه. إذ يقوم اثنان من المجرمين باقتحام فيلا سارتوري ويهاجمان ابنته بوحشية فيرد رجاله على هذا الاعتداء بتمزيق الجناة إرباً. بل إن بيوندي نفسه يضرب بقسوة في كرسيه المتحرك. يلعب منسق الأعمال الخطرة بينيتو ستيفانيلي دور أحد رجال سبادوني الذي كان يضع على وجهه قناع تزلج وجيوفاني شيانفريليا دور بلطجي ولوشيانو روسي دور مغتصب. كما لعب سيلفانو ترانكويلي دور رئيس الشرطة الذي يعيش شعار «الحرية من خلال القانون» وميمو بالميرا دور رئيس بيتيني ودانييلا جيوردانو دور إيريكا حبيبة بيتيني التي تملك فندقاً. صورت المناظر الداخلية للفيلم في استديوهات دي باوليس والمشاهد الخارجية في العديد من نقاط الجذب السياحي في روما وقد حقق نجاحاً عالمياً باهراً. كان من أبرز مشاهد الفيلم مشهد مطاردة صاخبة بالسيارات يلاحق فيها بيتيني سبادوني إثر محاولة سطو فاشلة على وقع مقطوعة موسيقية للأخوين دي أنجيليس بعنوان قصة رجل عصابات. وقد كانت تلك المطاردة أكثر مطاردات السيارات عنفاً وإثارة في السينما البوليسية الإيطالية حين نشاهد بيتيني ينزع الزجاج الأمامي المهشم للسيارة التي يقودها ويسارع في إثر

سبادوني الذي يقتل بمدفعه الرشاش ثلاثة أطفال أبرياء في محاولته القضاء على مطارده. كانت شخصية هاري كالاهان القذر التي جسدها كلينت إيستوود قد وصفت في الولايات المتحدة بأنها فاشية. فإن صحت هذه التسمية، فإننا نستطيع أن نصف شخصية بيتيني في هذا الفيلم بأنها الدونتشي نفسه. كان شقيق بيتيني قد قتل خلال عملية سطو مسلح قبل عامين الأمر الذي دفع شرطي ميرلي العنيف- الرجل الذي يأخذ تطبيق القانون على عاتقه- إلى استخدام أساليب غير تقليدية. إذ يجمع بيوندي المعلومات من خلال رشوة المخبرين بالمخدرات في حين يقوم بيتيني بضرب المشتبه بهم كما يسرب للمجرمين أثناء استجوابهم أسماء من وشوا بهم للشرطة. لعب ميرلي دور البطل بامتياز متبعاً أسلوب فرانكو نيرو (بل إنه يجري مثله) في حين أن فيلم «روما العنيفة» يشبه فيلم «الصلة المرسيلية» حتى النهاية حيث يتعرض بيتيني لإطلاق نار من مدفع رشاش في إطار عمليات الانتقام المتبادل بين المجرمين والمدنيين من مطبقي القانون.

استثمر ميرلي الجماهيرية التي حققها فشارك في سلسلة من الأعمال مثل «شرطي خاص في العمل»- Special Cop in Action (١٩٧٦) و«الأقوياء»- Tough Ones (١٩٧٦- «روما مسلحة حتى أسنانها») و«نابولي العنيفة»- Violent Naples (١٩٧٦) و«شرطي الماغنوم»- Magnum Cop (١٩٧٧- مع جوان كولينز) و«الكلب والفأر والقبضة»- The Cynic, The Rat and The Fist (١٩٧٧) و«أوغاد القافلة»- Convoy Busters (١٩٧٨). ويعتبر فيلم «خوف في المدينة»- Fear in The City (١٩٧٦) لجيوسيبيه روزاتي نموذجاً لهذا النوع من الأفلام. يستمتع مفتش الشرطة المتقاعد ماريو موري (ميرلي) بممارسة هواية صيد سمك التروويت في الجبال حتى اللحظة التي يعيد المفوض (جيمس ميسون) ضمه

إلى سلك الشرطة بهدف إعادة إلقاء القبض على ألبرتو ليتييري (ريموند بيليغرين). لعب سيريل كوزاك دور جياكومو ماسوني وهو أحد رجال ليتييري. أما موري، فيعيد لم شمل مجموعته السابقة التي تضم الرقيب إيسبوزيتو (فاوستو توتسي) والرقيب نيري (جيوفاني إيلسنر) ويبدأ تحرياته التي يجريها بأساليبه الفريدة التي تتضمن اشتباكات بالأسلحة النارية ومطاردات بالسيارات وتبادل لللكمات- إلى درجة تدفع مساعد المدعي العام (فرانكو ريسيل) إلى القول لموري: «نحن لا نعيش في الغرب البعيد أيها المفتش». يصادق موري فتاة الليل لورا (سيلفيا ديونيسيو)، نسيبة ماسوني ثم يكتشف أن اللصوص يخططون لسرقة شحنة أوراق نقدية من فئة المليون لير كانت تنقل من ميلانو إلى روما بغرض إتلافها. صور الفيلم في مواقع في روما (بما في ذلك مطار فيوميشينو وأرض معرض لونا بارك) ويتميز بمشاهد حركة لا تنسى. حيث يلاحق موري اثنين من اللصوص في خضم مطاردة بالدراجات النارية ويتمكن من إفشال خطة لسرقة المصرف الزراعي. أدى موري بطريقة ممتازة دور البطل ذي الأعصاب الباردة الذي يدخن سجائره على طريقة فتى المارلبورو والمصاب بلعنة تمني الموت منذ مقتل زوجته وابنته في تفجير سيارة أعده ليتييري. وفي إحدى المرات، يشتري موري باقة من الأزهار وينطلق لزيارة ضريحيهما حيث يكون اثنان من بلطجية ليتييري في انتظاره بمدفع رشاش فتتحول المقبرة إلى ساحة اشتباك.

شهد منتصف السبعينيات تنافساً حامي الوطيس على مركز رجل الشرطة الأول بين ماوريتسيو ميرلي وفرانكو نيرو وتوماس ميليان وفابيو تيستي قبل أن ينضم لوك ميريندا إلى السباق بفيلم «المحترفون العنيفون»- The Violent Professionals (١٩٧٣) الذي يلعب فيه ميريندا دور ملازم في الشرطة أوقف عن العمل لإطلاقه النار بطريقة قاسية على سجينين فارين

(أنطونيو كاساليه ولوشيانو روسي). ولعب ريتشارد كونتيه دور خصم ميريندا، رجل العصابات بيليون. كما وحد كاستيلاري ونيرو جهودهما من جديد في فيلم «قانون الشارع»- Street Law (١٩٧٤) الذي كان إعادة لفيلم «أمنية موت» على الطريقة الإيطالية. ولعب فابيو تيستي بطولة فيلم «الابتزاز الكبير»- The Big Racket (١٩٧٦) لكاستيلاري وهو واحد من أسرع الأفلام البوليسية الإيطالية إيقاعاً وأشدها عنفاً. كان أصحاب المتاجر والباعة ومالكو النوادي والمطاعم في روما مرغمين على دفع المال لعصابة من المبتزين يقودهم رودي (جياني لوفريدو)، الذي هو كذلك تاجر هيروين، لقاء الحصول على الحماية. ولكن المفتش نيكولا «نيكو» بالميري (تيستي) يطرد من سلك الشرطة بسبب استخدامه أساليب غير مصرح بها في مكافحة هؤلاء المجرمين. فيقوم، من أجل الانتقام، بتشكيل مجموعة من القتلة المتخصصين يهاجمون معقل رودي.

صور فيلم «الابتزاز الكبير» في مواقع في روما (البياتزا نافونا والكولوسيوم وقنطرة قسطنطين وأطلال السوق الروماني) على الرغم من أن الفيلم لم يكن بالتأكيد فيلماً سياحياً، بل إن كاستيلاري يصور في فيلمه مدينة تعمها المراقص وتباهي بأزيائها وسياراتها السريعة ويمتزج بياض الهيروين النقي فيها بدماء الأبرياء. ويتضمن الفيلم مطاردات بالسيارات وبضعة تفجيرات مثيرة للإعجاب- لم يكن أحد قادراً على تنظيم أعمال العنف والإيذاء بالطريقة التي كان يستخدمها كاستيلاري. والواقع أننا نستطيع بسهولة أن نعتبر هذا الفيلم أعنف أعماله وأشدها إثارة للرعب وفيلماً تختلط فيه الحركة بالسياسات المتطرفة إلى درجة دفعت بالكثيرين في إيطاليا إلى التنديد بالفيلم بوصفه رجعياً أكثر مما ينبغي. وقد منع الفيلم من العرض في بريطانيا لسنوات عديدة، ليس فقط بسبب الإجرام الدموي الذي يعرضه، بل كذلك بسبب مشهدي اغتصاب فيه. إذ يوافق مالك المطعم لويجي جيولتي (رينزو

بالمر) على مساعدة رجال الشرطة، إلا أن المجرمين يخطفون ابنته المراهقة ستيفانيا (ستيفانيا جيرولامي) ويعتدون عليها بوحشية فيقتلهم جيولتي رمياً بالرصاص ويدخل السجن. بهذه الطريقة يجر الأبرياء والمؤمنون بسيادة القانون إلى مستوى المجرمين.

ينظم كاستيلاري في الفيلم سلسلة من المشاهد العنيفة على طريقة كتب القصص المصورة. فنشاهد في المشاهد الافتتاحية المجرمين، الذين كان من بينهم جيوفاني شيانفريليا وروبرتو ديلاكوا وماسيمو فاني ومارشيلا ميكيلانجيلي (بدور مارسي السادية)، يحطمون المتاجر والمطاعم بالحركة البطيئة على وقع موسيقى الأخوين دي أنجيليس الصاخبة والمسعورة. وقد كان في مشهد عصابة الدراجين المضاء بأنوار النيون استباق لأفلام صنعها كاستيلاري تتناول حقبة ما بعد الكارثة مثل «١٩٩٠: محاربو البرونكس»- 1990: The Bronx Warriors. كما يدفع المجرمون بسيارة نيكو إلى الهاوية في مشهد تم فيه تصوير تدحرج السيارة على طول المنحدر باستخدام عدسة مثبتة داخلها وتناثر فيه الزجاج المتكسر على كامل مساحة الشاشة. وفي حين تظن الشرطة أنها استطاعت نصب شرك للمجرمين أثناء محاولتهم سرقة صندوق ودائع في تيبورتينا، كان المجرمون هم من أوقعوا رجال الشرطة في الفخ- إذ يهاجم رجال رودي رجال الشرطة من الخلف ويقضون عليهم. يقتل شريك نيكو، الرقيب سالفاتوريه فاليشي (سال بورغيريه) ويساعد جيوفاني روسيتي (أورسو ماريا غويريني)، وهو صياد محترف عاد لتوه من عطلة قضاها في التزلج، رجال الشرطة على إلحاق الهزيمة بالعصابة، قبل أن تضرم النيران في شقته، في وقت لاحق، وتغتصب زوجته وتقتل.

تضم فرقة «الرائعين الخمسة» التي جمعها نيكو كلاً من روسيتي ومالك الملهى المعتدى عليه بييرو ماتساريلي (غلاوكو أونوراتو) الذي أصبح

يرتدي مشبكاً يطوق عنقه بعد أن تعرض للضرب والقاتل المأجور الخارج من السجن دورينغو (رمانو بوبو) والنشال بيبيه (فنسنت غاردينيا) ومالك المطعم جيولتي الذي أصبح الآن مهووساً. تنصب فرقة المنتقمين شركاً في مصنع للتجهيزات الزراعية كان مسرحاً لاجتماع قمة لرجال العصابات: رودي ومحاميه جيوفاني جيوني (أنطونيو مارسينا) وزعيم الجريمة فابريتزي (سالفاتوريه بيلا) وكوومو (جيوفاني بونادونا) وأريستي سيكلا (فرانكو بوريلي) ولويجي ماير (بيبترو شيتشاريلي) يسفر عن معركة بالغة العنف تجري فصولها بالحركة البطيئة. ينهي نيكو الفيلم بلقطة ثابتة- يحطم بندقيته في نوبة غضب- وقد حول سيارة رودي إلى رماد. أتبع كاستيلاري هذا الفيلم بعمل آخر أقل شأناً بعنوان «أوغاد الهيروين»- The Heroin Busters (١٩٧٨) مع تيستي وديفيد هيمينغز. لكن «الابتزاز الكبير» يبقى تحفة الأفلام البوليسية التي أنجزها كاستيلاري- ولا تزال الطاقة المتوثبة والوحشية المتفلتة فيه تحمل القوة نفسها حتى اليوم.

الفصل التاسع

الفوضى والاستعارة

السينما السياسية

تصدرت إيطاليا واجهة السينما السياسية في الستينيات على الرغم من أن تركيزها على الشؤون الإيطالية- الفاشية والشيوعية و«استراتيجيات التوتر» وانتفاضات الطلاب والإرهاب- أثبتت أنها بالغة الضيق نسبة إلى محبي السينما حول العالم. فلم تكن السياسات المحلية الإيطالية تعني الكثير للمتفرجين من ذوي المعرفة القليلة بالشؤون السياسية. وعلى الرغم من ذلك، استطاعت بعض الأفلام السياسية الإيطالية- تلك التي أخرجها فرنشيسكو روسي وداميانو داميانى وإيليو بيتري وجيلو بونتيكورفو وبرناردو برتولوتشي- تحقيق نجاحات عالمية من خلال تمويه الجانب السياسي وعرضه على شكل مغامرات تاريخية وأفلام وسترن وأفلام تشويق أو سير ذاتية لشخصيات تراوحت بين المتمرد سالفاتوريه جيوليانو والمرتزق ويليام ووكر ورجل العصابات تشارلز لوشيانو الملقب بلاكي.

انتصارات أخلاقية: جيلو بونتيكورفو

أخرج جيلو بونتيكورفو فيلم «معركة الجزائر»- Battle of Algiers عام ١٩٦٦ وكتب السيناريو فرانكو سوليناس عن قصة لسوليناس وبونتيكورفو مستوحاة من وقائع تاريخية. يتحدث الفيلم عن نضال الشعب الجزائري

للتحرر من الاستعمار الفرنسي من خلال الثورة والترويع: استمع بونتيكورفو وسوليناس لروايات حوالي عشرة آلاف شاهد عيان. في عام ١٩٥٤، انضم المتمرد عمر علي الملقب بــ «علي لابوانت» (ابراهيم حجاج) إلى جبهة التحرير الوطنية، وهي حركة إسلامية تخطط لإطلاق الثورة من حي القصبة المكتظ الذي يستحيل اختراقه وتقطعه شبكة من الشوارع الضيقة والأزقة. وفي عام ١٩٥٦، نجحت حركة التحرير الوطنية في تطهير القصبة والقضاء على تجارة المخدرات وحظرت المشروبات الكحولية والدعارة وسوى ذلك من الشرور التي تنسب للاستعمار. ثم تبدأ الحركة مرحلة العمل المباشر من خلال إطلاق النار على رجال الشرطة في الشوارع الأمر الذي يدفع الفرنسيين إلى عزل القصبة من خلال نقاط التفتيش. تستمر الهجمات ويقوم متطرفون فرنسيون بتفجير قنابل في القصبة بينما كان السكان نياماً، فتقوم نسوة من جبهة التحرير الوطنية بأزياء أوروبية، مدفوعات بالانتقام، بتفجير مكاتب الخطوط الجوية الفرنسية وحانة في شارع ديسلي ومقهى في شارع ميشلو ثم حلبة سباق الأمر الذي أوقع العديد من الإصابات في صفوف المدنيين. وفي العاشر من كانون الثاني ١٩٥٧، تصل الفرقة المظلية الفرنسية العاشرة بقيادة الكولونيل فيليب ماتيو (جان مارتان) وهي عازمة على القضاء على جبهة التحرير الوطنية.

يفتتح الفيلم بإلقاء مظليي ماتيو القبض على علي لابوانت الذي كان متوارياً ثم يشرع الفيلم في إخبارنا قصة هذا الرجل بأسلوب الفلاش باك ومن خلال صور حبيبية بالأبيض والأسود شبيهة بالصور الإخبارية. كان أسلوب الواقعية الوثائقية في تسجيل ما جرى بعد حملة التفجيرات التي شنتها جبهة التحرير الوطنية جلياً حيث يصور بونتيكورفو الضحايا والمصابين. صور بونتيكورفو وطاقمه المؤلف من تسعة فنيين (من ضمنهم المصور السينمائي مارشيلو غاتي) الفيلم في العاصمة الجزائرية في المواقع نفسها التي جرت فيها الأحداث. وكان الفيلم إنتاجاً مشتركاً بين شركة إيغور فيلم (روما) والقصبة فيلم (الجزائر)



الملصق البريطاني للدراما الوثائقية الثورية «معركة الجزائر» (١٩٦٦) لجيلو بونتيكورفو الذي يتناول انتفاضة جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي

وهو الفيلم الأول الذي تنتجه الجزائر منذ استقلالها وكان معظم من جسد الشخصيات من غير الممثلين. لعب محمد بن كاسن دور الجندي القاصر في جبهة التحرير الوطنية عمر الصغير وياسف سعدي (قائد حقيقي في جبهة التحرير الوطنية وهو منتج الفيلم) شخصيته نفسها مغيراً اسمه إلى جعفر. لم يتخذ بونتيكورفو موقفاً من الصراع. فمع قدوم المظليين الفرنسيين، يترك بونتيكورفو الكلام للكولونيل ولاسيما في مؤتمر صحفي يشرح فيه الخطة الفرنسية السريعة التي لا رحمة فيها الموضوعة لتفكيك البنية الخلوية لجبهة التحرير الوطنية. إذ يعذب الفرنسيون المشتبه بانتمائهم للجبهة مستخدمين مشاعل اللحام والضرب والإغراق والتيار الكهربائي. كتب إينيو موريكونيه، بالتعاون مع بونتيكورفو، موسيقى راقية زادت الفيلم قوة. فتعزف موسيقى فلوت رباعية النوطات مدعومة بنغمات وترية فخمة ومشبعة بالتوتر بعد

وقوع الانفجارات أو خلال الجولة في العاصمة الجزائرية التي ينقلنا بونتيكورفو خلالها من أحياء المدينة الأوربية الراقية إلى حي القصبة الشعبي ذي الطرق المتلوية. ثم يصبح هذا اللحن نشيداً للثورة. كما يستخدم موريكونيه الأرغن (في مشاهد التعذيب) وآلات نقرية نابضة (من أجل استعدادات الثوار لعملية التفجير وخلال المظاهرات). وهنالك كذلك ضربات الطبل الرشيقة ونغمات البيانو والآلات النحاسية المتقطعة التي تعزف أثناء اجتياح المظليين الفرنسيين حي القصبة في الأول من تشرين الثاني ١٩٥٤.

يمثل فيلم «القيادة المفقودة»- Lost Command (١٩٦٦) المعالجة الهوليوودية للموضوع نفسه. لعب أنطوني كوين في هذا الفيلم دور قائد المظليين الفرنسيين المقدم راسبيغي وألان ديلون دور مساعده النقيب إيسكلافييه. صورت مشاهد الحرب الجزائرية في ألميريا وفي لا بيدريزا في مدريد. أسند إلى جورج سيغال دور لم يكن مناسباً له هو دور الثائر الجزائري مهيدي ولعب ألدو سامبريل دور رفيقه. كما لعبت كلوديا كاردينالي دور عايشة، الثائرة الجزائرية الحسناء التي تهرب صواعق التفجير عبر نقاط التفتيش إلى داخل حي القصبة وتواعد إيسكلافييه. استعان منتجو الفيلم بالجيش الإسباني لتصوير مشاهد الحركة واسعة النطاق. وينتهي الفيلم هذه المرة بانتصار المظليين الفرنسيين الشجعان. يقتل علي، في فيلم «معركة الجزائر»، على يد ماتيو عام ١٩٥٧ بعد أن منحه الفرصة للاستسلام وتسحق الانتفاضة في نهاية المطاف على الرغم من الخاتمة المتفائلة للفيلم. وفي عام ١٩٦٠ انتفض مسلمو العاصمة الجزائرية في مظاهرات حاشدة انزلقت إلى أعمال شغب قبل أن تنال الجزائر استقلالها في تموز ١٩٦٢. فاز فيلم «معركة الجزائر» عام ١٩٦٦ بجائزة الأسد الذهبي في مهرجان البندقية السينمائي. والواقع أنه يكفي إلقاء نظرة سريعة على عناوين الأخبار اليوم لمعرفة أن الموضوع الذي عالجه الفيلم لا يزال يحتفظ براهنيته حتى اليوم. ففي عام ٢٠٠٣، احتلت الولايات المتحدة العراق وعرض فيلم «معركة الجزائر» في

البنتاغون. ويصعب على المرء نسيان المشهد الذي تقوم فيه ثلاث نسوة ينتمين إلى جبهة التحرير الوطنية بزرع عبوات ناسفة وسط الزحام ومراقبة حشود المتسوقين الذين كانوا غير مدركين للرعب الذي يزرع وسطهم.

ثم صنع بونتيكورفو فيلم «أحرق!»- Burn! (١٩٦٨) الذي كتب كل من سوليناس وجيورجيو أرلوريو نصه. في عام ١٨٣٨، يسافر رجل المرتزقة السير ويليام ووكر، عميل الأميرالية البحرية البريطانية، إلى جزيرة كويمادا، وهي مستعمرة برتغالية تقع في البحر الكاريبي. كانت الجزيرة، التي تعتمد بشكل أساسي على تصدير قصب السكر، قد ازدهرت على أكتاف الرقيق بعد أن تم قطع رأس قائد المتمردين العبيد سانتياغو. ينجح ووكر في إقناع حمال يعمل في المرفأ اسمه جوزيه دولوريس بسرقة مائة مليون ريال ذهبي من مصرف الروح القدس في الجزيرة. وتتعرض القوات التي تم إرسالها للقبض على جوزيه إلى مجزرة حقيقة يتحول جوزيه على أثرها إلى بطل ثوري. ثم ينجح ووكر في إقناع السياسي تيدي سانشيز (ريناتو سالفاتوري) باغتيال الحاكم البرتغالي للجزيرة أثناء انقلاب نفذه اثنان من كبار مالكي الأرض الأثرياء هما برادا (توماس ليونز) وشيلتون (نورمان هيل). تخفق الحكومة الجديدة في الاتفاق مع زعيم المتمردين جوزيه على دستور جديد للبلاد ثم يرمي جيش المتمردين السلاح ويرحل ووكر إلى الهند الصينية. وفي عام ١٨٤٨، يعود ووكر مرة أخرى إلى كويمادا بصفة مستشار الحكومة البريطانية العسكري في شركة سكر الأنتيل الملكية. إذ كان عليه أن يمد يد العون للرئيس سانشيز وللجنرال برادا من أجل إخماد انتفاضة عارمة. يتم إلقاء القبض على المتمرد ماسينا (جوزيف بيرسو) الذي يخبر ووكر أن «جوزيه دولوريس يقول إنه علينا أن نحصد الرؤوس بدلاً من التركيز على حصاد قصب السكر» وكان المتمردون متمركزين بشكل رئيسي في السييرا نيفادا. تنجح سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها ووكر في تدمير شبكة القرى الداعمة للمتمردين وإخراج جوزيه من الأدغال. يحاول سانشيز التخلص من ووكر لكن برادا يتخلى عن السلطة ويتم

إعدام الرئيس. لم يكن ووكر يميل إلى شنق جوزيه وكانت حجته أن ذلك سيحول البطل إلى شهيد والشهيد إلى أسطورة يتغنى الناس بذكراها، فيجيبه شيلتون: «الغناء أفضل من الجيوش» فيكون رد ووكر: «والصمت أفضل من الغناء».

تبدد الأسلوب الوثائقي الذي ميز سينما بونتيكورفو مع اختيار مارلون براندو لتجسيد شخصية ووكر، فبدا الفيلم بذلك شبيهاً بفيلم مغامرات استعمارية هوليوودي. قدم بونتيكورفو في هذا الفيلم مشاهد مثيرة للإعجاب، مستفيداً من الموارد المالية الكبيرة المخصصة للفيلم التي بلغت ثلاثة ملايين دولار أمنت شركة يونايتد أرتيستس ثلثيها. وقد رافقت تلك المشاهد الجميلة موسيقى تصويرية تعتبر من أروع ما صنعه موريكونيه، مع ترنيمة تيتولي الرنانة التي رافقها إنشاد ديني قدمه كورس «إي كانتوري موديرني» زاد في قوة وقعه نغمات مهيبة تم تنفيذها على أرغن طراز توماس ٩٠٠. كما استخدمت هذه المقطوعة كذلك في المشهد الذي يلتقي فيه ووكر على الشاطئ بجيش المتمردين الجرار (المسلح حتى الأسنان بأسلحة غنمها من البرتغاليين) في طريقه إلى مدينة كويمادا. ونشير كذلك إلى معزوفتين على الأرغن والآلات الوترية تسجلان العلاقة بين ووكر وجوزيه هما «جوزيه دولوريس الثائر» و«ويليام وجوزيه»، كما ترافق مقطوعة «معركة كويمادا» بنغماتها المتنافرة وأصوات الكورس والآلات الإيقاعية جنود ووكر وهم يحصدون المتمردين أولاً بأول لدى خروجهم من حقول قصب السكر المشتعلة كما تسجل مقطوعة يوم الدينونة ذات الوقع الجنائزي حدث قتل ووكر الذي يطعنه أحد حمالي الميناء أثناء استعداده لمغادرة الجزيرة، بعد إعدام جوزيه

تم تصوير فيلم «أحرق!» في مقاطعة قرطاجة في كولومبيا، لكن درجات الحرارة المرتفعة والضجيج الذي ساد مواقع التصوير أثار حنق براندو الذي وجد نفسه مضطراً لغلق أذنيه بسدادتين من الشمع كي يكون قادراً على التركيز. تلاءمت مواقع التصوير المتداعية مع أجواء القصة وكان معظم الممثلين من غير المحترفين، بمن فيهم إيفاريستو ماركويز مجسداً شخصية جوزيه دولوريس وهو

الدور الذي كان يفترض في الأصل أن يسند إلى سيدني بواتييه. أعاد بونتيكورفو تصوير أحد المشاهد في حقل قصب سكر محترق أربعين مرة الأمر الذي دفع براندو إلى مغادرة المكان فقاضاه المنتج ألبرتو غريمالدي بسبعمائة وخمسين ألف دولار. استكمل تصوير الفيلم بعد ذلك في استديوهات شينيشيتا وفي مدينة مراكش المغربية. كان أداء براندو لشخصية المناور المتأنق رائعاً وقد أكد براندو أن دور ووكر هو أفضل الأدوار التي أداها طيلة مسيرته المهنية. مثل فيلم «أحرق!» إخفاقاً مالياً بكافة المقاييس في الولايات المتحدة لدى عرضه فيها عام ١٩٧٠. يبلغ طول نسخة الفيلم الناطقة باللغة الإنكليزية مائة وست دقائق (أي أقل بعشرين دقيقة من النسخة الإيطالية) وأطلق في المملكة المتحدة على شرائط الفيديو تحت اسم «معركة الأنتيل».

تحيا الثورة !: الوسترن السياسي

واجهت أفلام الدراما السياسية صعوبات جمة في الحصول على جمهور خارج إيطاليا، على العكس من أفلام الوسترن. تجري أحداث فيلم «رصاصة من أجل الجنرال»- A Bullet for The General (١٩٦٦) لداميانو داميانى، في المكسيك عام ١٩١٥ ويتحدث عن مهرب سلاح مكسيكي يدعى إيل تشونتشو (جيان ماريا فولونتيه) يعمل لصالح الجنرال المتمرد الياس (خايميه فرنانديز). ينضم اليانكي بيل تايل (لو كاستيل) إلى عصابة الجنرال قبل أن يتكشف عن كونه قاتلاً مأجوراً يعمل لصالح الحكومة مكلفاً بقتل الجنرال في مهمة أخفاها عن تشونتشو حتى اللحظة التي يصلان فيها إلى مقر قيادة الياس في الغرانديه سييراس. يعتبر فيلم «رصاصة من أجل الجنرال» فيلم «وسترن» مسيساً بشدة (على الرغم من أن داميانى كره هذا التعبير) يقدم رسالته ببلاغة. أسهم فرانكو سوليناس في كتابة النص الذي يعتبر الثورة أمراً مبرراً وأنه يجب أن لا يكون الفقراء هدفاً للاستغلال وأن الأرض يجب أن لا تكون حكراً على قلة من الأثرياء وأن الخبز في زمن الثورة قد يكون أثمن من الديناميت في بعض الأوقات.

يعتبر فيلم «رصاصة من أجل الجنرال» فيلماً قاحلاً- قليلة هي، في الواقع، الأفلام التي استطاعت أن تصور جفاف المناخ في ألميريا بهذه الدرجة من القوة. وكان داميانى قد خطط بادئ الأمر لتصوير فيلمه في المكسيك، لكن مناخ ألميريا الرملي وفر له بديلاً مقنعاً. إذ بدا دير كورتيخو دي لوس فريليس أشبه بحامية عسكرية في حين لعب منزل إيل روميال الريفي الغارق بالبياض (من فيلم «مسدس من أجل رينغو») دور مزرعة مالك الأرض الثري دون فيليبي. أما محطة سويداد خواريز فلم تكن سوى محطة قطارات غواديكس في حين تحول خط غواديكس ألميريا الحديدي إلى الخط الحديدي الوطني المكسيكي. تعتبر الموسيقى ذات النكهة المكسيكية من أفضل ما كتبه لويس باكالوف. لعب كلاوس كينسكي دور الوطني المتعصب الفظ إيل سانتو (القديس)، أخي تشونتشو نصف الشقيق وهو كاهن ثوري يقف «إلى جانب الله والشعب» ويستخدم أموال الشيطان للقيام بعمل الله. قدم كاستيل أداء جيداً بدور اليانكي المهندم الذي يحمل بندقية دقيقة التسديد ورصاصة ذهبية. لعبت فتاة بوند مارتين بيسويك دور المتمردة أديليتا وغاي هيروني دور حبيبها بيدريتو. كما أدى كل من خواكين بارا وسبارتاكو كونفيرسي وسانتياغو سانتوس دور مهربي سلاح يعملون مع تشونتشو. وأسند إلى خوسيه مانويل مارتين دور يعاكس ما ألفناه منه حيث جسد شخصية ريموندو، الرجل ذي الذراع الوحيدة الذي ينطق باسم الكادحين في سان ميغيل. كما لعب أندريا كيتشي دور دون أندريا الذي يقمع الفلاحين وكارلا غرافينا (زوجة فولونتيه) دور زوجته روساريو. ظهر ألدو سامبريل بصورة عابرة بدور ملازم مكسيكي يسطو تشونتشو على قطاره الذي ينقل سلاحاً. بدا الفيلم في نصفه الأول أشبه بفيلم مغامرات حافل بعمليات السطو على القطارات والهجوم على الحصون حين كان المهربون يحاولون جمع السلاح لبيعه لالياس. أما النصف الثاني، الذي يعود فيه تشونتشو إلى ضميره، فهو أكثر إثارة للاهتمام- تحرر عصابته مدينة سان ميغيل ويصبح تشونتشو بطلاً ثائراً في نظر السكان. أما طلقة تايل الذهبية، فيحصل في مقابلها على مائة ألف بيزوس من المال الملوث بالدماء يتقاسمها مع تشونتشو لكن

المكسيكي يقتل تايل أثناء ركوبه القطار عائداً إلى «اللوس إيستادوس أونيدوس». فاليانكيون الذين يدسون أنوفهم في شؤون بلد أمريكي لاتيني غير مرحب بهم: فعلى الرغم من أن الجنرال قد أصيب برصاصة، إلا أن القاتل الحكومي نفسه يتلقى رصاصة أخرى بالمقابل وجهها إليه تشونتشو.

صنع المخرج سرجيو سوليما فيلمي وسترن بنكهة سياسية يتحدثان عن مغامرات الفلاح مانويل سانشيز الملقب بكوتشيلو (توماس ميليان): الأول هو فيلم وسترن بنكهة القط والفأر اسمه «المعركة الكبيرة»- The Big Gundown (١٩٦٧) الذي شارك في بطولته لي فان كليف والحلقة الثانية منه بعنوان «اهرب يا رجل»- Run, Man, Run (١٩٦٨). وبين هذين الفيلمين، أخرج سوليما عام ١٩٦٧ فيلم «وجهاً لوجه»- Face to face الذي يحلل العلاقة بين طريد خارج على القانون (ميليان مرة أخرى) وأستاذ من بوسطن اسمه براد فليتشر (جيان ماريا فولونتيه). أما فيلم «ثمن السلطة»- The Price of Power (١٩٦٩) لتونينو فاليري، فيتحدث بصورة مضمرة عن حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة ويعلق على اغتيال جون كينيدي في دالاس من خلال حدث اغتيال الرئيس غارفيلد (فان جونسون) عام ١٨٨١. وأخرج سرجيو ليونيه فيلم «حفنة من الديناميت»- Duck You Sucker (١٩٧١) الذي يتحالف فيه خبير متفجرات من الجيش الجمهوري الأيرلندي اسمه جيمس كوبرن مع قاطع الطريق المكسيكي رود ستايغر. كما أخرج سرجيو كوربوتشي ثلاثية عن الثورة المكسيكية بنكهة الوسترن السياسي قدم الموسيقى التصويرية فيها إينيو موريكونيه- «مسدس محترف»- A Professional Gun (١٩٦٨- «المرتزق») بطولة فرانكو نيرو وطوني موسانتيه وجاك بالانس، «الصحبة»- Compañeros (١٩٧٠) بطولة نيرو وبالانس وتوماس ميليان و«ماذا أفعل وسط ثورة؟»- What Am I Doing in The Middle of A Revolution? (١٩٧٢) بطولة فيتوريو غاسمان وباولو فيلاجيو. وقد جعل مزيج الحركة العنيفة والفكاهة هذه الأفلام الثلاثة شبيهة بفيلمي «الجيد، السيء والقبيح» و«أحرق!».

تجري أحداث فيلم «تيبيبا»- Tepepa (١٩٦٩) لجيوليو بيتروني بعيد انتفاضة فرنشيسكو ماديرو المكسيكية التي انتهت بتقلده منصب الرئاسة. يحس رجل يتمتع بقوة جيش من المتمردين اسمه تيبيبا (توماس ميليان) أن ماديرو (باكو سانز) قد خانه ويشاهد بأم عينه قسوة الكولونيل الريفي كاسكورو ويعتبرها مؤشراً على نوعية النظام الجديد- إذ إن الإصلاح الزراعي الموعود لم يتحقق وكانت الإصلاحات السياسية تتقدم بسرعة الحلزون. في ذلك الوقت، يسعى الطبيب الإنكليزي هنري برايس (جون ستاينر) إلى الثأر من تيبيبا لاغتصابه خطيبته كونسويلا دي كورونيا (بالوما سيلا). نفذ فرنشيسكو مارين عمليات التصوير بأسلوب جميل في مواقع في ألميريا (بما في ذلك المنزل الريفي في إيل روميرال) ومدينة غواديكس. لعب خوسيه توريس دور إيل بيوخو (القملة)، وهو فلاح مكسيكي بتر الحرس الريفي يديه لارتكابه السرقة. ينضم باكويتو (لوسيانو كازامونيكا)، ابن بيوخو إلى عصابة تيبيبا المتمردة بعد أن خان بيوخو تيبيبا لصالح كاسكورو، حيث يوشك تيبيبا على الموت بطلقات مدفع رشاش في كمين نصب له وهو في طريقه إلى تولوكا. ثم ينصب جيش تيبيبا كميناً لرتل تابع لكاسكورو في أحد الأودية ويوقف تقدمه باستخدام عدد كبير من العبوات الناسفة المصنوعة من الديناميت. لعب ضيف الشرف كثير التعرق ذو الحركة المتثاقلة أورسون ويلز دور كاسكورو بامتياز. أما اسم تيبيبا الحقيقي فهو خيسوس ماريا موران تيبيبا تييرا إي ليبيرتاد- اسم يسخر منه كاسكورو قائلاً: «يا له من اسم يا تشيكو». تجنب موريكونيه بذكاء اللجوء إلى المقطوعات التي تقدم عادة في هذا النوع من الأفلام وكتب بدلاً من ذلك معزوفة بعنوان «تحيا الثورة» ترقى إلى مرتبة نشيد وطني مهيب، في حين خصص كاسكورو بمقطوعة بعنوان Tradimento Primo تمتزج فيها نغمات البيانو الداكنة بمقطوعات الفلامنكو. لم تظهر أغنية Vorrei Al Messico Che لكريستي في النسخة المختصرة الناطقة بالإنكليزية، «دماء وبنادق»، لكنها

كانت حاضرة في النسخة الإيطالية غير المجتزأة. كتب سوليناس مرة أخرى السيناريو. يقتل برايس، في خاتمة الفيلم الكئيبة، تيبيبا المصاب باستخدام مبضع قبل أن يقوم باكويتو بقتل برايس نفسه مستخدماً مسدساً أوتوماتيكياً من طراز ماوتزر- مرة أخرى، يقتل الأمريكي المتطفل على يد فلاح كان في طريقه إلى تشكيل وعيه الثوري.

سينما الخارجين على الأعراف: دامياني وبيرتولوتشي

أتبع داميانو دامياني فيلم «رصاصة من أجل الجنرال» بفيلم اسمه «يوم البومة»- The Day of The Owl (١٩٦٨- «مافيا») المقتبس من رواية ليوناردو سكياسكيا التي أصدرها عام ١٩٦١. لعب فرانكو نيرو دور الكابتن بيلودي الذي يحقق في جريمة قتل في صقلية لكنه يواجه أثناء التحقيق بمؤامرة الصمت. لعبت كلوديا كاردينالي دور زوجة المشتبه به بارتكاب الجريمة وجسد لي كوب شخصية زعيم مافيا. ثم أخرج دامياني فيلم «اعترافات نقيب في الشرطة»- Confessions of a Police Captain (١٩٧٠) الذي اجتاح شبابيك التذاكر في إيطاليا ويلعب نيرو فيه دور تريني، المدعي العام الذي لم ينل منه الفساد في مدينة باليرمو والذي يحقق في محاولة قتل تعرض لها فرديناندو دوبروزيو (لوشيانو كاتيناتشي)، إمبراطور مقاولات البناء والمعروف بأنه من زعماء المافيا. تقودنا الأحداث إلى الكابتن جياكومو بونافيا (مارتن بالسام) الذي أطلق سراح لص مختل اسمه ليبوما (أدولفو لاستريتي) من مستشفى للأمراض العقلية. كان ليبوما يسعى لتصفية حساب مع دوبروزيو حول سيرينا (ماريلو تولو)، شقيقة ليبوما التي هي، في الوقت نفسه، عشيقة دوبروزيو. يصل ليبوما الذي ازداد جنوناً إلى مكتب دوبروزيو متخفياً بزي رجل شرطة ويفتح النار عليه من مدفع رشاش. كان بونافيا يسعى منذ سنوات إلى القضاء على دوبروزيو لكن الرجل المخادع كان ينجح دائماً في الإفلات من السجن. يكتشف تريني وجود فساد واسع يعم قطاع

المقاولات تتحالف فيه وجوه اجتماعية مشبوهة مع عصابات المافيا. لكن صبر بونافيا على القانون ينفد، فيطلق النار بنفسه على دوبروزيو ويقتله قبل أن يتم توقيفه، حيث يطعنه، في السجن، اثنان من النزلاء حتى الموت في الوقت الذي تجمعت فيه لدى تريني أدلة كافية لمقاضاة من هم في السلطة.

كان فيلم «اعترافات نقيب في الشرطة»، الذي يبدأ بالتصريح أن «كافة الأحداث في الفيلم متخيلة»، سياسياً بامتياز مع احتفاظه بالعنصر الدرامي والإيقاع الذي يميز أفلام التشويق. وقد قام الفيلم بجولة طويلة حول العالم عند إطلاقه عام ١٩٧١. تمتع دوبروزيو بالحصانة القانونية بفضل محاميه كانيستالو (أرتورو دومينيشي) وبفضل تحالفه مع الشخصيات العامة الرئيسية بمن فيهم عمدة باليرمو ومستشارو المجلس البلدي ولجنة البناء. كما كان المدعي العام مالتا (كلاوديو غورا) متورطاً بدوره. أما الكابتن بونافيا، الرجل المثالي، فكان يسعى في إثر دوبروزيو منذ اغتيال الزعيم النقابي ريتسو (فرانكو دي روزا) قبل عشر سنوات. فقد عثر عمال حفر، في ذلك الحين، على جثة ريتسو مدفونة تحت الصخور، في حين تم رمي راعي غنم كان شاهداً على الجريمة من قمة جرف. رسم دومينيشي في هذا الفيلم عالماً لا يمكن فيه الثقة بإنسان، عالماً تسوده الرشوة والصفقات والتنصت على المكالمات الهاتفية- بل إنه تجري محاولة شراء صمت تريني، نفسه، بشقة فارهة- كما أن المدعي العام يأمر تريني بالحفر «باتجاه الأسفل» وليس باتجاه الأعلى. لكن تريني لم يرتض الرقص على الإيقاع الذي حدده رؤساؤه، فيرسل دوبروزيو رجاله (بقيادة كاستيلو كاستيلي) لقتل الشاهدة الرئيسية سيرينا- يقتلونها ويضعون جثتها في صندوق ثم يدفنونها في الإسمنت المسلح لأساسات أحد الأبنية. أضفت مقطوعة الغيتار الكهربائي الهادرة التي كتبها ريز أورتولاني المزيد من التوتر على الأحداث في حين صور دامياني الفيلم في مواقع في باليرمو (بما في ذلك الغرف الفاخرة في فندق الغراند هوتيل فيلا إيجيا) وفي استديوهات دي باوليس. كما أخرج دامياني، عام ١٩٨٤، سلسلة تلفزيونية قصيرة عن المافيا بعنوان

«الأخطبوط» حظيت بمعدلات متابعة مرتفعة وظهر منها حتى تاريخه سبعة أجزاء. كان فيلم «اعترافات نقيب في الشرطة» أفضل أعمال التشويق السياسي التي أخرجها دامياني وواحداً من أشهر الأفلام التي تناولت موضوع الفساد وسلطة الأرض والمال في إيطاليا.

صنع برناردو بيرتولوتشي، الذي سبق له أن عمل مساعداً لبازوليني في فيلم «الشحاذ»- Accatone (١٩٦١) كما عمل معه في المعالجة الدرامية لفيلم «حدث ذات مرة في الغرب»- بالإضافة إلى إخراج فيلم «قبل الثورة»- Before The Revolution (١٩٦٤) و«الشريك»- Partner (١٩٦٨)، فيلماً عميقاً متعدد الطبقات اسمه «الملتزم»- The Conformist (١٩٧٠) نجح في تمويه التعقيد الكبير الذي يكتنف موضوعه من خلال تقمص هوية فيلم تشويق يتحدث عن قاتل مأجور. مارشيلو كليريشي (جان لوي ترينتينيان) هو رجل فاشي يعمل في الشرطة السرية الفاشية ويلاحق مناهضي الفاشية ذوي الأفكار الهدامة. يتزوج كليريشي، عام ١٩٣٨، امرأة من الطبقة الوسطى تدعى جيوليا (ستيفانيا ساندريلي) ويستغل شهر العسل الذي يقضيانه في باريس للتجسس على أستاذه السابق في الفلسفة لوكا كوادري (إنزو تاراسيو)، وهو أكاديمي مناهض للفاشية يعيش في المنفى. يقع كليريشي في حب زوجة كوادري الجميلة التي تربطها صلة ما بجيوليا. يكلف كليريشي، بالتعاون مع العميل الخاص الفاشي مانغانييلو (غاستونيه موسكين) بتصفية كوادري. يتناهى إلى علم كليريشي ذات يوم أن كوادري سيتوجه بمفرده إلى دارته الريفية في سافوا فيكمن له، لكن آنا ترافقه في تلك الرحلة المميتة، بصورة غير منتظرة.

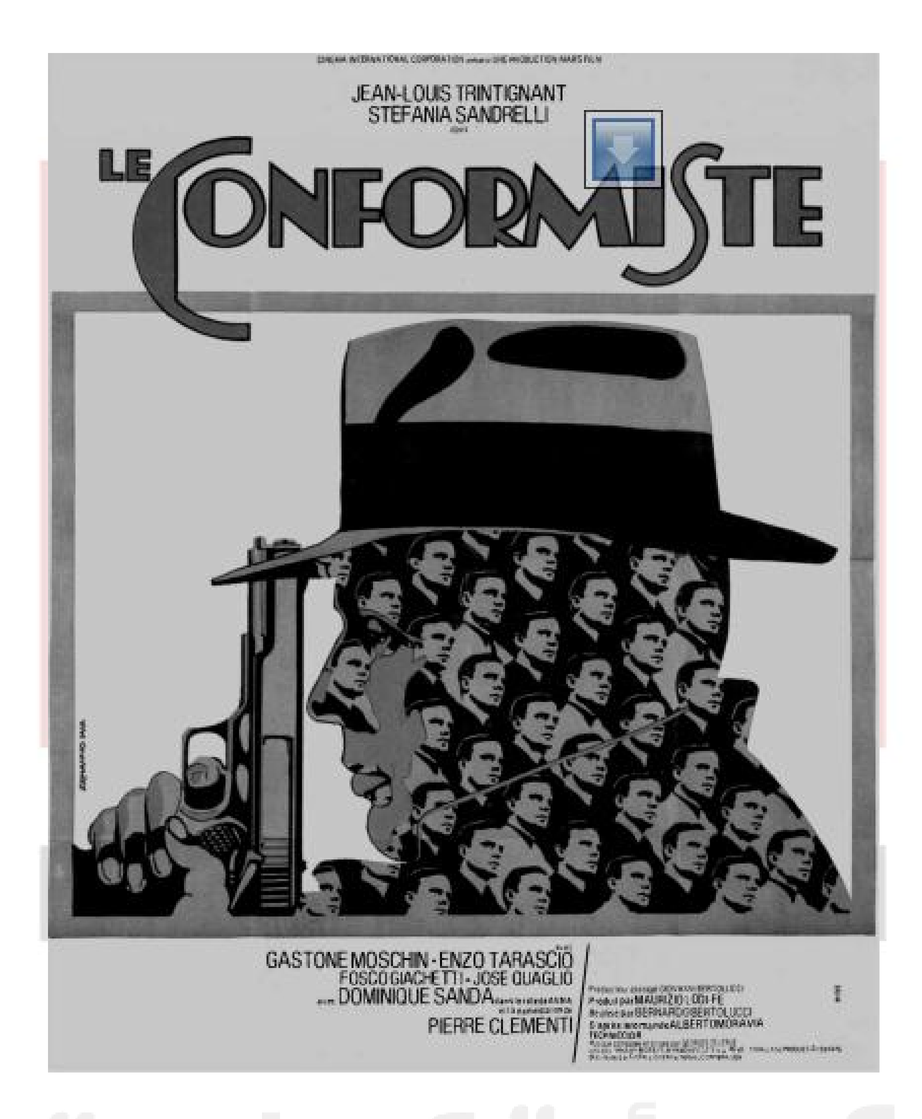
يقص الكاتب فرانكو أركالي أحداث الفيلم باستخدام نتف من مشاهد فلاش باك تم تنفيذها بأسلوب أرشيفي ويعتبر فيلم «الملتزم» قمة أعمال بيرتولوتشي. كان ترينتينيان مثالياً بدور كليريشي الصارم، بمعطفه الأسود الطويل وقبعة البورسالينو، الذي يكافح كي يعيش «حياة طبيعية»- وهو الدافع الرئيسي لاقترانه بجيوليا المرحة التي لا يجمعه بها، في الواقع، سوى القليل.

أما سلوكه الحالي، فهو عائد إلى رض نفسي تعرض له عام ١٩١٧ عندما كان لا يزال طفلاً. فعندما كان كليريشي في الثالثة عشرة من عمره، أطلق النار على سائق العائلة باسكوالينو سيميرما الملقب بلينو (بيير كليمانتي) الذي حاول الاعتداء عليه جنسياً. وبعد سقوط موسوليني عام ١٩٤٣، يعثر كليريشي على لينو - الذي نجا من الموت بأعجوبة - أثناء إقلاله بائع هوى شاباً في سيارته فينعته كليريشي باللوطي والفاشي متهماً إياه بقتل كوادري وآنا في الخامس عشر من تشرين الأول ١٩٣٨. أما كليريشي وجيوليا، فصارا يعيشان الآن حياة طبيعية وأنجبا ابنة (مارتا لادو) لكن جيوليا كانت قلقة من العواقب الفاشية لماضي كليريشي مع الشرطة السرية الفاشية.

صور فيتوريو سوترارو الفيلم بسخاء باستخدام نظام التكنيكولور في مواقع في روما - جسر سانتانجيلو وقلعة سانتانجيلو - وفي أجواء باريس الشتوية، متضمنة برج إيفل وقصر شايو بلازا ومحطة دورسيه («فندق باليه دورسيه» الذي قضى فيها العروسان شهر عسلهما). وقد أغرق ستورارو الصورة بألوان سوريالية - من الأمثلة على ذلك اللون الأزرق المشرق الذي تسبح فيه شوارع باريس أثناء الليل. وقد اكتمل هذا التصميم البصري الثري بأزياء أنيقة (تصميم جيت ماغريني وتيريلي) وبالعناية بتفاصيل المرحلة الزمنية التي تجري فيها الأحداث والديكورات (نيدو أتسيني وفلاناندو سكارفياتي) والتي ظهرت بأكثر صورها نجاحاً في المناظر الداخلية لفندق الباليه دورسيه وأثناء رقصة التانغو المثيرة التي نفذتها آنا وجيوليا في الجوانفيل. دخلت الممثلة الفرنسية دومينيك ساندا عالم السينما العالمية بقوة من خلال تجسيدها شخصية آنا اللطيفة، مدربة الباليه ذات الميول الجنسية الثنائية كما أدى كل من ساندريلي وموسكين وتراسيو أدوارهم المعقدة ببراعة. ثم ظهرت ساندا وساندريلي في ملحمة بيرتولوتشي الرعوية المطولة «١٩٠٠» (١٩٧٦) إلى جانب روبرت دينيرو وجيرار ديبارديو ودونالد ساذرلاند وأليدا فالي وسترلينغ هايدن وبيرت لانكستر. لعبت ميلي مونتي في

فيلم «الملتزم» دور والدة كليريشي المدمنة على المورفين وجيوسيبيه أدوباتي دور والده المختل وإيفون سانسون دور والدة جيوليا وخوسيه كواليو دور صديق كليريشي الفاشي الضرير إيتالو. أضفى حفيف أوراق الخريف المتطايرة مع الريح بعداً إضافياً منذراً بالشؤم لدى تقاطعه مع نغمات جورج دولرو المسكونة - تذكرنا مقطوعته الرومانسية بعمله في فيلم «ازدراء» لغودار الذي يشاركه فيلم «الملتزم» وعيه للحب المشؤوم. كما كان فيلم «الملتزم» مقتبساً من إحدى روايات ألبرتو مورافيا. أما عنوان كوادري في باريس (١٧ شارع سان جاك) ورقم هاتفه، فليسا سوى عنوان غودار ورقم هاتفه وكان برتولوتشي قد قال إن فيلم «الملتزم» هو «قصة عني وعن غودار... أنا مارشيلو وأنا أصنع أفلاماً فاشية وأرغب في قتل غودار الذي يصنع أفلاماً ثورية والذي هو معلمي».

يعود بيرتولوتشي على مدار الفيلم إلى مانغانييلو وكليريشي اللذين يستقلان سيارة تسير بسرعة، وسط أجواء جليدية، في أعقاب كوادري وآنا. يعترض حادث سيارة زائف درب كوادري فيتوقف في حين تنبثق من قلب الضباب فرقة قتل فاشية يرتدي رجالها معاطف طويلة (كارلو غادي وأومبرتو سيلفيستري وفوريو بيليراني وكلاوديو كابيلي). كان ذلك المشهد الذي جرت أحداثه وسط غابة صنوبر ساكنة غارقة في الثلوج غاية في الإثارة. إذ يقوم القتلة المأجورون بطعن كوادري حتى الموت في حين تجري آنا باتجاه السيارة التي يستقلها كليريشي وهي تصرخ طلباً للنجدة من حبيبها. لكن كليريشي لم يبد أية علامات تعاطف في حين يلاحق القتلة آنا إلى قلب الغابة ويطلقون النار عليها على وقع معزوفة الحب التي كتبها دولرو. يتوفر فيلم «الملتزم» بإصدارتين إحداهما ناطقة باللغة الإيطالية والأخرى باللغة الإنكليزية وقد حقق بيرتولوتشي مع هذا الفيلم اختراقاً دولياً عام ١٩٧٠ وصل إلى حد ترشيح الفيلم لجائزة الأوسكار عن أفضل سيناريو مقتبس.



الملصق الفرنسي لفيلم برناردو بيرتولوتشي «الملتزم» (١٩٧٠) الذي رشح لجائزة الأوسكار وجسد فيه جان لوي ترينتينيان شخصية العميل الفاشي مارشيلو كليريشي

وقبيل رحيل برتولوتشي بعيداً عن عالم السينما السياسية كي يصنع فيلم «آخر تانغو في باريس» - The Last Tango in Paris (١٩٧٢) الذي يركز فيه على التيمات الإيروتيكية التي سبق له أن استكشفها في فيلم «الملتزم»، قام

بإخراج فيلم سياسي لصالح التلفزيون الإيطالي بعنوان «خديعة العنكبوت»- The Spider’s Stratagem (١٩٧٠). يصل أثوس مانياني (جيوليو بروجي) إلى بلدة تارا للتحقيق في مقتل والده (اسمه أثوس مانياني كذلك) لكن السكان المحليين يواجهونه بسلوك عدواني على الرغم من شعارهم القائل «كلنا هنا أصدقاء». وكان والد أثوس، وهو من أبطال مناهضة الفاشية، قد قتل في الخامس عشر من حزيران ١٩٣٦ أثناء عرض مسرحي لمسرحية ريغوليتا. يستجوب أثوس عشيقة والده درافيا (أليدا فالي) ورفاقه الثلاثة المخلصين المناهضين للفاشية كوستا (تينو سكوتي)، مالك صالة السينما ورازوري (فرانكو جيوفانيلي)، المدرس وغيباتسي (بيبو كومبانيني)، ذواقة السلامي، فيخبرونه جميعاً أن والده خطط لتفجير موسوليني أثناء افتتاحه العرض المسرحي لكن أمر الخطة افتضح، وسرعان ما تلقى والد أثوس رسالة تحذره من الذهاب إلى المسرح كما أن قارئة بخت تنبأت بموته من خلال قراءة كفه. هكذا، كان مقتل الوالد جزءاً من حملة ثأر سياسي، بل إن دراجاً غريباً شوهد يتجول في المنطقة. يزداد لغز مقتل الوالد غموضاً وتزداد معه شكوك أثوس برواية رفاق والده.

لم يحمل فيلم «خديعة العنكبوت» سوى القليل من آفاق فيلم «الملتزم» ونجاحه العالمي، لكن الغموض فيه كان كبيراً. اقتبس فيلم «خديعة العنكبوت» من قصة قصيرة لخورخي لويس بورغيس وصوره ستورارو بالألوان. صورت بلدة تارا التي يعمها الغبار ومحيطها الذي تكتنفه الحشرات وأوراق حور غرائبية في بلدة سابيونيتا في مقاطعة مانتوا الواقعة في إقليم لومبارديا. وتدور أحداث الفيلم في بداية الستينيات- تعلن صالة السينما عن عرض فيلم «الغروب الأخير»- The Last Sunset (١٩٦١) وتغني مينا في الخلفية أغنية Il Conformista- على الرغم من أن الفيلم يحفل بمشاهد الفلاش باك التي تعيدنا إلى والد أثوس ورفاقه عام ١٩٣٦. لعب بروجي دور أثوس ووالده معاً وقدم أداء رائعاً لشخصية المناهض

اللدود للقمصان السود وابنه الحائر. لم يكن والد أثوس في الحقيقة بطلاً وكانت قصة اغتياله أسطورة حاكها رفاقه الثلاثة. فقد خان أثوس قضية معاداة الفاشية وتم تصوير إعدامه على شكل موت أسطوري لبطل... في مشهد مسرحي شارك فيه سكان تارا دون علمهم. فعلى الرغم من أنه كان الأولى فضحه كخائن، إلا أن صورة «البطل أكثر فائدة».

أيقونات سياسية: روزي وفولونتيه

عمل روزي بصورة حصرية تقريباً في السينما السياسية. فقد كتب فيلم «سالفاتوريه جوليانو»- Salvatore Giuliano (١٩٦١) مع فرانكو سوليناس ونال من خلاله اعترافاً دولياً باسمه. صور الفيلم في استديوهات دي باوليس وفي مواقع خارجية ويروي روزي فيه قصة حياة وموت المتمرد الصقلي سالفاتوريه جيوليانو (بييترو كاماراتا). يفتتح الفيلم بلقطة لجثة جيوليانو الممزقة بالرصاص ووجهه إلى الأسفل في فناء منزل مشمس في بلدة كاستيلفيترانو في تموز ١٩٥٠. ثم يعود روزي إلى الخلف كي يرينا صعود جيوليانو في بداية الأربعينيات كقائد لعصابة من ثوار الحرية الانفصاليين. حيث نشاهد جيوليانو ورجاله يختبئون في التلال المحيطة ببلدة مونتيلييريه، مسقط رأسه، ويكمنون للجيش الأمر الذي يجعل الحكومة ترد بإقامة حامية عسكرية في مونتيلييريه وبحظر التجوال بعد مغيب الشمس وتقنين المياه عن البلدة ومصادرة الإمدادات التي يتم تهريبها لجيوليانو. كما يصف روزي الأحداث التي تلت موت جيوليانو- كانت تلك البنية السردية غير الخطية علامة مميزة لأعمال سوليناس. ثم يقع جيوليانو ضحية خيانة مساعده غاسباريه بيسكيوتا (فرانك وولف) الذي يطلق النار عليه وهو في السرير، لكن السلطات ترتب المشهد في كاستيلفيترانو للإيحاء أن جيوليانو قتل في تبادل لإطلاق النار. وينتهي الفيلم عام ١٩٦٠ باغتيال بينيديتو ميناسولا المتعاون الذي باع بيسكيوتا للسلطات.

يضع فيلم «سالفاتوريه جيوليانو» وصف السينما للمتمردين على أنهم أبطال موضع تشكيك- فهل كانوا مقاتلين من أجل الحرية أم إنهم مجرد إرهابيين؟ تراوحت سردية الفيلم بين الأسلوب الوثائقي الذي يعتمد على اللقطات الإخبارية وأسلوب الحركة على طريقة الأفلام الحربية والأفلام الدرامية ذات الطبيعة القضائية وأفلام السير الذاتية. إذ يصف الفيلم المحاكمة التي عقدت في محكمة فيتيربو أسيزي (برئاسة القاضي سالفو راندونيه) لعصابة بيسكيوتا وجيوليانو على مذبحة بورتيلا ديلا جينيسترا سيئة الصيت التي وقعت في الأول من أيار ١٩٤٧ عندما فتحت العصابة النار على مهرجان شيوعي. وتصف مشاهد أخرى تحرش وسائل الإعلام بوالدة جيوليانو لدى حضورها للتعرف على جثة ابنها (المغمورة بمكعبات الجليد) والغارات التي كان مقاتلو الحرية يشنونها. صور روزي فيلمه في مواقع في صقلية في بلدتي مونتيليربيه وكاستيلفيترانو الحقيقيتين واستخدم سكان البلدتين كعناصر كومبارس. استطاعت عدسة جياني دي فينانزو باللونين الأبيض والأسود التقاط عظمة الأرض الصقلية- أشعة الشمس التي تغمر تلال الريف والشوارع ذات البياض الناصع- التي تتناقض مع الشخصيات الداكنة (المتمردين عادة) المزروعة وسط تلك التضاريس التي التقطتها الكاميرا المتحركة. ويعزز الاستخدام المقتصد للموسيقى طبيعة المقاربة الوثائقية التي اتبعها روزي. كانت موسيقى التيترات الافتتاحية التي كتبها بييرو بيتشيوني نذير شر وتميزت مقطوعاته اللاحقة بالكآبة نفسها: إيقاعات مارانزانو (آلة موسيقية صقلية فولكلورية) نافرة تزيد وقعها نغمات وترية وطبول جنائزية كما في المشهد الذي تلا مجزرة بورتيلا ديلا جينيسترا.

يستخدم روزي جيوليانو كرمز للتمرد كي يصف مقدار تغلغل روح الجريمة المنظمة في حركة التمرد الصقلية في الحقبة التي تلت الحرب: الأونوراتا سوشييتا (المافيا). لم يقدم الفيلم أية لقطة مقربة لوجه بييترو

كاماراتا بدور جيوليانو (على الرغم من أننا نرى صورة فوتوغرافية لجيوليانو الحقيقي)، بل يتم تصوير البطل من مسافات بعيدة، بمعطفه الأبيض الطويل المميز، وهو يقود رجاله في الجبال. لعب رجل الأعمال الخطرة برونو أوكمار دور جاسوس يتسلل إلى صفوف عصابة جيوليانو وينقل أسماء أعضائها إلى السلطات. أما النجم الاسمي للفيلم فهو فرانك وولف المولود في سان فرنسيسكو الذي عمل مع روجر كورمان قبل انتقاله إلى إيطاليا التي وصل فيها إلى مرتبة النجومية بفضل أفلام السباغيتي وسترن. بدأت سيرة فرانك وولف المهنية في إيطاليا مع روزي وانتهت بطريقة حزينة: ففي الوقت الذي خرج فيه فيلمه الكوميدي «عندما تفقد النساء حواشيهن» - Whem Women Lost Their Tails كان وولف قد انتحر بالفعل عام ١٩٧١. أما في فيلم «سالفاتوريه جيوليانو»، فيموت بيسكيوتا الخائن في السجن وهو يصرخ وينتفض بعد أن دس أنطونيو تيرانوفا، أحد رجال جيوليانو، السم له في الشاي- وهو الثمن الذي يدفعه المرء للخيانة.

أتبع روزي «سالفاتوريه جيوليانو» بفيلم «ارفعوا أيديكم عن المدينة» - Hands Over The City (١٩٦٣) الذي يلعب رود ستايغر فيه دور سياسي فاسد متورط في منظومة الفساد التي تهيمن على صناعة مقاولات البناء في مدينة نابولي. كما لعب جيان ماريا فولونتيه في فيلم «قضية ماتي» - The Mattei Affair (١٩٧٢) لروزي دور عملاق النفط العالمي إنريكو ماتي، رئيس الشركة العامة الإيطالية للنفط الذي مات نتيجة «حادث» طيران عام ١٩٦٢ - ويقول البعض إنه مات على يد المافيا على الرغم من أن لائحة أعداء ماتي كانت طويلة. أصبح فولونتيه الممثل الأبرز للسينما السياسية الإيطالية- كان يسارياً متحمساً- من خلال عمله مع روزي وآخرين ممن أرادوا استغلال صورته المهيمنة من أجل إيصال رسائلهم السياسية إلى الجمهور حول العالم. كما لعب فولونتيه دور الروائي المناهض للفاشية كارلو

ليفي في فيلم روزي «المسيح عرج على إيبولي»- Christ Stopped at Eboli (١٩٧٩) ودور عامل المصنع لولو في فيلم «الطبقة العاملة تذهب إلى النعيم»- The Working Class Goes to Heaven (١٩٧١- «لولو الأداة») لإيليو بيتري وبائع السمك بارتولوميو فانزيتي في فيلم «ساكو وفانزيتي»- Sacco And Vanzetti (١٩٧١) لجيوليانو مونتالدو الذي لقي استقبالاً حسناً والذي يتحدث عن القصة الحقيقية لمحاكمة رجلين قاما بالسطو على الرواتب في بريدجووتر ماساشوستس ثم إعدامهما. كما لعب ريكاردو كوتشيولا دور شريكه في التهمة نيكولا ساكو. ويبقى أداء جوان بايز لأغنية موريكونيه «قصة ساكو وفانزيتي» للذكرى.

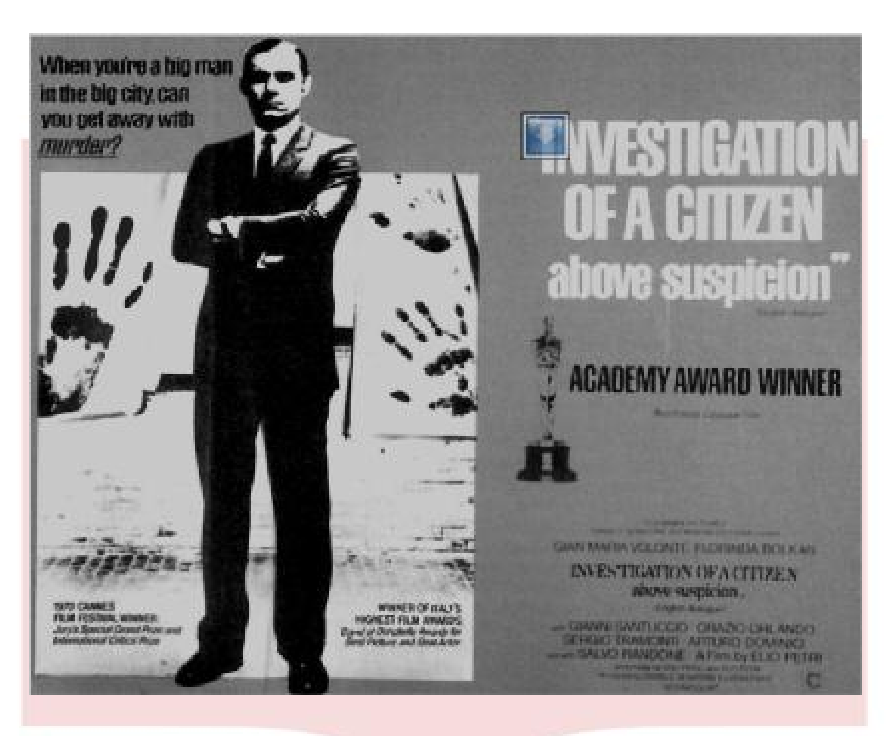
لعب فولونتيه، في فيلم «التحقيق حول مواطن فوق الشبهات»- Investigation of A Citizen Above Suspicion (١٩٧٠) لإيليو بيتري، دور عمره- فقد فاز بجائزة أفضل ممثل في حين فاز الفيلم نفسه بجائزة أفضل فيلم في سلسلة جوائز دافيد دي دوناتيلو، وهي المعادل الإيطالي لجوائز الأوسكار. تتم ترقية مفتش في الشرطة لا اسم له (فولونتيه)، يعمل رئيساً لقسم التحقيقات الجنائية في شرطة روما، كي يصبح رئيساً للاستخبارات السياسية. يقوم المفتش، في آخر يوم عمل له في قسم التحقيقات الجنائية، بقتل حبيبته أوغوستا تيرزي (فلوريندا بولكان) في شقتها الكائنة في شارع فيا ديل تيمبيو حين يجز عنقها بشفرة حلاقة إثر شجار نشب بينهما. كان المفتش الفاشي يعلم حق العلم أنه فوق مستوى الشبهات بل وفوق القانون نفسه. فعلى الرغم من الكم الكبير من الأدلة التي تشير إلى كونه الجاني، يمتنع زملاؤه السابقون عن القبض عليه، بل يوجهون تحقيقاتهم نحو زوج أوغوستا السابق. يستخدم المفتش مركزه لتوريط الثائر الفوضوي أنطونيو باشيه (سرجيو ترامونتي) الذي كانت أوغوستا قد بدأت معه علاقة عاطفية قبيل مقتلها. وفي نهاية المطاف، يعترف المفتش بجريمته ويجلس في منزله انتظاراً لمفوض الشرطة (جياني سانتوتشيو) وصحبه.

صنع بيتري فيلم «التحقيق حول مواطن فوق مستوى الشبهات» على خلفية الاضطرابات السياسية التي عرفتها روما في نهاية الستينيات- بالتظاهرات والتفجيرات التي كان طلاب راديكاليون ينفذونها- كما يشبه الفيلم من جهة أخرى أفلام الرعب، إذ كانت أجواء الفيلم الذهانية تعكس الحالة العقلية الهذيانية المضطربة للمفتش وتشبه معالجة بيتري للزمن الصور الحلمية في أفلام الرعب. حيث تصف مشاهد صورت بأسلوب الفلاش باك العلاقة الغريبة بين المفتش وأوغوستا التي تتجلى في ألعاب القتل التي يمارسانها. إذ يقوم المفتش بتصوير أوغوستا في سلسلة من الوضعيات الشنيعة التي تحاكي جرائم القتل الجنسية التي يحقق فيها. أما هي فتهزأ من عدم نضجه الجنسي وتبدأ علاقة مع أنطونيو. وعندما يهددها المفتش أوغوستا («يمكنني أن أقتلك»)، تجيبه ساخرة «ومن يستطيع القبض عليك، إذا كنت أنت نفسك من سيحقق؟». ويعبر الحصر الجنسي الذي يعيشه المفتش عن نفسه من خلال سخطه السياسي: ولذلك، يبدو اعتقاله لأنطونيو ورفاقه الراديكاليين ذا دوافع سياسية. إذ يؤمن المفتش أنه لا يوجد أي تمييز بين الأفعال السياسية والأفعال الإجرامية- لكن خطته ترتد عليه حين يرفض باشيه التعرف إلى المفتش بوصفه القاتل، لأنه قد يكون مفيداً أن تستخدم الابتزاز، في بعض الأحيان، كي تحصل على حليف من مستوى رئيس الاستخبارات السياسية «تضعه في جيبك». هكذا، بدت غاية المفتش في «إثبات حقيقة أني فوق مستوى الشبهات تماماً» أفضل في النظرية منها عند التطبيق.

يعيش المفتش نزوة أن رؤساءه لن يقبلوا العدد الكبير من الأدلة التي تشير إليه بإصبع الاتهام. فنراه «يرتب» حول شقة أوغستا أدلة واضحة يسهل على المحققين الجنائيين العثور عليها، بل إنه يعلق خيطاً من ربطة عنقه الزرقاء الحريرية في ظفرها ويطبع آثار أقدامه في الدم وينشر العشرات من

بصماته في مسرح الجريمة. لكن المفتش بيليا (أورازيو أورلاندو) كان الوحيد، بين زملائه، الذي راودته الشكوك بأن رئيسه السابق قد يكون مذنباً. لعب أرتورو دومينيشي دور مانياني، رئيس قسم التحقيقات الجنائية الجديد وفلوفيو غريمالدي دور صحفي يسرب المفتش الأخبار له. وقد فاز الفيلم، في نسخته الإيطالية الأصلية، بجائزة الأوسكار لأفضل فيلم ناطق بلغة أجنبية. تقول العبارة الترويجية للفيلم: «إذا كنت رجلاً كبيراً في مدينة كبيرة، فهل يمكنك الإفلات من جريمة قتل؟» خلقت الموسيقى التصويرية التي قدمها موريكونيه، والتي تتألف من لهاث ودقات ساعة - زادت وقعها أصوات وترية وأخرى نابضية ونغمات غريبة من ألحان الوسترن التي سبق وكتبها- بالإضافة إلى نغمات تشويق طليعية، بيئة غرائبية مميزة تتناسب مع أداء فولونتيه الغرائبي بالقدر نفسه.

يتمكن مفتش فولونتيه، في إحدى لحظات الفيلم، من إقناع بواب (سالفو راندونيه) بشراء اثنتي عشرة ربطة عنق زرقاء وأخذها إلى مقر قسم التحقيقات الجنائية، لكن عندما يكتشف البواب المركز الذي يحتله المفتش، ينكر معرفته به. هكذا يتحول «رجل بريء من الشارع» إلى أداة متممة لتنفيذ جريمة قتل وهي الفكرة التي طورها فيلم التشويق الروسي الإيطالي «خيانة»- Betrayed (١٩٧٩) الذي يتورط فيه سائق سيارة الأجرة أنطونيو موريو (جيانكارلو جياني)، من خلال حبه للنادلة ماريا (أورنيلا موتي)، في مؤامرة تعد لها خلية إرهابية لاغتيال الرئيس. والأشرار هنا هم الشرطة السرية في حين يسجن أنطونيو ويتعرض للتعذيب قبل أن ينجح في الفرار بسيارة مضادة للرصاص. يتميز فيلم «خيانة» بحبكة متقنة وببعض المفاجآت العبقرية وبموسيقى تصويرية مؤثرة كتبها أرماندو ترافاجولي. أما عقيدة المنظمة الإرهابية فهي «الحياة جميلة» وهو العنوان الأصلي للفيلم بنسخته الإيطالية (la Vita è Bella).



رجل ينبغي احترامه: ملصق باللغة الإنكليزية لفيلم إيليو بيتري الحائز على جائزة أوسكار «التحقيق حول مواطن فوق مستوى الشبهات» (١٩٧٠). لعب جيان ماريا فولونتيه دور رئيس قسم التحقيقات الجنائية في شرطة روما الذي يحاول الإفلات بجريمة قتل

يقدم فيلم السيرة الذاتية «لاكي لوشيانو»- Lucky Luciano (١٩٧٣) لفرنشيسكو روزي فولونتيه بدور رجل العصابات الصقلي سالفاتويه لوكانيا الملقب بتشارلز «لاكي» لوشيانو الذي أصبح، عام ١٩٣١، «زعيم الزعماء» بعد قتله أربعين من زعماء المافيا من الحرس القديم في عملية معروفة باسم «ليلة صلاة الغروب الصقلية». لم يتميز فيلم روزي ببنية سردية محكمة على نحو خاص وهو يركز بشكل رئيسي على المنفى الإجباري للوشيانو من الولايات المتحدة إلى نابولي وصولاً إلى وفاته بنوبة قلبية أثناء مقابلته في مطار نابولي كاتب سيناريو كان يعمل على كتابة فيلم عن قصة حياته. كما يعرض الفيلم محاولات عميل مكتب مكافحة المخدرات الأمريكي في روما

تشارلز سيراكوزا (سيراكوزا نفسه) للإيقاع بلوشيانو لتورطه بتجارة الهيروين الدولية. ظهر إدموند أوبريان في الفيلم بدور المفوض هاري ج. أنسلينجر، المحقق المتحمس في شؤون المافيا الذي كان حاضراً في مؤتمر دولي للأمم المتحدة حول تجارة المخدرات. كما ظهرت ماغدا كونوبا بشكل وجيز بدور كونتيسا تضاجع لوشيانو. ولعب رود ستايغر دور رجل العصابات المتبجح أوجينيو جيانيني المعروف باسم جين بيليغرينو الذي يحاول استثمار علاقته بلوشيانو كورقة تفاوض على إطلاق سراحه- قتل جيانيني فيما بعد بالرصاص وسط حاويات القمامة في نيويورك خارج نادي قمار غير شرعي. تم تصميم البيئة الزمنية التي تجري فيها الأحداث بإتقان وتم تصوير الفيلم في مواقع في نابولي وأطلال مدينة بومبيي ونيويورك وروما وصقلية- تم تصوير الوليمة السخية التي جمعت رجال مافيا أمريكيين بنظرائهم الإيطاليين في فندق ديليه بالميه في باليرمو (من فيلم «النمر» لفيسكونتي). أمطرت «ليلة صلاة الغروب الصقلية» (مونتاج لعدد من الاغتيالات بالغة القسوة بالمدافع الرشاشة) وغيرها من الجرائم المافيوية الدموية الفيلم بوابل من الرصاص. يكمن الجانب الأكثر إثارة في الفيلم في عرض روزي للمساعدة التي قدمتها المافيا لقوات الاحتلال الأمريكي عشية تحرير إيطاليا: ونذكر على وجه الخصوص الكولونيل الأمريكي المرتشي (فنسنت غارديينا) الذي يهرب السلع إلى السوق الإيطالية السوداء مقابل حصوله على سيارة باكارد صفراء تخطف الأبصار.

تمتع فيلم «أوراق فالاتشي» - Valachi Papers (١٩٧٢) لتيرانس يونغ، الذي يعرض نشاطات الكوزا نوسترا بطريقة أكثر بساطة، بنجاحات عالمية أكبر. لعب تشارلز برونسون بطولة الفيلم مجسداً شخصية المخبر النيويوركي جوزيف م. فالاتشي، وهو أحد القلائل من رجال العصابات الذين كسروا قانون الصمت. ففي عام ١٩٦٣، يوافق فالاتشي، الذي كان نزيل السجن، على الإدلاء بشهادته أمام اللجنة الفرعية الدائمة للتحقيقات المنبثقة عن مجلس

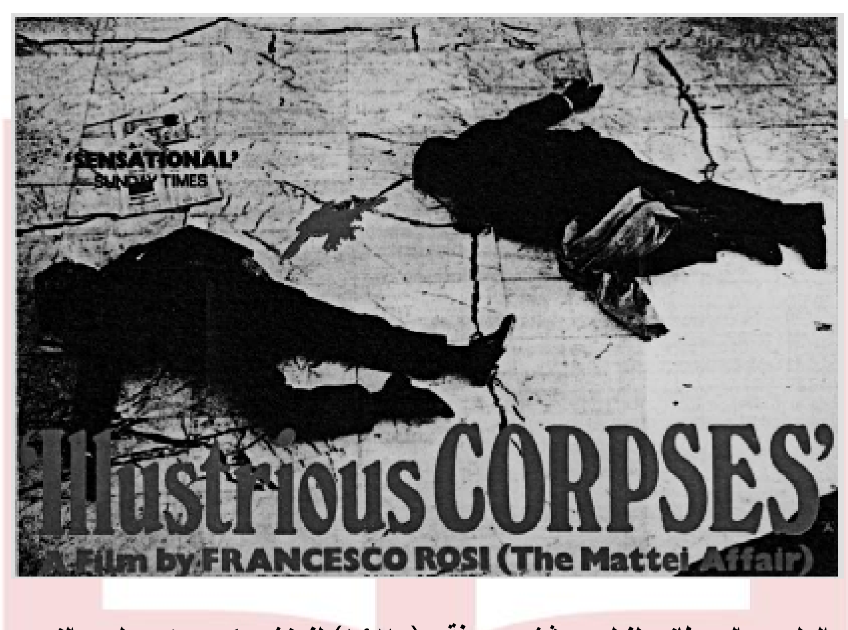
الشيوخ في جلسة متلفزة. وكان هدف فالاتشي الإيقاع برئيسه السابق، دون فيتو جينوفيزيه الذي يضع، بالمقابل، جائزة مقدارها مائة ألف دولار لمن يأتي برأس فالاتشي. لكن فالاتشي توفي في السجن بصورة طبيعية عام ١٩٧١ بعد ستة أشهر من وفاة جينوفيزيه.

تم تنفيذ الفيلم، الذي أنتجه دينو دي لورينتيس، والمقتبس من رواية لبيتر ماس بالاسم نفسه كانت من بين الكتب الأفضل مبيعاً في الولايات المتحدة، بأسلوب الفلاش باك، حيث يروي فالاتشي سيرته الإجرامية لعميل خاص من مكتب التحقيقات الفيدرالي اسمه رايان (جيرالد أولوفلين). فقد بدأ فالاتشي حياته عام ١٩٢٩ كمجرم صغير يعمل سائقاً لدى «زعيم الزعماء» سالفاتوريه مارانزانو (جوزيف وايزمان). لعب لينو فنتورا دور جينوفيزيه وفاوستو توتسي دور القاتل متقلب الأطوار ألبرت أناستازيا، كبير قتلة «نقابة الجريمة» وأليساندرو سبيرلي دور جيوسيببيه ماسيريا («جو الزعيم») وأنجيلو أنفانتي دور لاكي لوشيانو («تشارلي لاك»). كما ظهر أنطوني داوسون بدور عميل لمكافحة المخدرات في مكتب التحقيقات الفيديرالي وفرانكو بوريلي بدور قاتل مأجور («وغد من شيكاغو») وغيدو ليونتيني ووالتر كياري بدور رجلي العصابات طوني بندر ودومينيك «الثغرة» بيتريلي. لعبت جيل أيرلند (زوجة برونسون) دور ماريا، زوجة فالاتشي، وجيسون مكالوم دور ابنه دونالد. أغرق يونغ الفيلم بالكثير من العنف السادي الذي أرضى بالتأكيد عشاق برونسون- جرائم قتل بالرصاص، ودهس بالسيارات وخنق وطعن بالإضافة إلى حادثة خصي واحدة (لا يزال الفيلم المتوفر في المملكة المتحدة على شرائط فيديو مصنفاً على أنه للبالغين). صور فيلم «أوراق فالاتشي» في مواقع في نيويورك (تظهر بعض السيارات الحديثة في خلفية الشاشة في عدد من المشاهد التي صورت في الشارع) وفي استديوهات دي لورينتيس في روما. وعلى

الرغم من أن برونسون كان من كبار نجوم شباك التذاكر في العالم، إلا أن فيلم «أوراق فالاتشي» كان أول نجاح كبير له في الولايات المتحدة التي أطلق الفيلم فيها صبيحة ظهور فيلم «العراب».

أتبع فرنشيسكو روزي «لاكي لوشيانو» بفيلم «جثث معروفة»- Illustrious Corpses (١٩٧٥) الذي يعتبر بحق تحفة روزي الفنية. يحقق المفتش أميريغو روغاس (لينو فنتورا) بجرائم اغتيال قضاة معروفين قتلوا جميعاً بالبندقية نفسها ذات العيار ٢٢. إذ يقتل المدعي العام فارغا في الشارع بعد زيارة له لسرادق للموتى ويتم العثور على جثة القاضي سانزا (فرنشيسكو كالاري) ممددة على جانب الطريق السريع كما يتم اغتيال كبير القضاة كالامو في المصرف الوطني. تراود الشكوك روغاس في أن هذه الجرائم هي جزء من عملية ثأر تلت حكماً قضائياً سيئاً. يقابل روغاس بائعاً جوالاً (مارسيل بوتسوفي) وميكانيكياً مثلياً (ماريو مينيكوني)، والرجلان أدانهما القضاء ظلماً، لكنه يخفق في تحديد مكان كريس، الكيميائي، فيشك في كونه متورطاً بالجرائم. ثم يقتل القاضي راستو (ألان كوني) رمياً الرصاص في منزله ويقتل القاضي بيرو في الشارع- تشهد مومس (تينا أومونت) أنها رأت سيارة مرسيدس بيضاء بلوحات سويسرية في مكان الجريمة. يشجع رؤساء روغاس المفتش على محاولة العثور على دوافع سياسية للجرائم- كانت مظاهرات الحزب الشيوعي تعم المدينة. لكن روغاس يبدأ بالتشكيك بنظرية «القناص» عندما يكتشف أن رئيس الشرطة (تينو كارارو) يكذب عليه وأنه قد تم تعيين الجنرال دي سارميينتو (كلاوديو نيكاسترو) قائداً للقوات المسلحة. يقتل رئيس مجلس القضاء ريشيه (ماكس فو سيدو) ويوضع هاتف روغاس تحت التنصت الأمر الذي يضطره إلى النوم في سيارته. يكتشف روغاس، في نهاية المطاف، أن الحكومة تخطط لانقلاب، أو على الأقل لرد عسكري على الشيوعيين الذين يتظاهرون لإعادة الأوضاع السياسية إلى ما كانت عليه («استراتيجية التوتر») باستخدام جرائم قتل القضاة كحجة.

اقتبس فيلم «جثث معروفة» من رواية لليوناردو سياسيا (١٩٧١) بعنوان «الصراع»- Il Contesto (ترجمت الرواية إلى الإنكليزية تحت عنوان «خطر معادل»). والفيلم هو مزيج من فيلم بوليسي مثير وفيلم سياسي. إذ يبدأ الفيلم على طريقة «هاري القذر»- بقناص يختار أهدافه- ثم يدخل مشاهديه شيئاً فشيئاً في أجواء تحقيقات روغاس ممرراً رسالة روزي السياسية خلسة كرصاصة القناص. زعم روزي أن الفيلم «رواية تشويق فلسفية وسياسية كان يمكن لأحداثها أن تقع في إنكلترا، لكن ربما تكون إيطاليا مكاناً أنسب لها». صور روزي فيلمه في مواقع في أغريجنتو وباليرمو في صقلية وفي روما ونابولي في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات شينيشيتا. قدم بييرو بيتشيوني للفيلم موسيقى تصويرية مناسبة لأجوائه امتزج فيها صوت الرياح بالألحان التقليدية (موسيقى تانغو بعنوان «جان وبول» لأستور بياتسولا ومارش جنائزي حزين). قليلة هي الأفلام السياسية التي تعادل في جمالها فيلم «جثث معروفة»، من شوارع صقلية المغبرة إلى عمارة روما العظيمة. نفذ أندريا كريستاني عمليات الإدارة الفنية وصمم إنريكو ساباتيني الأزياء ونفذ باسكواليه دي سانتيس التصوير السينمائي. لعب ريناتو سالفاتوري دور خبير تنصت يساعد روغاس وفرناندو راي دور وزير العدل المتآمر الذي يسرف في الشرب في مقر أحد الأحزاب اليسارية برفقة ملك الشحن البحري الثري باتوس (ألكسندر منوتشكين) وممثل الحزب غالانو (باولو غرازيوسي). اختار روزي بذكاء فنتورا، البطل السلبي في العديد من الأفلام البوليسية الفرنسية، للعب شخصية روغاس. إذ يرتدي فنتورا ملابسه بالأسلوب نفسه الذي ظهر فيه بدور المفتش الماكر لوغوف في فيلم «القبيلة الصقلية»- The Sicilian Clan (١٩٦٩)، وهو فيلم مافيا سياسية حقق نجاحاً تجارياً كبيراً وشارك في بطولته ألان ديلون وجان غابان. هكذا حضر فنتورا في فيلم «جثث معروفة» جالباً معه أجواء النجومية التي توحي بها أفلام كفيلم «القبيلة الصقلية» الأمر الذي ساعد الفيلم على تحقيق قبول عالمي واسع حتى في أوساط المتفرجين الذين لا تعني لهم السياسة الإيطالية شيئاً فوجدوا أنفسهم يتماهون مع الشخصية العنيدة التي قدمها فنتورا.



الملصق البريطاني لفيلم «جثث معروفة» (١٩٧٥) لفرنشيسكو روزي. لعب النجم لينو فينتورا في الفيلم دور المفتش أميريغو روغاس الذي يطارد قناصاً يستهدف أعضاء بارزين في الجسم القضائي

حقق فيلم «جثث معروفة» نجاحاً مبهراً في إيطاليا وأثارت الموضوعات التي طرحها الكثير من الجدل. كما حفل الفيلم بلحظات غريبة- كالجنازة الرسمية للقاضي فارغا بعربة النعش التي تجرها ثمانية جياد سوداء، وروغاس الذي تنتابه حالة من الرعب ويبدأ بالتدخين دون انقطاع وهو يسمع هدير الدبابات المشؤوم يقطع سكون ليل المدينة، والكلب الذي يرشد رجلاً ضريراً وقد زرع في طوقه جهاز تنصت للاستماع إلى ما يقوله بورغاس في الحديقة العامة. لكن مشهد الفيلم الافتتاحي كان الأكثر تأثيراً حين نرى تشارلز فانيل (فارغا) بوجهه الذي تملؤه الغضون يحدق في صف من الهياكل العظمية والمومياءات المعروضة في سرادق دير الآباء الكبوشيين في باليرمو، فيلاحظ راهب كبوشي (إنريكو روغوسا) أن فارغا «قادر على جعل الأموات يبوحون بأسرار الأحياء». ثم يخرج فارغا إلى الطريق المشمس ليموت وأظافره تقبض على أزهار الياسمين التي كان قد قطفها لتوه.

لعب لويجي بيستيلي دور كوساني صديق روغاس، وهو صحفي شيوعي يقول لروغاس ذات مرة: «مقتل قاض واحد هو شأن شرطي، أما أن يقتل أربعة قضاة، فالمسألة سياسية». يرتب كوساني لقاء بين روغاس والقائد الشيوعي أمار (جيورجيو زامبا) في المعرض الوطني، لكن الاثنين يقتلان بالرصاص. يعرض روزي مشهد هذه الجريمة بالحركة البطيئة من وجهة نظر القاتل في حين تصنع الرصاصات ثقبين في زجاج نافذة. ثم يوضع مسدس في يد روغاس ويتم الإعلان أن روغاس، الذي صارت حالته العقلية مضطربة بفعل الضغوط النفسية التي تعرض لها نتيجة التحقيق الطويل، قد أطلق النار على أمار قبل أن يقتل نفسه ويقرر كوساني وخليفة أمار (لعب دوره المخرج السينمائي فلوريستانو فانشيني) أن «الحقيقة ليست ثورية على الدوام» ويمتنعان عن الكشف عما حصل حقاً في حينلا تبدأ الدبابات المنتشرة في الشوارع في مهاجمة المتظاهرين. هكذا، يمكن لكريس أن يكون الشخص الذي أطلق سلسلة جرائم القتل بحق القضاة، إلا أن الحكومة صعدت هذه الجرائم لمآرب سياسية. فالمسألة لا تتعلق، إذن، بتحديد الشخص الذي ضغطت سبابته على الزناد طالما أنه أطلق النار على «الأشخاص المناسبين»- من وجهة نظر الحزب الحاكم على الأقل.

الفصل العاشر

المهمة غير المستحيلة

أفلام الحرب العالمية الثانية

عرفت الأفلام الحربية الإيطالية (المعروفة باسم أفلام «معكرونة الحرب»)، المستوحاة من النجاحات التي حققتها أفلام هوليوودية مثل «الدزينة القذرة» (الفيلم الذي حقق أعلى العائدات عام ١٩٦٧) و«طبرق» (١٩٦٧)، شعبية كبيرة بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧١. يقدم فيلم «الدزينة القذرة» - Dirty Dozen تشارلز برونسون وتيلي سافالاس وجيم براون وجون كاسافيتيس بدور سجناء محكومين بالإعدام يعرض عليهم العفو مقابل اضطلاعهم بمهمة قتل ضباط نازيين مقيمين في أحد قصور مقاطعة بريتاني الفرنسية. أما «طبرق» - Tobruk (بطولة روك هدسون وجورج بيبارد)، فيرسل حلفاءه في مهمة لتدمير مستودعات محروقات وتحصينات في شمال أفريقيا. كما مارس فيلم «الغزو السري» - The Secret Invasion (١٩٦٤) المثير الذي صور في يوغسلافيا تأثيراً كبيراً. يقود الميجور البريطاني ستيوارت غرينجر فريقاً من المحكومين السابقين في عملية لتحرير الجنرال الإيطالي كوادري (إنزو فييرمونتيه) من معقل النازيين في دوبروفنيك، بمساعدة الأنصار البلقانيين. وصور فيلم كل النجوم «قطار فون رايان السريع» - Von Ryan's Express (١٩٦٥) في إيطاليا على السكة الحديدية الواصلة بين كابرانيكا وفيتيربو.

ونشاهد في الفيلم فرانك سيناترا وتريفور هوارد مع أربعمائة من أسرى الحرب البريطانيين والأمريكيين يشقون طريقهم وسط إيطاليا المحتلة على متن قطار مسروق. لعب سرجيو فانتوني دور ضابط إيطالي متعاطف وويليام برغر دور عميل الغستابو الشيطاني وأدولفو شيلي دور قائد معسكر الاعتقال ورجل الأعمال الخطرة ريمو دي أنجيليس دور وقاد القطار.

جرذان الصحراء: شمال أفريقيا

اقتصر الخلاف الرئيسي بين أفلام «المهمات المستحيلة» الإيطالية على الغاية من المهمة ومسرح الحرب والخبراء الذين يشكلون المجموعة، وهي عناصر كانت الموارد المالية المخصصة للفيلم تلعب دوراً كبيراً في اختيارها. يقود الكابتن فريتز شولر (كين كلارك)، في فيلم «كوماندوس الصحراء» - Desert Commandos (١٩٦٧) لأومبرتو لينزي، فريقاً من أربعة رجال من القوات الخاصة الألمانية في مهمة لاغتيال الثلاثة الكبار - تشرشل وستالين وروزفلت - المجتمعين وسط إجراءات أمنية مشددة في الدار البيضاء عام ١٩٤٣. يتم إنزال الوحدة بالمظلات في الصحراء ويتنكر أفرادها - الملازم فولف (هورست فرانك)، الرقيب هوبر (كارلو هينترمان)، فيلي ماينز (هوارد روس) والعريف لودفيغ (هاردي ريشلت) - بأزياء كوماندوس حليف ويتجهون نحو واحة كان مقرراً بحسب الخطة أن يلتقوا فيها بعنصر الارتباط المغربي فاديا حسن (جان فاليري) ويأخذون مالكة حانة فرنسية اسمها سيمون (فابيين دالي) رهينة. لكنهم يكتشفون لدى وصولهم إلى الدار البيضاء أن فاديا كانت عميلاً مزدوجاً. يتنصت شولر وهوبر على تشرشل ويتسللان إلى غرفته في الفندق لكي يكتشفا أن الصوت الذي كانا يسمعانه لم يكن سوى غراموفون يعرض تسجيلاً لأحد خطابات رئيس الوزراء البريطاني في حين كانت لجنة استقبال من الشرطة العسكرية في انتظارهم في الداخل. ساهم ألبرتو

غريمالدي من شركة بيا في إنتاج الفيلم الذي تم تصويره في شمال أفريقيا وجعلته حبكته المثيرة واحداً من أفضل أفلام لينزي. لعب جياني ريتسو دور بيرييه، عنصر ارتباط وحدة الكوماندوس في القصبة في حين بدا نجم الجاسوسية كلارك مرتاحاً تماماً في أداء دوره العامر بالحركة. قدم فرانك أداء جيداً بدور فولف، الألماني المرغم على القتال من أجل قضية لا يؤمن بها ومن أجل مخرج لا يأبه لأمره. قدم أنجيلو فرنشيسكو لافانينو للفيلم موسيقى تصويرية ذات نكهة أفريقية. وقد ضمن لينزي فيلمه بعض الكليشيهات الدرامية الصحراوية المنتظرة: يكافح فريق القوات الخاصة للخروج من حقل ألغام، في حين لم يكن لدى الصحراء ما تقدمه سوى العواصف الرملية والهياكل العظمية التي ألهبتها أشعة الشمس والخرائب التي تذروها الريح والأسوار الجافة والعقارب ورجال الطوارق المرعبين الذين يمتطون الجمال.

كان فيلم «الكوماندوس»- Commandos (١٩٦٨) لأرماندو كريسبينو، من الأفلام الحربية الإيطالية القليلة التي تقدم مقاتلين إيطاليين. يلعب لي فان كليف في الفيلم دور الرقيب الأمريكي البارع سوليفان الذي يعمل في القوات الخاصة والذي يقود وحدته ضابط قليل الخبرة هو الكابتن فالي (جاك كيلي). تسند إلى وحدة سوليفان تنفيذ «عملية المشعل» في تشرين الأول ١٩٤٢، صبيحة الإنزال الأمريكي في شمال أفريقيا، التي تهدف إلى الاستيلاء على معقل القوات الإيطالية، في إحدى الواحات، المزود بمحطة لضخ المياه. يتم إنزال الوحدة بالمظلات في الصحراء ويتنكر أفرادها بأزياء جنود إيطاليين ويستولون على خزان المياه ويأسرون الحامية الإيطالية. غير أنه يتناهى إلى علم القوات المغيرة أن عملية المشعل قد ألغيت ويقوم القائد الإيطالي توماسيني (مارينو مازيه) بتحذير وحدة المدرعات الألمانية القريبة التابعة لجيش الصحراء.

صور الفيلم بين شهري تموز وآب ١٩٦٨ في سردينيا وصورت المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس. قدم فان كليف أداء رائعاً بدور جندي القوات الخاصة المضطرب الذي يعيش حالة مرارة دائمة. إذ يعاني سوليفان من ذكريات مؤلمة تعود إلى الأيام التي أمضاها في باتان حين أباد اليابانيون وحدته. لعب جيامبييرو ألبيرتيني وورومانو بوبو، بديل فان كليف، دور رجلي القوات الخاصة ألدو ودينو - ممثلان إيطاليان يؤديان دور جنديين أمريكيين وهما يؤديان دور جنديين إيطاليين. كما قدم الفيلم جنوداً ألماناً أشداء كان منهم غوتز جورج ويواكيم فوخسبرغر اللذان أديا دور جنديين ألمانيين. قدم ماريو ناسيمبينيه موسيقى تصويرية ملحمية أضفت على الفيلم قيمة مضافة. يفر الأسرى الإيطاليون، في ذروة الفيلم العامرة بالحركة، على متن سيارة نقل لكنهم يقتلون في حقل ألغام. أما عناصر الكوماندوس الأمريكي فيشقون طريقهم في طريق العودة إلى قواتهم وسط معركة عنيفة مع المدرعات الألمانية يستخدم سوليفان فيها سلاح بازوكا وتباد وحدته عن بكرة أبيها. أما الناجيان الوحيدان من تلك المعركة، وهما ألماني وأمريكي، فيعقدان هدنة وسط حطام يعمه الدم والنفط والدخان.

ويذكر من أفلام شمال أفريقيا الإيطالية الأخرى فيلم «معركة الصحراء» - Desert Battle (١٩٦٩ - «هجوم الصحراء» أو كذلك «معركة في الصحراء») لمينو لوي الذي شارك فيه روبرت حسين وجورج هيلتون وفرانك وولف و«أبطال بلا مجد» - Heroes Without Glory (١٩٧١) الذي يتصارع فيه الميجور البريطاني الصارم بريغز (إيساركو رافايولي) مع الملازم الأمريكي بيلينغز (جيف كاميرون) أثناء مهمة لتدمير مستودعات وقود تابعة لقوات المحور - ينصرف اهتمام الرجلين إلى خريطة كنز وقبور الفراعنة القدماء. ويقحم فيلم «نمور الصحراء» - Desert Tigers (١٩٧٧) الرجلين مفتولي العضلات غوردون ميتشيل وريتشارد هاريسون في غارة على مستودع وقود في شمال أفريقيا.



ألعاب الحرب: الملازم كليم هوفمان (جون غاركو) يحاول سرقة «الخطة ك» من الكولونيل هانس مولر من قوات إس إس (كلاوس كينسكي) في الفيلم المثير «خمسة للجحيم» (١٩٦٩) لجيانفرانكو باروليني المشتق من فيلم «الدزينة القذرة». الصورة لملصق شريط الفيديو الموزع في بريطانيا

يا له من فتى!: حرب ماديسون

إذا كان لهذا الجنس السينمائي أن يتمتع بعلامة فارقة، فلا يمكن لهذه العلامة الفارقة أن تكون سوى غاي ماديسون الذي أدى سلسلة سريعة من أفلام الحرب الإيطالية- وكأنه كان يعيش هاجس اللحظة التي سوف يخبو فيها نجم هذه الموجة. هكذا جال المخرجون الإيطاليون بماديسون في كافة مسارح المعارك تقريباً في أفلام حققت نتائج متفاوتة. أنتج فيلم «جحيم في النورماندي»- Hell in Normandy (١٩٦٨) بميزانية صغيرة للغاية وأخرجه رجل بارع يصعب إيفاء موهبته حقها يدعى ألفونسو بريسكيا. تدور أحداث الفيلم على شاطئ أوماها في النورماندي في الأيام الأخيرة من شهر أيار ١٩٤٤ عندما يتقمص الملازم ستروبيل (بيتر لي لورنس)، وهو ممثل سابق، شخصية ضابط ألماني كي يتسلل إلى ملجأ ألماني حصين تحت الأرض. كان الشاطئ، وهو جزء من الجدار الغربي للملجأ، مزروعاً بعدد كبير من الألغام بالإضافة إلى وجود نظام دفاعي متقدم مصمم لضخ البنزين في البحر عند الحاجة محيلاً إياه جداراً من نار. يقود الكابتن جاك مورفي (غاي ماديسون) فرقة كوماندوس أمريكية في «عملية غامبيت» التي تهدف إلى تدمير الملجأ. وعلى الرغم من أن تجهيزات رجال الكوماندوس لم تكن كافية وأن العملية برمتها قد ألغيت بسبب الأحوال الجوية، إلا أنهم يقررون المضي فيها قدماً فيلتقون بستروبيل في النقطة المحددة ويهاجمون الملجأ في صبيحة يوم الإنزال الكبير. صور ملجأ أوماها في رأس أنزيو الواقع على شاطئ تور كالدارا في حين يتدرب رجال مورفي على مهاجمة الملجأ باستخدام «نسخة طبق الأصل»- كانت طبق الأصل إلى درجة أنها كانت واقعة في شاطئ تور كالدارا نفسه. ارتدت دينيز (إيريكا بلان)، وهي من عناصر المقاومة الفرنسية وتم تعيينها كعنصر ارتباط، بيريه ووشاحاً وحملت مدفعاً رشاشاً وقد بدت وكأنها خرجت لتوها من قصة «بوني وكلايد».

وصور جوزيه مورينو فيلمين حربيين لعب بطولتهما غاي ماديسون و«ستان كوبر»/ ستيلفيو روسي في استديوهات YSA في ميلانو والمشاهد الخارجية في مواقع بالقرب من مدريد. يحاول الضابط الأمريكي لوفتي (ماديسون)، في فيلم «معركة البانتزر الأخيرة»- The Battle of The Last Panzer (١٩٦٨)، اصطياد دبابة بانتزر ٧١ يقودها الملازم الألماني هنتر (كوبر) في فرنسا، لم تشبه فرنسا، في حقبة ما بعد إنزال النورماندي. صور الفيلم في تلال غوادالاخارا وفي كاستيلا لامانشا وفي نهر ألبيرش. يأخذ الألمان، في بلدة فيلبوا الفرنسية المنكوبة (بلدة الغرب الأمريكي نفسها في كولمينار فييخو)، ثلاثة من سكانها أسرى ويحاولون تجنب فرقة أنصار ذوي ملامح إسبانية بقيادة رينيه (شقي أفلام السباغيتي وسترن ريكاردو بالاسيوس). يفتتح الفيلم بكمين محكم نصبته القوات الأمريكية لمجموعة من دبابات البانتزر الألمانية وكانت خاتمة الفيلم مثيرة بدورها. إذ يموه الجنود الأمريكيون دبابة كي تبدو بانتزر ٧١ ويخترقون خط الجبهة الألماني في حين لجأت دبابة البانتزر ٧١ الحقيقية للمناورة نفسها: لكن الجنود الألمان يطلقون النار عن طريق الخطأ على الملازم هنتر وكل ظنهم أنه أمريكي محتال.

ويقود الميجور كارتر (ماديسون)، في فيلم «كوماندوس الجحيم»- Hell Commandos (١٩٦٩)، مجموعة من جنود المارينز الأمريكيين المتنكرين بأزياء ألمانية لتحرير البروفسور فان كولستروم (ألفريدو مايو) وابنته سارة (رافاييلا كارا) من قبضة جنود الإس إس- بقيادة الكولونيل كراوتزفيلد (بييرو لولي)- من فيلا حصينة في بلدة ترونيغر الألمانية عام ١٩٤٥. وكان هتلر قد أمر البروفسور بتطوير سلاح جرثومي يصيب من يتعرض له بالعمى. يقوم جنود مارينز أمريكيون بقيادة الرقيب أرثر نولان (ستان كوبر) بقتل رجال كارتر عن طريق الخطأ، فيقنعهم كارتر بالقيام بالمهمة التي كانت موكلة للجنود القتلى. ولتبرير نقص الميزانية اللازمة لتزويد الفيلا بالعدد اللازم لحراستها من جنود الإس إس، تتم حماية الفيلا

بأسلحة رشاشة مؤتمتة وبعدد من الكلاب كما أن بوابة الفيلا وأسوارها مكهربة بتيار شدته عشرة آلاف فولت. أما مجموعة نولان، فتتضمن رامي خناجر على شاكلة شايين يدعى جيرونيمو لايتكلاود. ينتهي الفيلم بخاتمة عدمية (لم ينج منها أحد تقريباً) يقوم الجنود الأمريكيون فيها بإلقاء المادة السامة في مياه الشرب التي تصل إلى الفيلا فيموت الألمان ميتة مروعة. ثم يحرر الكولونيل كلاب الإس إس الألزاسية، فيرمي كارتر إصبع ديناميت تلتقطه الكلاب المطيعة كما هو عهدنا بها وتعود به إلى الكولونيل الذي يتحول إلى أشلاء.

يفتتح فيلم «شياطين الحرب»- The War Devils (١٩٦٩) لبيتو ألبرتيني عام ١٩٤٣ في تونس حيث يقوم مظليون أمريكيون بقيادة الكابتن جورج فنسنت (ماديسون) بعملية الشيطان الأحمر الهادفة لنسف مربض مدفعية لقوات المحور بمساعدة الشيخ فيصل (راف بالداساريه). وأثناء اشتباك لاحق، يقع فنسنت وجنوده أسرى الكابتن هينتيش مينيكه (فينانتينو فينانتيني الذي يحمل في تيترات الفيلم اسم فان تيني). يفلت فنسنت من الأسر كي يجد نفسه من جديد، في فرنسا، في مواجهة مينيكه، بعد مضي عام على مواجهتهما الأولى. إذ يقع الكولونيل جيمس ستيل (أنطوني ستيل)، وهو خبير بريطاني في تشغيل سلاح سري، في أسر مينيكه، فيتم إرسال فنسنت وجوالته الأمريكيون لإنقاذه. يقدم فيلم «شياطين الحرب» بعض معارك الدبابات المقنعة التي تتناقض فيها أجواء شمال أفريقيا القائظة مع أجواء فرنسا الثلجية. ضم طاقم الممثلين المساعدين في الفيلم الممثلة الفرنسية الصغيرة باسكال بيتي بدور مقاومة فرنسية اسمها جانين روش تعمل عنصر ارتباط مع الأمريكيين. كما يظهر جون أيرلند كضيف شرف بدور الكابتن الأمريكي جينينغز ورجال الأعمال الخطرة فرانك برانيا وجيوسيبيه كاستيلانو وفيديريكو بويدو وماسيمو ريغي وجوليو بيريز تابيرنو بدور جنود أمريكيين وألمان.

كان فيلم «مكان في الجحيم»- A Place in Hell (١٩٦٩- «هجوم الكوماندوس»)، الذي أخرجه جيوسيبيه فاري، فيلم مغامرات أدغال سال فيه العرق بغزارة تدور أحداثه في الفيليبين. يفر الميجور ماك غرايفز (ماديسون)، وهو صحفي أمريكي حائز على جائزة بوليتزر ومدمن على الكحول من مانيلا بصحبة مضيفة في أحد أندية الجاز تدعى بتسي وجندي مارينز أمريكي إيطالي يدعى ماريو بيتريلو (موريس بولي)، ويصلون إلى قاعدة المارينز في لوبانغ كي يجدوا الحامية وقد أبيدت عن بكرة أبيها. يلتقي الثلاثة بستة من جنود المارينز الناجين واثنين من الثوار الفيليبينيين وضابط بحري بريطاني ويعزمون جميعاً على نسف محطة راديو أمريكية اختبارية تم الاستيلاء عليها في سوريغاو. تم تصوير مناظر مانيلا الداخلية في استديوهات تيرينيا ويعتمد الفيلم لخلق أجواء التوتر، كلياً تقريباً، على أشراك يتم نصبها بين الأشجار يتخللها الكثير من السير في الأدغال. لعب فابيو تيستي دور جندي مارينز وليليا نايونغ دور المتمردة الفيليبينية إيسبيرانزا. أما هيلين شانيل- بدور الشقراء المثيرة بتسي التي ترتدي ثوباً لافتاً دون ظهر تماماً وبلا صدر تقريباً- فتبدو متقدمة على زمن الفيلم عشرين عاماً تقريباً. ويعوض الفيلم عن نقص عناصر الكومبارس اليابانيين بالكثير من مشاهد الحركة التي تجري في أجواء ليلية أو وسط أدغال كثيفة. أما موسيقى بريغاديو التي تبدو متطفلة على أجواء الفيلم، فهي مزيج من المارشات العسكرية والموسيقى العاطفية مع أغنية مقدمة ذات طابع وطني أدتها فرقة فولكستوديو سينغرز.

فريديريك الأكبر: المجهود الحربي لستافورد

كان المنافس الرئيسي لماديسون في الأفلام الحربية ممثل نمساوي يدعى فريديريك ساتفورد (اسمه الحقيقي فريديريش شتروبل فون شتاين) الذي لعب في أفلام الجاسوسية دور العميل OSS 117 والعميل 505 وكان الممثل الرئيسي في فيلم «توباز»- Topaz (١٩٦٩) لهتشكوك. كان فيلم «الأبطال القذرون»-

The Dirty Heroes (١٩٦٩)، الذي أنتجه إدموندو أماتي وأخرجه ألبرتو دي مارتينو، أكثر الأفلام الحربية مشاهدة في الستينيات. تدور أحداث الفيلم في هولندا في الأيام الأخيرة للحرب ويروي قصة عصابة من محتالي شيكاغو يتحدون مع مجرمين هولنديين لسرقة ماس موجود في مقر قيادة الجيش الألماني في أمستردام. كان من بين اللصوص سارق الخزنات جو مورتيمر، المعروف باسم افتح يا سمسم (ستافورد) والنقيب في سلاح الجو الأمريكي أوكونور المعروف باسم المحامي (جون أيرلند) وزميل سمسم الفار من معسكر أسرى الحرب راندال (ريناتو روسيني) والرقيب الألماني رودولف بتروفسكي (ميشيل كونستانتين) والأنصار الهولنديون مارتا فان ستاتن (فايدا نيكولز) ولوك رولمان «ثعلب أمستردام» (أدولفو شيلي). تبتز العصابة كريستينا فون كيست (دانييلا بيانكي)، زوجة القائد الألماني الجنرال إيدوين فون كيست (كورد يورغنز)، كي تساعدهم. إذ كانت كريستينا في الواقع يهودية اسمها هانا غولدشميدت أخفت هويتها عن زوجها كي تتجنب معسكرات الموت. يخطط سمسم ورفاقه للاحتفاظ بالماس لأنفسهم لكن جنرال الإس إس الألماني ذا الضمير المعدوم هاسلر (هلموت شنايدر) كان مصمماً على الإيقاع بهم.

سارت قصة الفيلم المتقنة- تم تصويرها في إيطاليا وهولندا وسط القنوات المائية والطواحين والسدود- على إيقاع جنوني وأمسك دي مارتينو مفاصل القصة برباطة جأش وتلقى الفيلم المزيد من الطاقة من موسيقى تصويرية كتبها إينيو موريكونيه وبرونو نيكولاي يتناقض فيها المارش الافتتاحي الذي يتميز بأصوات الكورس المنذرة مع مقطوعات الحب الرقيقة التي تعزف لسمسم وكريستينا. تنتهي عملية السطو المتقنة على معقل فون كيست بفرار اللصوص على متن زورق قطر ويجد في إثرهم هاسلر ورجاله على متن طراد نهري ثقيل التسليح. تدور في الفيلم معركة حامية بين المدرعات الألمانية والمظليين الأمريكيين (صورت في كالدارا دي مانزيانا في لاتسيو) وسط الملاجئ المحصنة بأكياس الرمل والخنادق والأسلاك الشائكة وحطام الطائرات. تتضمن عملية سرقة الماس مشهداً يقود فيه سمسم ورولمان وراندال سيارتهم باتجاه

الألمان على طريقة عصابات شيكاغو قبل أن ينعطفوا بها فجأة باتجاه القناة ويغوصوا حتى قعرها وهم يرتدون ملابس الغطس. أما نهاية الفيلم حيث تحاول العصابة تهريب الماس من هولندا في نعش أحد أبطال الحرب، فتبدو انتهازية. والواقع أن فيلم «الأبطال القذرون» كان سابقاً لفيلم «أبطال كيلي» لكلينت إيستوود بعامين وكان واضحاً أنه كان أحد مصادر إلهامه، من حيث أن الأعمال التي تبدو بطولية في ظاهرها تخفي وراءها غايات أنانية.

صورت المناظر الداخلية لفيلم «معركة العلمين»- The Battle of El Alamein (١٩٦٨) الذي أخرجه جيورجيو فيروني في استديوهات شينيشيتا وقدم الموسيقى التصويرية فيه كارلو روستيكيلي. يركز الفيلم على المساهمة الإيطالية في المعركتين اللتين شهدتهما العلمين في مصر عام ١٩٤٢ من خلال حملة للقوات المظلية بقيادة الملازم جيورجيو بوري (إنريكو ماريا ساليرنو). كان الألمان والإيطاليون حلفاء- على الرغم من أن الفيلم يوضح أن أوامر هتلر كانت غير مقبولة من الناحية الأخلاقية بالنسبة إلى الجنود الإيطاليين- في حين كان الإنكليز هم الأشرار. لعب مايكل ريني دور الجنرال مونتغومري الشرير ويقوم الجنود الإنكليز بإعدام أسرى الحرب الألمان العزل بلا رحمة باستخدام الرمانات اليدوية. لعب روبرت حسين دور إيروين روميل ثعلب الصحراء والأرجنتيني جورج هيلتون دور الملازم الإنكليزي غراهام. كما أدى كل من ماسيمو ريغي ونيلو باتسافيني وريكاردو بيتسوتي وجيوسيبيه كاستيلانو وإيتوريه ماني وسال بورغيزيه دور جنود إيطاليين وماركو غوليلمي وجيرارد هرتر وتوم فيليغي وأندريا فانتازيا وجيوسيبيه أدوباتي دور الألمان وماكس لورنس وريناتو رومانو دور بريطانيين. وقد استخدم الفيلم لوصف هذه القوميات الثلاث في بعض الأحيان كليشيهات جاهزة- يعبر باتسافيني عن ذهوله لمرأى المدرعات البريطانية تلوح في الأفق بالقول: «ماما ميا! مليون مدرعة!»- لكن مشاهد الحركة التي تعمها الرمال والانفجارات أعدت بإتقان بالتعاون مع الجيش الإيطالي واستطاعت انتشال الفيلم ووضعه في سوية أعلى من الوسط. يحاول جنود المؤخرة الإيطاليون المختبئون في جحور الثعالب إبطاء الهجوم البريطاني

باستخدام الألغام والديناميت وقنابل المولوتوف يدوية الصنع والبطولات الفردية، الأمر الذي يسمح لقوة روميل الرئيسية بالانسحاب إلى طبرق بسلام. بهذه الطريقة، صورت هزيمة قوات المحور على أنها «انتصار حقيقي» لرومل، مع إلقاء اللوم على هتلر لتضحيته بالجنود الإيطاليين.

أما أفضل أفلام ستافورد الحربية، فهو فيلم «نسور فوق لندن»- Eagles Over London (١٩٦٩) لإنزو كاستيلاري الذي أنتجه أماتو كذلك. تتنكر فرقة كوماندوس ألمانية من قوات الإس إس، أثناء العملية دينامو (انسحاب الحلفاء من فرنسا عن طريق مرفأ دنكيرك)، بأزياء جنود بريطانيين وتصل إلى دوفر على متن قارب نجاة. يتجمع فريق الكوماندوس بقيادة الميجور كروغر (لويجي بيستيلي) في لندن ويلتقي شيلا (تيريزا جيمبيرا) وهي عميلة ألمانية تعمل في حانة يرتادها الجنود. كانت مهمة الفريق تدمير محطة رادار رئيسية للسماح للطائرات الألمانية بعبور القنال الإنكليزي دون أن يتم اكتشافها، لكن النقيب البريطاني بول ستيفنز (فريديريك ستافورد) كان في انتظارهم. ينظم ستيفنز عملية باسم «عملية الشجاع» تهدف للقضاء على فريق الكوماندوس الألماني في حين كانت المعركة الجوية بين الطيران الألماني والقوات الجوية الملكية محتدمة في الأجواء البريطانية. حمل الفيلم بنسخته الإيطالية اسم «معركة إنكلترا» في محاولة مفضوحة للاستفادة من الخلط الذي يمكن أن يجريه الجمهور مع الفيلم البريطاني «معركة بريطانيا»- Battle of Britain (١٩٦٩).

يمزج فيلم «نسور فوق لندن» ببراعة عناصر مختلفة من الأفلام الحربية وأفلام الجاسوسية بالإضافة إلى الدراما التي أنتجتها المعركة الجوية التي خاضها سلاح الجو البريطاني وأجواء جرائم القتل الغامضة. يقوم جنود كروغر، في محاولة منهم لإخفاء هوياتهم الحقيقية، بقتل عدد من جنود الحلفاء وبسرقة هوياتهم وبذاتهم العسكرية ويرمون جثثهم في أنحاء مختلفة من لندن. يتبادل جندي كوماندوس ألماني محاصر إطلاق النار مع عدد من الجنود البريطانيين وسط أبنية دمرها القصف في مشهد يذكرنا بالاشتباكات التي تشهدها أفلام السباغيتي وسترن.

تعتبر حبكة الفيلم الغامضة والمليئة بالانعطافات تطبيقاً عملياً لمقولة «الكلام دون حذر يكلف الآخرين حياتهم». كما أدخل كاستيلاري على الفيلم عدداً من الحبكات الثانوية نذكر منها قصة الحب التي جمعت ستيفنز بالملازم في القوات الجوية البريطانية ميغ جونز (إيدا غالي/إيفلين ستيوارت). صور الفيلم في إيطاليا وإسبانيا وفي عدد من المواقع في لندن (جسر لندن ومقر البرلمان البريطاني كما نشاهد حافلات النقل العام اللندنية الشهيرة) واستخدم الفيلم تقنية تقطيع الشاشة إلى عدة شاشات، غير أن هذا الأسلوب لا يظهر في نسخة الفيلم التي تم قصها كي تكون صالحة للعرض على شاشات التلفزيون. لعب رينزو بالمر دور الرقيب دونالد موليغان (تمت دبلجة حواره في النسخة الناطقة بالإنكليزية باللكنة المستخدمة في أحياء لندن الشعبية) ولويس دافيلا وكريستيان هاي دور فرنسيين يخلبان ألباب النساء من الطيارين الأحرار العاملين في صفوف القوات الجوية البريطانية وفان جونسون دور مارشال الجو البريطاني جورج تايلور وإدواردو فاخاردو دور قائد ألماني يشرف على عملية أسد البحرية وهو الاسم الرمزي لعملية غزو بريطانيا. تميز الفيلم بموسيقى حربية كتبها فرنشيسكو دي ماسي وبمشاهد الحركة التي يذكر منها المشهد الذي يهاجم مقاتلون ألمان فيه قوافل لقوات الحلفاء ومشهد انسحاب الحلفاء عن طريق ميناء دنكيرك ووصول القوات المنسحبة إلى دوفر ومحاولات جنود الكوماندوس الألمان تفجير منشآت الرادار (يحمل الجنود الألمان حقائب ظهر مليئة بالديناميت متحولين بذلك إلى قنابل بشرية) بالإضافة إلى العديد من المعارك الجوية التي أعدها إيميليو رويز ديل ريو.

حمى الحرب: المعركة على أوروبا

يعتبر فيلم «أنزيو» Anzio -(١٩٦٨- العنوان في النسخة الإيطالية «إنزال أنزيو» Lo Sbarco di Anzio -) أكثر الأفلام الحربية الإيطالية نجاحاً على المستوى الدولي وهو فيلم أمريكي إيطالي مشترك لكل من كولومبيا بيكتشرز ودينو دي لورينتيس أخرجه إدوارد دميتريك ودويليو كوليتي وكتب

موسيقاه التصويرية ريز أورتولاني. لعب روبرت ميتشوم في الفيلم دور المراسل الحربي الأمريكي رابط الجأش ديك إينيس الذي يكلف بتغطية إنزال الحلفاء في أنزيو (حملت العملية الاسم الرمزي عملية الشاطئ الحصوي) في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٤. شهد ميتشوم قيام الألمان ببناء معاقل خرسانية ومرابض مدفعية باستخدام العمل الإلزامي للإيطاليين، فيشق طريقه، برفقة سبعة من الجوالة الأمريكيين، عائداً إلى خطوط العدو بعد أن أبيدت كتيبتهم. لعب كل من بيتر فولك وإيرل هوليمان ومارك ديمون وريني سانتوني وتوماس هنتر وجيانكارلو جياني دور الجوالة الأمريكيين وأنطوني ستيل ووايد بريستون وفينانتينو فينانتيني وأرثر كينيدي وروبرت رايان دور ضباط قادة في صفوف الحلفاء وفولفغانغ برايس دور خصمهم الفيلد مارشال كيسرلينغ. يشبه «أنزيو» أفلام الدرجة الثانية الأمريكية ذات الميزانيات الكبيرة من حيث إشراكه مئات ممثلي الكومبارس واحتواؤه على عدد من المعارك المثيرة للإعجاب، غير أنه يعاب على هذا الفيلم الإطناب في الحوار وأغنية المقدمة الرديئة («هذا العالم عالمكم» غناء جاك جونز). تم تصوير الفيلم في ميناء نابولي (مشاهد الإنزال) وفي رأس أنزيو والمدينة الأبدية (الدخول المظفر للحلفاء إلى الكولوسيوم).

مثل عام ١٩٦٩ سنة الذروة بالنسبة إلى الأفلام الحربية الإيطالية، وهو العام الذي أخرج جيانفرانكو بارولديني فيه فيلم «خمسة للجحيم»- Five for Hell الذي يمثل النموذج الإيطالي لفيلم «الدزينة القذرة». تجري أحداث الفيلم في إيطاليا الرازحة تحت الاحتلال عام ١٩٤٤ حيث يقوم الملازم كليم هوفمان (جون غاركو) بجمع فريق اقتحام لمهاجمة فيلا فيردي، وهي قصر حصين يقع بالقرب من قرية كوريليانو، لسرقة «الخطة ك»، وهي خطة وضعها الألمان لتدمير الحلفاء. يجند هوفمان لتنفيذ هذه المهمة لاعب الأكروبات نيك أمادوري (نيك جوردان) وسارق الخزنات آل سيراكوزا (سال بورغيريه) ورامي الخناجر القوي الرقيب سام مكارثي (سامسون بروك) وخبير المتفجرات جوني «تشيكن» وايت (لوتشيانو روسي). أما مهارات

هوفمان الجسدية فتكمن في دقة تسديده لكرات البيسبول التي يستخدمها للقضاء على الحراس الألمان دون إثارة ضجة. مزج باروليني عناصر متباينة من الأفلام الحربية وقصص السرقات الكبرى في فيلم لعب كلاوس كينسكي فيه دور كولونيل الإس إس الألماني هانز مولر المقيم في فيلا فيردي. صور باروليني مشاهد الحركة - التي يصعب تصديقها حتى بمعايير باروليني الخارجة على المألوف - في مواقع في شمال غرب إيطاليا وفي استديوهات إيليوس. إذ نشاهد لاعب الأكروبات أمادوري يقفز فوق سور الفيلا المكهرب مستخدماً سرير ترامبولين محمولاً في حين كانت مشاهد الاشتباكات بالمدافع الرشاشة ومطاردات الدراجات النارية تحبس الأنفاس ودعمتها موسيقى تصويرية رشيقة كتبها فاسكو ومانكوزو. يموت مولر في نهاية الفيلم ميتة شنيعة حين يصعقه تيار سوره المكهرب نفسه في حين يفر أمادوري مصطحباً معه ميكروفيلم الخطة ك في كرة بيسبول.

تجري أحداث فيلم «ملح في الجرح«- Salt in The Wound (١٩٦٩- «المحررون، حمى الحرب» أو كذلك «القذران«) لتونينو ريتشي أثناء معركة إيطاليا حين يحكم على العريف برايان هاسكينز (كلاوس كينسكي) والجندي جون غرايسون (راي ساوندرز) بالموت لارتكابهما السرقة والقتل. يكلف الملازم المستجد مايكل شيبرد (جورج هيلتون) بتنفيذ حكم الإعدام بالرجلين، لكن فرقة الإعدام تقتل في كمين نصبه الألمان، في حين يفر هاسكينز وغرايسون مصطحبين شيبرد مقيداً. يلتقي الرجال الثلاثة بدورية أمريكية قتل أفرادها- فيسرق هاسكينز وغرايسون اللوحات المعدنية من الجنود القتلى ويتحولان إلى نورمان كار وكالفين مالوي. يلجأ الثلاثة إلى بلدة سان ميكيليه الواقعة على قمة تل، فيستقبلهم سكانها كمحررين ويتعلم الجنديان المحكومان شيئاً من التواضع فيها: فيقع هاسكينز في حب اللاجئة دانييلا (بيتسي بيل) ويصادق غرايسون فتى يتيماً اسمه ميكيليه (روبرتو باغانو). ثم يكتشف هاسكينز أن الكنيسة تحتوي على تحف ثمينة فيحاول سرقتها.

أغرقت الأمطار والأوحال فيلم «ملح في الجرح»- إذ تبدو الشمس كالحة ورطبة حتى في الأيام المشرقة- وزادت الموسيقى الرتيبة التي كتبها ريز أورتولاني الفيلم كآبة. أما قرية سان ميكيليه، فلم تكن سوى بلدة لوكا التوسكانية القروسطية الواقعة على قمة تلة مونتيكارلو (بشوارعها الضيقة وبرج كنيستها المميز)، في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات تيرينيا. تخترق المدرعات الألمانية الغابة وتشن هجوماً على سان ميكيليه أثناء احتفال السكان بعيد قديس القرية فيدافع هاسكينز وغرايسون عن البلدة. يصاب ميكيليه أثناء المعركة وتسقط دانييلا في تبادل إطلاق النار، كما يقتل غرايسون ويجن جنون هاسكينز فيبدأ بالصراخ باسم دانييلا ويهاجم مدرعة ألمانية بطريقة انتحارية متهورة. تقدم نسخة الفيلم التي حملت اسم «القذران» هاسكينز وغرايسون على أنهما محكومان صدر عفو عنهما. وفي نهاية الفيلم، يؤدي شيبرد التحية العسكرية أمام ضريحي الرجلين في مقبرة عسكرية كبيرة، في تأكيد على مقولة الفيلم أنه يمكن للأشرار أن يصنعوا الخير.

صور جاك بالانس فيلمين حربيين عام ١٩٦٩: «عمالقة المعركة»- The Battle Giants («سقوط العمالقة» أو كذلك «قوة النورماندي») و«معركة الكوماندوس»- The Battle of The Commandos («فيلق الملعونين»). يكلف الجنرال مور (جيوسيبيه أباتي)، في فيلم «عمالقة المعركة» لليون كليموفسكي/ هنري مانكيبيفيتش، الميجور جون هستون (بالانس) بجمع فريق من الضباط الأمريكيين للاتصال بالفيلد مارشال رومل الذي كان قيد الإقامة الجبرية في فيلا تقع على نهر الراين. يتألف الفريق الذي جمعه هستون من طيار هو الملازم ستيف بلوم (جون غراماك) ومهندس مدني هو الكابتن ستيورات لاتيمور (كارلوس إيسترادا) ولاعب بيسبول محترف هو الملازم توماس موليغان (أنطونيو بيكا) وضابط طبيب يحمل اسماً لا يمكن توقعه هو الكابتن أغاممنون غيفز (أندريا بوسيتش). «إنهم الأفضل»، يؤكد هيستون. يرافق الفريق هيرمان ترونيغر (ألبرتو دي مندوزا) وهو ضابط إس إس منشق. يحمل كل عنصر من

عناصر الفريق لفافة مخبأة في كتفه تتضمن التعليمات الخاصة به. أما الهدف الحقيقي للفريق فهو مربض كيسلبرغ وهو جسر مدعم بتحصينات دفاعية خرسانية وكانت مهمتهم تقتضي القضاء على أكبر عدد ممكن من الجنود الألمان من أجل السماح للجيش الأمريكي بشن هجوم على معبر زيلا.

تم تصوير فيلم «عمالقة المعركة» بالقرب من مدريد، بما في ذلك الخط الحديدي الذي يعبر جبال غواردارااما المغطاة بأشجار الصنوبر. ينتهي الفيلم بانفجار كبير يتزامن مع هجوم الألمان على الملجأ الخرساني الحصين في مربض كيسلبرغ: فحين تتقدم الفرقة المدرعة الألمانية الثانية مدعومة بقوات المشاة عبر الوادي يستقبلها هستون ورجاله بعاصفة نارية هائلة. استخدم بالانس عدداً من الأسلحة الألمانية بما فيها البانتزرشريك، وهو المعادل الألماني لسلاح البازوكا المضاد للدروع. كما قدم خيسوس بوينتيه أداء ممتازاً بدور الكولونيل وولف وكذلك الأمر مع جيرار تيشي بدور الجنرال فون غروبر وهو أمر أثلج بالتأكيد صدور أنصار المحور، في حين سمحت ميزانية الفيلم السخية باستخدام الكثير من الأعتدة الحربية بما فيها السيارات المخصصة لانتقال الضباط والعربات نصف المصفحة وأرتال من دبابات البانتزر الألمانية. وعلى الرغم من الاسم الرمزي المضحك الذي منحه الفيلم للعملية (الكنغر ينادي سمكة أبو سيف) والخوذات الألمانية التي اعتمرها رجال الكوماندوس الأمريكيون التي بدت صغيرة للغاية بالنسبة إلى رؤوسهم، فقد أضفى بالانس بشخصية الضابط الديناميكي هستون الكثير من الجاذبية على الفيلم. باختصار، كان «عمالقة المعركة» فيلماً حربياً بارعاً استفاد كثيراً من الموسيقى التصويرية المثيرة التي قدمها أرماندو ترافاجولي.

كما لعب بالانس، في فيلم مماثل اسمه «معركة الكوماندوس» لأومبرتو لينزي، إلى جانب كورد يورغنز وتوماس هنتر وروبرت هوندار وألدو سامبريل وأنطونيو مولينو روخو وفولفغانغ برايس وديانا لوريس، دور الكولونيل تشارلي مكفرسون الذي يكلف بتدمير مدفع نازي بعيد المدى محمول على قطار في فرنسا (على الرغم من أن الفيلم صور مرة أخرى في إسبانيا).

كان فيلم «اليوم الخامس للسلام»- The Fifth Day of Peace (١٩٦٩) لجيوليانو مونتالدو إيذاناً ببدء وداع الأفلام الحربية الإيطالية- وهو فيلم مناوئ للحرب تدور أحداثه في معسكر لأسرى الحرب يعاني رطوبة مفرطة ويقع في بلدة إيمن الهولندية. في الأيام الأخيرة للحرب، يؤمر النقيب الكندي جون ميلر (ريتشارد جونسون) ومساعده الملازم رومني (ريليا بازيتش) بإعداد معسكر لأسرى الحرب في معتقل ألماني مهجور لإيواء ألفي أسير ألماني. كان الأسرى الألمان وقائدهم الكولونيل فون بلايشر (هلموت شنايدر) ملتزمين بشدة بقواعد الانضباط العسكري فيحكمون بالموت على جنديين ألمانيين فارين هما المساعد برونو غراوبر (فرانكو نيرو) والعريف راينر شولتز (لاري أوبري). يصل صراع الإرادات بين ميلر وفون بلايشر إلى ذروته عندما يرفض ميلر تزويد فرقة الإعدام الألمانية بالسلاح فيتظاهر الأسرى ويستدعي ميلر الحرس لتفريقهم. يستشير ميلر قائده الجنرال سنو (مايكل غودلايف) عن ماهية العلاقة التي يجب أن تربطه بالأسرى الألمان، فيجيبه القائد بفظاظة («لقد خسروا الحرب- لا تدعهم ينسون ذلك») ثم ينصح ميلر أن يدع لهم تولي مسؤولية إدارة شؤونهم. هكذا، يرافق الجنود الكنديون غراوبر وشولتز إلى خارج المعسكر ويشرفون على فرقة الإعدام الألمانية التي تقوم بإعدام الفارين. بهذه الطريقة يعود الهدوء إلى المعسكر ويزداد شعور ميلر، الذي تم ترفيعه إلى رتبة ميجور، براحة الضمير. يعتبر فيلم «اليوم الخامس للسلام» فيلماً درامياً متفوقاً أدى فيه مجموعة من الممثلين المثيرين للاهتمام، كالبريطانيين جونسون وغودلايف، أدوارهم بامتياز. لعب ريناتو رومانو دور الرقيب أومالي، حاجب ميلر وبود سبنسر دور العريف جيلينيك، ضابط الإطعام الذي يؤوي الألمانيين الفارين. تبرز في الفيلم الأجواء الطينية وأبراج الحراسة المخيفة وعبارة Arbeit Mein Frei (العمل يحررك) الشاحبة المعلقة على بوابة المعسكر وهي تفاصيل التقطتها ببراعة عدسة المصور السينمائي سيلفانو إيبوليتي بنظام إيستمانكولور. عرف الفيلم بأسماء متعددة منها «جريمة الهزيمة» وGott Mit Uns وهو الشعار الذي ينقش على أبازيم الأحزمة العسكرية الألمانية. قدم إينو موريكونيه للفيلم

موسيقى تصويرية مشؤومة تضمنت معزوفة بعنوان Gott Mit Uns وهي عبارة ألمانية معناها «الله معنا» وهي صدى لمعزوفة فيلم «حدث ذات مرة في الغرب».

جذبت الأفلام الحربية الإيطالية العديد من نجوم هوليوود الكبار. فقد قاد روك هدسون عدداً من صبية الشارع في مهمة تدمير سد إيطالي في فيلم «عش الدبابير» - The Hornet's Nest (١٩٧٠) الذي ظهر فيه كذلك كل من سيلفيا كوسينا وسرجيو فانتوني وجاك سيرناس وجياكومو روسي ستيوارت. أما فيلم «معركة نيريتفا» - The Battle of Neretva (١٩٦٩) فكان إنتاجاً يوغسلافياً إيطالياً أمريكياً ألمانياً مشتركاً بميزانية بلغت اثني عشر مليون دولار ويتحدث عن الهجوم الألماني على الأنصار اليوغسلافيين عام ١٩٤٣. رشح الفيلم لنيل جائزة الأوسكار لأحسن فيلم أجنبي لكنه ترجم فيما بعد إلى اللغة الإنكليزية وتم اختصار مدة عرضه من مائة وخمس وسبعين دقيقة إلى مائة ودقيقتين. وعلى الرغم من هذا الاختصار، فقد أبرزت نسخة الفيلم الدولية عدداً من المواهب: يول براينر وسيلفيا كوسينا وفرانكو نيرو وهاردي كروغر وكورد يورغنز وأورسون ويلز. أما النسخة البريطانية التي حملت اسم «المعركة على نهر نيريتفا»، فبلغت مدة عرضها مائة وستاً وعشرين دقيقة.

الحرب تحط أوزارها: السبعينيات

خبت جذوة السينما الحربية الإيطالية في السبعينيات مع بروز نجم الأفلام الكوميدية وأفلام الرعب النفسي. ففي عام ١٩٧٤، صنع كارلو ليتساني فيلم «موسوليني: الأيام الأخيرة» - Mussolini: The Last Days («الأيام الأربعة الأخيرة») ولعب البطولة فيه رود ستايغر بدور الدوتشي. أما فيلم «مجزرة في روما» - Massacre in Rome (١٩٧٣)، فوظف طاقم ممثلين متعدد الجنسيات - ريتشارد بورتون ومارشيلو ماسترودياني وليو ماكيرن وأنطوني ستيل وجون ستاينر - وموسيقى تصويرية متنافرة

لموريكونيه. ويروي الفيلم المقتبس من رواية روبرت كاتز «موت في روما» القصة الحقيقية لمجزرة الكهوف الأردياتية وهي جريمة ارتكبها النازيون خارج روما في الرابع والعشرين من شهر آذار ١٩٤٤. فقد رد الألمان على كمين نصبه الأنصار لدورية من قوات الإس إس (فجروا فيه عبوة ناسفة مزروعة على جانب الطريق في عربة لنقل التراب في شارع فيا راسيلا) بإعدام عشرة إيطاليين مقابل كل جندي ألماني قتيل. كلف المقدم هيوبرت كابلر من الغستابو (بورتون) بمهمة جمع الضحايا والإشراف على إعدامهم: هكذا نقل كابلر ثلاثمائة وثلاثين رجلاً إيطالياً إلى الكهوف التي تحولت بالنسبة إليهم إلى حجرة إعدام. لكن العدد النهائي لمن تم إعدامهم بلغ ثلاثمائة وخمسة وثلاثين رجلاً نتيجة خطأ إداري- قتل كل منهم برصاصة مسدس زرعت في رأسه- قبل أن تختم الكهوف بالمتفجرات. صور هذا الفيلم القوي والمثير في مواقع في العاصمة الإيطالية ويقدم بورتون فيه واحداً من أفضل أدواره كما كان ماسترورياني بارعاً بالقدر نفسه في أداء شخصية الأب بييرو أنطونيلي الذي يعارض كابلر والغستابو كي يجد نفسه في نهاية الفيلم المروعة نزيلاً للكهوف. وقد كان كابلر، في الفترة التي عرض الفيلم فيها، لا يزال على قيد الحياة في أحد السجون الإيطالية الذي كان يمضي فيه عقوبة السجن مدى الحياة.

أخرج همفري لونغان (أومبرتو لينزي) فيلم «كبرى المعارك»- The Biggest Battle (١٩٧٨- «أعظم المعارك» أو «المعركة العظيمة» أو «قوة المعركة» أو كذلك «معركة ميريث») وشارك فيه كل من هنري فوندا وسامانثا إيغر وهلموت برغر وستايسي كيتش وجون هيوستن وجيوليانو جيما وتتخلله لقطات إخبارية كان التعليق عليها بصوت أورسون ويلز. كما أخرج (أو بالأحرى جمع) هانك مايلستون (لينزي نفسه) فيلم «من الجحيم إلى النصر»- From Hell to Victory (١٩٧٩) الذي كان فيلماً حربياً مقبولاً. يروي هذا الفيلم الحربي الدرامي الذي ينتمي إلى فئة السوب أوبرا قصة

مجموعة من الأصدقاء من جنسيات مختلفة أعادت الحرب صياغة العلاقة بينهم ودمرتها. يتفق الأصدقاء على الالتقاء في الرابع والعشرين من شهر آب من كل عام في مقهى يطل على نهر السين، لكن قلة منهم ظهرت في اللقاء الأخير. لعب جورج بيبارد دور عميل الاستخبارات العسكرية الأمريكي بريت وريموند لوفلوك دور ابنه المقصي جيم وهورست بوخهولز دور قائد دبابة ألماني اسمه يورغن وسام واناميكر دور المراسل الحربي الأمريكي راي وآني دوبري دور المقاتلة الفرنسية في صفوف المقاومة فابيين. ولعب الممثل الفرنسي جان بيير كاسيل دور ديك، قائد المقاتلة البريطانية سبيتفاير كما جسد جورج هاميلتون، ببشرته التي لوحتها الشمس، بصورة غير مقنعة شخصية موريس، المقاتل الفرنسي في صفوف المقاومة. يتم إرسال بيبارد إلى هولندا لتدمير منشأة لتصنيع محرك الصاروخ الألماني V-2. ويصطحبنا الفيلم في جولة في أرجاء «المعركة حول فرنسا»- بدءاً بالغزو الألماني ثم ميناء دنكيرك ومعركة بريتاني وصولاً إلى إنزال النورماندي وتحرير باريس- معتمداً، بصورة رئيسية، على لقطات من «الأبطال القذرون» و«نسور فوق لندن».

يصف فيلم «صالون كيتي»- Salon Kitty (١٩٧٦) لتينتو براس فسوق الرايخ الثالث. يخطط هلموت فالنبرغ (هلموت برغر) للإيقاع بماخور يرتاده الضباط الألمان بإدارة مدام كيتي كيلرمان (إنغريد ثولين) لكنه يقع في حب إحدى مومسات الماخور مارغريتا (تيريزا آن سافوا). يساوي براس، في هذا الفيلم، الرايخ الثالث بالإمبراطورية الرومانية (كان عمله التالي الفيلم سيء الصيت «كاليغولا») ويستخدم ديكورات متفسخة (أعدها كين آدم في استديوهات دير) ومقطوعات موسيقية على شاكلة الموسيقى التي تعزف في الملاهي الليلية. يذكر من الممثلين المساعدين الرجال الأشداء لوشيانو روسي وجون أيرلند وجون ستاينر ودان فان هوسن. أطلق الفيلم موجة بغيضة لم تدم طويلاً من الأفلام الرخيصة التي تمحورت حول الدعارة الإلزامية في خدمة الجيش الألماني (التي يطلق عليها اسم «فرقة المتعة») أو حول أساليب التعذيب المقيتة في معسكرات

التجارب النازية. وحملت تلك الأفلام عناوين فاضحة مثل «معسكر الحب الاختباري»- SS Experiment Love Camp (١٩٧٦) أو «فتيات الإس إس»- SS Girls (١٩٧٧) أو «ليالي الغستابو الحمراء»- Red Nights at The Gestapo (١٩٧٧) أو «معسكرات الحب والإبادة»- SS Extermination Love Camps (١٩٧٧) أو «آخر عربدات الغستابو»- Gestapo's Last Orgy (١٩٧٧) وأخرجها مخرجون رخيصون مثل سرجيو غارونيه وبرونو ماتي.

يعتبر فيلم «الأوغاد غير المجيدين«- The Inglorious Bastards (١٩٧٧- «الكوماندوس الزائفون») لإنزو كاستيلاري من الإضافات المتأخرة إلى حلقة الأفلام الحربية الإيطالية وهو يذهب بالصيغة التي وضعها فيلم «الدزينة القذرة» إلى أكثر خواتيمها جنوناً. تدور أحداث الفيلم في فرنسا عام ١٩٤٤ حين تقوم الشرطة العسكرية بنقل خمسة من الجنود الأمريكيين المدانين بتهم الفرار من الخدمة والقتل والسرقة إلى أحد المعتقلات قبل أن تسمح لهم غارة جوية ألمانية بالفرار. يقرر الفارون الخمسة- طوني (بيتر هوتن) وفريد كانفيلد (فريد ويليامسون) ونيك (مايكل بيرلاني) وبيرل (جاكي كونستانتين) والملازم روبرت ييغر (بو سفنسون)- التوجه إلى سويسرا المحايدة. لكنهم يقتلون عن طريق الخطأ فريقاً من الجنود الأمريكيين المتنكرين بأزياء ألمانية- وكما في فيلم «كوماندوس الجحيم»، يقرر ييغر ورفاقه تنفيذ المهمة الخاصة التي كانت موكلة للجنود القتلى. يكمن الفريق، نتيجة معلومات حصل عليها من الكولونيل باكنر (أيان بانن)، لقطار مدرع يحمل نموذجاً اختبارياً للرأس الحربي للصاروخ V-2 ويقوم بسرقة جيروسكوب نظام التوجيه. تتعطل رحلة القطار نتيجة قيام المقاومة الفرنسية بنسف جسر سان درو الأمر الذي يجبره على الانعطاف باتجاه محطة بون موسون، لكن قطاراً عسكرياً ألمانياً يصل إلى المحطة. يقوم باكنر بانتزاع الجيروسكوب ويفر هارباً ويقتل نيك وبيرل ويقود ييغر القطار باتجاه المحطة بعد أن شغل آلية التدمير الذاتي للرأس الحربي للصاروخ.

صور فيلم «الأوغاد غير المجيدين» في إيطاليا وفي استديوهات شينيشيتا وفي استديوهات فيديس. يذكر من مشاهد الفيلم مشهد لجنديات ألمانيات يغطسن عاريات في شلالات مونتي جيلاتو في حين صورت مشاهد السكة الحديدية في موقع ما بين كابرانيكا وفيتيربو. ظهر ريموند هارمستورف بدور الألماني الأسير أدولف وديبرا برغر بدور نيكول، الممرضة التي تعمل مع المقاومة الفرنسية التي تقول أشياء مثل: «لا أهمية للسن عندما يقاتل المرء من أجل أمر يؤمن به، n'est ce pas؟» أما سفنسون العملاق، ببنيته الغرانيتية وأنفه المكسور، فقد أدى أدوار الحركة الموكلة إليه بأسلوب مباشر، في حين يقدم كل من بيرلاني المتملق البارع في إصلاح كل شيء (بشعره الطويل على الطريقة الهيبية وشاربيه الكثين) ونجم أفلام الحركة الأسود ويليامسون دعماً كبيراً للفيلم. إذ يمتطي بيرلاني دراجة نارية عادية على طريقة ستيف ماكوين- وعندما يصاب خزان الوقود فيها برصاصة ، يقوم بسد الثقب باستخدام قطعة من اللبان. ويبقى تجسيد هوتن لشخصية طوني «الأبيض التافه» للذكرى وهو بالمناسبة الناجي الوحيد في الفرقة، حيث نراه في نهاية الفيلم يسير على السكة الحديدية معانقاً نيكول.

لم يركن فيلم «الأوغاد غير المجيدين»، وهو أكثر أفلام الحرب الإيطالية فحولة وجنوناً وابتعاداً عن الأعراف التي سادت هذا النوع السينمائي، منذ المشاهد الافتتاحية التي تضج بالحركة (على وقع مارش عسكري عنيف هادر قدمه فرنشيسكو دي ماسي) وحتى خاتمته المتفجرة، إلى الهدوء ولو للحظة واحدة، ولم يكف عن التسكع والدوران. ويقدم فيلم كاستيلاري هذا مشاهد عنف صاخبة قام بتصميمها منسق الحركات الخطرة روكو ليرو يظهر فيها ممثلو الكومبارس أنفسهم يؤدون أدوار جنود ألمان يموتون مراراً وتكراراً كما تظهر فيها الآليات العسكرية نفسها تنسف مرة تلو الأخرى بالحركة البطيئة العزيزة

على قلب كاستيلاري. بل إن كلاستيلاري، الذي كان هو نفسه قادراً على تقديم أداء شخصية بطل الحركة بامتياز، يجسد دور الجندي الألماني عدداً من المرات (يموت في الفيلم نصف دزينة من المرات على الأقل) كما يظهر كقائد لمجموعة مورتر ألمانية. استخدمت في الفيلم المؤثرات البصرية والنماذج المصغرة- على سبيل المثال مستودع ذخائر للجيش الأمريكي وبلدة دمرها القصف- عززت إحساس المتفرج بالأحجام.

وكان من الأدلة القاطعة على الشعبية التي حظي بها فيلم «الأوغاد غير المجيدين» التي قاومت مرور الزمن من خلال الأقراص الضوئية أن المخرج المعروف كوينتن تارانتينو استخدم اسم «الأوغاد غير المجيدين» في الفيلم الحربي الذي صنعه عام ٢٠٠٩ والذي تناول فيه مهمة كلف بها فريق كوماندوس تهدف إلى اغتيال هتلر أثناء عرض افتتاحي لأحد الأفلام في باريس. وقد قدم تارانتينو في تيترات الفيلم الشكر لكاستيلاري وبو سفنسون وسرجيو سوليما واستخدم الموسيقى التصويرية التي قدمها إينيو موريكونيه في أفلام «معركة الجزائر» و«عودة رينغو» و«المعركة الكبيرة» و«الموت يمتطي جواداً» وعلى وجه الخصوص مقطوعة Un Amico من فيلم «المسدس».

الفصل الحادي عشر

خنجر في الظلام

أفلام الجيالي

أطلق على أفلام التشويق الإيطالية لقب جيالي (gialli) تيمناً بسلسلة من الروايات الإجرامية تم نشرها في إيطاليا بأغلفة صفراء اللون (تعني كلمة giallo بالإيطالية الأصفر). كان أبطال هذه الأفلام، في كثير من الأحوال، أمريكيين يعملون في إيطاليا أو جاؤوا لقضاء فترة الإجازة فيها، فيجدون أنفسهم متورطين في العمل على جلاء غموض جريمة قتل جعلتهم الصدفة شهوداً عليها- الأمر الذي يسمح بإسناد أدوار البطولة إلى ممثلين أمريكيين أو بريطانيين. أما ضابط الشرطة المحقق، فغالباً ما يتمتع بعلامة فارقة ما- كأن يكون يحاول الإقلاع عن التدخين، أو أن يكون لديه هواية مراقبة الطيور أو جمع الطوابع- وتساعده معرفته التي حصل عليها من خلال اختصاصه المهني على حل القضية. ويتميز الأسلوب البصري لهذه الأفلام بتحريك العدسة بطريقة تعبر عن وجهة نظر شخصيات الفيلم ويعتمر القاتل، في غالبية الأحيان، قبعة ذات حواف ويرتدي معطفاً طويلاً ويضع قفازات جلدية. اتهمت أفلام الجيالي بأنها تعبر عن كراهية مؤكدة لجنس النساء من خلال تقديمها للقاتل الدموي على أنه امرأة، جميلة على الدوام، عارية في كثير من الأحوال، على الرغم من أنه يتكشف في نهاية المطاف عن أن الجاني امرأة

مضطربة عقلياً على الرغم من أن كافة الدلائل كانت تشير إلى أن المعتدي ذكر. وتعتبر الموسيقى مكوناً رئيسياً في فعالية الفيلم. فقد استخدمت أفلام الجيالي مزيجاً من ألحان إيدا ديلورسو الشهوانية ونغمات إينيو موريكونيه النائحة ومقطوعات الهيفي ميتال الضخمة التي يعرف بها فريق غوبلن على الرغم من أن هذا النوع من الموسيقى الصاخبة على وجه الخصوص غالباً ما يجعل بعض المتفرجين يصابون بالصداع.

جلد أسود ودم وبافا

كان فيلم «الفتاة التي عرفت أكثر مما ينبغي»- The Girl Who Knew Too Much (١٩٦٣) بمثابة تحية خاصة قدمها ماريو بافا لفيلم هيتشكوك «الرجل الذي عرف أكثر مما ينبغي»- The Man Who Knew Too Much (١٩٥٦). تصل الفتاة النيويوركية نورا ديفيس (ليتيسيا رومان)، وهي قارئة نهمة لروايات الغموض، إلى روما لزيارة عمتها المتوعكة إيثيل ويندل باتوتشي (تشانا كوبرت). وبعيد وصول نورا، تصاب إيثيل بنوبة قلبية قاتلة فتذهب نورا لإحضار طبيب عمتها الدكتور مارشيلو باسي (جون ساكسون)، لكنها تشاهد، وهي في طريقها إلى الطبيب، امرأة تموت طعناً. هكذا، وفي غياب أية أدلة تدعم روايتها، تتحول نورا إلى شرطي سري يعمل على الكشف عن مرتكب سلسلة «الجرائم الأبجدية» التي تصل بعد ارتكاب الجريمة الثالثة إلى الحرف دال.

يتميز فيلم «الفتاة التي عرفت أكثر مما ينبغي»، وهو فيلم غموض متواضع، بتصويره السينمائي بالأبيض والأسود لروما الدولتشي فيتا نفسها، لكن، هذه المرة، على شكل كتاب سياحي يعرض معالم هذه المدينة. إذ نتابع نورا في الكولوسيوم وفي حديقة فينوس وجسر سانتانجيلو وقلعة سانتانجيلو واستاد مارمي في الفورو إيتاليكو (مضمار جري يحفه ستون تمثالاً).



ضحايا الموضة: ملصق إيطالي رهيب لفيلم «دم وجلد أسود» (١٩٦٤) لماريو لافا يظهر فيه قاتل مقنع وأربع من ضحاياه العارضات

أما عمة نورا، فتقيم في منزل في البياتزا سبانيا وتشهد نورا وقوع الجريمة عند السلالم الإسبانية، وهي سلسلة من ثلاث مجموعات من السلالم تنتهي بكنيسة ترينيتا دي مونتي، كما صور بافا المناظر الداخلية في استديوهات

تيتانوس وأدى أدريانو شيلينتانو أغنية المقدمة. أما النسخة الأمريكية التي وزعتها شركة AIP، فاستبدلت فيها بمقطوعات الجاز التي كتبها روبرتو نيكوليزي موسيقى لليس باكستر وتم تبديل اسم الفيلم كي يصبح «عين الشرير»- Evil Eye، كما زادت النسخة الأمريكية الجرعة الفكاهية للفيلم بإقحام مشاهد أكثر مرحاً (تظهر في إحدى لحظات الفيلم صورة جدارية لبافا)، وأزيلت منه كافة الإشارات إلى سجائر الكنت المحشوة بالماريغوانا- تلمح النسخة الناطقة بالإيطالية إلى أن جريمة القتل التي شهدتها السلالم الإسبانية لم تكن سوى هلوسات كانت تعاني منها نورا. وصف جون ساكسون فيلم «عين الشرير» بأنه فيلم تشويق ساخر، على الرغم من أن نسخته الإيطالية الأكثر جدية مارست نفوذاً كبيراً على أفلام الجيالي اللاحقة.

كان فيلم «دم وجلد أسود»- Blood and Black Lace (١٩٦٤) أكثر الأفلام التي صنعها بافا في الستينيات عنفاً ونموذجاً حقيقياً لأفلام الجيالي. تقتل عارضة الأزياء إيزابيلا (فرنشيسكا أونغارو) في دار كريستيان للأزياء النسائية الفاخرة التي يديرها ماكس مورلان (كاميرون ميتشيل) ومالكة الدار الكونتيسا كريستينا كومو (إيفا بارتوك) التي فقدت زوجها مؤخراً. يكتشف المفتش سيلفستر (توماس راينر) أن الواجهة الأنيقة لعالم الموضة تخفي وراءها شبكة معقدة من تعاطي المخدرات والخيانة والقتل والابتزاز. ضمت لائحة المشبوهين مورلان نفسه ومستخدميه- ماركو العصبي المصاب بالصرع (ماسيمو ريغي) ومصمم الأزياء المخيف سيزار لازار (لوشيانو بيغوتسي/ ألان كولينز)- وتاجري العاديات فرانك سكالو (دانتي دي باولو) والمركيز ريتشارد موريل (فرانكو ريسيل)، والاثنان يواعدان عارضات أزياء. يصيب اكتشاف يوميات إيزابيلا الجميع بالتوتر والقلق. فيقضي القاتل على نيكول (أرياني غوريني)، صديقة سكالو في متجر سكالو باستخدام قفاز أحد الدروع التقليدية ثم يقتل العارضة بيغي (ماري أردن) بعد تعذيبها- يدفعها حتى يلتصق وجهها ويداها بموقد حار- وتخنق غريتا (ليا كروغر) عشيقة المركيز بوسادة. ثم يتكشف أن الجاني لم يكن

سوى ماكس بالاشتراك مع كريستينا اللذين تربطهما علاقة عاطفية بالإضافة إلى أن زوج الكونتيسا لم يمت، في الواقع، نتيجة حادث عرضي. ينجح ماكس في إقناع كريستينا بارتكاب جريمة قتل أخيرة- حيث تقوم بإغراق العارضة تاولين (كلود دانتيس) في حوض استحمامها، لكن ماكس، كان في واقع الأمر، يخدع كريستينا على أمل الإيقاع بها.

استغرق تصوير الفيلم ستة أسابيع في شتاء ١٩٦٣-١٩٦٤. صورت المناظر الخارجية لدار الأزياء في فيلا بامفيلي في روما (بنافورتها الشهيرة) ومناظرها الداخلية في استديوهات آي تي سي، في حين قدمت شركة ديدالو متجر التحف الذي يملكه سكالو. كانت المشاهد الليلية الخارجية بأجوائها الضبابية والريح التي تضرب أوراق الأشجار جديرة بقصة جاك بقار البطون. وفي حين يوحي العنوان الإنكليزي للفيلم بأجواء شعرية قاتمة- دماء الضحايا التي تسيل على تصاميم دار الأزياء- فإن العنوان الإيطالي الأصلي: 6 Donne Per L'Assassino (ست نسوة من أجل القاتل) أكثر تعبيراً عن محتوى الفيلم: ماكس وضحاياه الست. قدمت محتويات دفتر اليوميات ذي الغلاف الأحمر للقاتل ذرائع كانت واهية للغاية لارتكاب جرائمه اللاحقة. ويذكرنا فيلم بافا هذا بأفلام التشويق التي أنتجت في ألمانيا الغربية بالاعتماد على قصص إدغار والاس. تبرز في الفيلم ألحان تعتبر من أروع ما ألفه كارلو روستيكيلي تمتزج فيها مقطوعة بوسا نوفا على آلة الترومبيت بنغمات نازلة ذات وقع تهديدي. أما الملابس التي يرتديها القاتل في الفيلم، والتي تتألف من معطف جلدي طويل أسود مزود بنطاق وقفازات جلدية وقبعة ذات حواف، فقد كانت مصدر إلهام لأفلام الجيالي اللاحقة، تماماً كقناع الوجه الأبيض عديم الملامح الذي يضعه القاتل على وجهه لإخفاء هويته. يعيش القاتل (الذي لعب دوره الممثل البديل غوفريدو أونغر) في المشاهد التي يرتكب جرائمه فيها حالة من الهياج الشديد، إذ يقتل ضحاياه بطرق دموية ويمزق ملابسهن ويشوه وجوههن ويجر جثثهن إلى صندوق سيارته الذي صارت الجثث تتكدس فيه فعلاً لا قولاً. وتتابع عدسة بافا- بلقطات أنيقة وإنارة

مبتكرة - المتعة المنحرفة التي يعيشها القاتل وهو يلاحق ضحاياه بحركاته الرشيقة الجديرة بفيلم تدور أحداثه في دار أزياء أنيق. صممت إيليانورا غارنيت زي الحداد الأسود الراقي الذي ترتديه بارتوك في الفيلم.

صنف فيلم «دم وجلد أسود» في بريطانيا، عام ١٩٦٥، على أنه للبالغين، ولم ينفع في التخفيف من شدة هذا التصنيف الكم الكبير من اللقطات التي تم حذفها منه. أما النسخة الأمريكية التي قامت شركة وورنر براذرز بتوزيعها عام ١٩٦٦ فقد استبدلت بموسيقى المقدمة الأصلية مقطوعة أخرى لروستيكيلي أكثر بطئاً كما استبدلت بمشاهد التيترات التي وضعها بافا (يتم تصوير الممثلين فيها وكأنهم تماثيل من شمع وسط مجموعة من تماثيل المانيكان) مقدمة قامت بتصميمها شركة فيلمايشن أسوشييتس تعرض فيها تماثيل أزياء وجماجم وجروحاً دامية ناتجة عن طلقات نارية. أما ملصق الفيلم الرهيب، فيعدنا بـــ «ثمانية من أشد الصدمات التي تم تصويرها على الإطلاق!» تقدمها «ثلاثون من أجمل الفتيات في العالم!» - ست منهن لم يصمدن حتى نهاية الفيلم.

أما فيلم الجيالي التالي الذي صوره بافا، فيوجه تحذيراً شديد اللهجة للعرائس. لعب ستيفن فورثيس في فيلم «فأس من أجل شهر العسل» - Hatchet for The Honeymoon (١٩٦٩ - «عرائس الدم») دور جون هارينغتون، قاتل العرائس. تجري أحداث الفيلم في باريس على الرغم من أن غالبية المشاهد صورت في برشلونة وفي فيلا فراسكاتي الواقعة في ضواحي روما (والمناظر الداخلية في فيلا فراسكاتي وفي استديوهات بالكازار في برشلونة). يدير جون داراً لتصميم أزياء العرائس يستخدمها لإغواء ضحاياه حيث يقتلهن بساطور جزار براق ويدفن بقاياهن في مستنبته الزجاجي ويتخلص من جثث ضحاياه برميها في الموقد. يقع جون في حب العارضة هيلين ووليت (داغمار لاساندر) فيقتل زوجته ميلدريد (لورا بيتي) وهو يضع على شفتيه أحمر شفاه ويرتدي برقعاً ثم يحرق جثتها. لكن ميلدريد تعود إلى الحياة وتبدأ في مطاردة زوجها - يستطيع الجميع رؤية طيفها باستثناء جون. كانت ملامح بيتي الشبحية فعالة جداً

في تلك المشاهد. حقق المفتش راسل (خيسوس بوينتيه) في جرائم القتل ولعبت فيمي بينوسي دور الضحية أليس نورتون ولوشيانو بيغوتسي / ألان كولينز دور مصمم الأزياء فنس. يعتبر «فأس من أجل شهر العسل»، مع الموسيقى الرومانسية التي كتبها سانتيه روميتيلي، فيلم تشويق نفسي خال من النكهة، كانت الأدلة فيه على وجود بافا قليلة، على الرغم من سلسلة الجرائم التي يفتتح بها الفيلم (يقتل جون خلالها عروسين) وظهورات ميلدريد التي أعدت بطريقة حسنة. يمرر الفيلم لقطة فيها نكهة من الفكاهة حين يتابع جون عرضاً تلفزيونياً ليلياً متأخراً لفيلم «السبت الأسود» لبافا. تكشف لقطات فلاش باك يعيشها جون عن أنه كان قد قتل والدته وعشيقها في طفولته (غيدو بارلوتشي).

حمل فيلم التشويق التالي الذي صوره بافا اسم «خمس دمى من أجل قمر آب»- Five Dolls for August Moon (١٩٧٠) الذي يجعل الممثلين فيه حبيسي جزيرة منعزلة. يدعى سبعة ضيوف إلى الدارة الشاطئية الفاخرة التي يملكها رجل الأعمال جورج ستارك (تيودورو كورا) وزوجته جيل (إيديث ميلوني) وهم: البروفسور جيري فاريل (ويليام برغر) وزوجته ترودي (إيرا فورستنبرغ) وإيزابيل الغامضة (جوستين غول) ورجلا الأعمال جاد ديفيدسون (ريناتو روسيني) ونيك تشيني (موريس بولي) وزوجتاهما بيغي (هيلينا رونيه) وماري (إيدويج فينيش). كان رجلا الأعمال يرغبان في شراء اختراع فاريل- معادلة لإنتاج نوع من الراتنج مخصص للغايات الصناعية- لكن فاريل يرفض العرض. تعم دارة ستارك أجواء السكر والانحطاط وألعاب القتل والخيانة الزوجية والغيرة - تقيم ماري علاقة جنسية مع تشارلز (ماورو بوسكو)، مدبر منزل ستارك الذي سرعان ما يعثر عليه مقتولاً. يتساقط نزلاء الجزيرة الواحد تلو الآخر حتى تحل لحظة حل العقدة حين تتدخل رحمة السماء كي تكشف لنا الحبكة أخيراً عن هوية القتلة.

يتشابه فيلم «خمس دمى من أجل قمر آب» في بعض النواحي مع رواية «الهنود العشرة» لأغاثا كريستي وتتجلى روح السخرية السوداء فيه من خلال

دعابة عابرة: تحفظ جثث الضحايا في الجليد وتعلق كل منها بكيس بلاستيكي في ثلاجة اللحوم الكبيرة في منزل ستارك. استغرق بافا في تصوير الفيلم تسعة عشر يوماً في شهر تشرين الأول ١٩٦٩ في تور كالدارا. أضفى حضور النجمات الأوروبيات - «الدمى الخمس» التي يشير إليها عنوان الفيلم- على الفيلم جواً من الفتنة على الرغم من أنهن لم يكن، في غالبية أوقات الفيلم، أكثر من تماثيل مانيكان ترتدي ملابس. كان تصميم الديكور الداخلي في استديوهات دير في روما أفضل ميزات الفيلم من حيث الأثاث الجديد بفيلم مثل «ديابوليك» - والواقع أن السرير الدوار الذي رأيناه للمرة الأولى في «ديابوليك» يظهر في هذا الفيلم مرة أخرى. يتبختر الممثلون بأزياء تخييم بلغت، في شذوذها، الحدود القصوى التي اتسمت بها موضة السبعينيات. كان الفيلم تمريناً على الأسلوبيات الإخراجية الرائعة التي أبرزها، على وجه الخصوص، أسلوب التعامل الباقي مع الكاميرا الذي لا يكف عن إدهاشنا وأكملتها الموسيقى المتثاقلة التي تميز بييرو أوميلياني ومقطوعات الروك التقدمي الصاخبة - بما في ذلك مقطوعة «الثلج الحار»- Neve Calda- التي يؤديها فريق الروك التجريبي الإيطالي «باليه البرونز»- Il Baletto Di Bronzo.

وإذا جاز لنا أن نعتبر أن الجرائم التي وقعت في فيلمي «فأس من أجل شهر العسل» و«خمس دمى من أجل قمر آب» لم تكن دموية نسبياً، فإن بافا عوض هذا النقص في فيلم «خليج الدم»- A Bay of Blood (١٩٧١). صور الفيلم بين شهري كانون الثاني وشباط ١٩٧١ في سابوديا الواقعة على سواحل لاتسيو وصورت المناظر الداخلية في فيلا فراسكاتي واستديوهات إيليوس. يتحدث الفيلم عن المهندس المعماري فرانك فنتورا (كريس أفرام) الذي يحاول تحويل خليج هادئ إلى منتجع سياحي. يقتل مالكا الموقع الحاليان الكونتيسا فريديريكا دوناتي (إيزا ميراندا) وزوجها الكونت فيليبو (جيوفاني نوفوليتي). ثم تصل ابنتهما ريناتا (كلودين أوغر) وزوجها ألبرت (لويجي بيستيلي) للمطالبة بإرثهما، لكنهما يكتشفان أنه كان للكونتسية ابن غير شرعي يدعى سيمون (كلاوديو فولونتيه) يعيش كوخ

في الخليج الذي يعيش فيه كذلك هاوي جمع الحشرات المهووس بالبيئة بول فوسكاري (ليوبولد تريبستيه) وزوجته آنا (لورا بيتي) وهي وسيطة روحانية. يصل إلى الخليج أربعة مراهقين حمقى دائمي الضحك- برونهيلد (بريجيت سكاي) وبوبي (روبرتو بوناني) ودينيز (باولا روبنز) وديوك (غيدو بوكاتشيني)- على متن سيارة شاطئية صفراء ويجدون أنفسهم، عن غير قصد، على خط إطلاق النار، قبل أن يتم العثور على جثثهم غارقة بالدماء. ومع تقدم الفيلم، تمتد سلسلة الجرائم كي تطاول كافة الممثلين. وقد أطلق الفيلم في إيطاليا تحت عنوان «التفاعل المتسلسل» - Reazione a Catena.

يتميز فيلم «خليج الدم» بجرائم القتل الثلاث عشرة التي صممها كارلو رامبالدي بصورة مقنعة. تموت الكونتيسة شنقاً عندما يعلق أحدهم أنشوطة في عنقها ويدفع كرسيها المتحرك بعيداً ثم يطعن زوجها وتكتسي بشرة برونهيلد بشحوب الموت وتجز حنجرتها بالمنجل ويمزق وجه بوبي بالمنجل ويخترق رمح جسدي دينيز وديوك وهما يمارسان الحب، ثم تطعن ريناتا فينتورا بمقص ويخنق ألبرت بول بشريط الهاتف وتقطع ريناتا رأس آنا بالفأس ويخنق سيمون لورا ثم يموت، هو نفسه، عندما يطعنه ألبرت بالرمح. هكذا يعود ريناتا وألبرت، وقد أصبحا مالكي الخليج الوحيدين دون منازع الآن، إلى منزلهما المتنقل على شاطئ الخليج حيث كانا يخيمان مع طفليهما (ريناتو شيستي ونيكوليتا إيلمي). لكن الطفلين يعثران، في ذروة الصدمات التي يتحفنا بها الفيلم، على بندقية ويقتلان ذويهما بواسطتها عن طريق الخطأ: «يا لبراعتهما في التظاهر بالموت، أليس كذلك؟».

دعمت أجواء الفيلم المروعة بنغمات بوسا نوفا قدمها ستيلفيو شيبرياني لفيلم لا تعادل قوة الصدمة فيه إلا أسلوب تنفيذه الرائع. فقد بدا بافا رائعاً في ذلك الجهد الهائل الذي بذله- إذ لم يكن بافا مخرج الفيلم فحسب، بل كان كذلك مصوره. والواقع أن حركة الكاميرا، التي كانت تجوس أرجاء الخليج المشجر المخيف تحت شفق يبدد آخر خيوط ضوء النهار بصورة تنذر بالشؤوم، جعلت بافا يظهر في أروع تجلياته. تذكر من مشاهد الفيلم المروعة ذلك المشهد الذي تكتشف فيه جثة

الكونت مرمية في قارب الصيد العائد لسيمون وحبار مخيف يتلوى على وجهه الممزق. والواقع أن مشاهد القتل الدموي التي حفل بها الفيلم كانت واقعية إلى حد تعرضت معه للحذف أو الاختصار في كافة النسخ البريطانية، بل إن الهيئة البريطانية لتصنيف الأفلام رفضت تصنيف الفيلم عام ١٩٧٢ ثم أجازت، عام ١٩٨٢، عرض نسخة بتراء منه تحت اسم «حمام الدم» - Blood Bath وصنفته على أنه للبالغين ومنع توزيعه على شرائط الفيديو المنزلية. وفي الولايات المتحدة، عرض الفيلم، بادئ الأمر، تحت اسم «المجزرة» - Carnage ثم تحت اسم «رعشة الموت» - The Twitch of The Death Nerve ثم «المنزل الأخير - الجزء الثاني» - The Last House- Part II وتتوافر في الأسواق الأمريكية الآن نسخة كاملة غير منقحة من الفيلم على أقراص ضوئية. كان لفيلم «خليج الدم» تأثير بالغ على أفلام الرعب الأمريكية مثل «هالوين» (١٩٧٨) و«الجمعة ١٣» (١٩٨٠) ولا يزال هذا الفيلم أكثر أفلام بافا إثارة للجدل حتى اليوم.

القتل على طريقة أرجنتو

على الرغم من أن بافا كان رائد أفلام الجيالي، إلا أن داريو أرجنتو يبقى مايسترو هذا النوع السينمائي. بدأ أرجنتو، وهو ابن المنتج سالفاتوريه أرجنتو والمصورة الفوتوغرافية البرازيلية إيلدا لوكساردو، حياته المهنية ناقداً فنياً في صحيفة «بايزيه سييرا» المسائية ثم تعاون مع سرجيو ليونيه في المعالجة الدرامية لفيلم «حدث ذات مرة في الغرب» وشارك في كتابة سيناريو العديد من الأفلام الحربية («الكوماندوس»، و«الاحتمال صفر»، و«معركة الكوماندوس») وأفلام السباغيتي وسترن («اليوم أنا... وغداً أنت!»، و«جيش من خمسة رجال»). كانت بدايته الإخراجية مع فيلم الغموض «الطائر ذو الريش الكريستالي» - The Bird With The Crystal Plumage (١٩٧٠) الذي يجمع أجواء التوتر التي عشناها مع هيتشكوك في جريمة الدش الشهيرة التي وقعت في فيلم «بسايكو» (١٩٦٠) وأجواء التهديد الدائم التي تميز أفلام بافا.

يشهد الكاتب الأمريكي سام دالماس (طوني موسانتيه) محاولة قتل تعرضت لها مونيكا رانييري (إيفا رينزي) في صالة عرض للفنون في روما وكان زوجها ألبرتو (أومبرتو راهو) المشتبه به الرئيسي. في تلك الأثناء، كان المفتش موروسيني (إنريكو ماريا سالرينو) يحقق في سلسلة من جرائم القتل حصدت أرواح ثلاث نساء. يبدأ سام، الذي اعتبره موروسيني الشاهد الرئيسي على جريمة صالة العرض، في التنقيب في هذه الجريمة حتى تحل اللحظة التي يهدد القاتل فيها صديقته جوليا. ثم تُقتل امرأتان أخريان فتتجه الشرطة إلى شقة ألبرتو، في اللحظة التي كان فيها على وشك القضاء على مونيكا. يسقط ألبرتو أثناء محاولته الإفلات من قبضة رجال الشرطة من نافذة تقع على علو مرتفع، ويعترف بالجرائم التي ارتكبها قبل أن يموت. لكن جوليا تختفي بدورها، فتعيد الدلائل سام إلى صالة العرض من جديد.

صور فيلم «الطائر ذو الريش الكريستالي» في مواقع في روما وفي استديوهات دي باوليس واستغرق التصوير الفترة الممتدة بين شهري آب وتشرين الأول ١٩٦٩ وأنتج الفيلم سالفاتوريه والد أرجنتو. لعب فولفيو مينغوتسي دور مفتش شرطة وفرنر بيترز دور تاجر عاديات مخنث وغيلدو دي ماركو دور القواد الفأفاء غارلو. ولعب ريجي نالدر (القاتل في فيلم «الرجل الذي عرف أكثر مما ينبغي» لهيتشكوك) دور نيدلز، القناص ذي المعطف الأصفر (اسمه سيرينغا في النسخة الإيطالية) الذي يستأجره القاتل لتصفية سام. ولعبت سوزي كاندال دور جوليا قبل أن تشارك بعد ذلك في العديد من أفلام الجيالي، كان منها فيلم «الجذع»- Torso (١٩٧٣) لسرجيو مارتينو الذي كانت فيه واحدة من عديدات من طالبات الفن اللواتي يكون مصيرهن القتل. كان فيلم «الجذع» مزيجاً تلصصياً من الرقة والوحشية دعمته موسيقى جيالي ذاوية قدمها الأخوان دي أنجيليس، كما تميز الفيلم بمواقع تصويره: فيلا كاستيلو دي كوركوليه الريفية وشلالات مونتيه جيلاتو وبلدة تالياكوتسو الأثرية مدينة لاكويلا ونافورة ماجيوريه الرائعة الواقعة في ميدان الرابع من نوفمبر في بيروجيا، أومبريا.

الملصق الإيطالي الأصلي لفيلم الرعب الجيالي «الطائر ذو الريش الكريستالي» (١٩٧٠) الذي أخرجه داريو أرجنتو



الملصق الإيطالي الأصلي لفيلم الرعب الجيالي «الطائر ذو الريش الكريستالي» (١٩٧٠) الذي أخرجه داريو أرجنتو

كان مصور أرجنتو السينمائي فيتوريو ستورارو الذي قادته مسيرته المهنية إلى الفوز بجوائز أوسكار عن أعماله في «القيامة الآن»- Apocalypse Now و«الحمر»- Reds و«الإمبراطور الأخير»- The Last Emperor. غمر ستورارو صور الفيلم بألوان ذات رمزية تراوحت بين الأحمر المتوهج والأبيض الناصع. وتشبه جولات الكاميرا التي نفذها في شوارع روما الضبابية حلول بافا التصويرية، إلا أن استخدام ستورارو للنور والظلال ومعالجته للزوايا والتجاورات والحركات المفاجئة للكاميرا التي تميز بها ارتقت بالأسلوب القوطي الذي وضعه بافا نحو عالم معاصر من الخرسانة والزجاج تنيره أضواء النيون. ويعبر أسلوب ستورارو عن نفسه خير تعبير في المشهد الذي تقع جوليا فيه في الشرك: إذ يغرق القاتل شقتها بالظلام ثم يحفر ثقباً في باب منزلها الخشبي باستخدام السكين ويحدق من خلاله.

يطوف قاتل الجيالي التقليدي- بمعطفه الجلدي الأسود الطويل وقفازيه الأسودين ووشاحه وقبعته- بحثاً عن طرائد جديدة ويصور ضحاياه المحتملين قبل أن يمزقهن بالسكاكين أو بشفرات حلاقة حادة. يشهد سام محاولة القتل التي تعرضت لها مونيكا أثناء عودته إلى منزله ليلاً سيراً على الأقدام، فيحاول مساعدتها، إلا أنه يعلق بين بابين زجاجيين سحابين - فبدا كذبابة محصورة بين دفتي نافذة زجاجية - في حين كانت مونيكا تخمش الزجاج بأظافرها وتصرخ طالبة النجدة. وعندما يعود سام، في ذروة الحبكة، إلى صالة العرض المظلمة بحثاً عن جوليا، يقع في الفخ مرة أخرى، بفعل مقصود هذه المرة، حين يثبته القاتل إلى الأرض تحت إفريز ثقيل شائك. وكانت لحظات الرعب هذه تمر على وقع نغمات متنافرة وضعها إينيو موريكونيه. والواقع أن أفلام الجيالي هي ما سمح لأسلوب موريكونيه الطليعي بالنفاذ إلى عالم السينما الرائجة. وقد تعاون موريكونيه، في هذه المرحلة، مع فرقة نووفو كونسانانزا التجريبية وصنعا، معاً، ألحاناً فوضوية غير تقليدية لفيلم رعب نفسي جنسي اسمه «مكان هادئ في الريف»- A Quiet Place in The Country (١٩٦٨)

أخرجه إيليو بيتري ولعب البطولة فيه فرانكو نيرو وفانيسا ريدغريف، وهو فيلم تجريدي وعسير على الفهم في أفضل الأحوال. أما المقطوعة الموسيقية الرئيسية في فيلم «الطائر ذو الريش الكريستالي» فهي، في جوهرها، تهويدة أطفال مرحة على وقع موسيقى فولك تعزفها آلة الغيتار ونغمات متلألئة تصدر من صندوق موسيقى وجملة صوتية تؤديها إيدا ديلورسو وفرقة كانتوري. ويستخدم الفيلم الأصوات اللاهثة التي تصدرها هذه المغنية من أجل خلق أجواء متوترة، في حين يقطع سير الموسيقى قرع أجراس ونغمات وترية نائحة وشذرات من أغنية «المدينة تستيقظ» (La Citta Si Risveglia).

يكتشف سام في لوحة فنية تصور فتاة صغيرة تتعرض للطعن بعنف مفرط في مرج تغطيه الثلوج ما يمكن أن يفسر دوافع القاتل، فيزور الفنان الذي رسم اللوحة، وهو ريفي ناسك مقل في أكله يعيش في منزل من الطوب اسمه بيرتو كونسالفي (ماريو أدورف)، فيكتشف أنه استلهم اللوحة من محاولة قتل وقعت منذ عشر سنوات في قرية أفيانو. ثم تجد الأحجية المعقدة حلها بفضل مكالمات تهديد هاتفية يجريها القاتل تسمع في خلفيتها أصوات صراخ يتعرف إليها صديق سام، عالم الطيور البروفسور كارلو دوفر (ريناتو رومانو) بوصفها أصوات طائر يدعى هورنيتوس نيفاليس، وهو طائر غريب يتمتع بريش أبيض شبيه بالزجاج يعيش في شمال سيبيريا وهنالك فرد واحد منه فقط في حديقة الحيوانات في روما القريبة من شقة رانييري. أطلق الفيلم في الولايات المتحدة تحت اسم «الطائر ذو الريش الكريستالي» و«شبح الرعب». أما في المملكة المتحدة، فتم تغيير اسم الفيلم كي يصبح «جرائم صالة العرض» - The Gallery Murders وصنف على أنه فيلم للبالغين. يعتبر فيلم «الطائر ذو الريش الكريستالي» أكثر أفلام أرجنتو إثارة وعملاً فنياً حقيقياً حقق نجاحاً ساحقاً غير متوقع في إيطاليا لدى إطلاقه فيها في شهر شباط ١٩٧٠.

أخرج أرجنتو، بعد أن نجح في إرساء صيغة خاصة به في سينما الرعب والتشويق، فيلم «أذيال القط التسعة» - The Cat O’Nine Tails (١٩٧١).

يتعاون الصحفي السابق الضرير وهاوي الأحجيات فرانكو «كوكي» أرنو (كارل مالدن) ونسيبته لوري (شينزيا دي كاروليس) مع المراسل الصحفي كارلو جيورداني (جيمس فرنشيسكوس) من أجل حل لغز يتصل بمعهد تيرزي للبحوث الجينية. إذ يسقط الدكتور كالابريزي (كارلو أليغييرو) أمام عجلات القطار ثم يخنق المصور الفوتوغرافي ريغيتو (فيتوريو كونجيا) الذي التقط صورة للحادثة تظهر في نسخها السلبية يد تدفع الدكتور. كما تشنق عشيقة كالابريزي، بيانكا ميروزي (رادا راسيموف) بدورها ويتبين أن القاتل مهتم بواحد من برامج المعهد يدرس إمكانية تحديد الميول الإجرامية من خلال الصيغ الوراثية. تضمنت لائحة المشتبه بارتكابهم هذه الجرائم الدكتور براون (هورست فرانك) وعشيقه مانويل (فيرنر بوتشاث) والبروفسور فولفيو تيرزي (تينو كارارو) وابنته آنا (كاثرين سباك، التي تظهر بتسريحة شعر كبيرة للغاية). يحاول القاتل دس السم في الحليب الذي يتلقاه كارلو في حين يقتل أرنو بالغاز ثم يتم طعن براون واختطاف لوري. يبرز فيلم «أذيال القط التسعة»، المستلهم من رواية «٢٣ خطوة إلى شارع بيكر ستريت» لهنري هاثاواي التي يحقق فيها الكاتب المسرحي الضرير فان جونسون في مؤامرة خطف، الكيفية التي يتحرر بها أسلوب أرجنتو السينمائي من محتوى النص الأصلي. تميزت جرائم القتل في الفيلم بالعنف، إلا أن مقتل كالابريزي تحت عجلات القطار كان وحده الذي يظهر شيئاً من سعة الخيال. وفيلم «أذيال القط التسعة» هو، قبل كل شيء، فيلم تشويق يتناول التجسس الصناعي- والأذيال التسعة هي، في الواقع، المقالات التسعة التي كتبها كارلو وأرنو، وليست أية أداة تعذيب. لعب بيير باولو كابوني دور ضابط التحقيق سبيمي وأوغو فانغاريجي دور المجرم الميؤوس من إمكانية إصلاحه جيجي الخاسر الذي يجنده كارلو للتسلل إلى فيلا تيرزي. تراوحت الموسيقى التي قدمها موريكونيه للفيلم بين المعزوفة السوداوية الرئيسية التي حملت عنوان «التهويدية الزرقاء» (Ninna Nanna in Blu)- دندنات غيتار وفلوت وآلات

وترية وأجراس مرتجلة وأصوات مهدئة من إيدا ديلورسو- ونغمات جاز وصراخ حيوانات وصوت بوق مخنوق في مقطوعة باسم Placcaggio. تم تصوير الفيلم بين شهري أيلول وتشرين الأول ١٩٧٠ في مواقع في روما وتورينو وبرلين الغربية (المناظر الداخلية في استديوهات شينيشيتا) واحتل المرتبة التاسعة على قائمة أكثر الأفلام نجاحاً في إيطاليا عام ١٩٧١.

كان فيلم «أربع ذبابات على مخمل رمادي»- Four Flies on Grey Velvet (١٩٧١) الفيلم الأخير في ثلاثية الحيوانات التي صنعها أرجنتو ومثل فرصة استطاع موريكونيه من خلالها إبراز موهبته في موسيقا الجاز روك. تدور قصة الفيلم حول ضارب الطبل في فرقة روك اسمه روبرتو توبياس (مايكل براندون، الذي ظهر سابقاً في فيلمي «ديمبسي»- Dempsey و«صانع السلام»- Makepeace) وزوجته نينا (ميمسي فارمر). أما المقطوعة الافتتاحية للفيلم، عندما يكون روبرتو وأعضاء فرقته يتدربون في الاستديو، فهي دندنات أرغن مشوشة تتخللها أصوات بشرية مخنوقة بلا كلمات. وتشبه أشهر مقطوعات الفيلم- أغنية «كقصيدة حب» (Come Un Madrigale)- مقطوعة موريكونيه الشهيرة «هنا أبداً» (Qui Mai). أما أفضل ألحان الفيلم، فهي المعزوفة المتألقة (نغمات غيتار وصوت إيدا ديلورسو) التي استخدمت في مشهد الحب بين روبرتو وداليا (فرانسين راسيت) ابنة عم نينا.

يتهم روبرتو خطأ بطعن كارلو ماروسي (كاليستو كاليستي) حتى الموت، في جريمة ارتكبها في مسرح مقفر شخص يضع قناعاً بوجه دمية. لم يمت كارلو، لكن شبكة من جرائم القتل والابتزاز تحوم حول منزل توبياس. إذ تقتل الخادمة ماريا (كونستانزا سبادا) طعناً في الحديقة، ويتعرض كارلو نفسه للضرب والخنق، كما يقتل جياني أروزيو (جان بيير مارييل)، المحقق الخاص الذي يعمل لصالح روبرتو، بحقنة قاتلة في مرحاض قطار الأنفاق وتطعن داليا حتى الموت. يمهد أرجنتو لكل واحدة من هذه الجرائم تمهيداً طويلاً متدرجاً ينتهي التصعيد فيه بلحظة الموت، في ما يمكن تشبيهه بالتبادل

الطقوسي لإطلاق النار في أفلام السباغيتي وسترن أو بقرع الصنوج الختامي في ذروة عزف منفرد على الطبل. ومن الأمور الجديرة بالذكر في هذا الفيلم الكابوس الذي ينتاب روبرتو بصورة متكررة ويشاهد فيه عملية قطع رأس تعود إلى القرون الوسطى، بالإضافة إلى الحضور العارض الغريب لبود سبنسر بدور غودفري، صديق روبرتو، ورصاصة تخترق الأجواء بالحركة البطيئة.

بدأ أرجنتو تصوير الفيلم في تموز ١٩٧١ في مواقع في تورينو وروما وميلانو في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس. أما مفتاح الإنارة، فلا يعمل في الحالات التي تكون فيها إحدى الشخصيات وحدها في المنزل، كما هو متوقع في أفلام الجيالي عموماً وفي فيلم كان حل العقدة فيه متقناً، على نحو خاص. يشير العنوان الشاعري الذي تم اختياره للفيلم إلى الصورة الأخيرة التي تنطبع في شبكية العين لحظة الموت- وفي هذه الحالة، كان آخر ما التقطته عين إحدى الضحايا أربع ذبابات. يكتشف روبرتو أن قلادة نينا هي ذبابة مصنوعة من الكهرمان «صورتها» الشبكية أربع مرات أثناء تأرجحها. تقفز نينا في سيارتها بقصد الفرار، لكنها تصطدم، في لقطة رائعة بالحركة البطيئة (على وقع لحن «كقصيدة حب») بمؤخرة سيارة نقل فينفصل رأسها عن جسدها.

وميض الأنصال: حمى الجيالي

عشية النجاحات التي حققها أرجنتو، كانت أفلام الجيالي قد أصبحت الأكثر شعبية بلا منازع في شباك التذاكر الإيطالي. لعب فرانكو نيرو دور صحفي التحقيقات أندريا بيلد في فيلم «الإصبع الخامس»- The Fifth Cord (١٩٧١) الذي يقدم موريكونيه فيه مجموعة أخرى من أعماله الموسيقية، بما فيها معزوفة أرغن متثاقلة بعنوان «لعوب، لعوب» (Giocoso, Giocoso) ومعزوفة عاطفية بعنوان «إشاعة» (Voce Secondo). ينجو جون لوبوك من اعتداء تعرض له أثناء عودته إلى منزله من احتفال رأس السنة الجديدة. ثم

تقع أربع جرائم قتل متتالية تطال أشخاصاً كانوا حاضرين في تلك الحفلة: إذ تخنق صوفيا بيني (روسيلا فولك)، زوجة الدكتور ريتشارد بيني (ريناتو رومانو) غير الصالحة ويتم رميها إلى أسفل بيت الدرج، ويصاب رئيس تحرير صحيفة يدعى ترافيرسي (غيدو ألبيرتي) بنوبة قلبية أثناء سيره في الحديقة عائداً إلى منزله، وتكتشف جثة إيزابيل لانسيا (إيرا فون فورستنبرغ)، خطيبة إدواردو فيرمونت (إدمون برودوم)، غارقة في مغطس حمام في أحد الفنادق، كما تقتل المومس جيوليا سوافيه (أغوستينا بيلي) في معبر سفلي للسيارات. يكتشف المحققون في مسرح كل من هذه الجرائم وجود قفاز- تنقصه إصبع واحدة في مسرح الجريمة الأولى ثم إصبعان في مسرح الجريمة الثانية بما يشير إلى أن العدد الكلي للضحايا سيبلغ خمساً. تحوم الشبهات حول الصحفي أندريا، لكن القاتل لا يلبث أن يهاجم ابنه طوني في المنزل. أما أندريا، فتراوده الشكوك في أن الجاني هو لوبوك المولود في أرييس- كان العنوان الإيطالي للفيلم هو «يوم أسود لأرييس» (Gionata Nera Per L'Ariete)- لأسباب لم تكن واضحة إلا بصورة جزئية وتتعلق بميول لوبوك المنحرفة ولجوئه إلى الابتزاز وحبه لفيرمونت. يعالج الفيلم علاقة أندريا، المدمن على معاقرة الكحول، بزوجته الانطوائية هيلين، بطريقة بارعة. صورت مناظر الفيلم الداخلية في استديوهات دي باوليس والمناظر الخارجية في مواقع في روما. لعب فولفغانغ برايس دور مفتش الشرطة المكلف بالتحقيق ولعبت باميلا تيفين دور لو، خليلة أندريا. يتميز فيلم «الإصبع الخامس» عما سواه من أفلام الجيالي بالتصوير السينمائي البارع الذي نفذه فيتوريو ستورارو الذي تخترق فيه شظايا من الضوء الظلام الدامس. كما صور ستورارو فيلم باتسوني الصعب «آثار أقدام»- Footprints (١٩٦٥) الذي لعبت فلوريندا بولكان دور البطولة فيه.

كان فيلم «قضية السوسنة الدامية»- The Case of The Bloody Iris (١٩٧١) لجيوليانو كانيميو معقداً كاسمه البديل- «ما قطرات الدم الغريبة هذه

- «ما هذه القطرات الغريبة من الدم على جسد جنيفر؟» What Are Those Strange Drops of Blood on The Body of Jennifer?. يقوم شخص مجهول بقتل نساء حسناوات في مبنى سكني في مدينة جنوة ويكلف المفوض إينشي وفريقه الجنائي بالتحقيق في هذه الجرائم. وكانت حنجرة مومس اسمها لولا (إيفي فارينيلي) تعمل في أوساط الطبقة الراقية قد جزت في المصعد كما جرى تقييد راقصة في أحد الملاهي تدعى ميزار هارينغتون (كارلا بريت) وأغرقت في مغطس حمام منزلها. تنتقل العارضتان ماريلين رينتشي (باولا كواتريني) وجنيفر لانسبيري (إيدويج فينيش) إلى شقة ميزار التي استأجرتاها من مهندس معماري معسول اللسان يدعى أندريا بارتو (جورج هيلتون). تتعرض ماريلين للطعن في شارع مزدحم في وضح النهار، فتتجه الشكوك إلى أندريا الذي يعاني خوفاً مرضياً من رؤية الدم ولديه معرفة كبيرة بهندسة المبنى. وكما في كل أفلام الجيالي، تتسع دائرة الشبهات كي تضم آدم (بين كارا)، زوج جنيفر السابق المشوش وجارة عجوزاً غريبة الأطوار هي السيدة موس (ماريا تيديسكي) التي تعيش وحيدة في الظاهر (في حين أنها تؤوي ابنها المشوه الذي يعشق قصص الرعب المصورة) وشيلا آيزاكس (أنابيلا إنكونتريرا) ووالدها عازف الكمان البروفسور آيزاكس (جورج ريغو). أما المفوض إينشي (جيامبييرو ألبرتيني) فهو جامع طوابع، في حين يلعب لوشيانو بيغوتسي دور فانيلي وهو مالك ناد ليلي سيء السمعة. يغطي القاتل وجهه بقناع أسود ويرتدي قبعة سوداء ومعطفاً طويلاً أسود وقفازات جراحية ويحمل معه مخدر الكلوروفورم ومبضعاً. يتعزز فيلم كارنيميمو بمقطوعات موسيقية ذات طراز أوروبي كتبها برونو نيكولاي وبأزياء جميلة تعود إلى حقبة السبعينيات وبديكورات جميلة (استديوهات إيليوس) وبلقطات فلاش باك وبالعديد من الحركات الجميلة التي تؤديها الكاميرا. كان الدليل الرئيسي الذي قاد إلى اكتشاف القاتل زهرة سوسن بيضاء كان القاتل يضعها بجوار كل ضحية، وهي من رموز طائفة «الحب الحر» التي تنتمي إليها جنيفر وآدم على الرغم من أنه استبعد من لائحة المشبوهين بعد سقوطه من ظهر خزانة ملابس واختراق سكين أحشاءه.

سار العديد من مخرجي الجيالي على خطى أرجنتو فأقحموا الأعداد وأسماء الحيوانات والزهور في عناوين أفلامهم. ويعتبر فيلم «قضية ذيل العقرب» - The Case of The Scorpion's Tail (١٩٧١) لسرجيو مارتينو، الذي صور في لندن (ميدان ترافالغار وقصر بكينغهام ووستمنستر) وفي أثينا (البارثينون) وفي استديوهات إيليوس، مثالاً جيداً على هذا النوع من الأفلام. تفوز ليزا باومر (إيدا غالي) بمبلغ مقداره مليون دولار أمريكي، هو قيمة بوليصة التأمين على حياة زوجها الطيار كورت (فلوفيو مينغوتسي) الذي قتل في تحطم طائرة. يكلف محقق التأمين بيتر لينش (جورج هيلتون) بملاحقة ليزا إلى اليونان، لكنها تقتل بعد وقت قصير ويختفي المال. ثم يموت عدد آخر من الضحايا - على يد شخص ممسوس يلبس على طريقة ديابوليك - فيبدأ مفتش الشرطة اليونانية ستافروس (لويجي بيستيلي) وعميل الإنتربول جون ستانلي (ألبرتو دي مندوزا) بالتحقيق. لعبت آنيتا ستريندبرغ دور المصورة الفوتوغرافية كليو دوبون (حبيبة بيتر) وجانين رينو دور لارا فلوراكيس، عشيقة كورت اليونانية ولويس باربو دور تابعها شريف. أثبت مارتينو في هذا الفيلم قدرته على تصميم مشاهد حركة تتميز بالدموية - تنتزع عين إحدى الضحايا من محجرها في أحد المشاهد - واستخدام مؤثرات ضوئية بافائية. كما قدم الفيلم مقطوعات جيالي موسيقية تقليدية كتبها برونو نيكولاي. أما الدليل الرئيسي الذي يقود إلى الجاني، فهو صورة فوتوغرافية ممزقة يظهر فيها كورت وهو يضع أساور ذهبية على شكل عقرب كان قد تم العثور عليها في مسرح إحدى الجرائم، الأمر الذي يعني أنه لم يمت في الواقع وأنه هو من استولى على مال التأمين من زوجته.

كان فيلم «الضحية المختارة» - The Designated Victim (١٩٧١) لماروريتسيو لوشيدي فيلم جيالي يستعيد فيلماً قديماً لهتشكوك اسمه «غرباء في القطار» - Strangers on a Train (١٩٥١). يرتبط رجل الإعلان الميلاني ستيفانو أرجنتي (توماس ميليان) بعلاقة غرامية مع فابيين بيرونجيه (كاتيا

كريستين) ويخطط لاصطحابها إلى فنزويلا، إلا أن زوجته لويزا (ماريسا بارتولي) ترفض بيعه حصتها من شركة الإعلانات. يلتقي ستيفانو في البندقية بالكونت ماتيو تيبولو (بيير كليمنتي) وسرعان ما يتحول الحوار العارض الذي يتبادلانه إلى جريمة قتل. إذ يعرب ماتيو عن رغبته في التخلص من شقيقه المتعسف ويقترح أن يقوم ستيفانو بقتله، على أن يقوم ماتيو بقتل لويزا. لم يأخذ ستيفانو كلام ماتيو على محمل الجد حتى يكتشف جثة لويزا مخنوقة في شقتها. يحقق مفوض الشرطة فينزي (لويجي كاستيلاتو) بالقضية ويعتبر ستيفانو المشتبه به الرئيسي. في ذلك الوقت، يلح ماتيو في الاتصال بستيفانو ويبتزه بأدلة تدينه، فيسافر ستيفانو إلى البندقية لتنفيذ الجزء من الاتفاق المتعلق به. يتسلق ستيفانو، بناء على تعليمات ماتيو، إلى سطح كاتدرائية سيدة النجاة: وعندما تدق الساعة الثانية عشرة، يسدد بندقية قناصة إلى نافذة تقع على الجانب الآخر من القنال ويطلق النار.

صور لوشيدي غالبية مشاهد فيلمه في أجواء ضبابية في مدينتي البندقية وميلانو واختار فيلا تقع في بلدة مولترازيو على بحيرة كومو كي تكون منزل عطلات الزوجين أرجنتي. كما زود باكالوف الفيلم بموسيقى رومانسية مع مقطوعات غيتار كهربائي قدمتها فرقة الروك التقدمي نيو ترول. أما ميليان، نفسه، فيدندن أغنية الشارة السوداوية «ظلي في الظلام». لعبت ساندرا كارديني دور كريستينا مولر، شريكة الكونت الغامضة في المؤامرة. قدمت دار كونفتسيوني سان ريمو أزياء ميليان الأنيقة وأثثت شركة ماير منزل كليمنتي. بدا ميليان في الفيلم، بذقنه الحليقة، أكثر طلاوة مما عرفناه عنه في أفلام الوسترن والأفلام البوليسية، وقد تفوق على نفسه في تجسيده لشخصية ماتيو الذي يؤطر شعره الأسود الطويل وجهه الشاحب الكئيب وبدا ببذته الأنيقة ومعطفه الطويل، وهو يلاحق صديقه الجديد ستيفانو في أزقة البندقية الضبابية، أشبه بدراكولا.

قدم لوشيو فولشي بعض الإضافات المثيرة للاهتمام إلى سينما الجيالي. فيقدم في فيلم «الواحد فوق الآخر»- One on The Top of The Other (١٩٦٩) ماريسا ميل وجان سوريل في قصة عن عصابات سان فرنسيسكو تدور في أجواء تذكرنا بفيلم « فيرتيغو ». أما «حرباء في جلد امرأة»- A Lizard in a Woman's Skin (١٩٧١)، فهو فيلم غموض إجرامي هذياني تدور أحداثه في لندن ويظهر فيه كل من فلوريندا بولكان وستانلي بيكر وجان سوريل وليو جين ونفذ كارلو رامبالدي المؤثرات الخاصة الخيالية وموريكونيه وديلورسو الموسيقى التصويرية الجميلة. كما نفذ فولشي اقتباساً رائعاً لقصة «القط الأسود»- The Black Cat (١٩٨١) لإدغار ألان بو، مع باتريك ماغي وميمسي فارمر وديفيد واربيك والفيلم الدموي المنفر «سفاح نيويورك»- The New York Ripper (١٩٨٢) الذي منع عرضه في المملكة المتحدة.

ويعتبر فيلم «لا تعذب بطة»- Don't Torture a Duckling (١٩٧٢) منافساً قوياً على نيل لقب أفضل أفلام فولشي، بفضل التوتر المستمر فيه وأجوائه بالغة الغرابة وموضوعه الإشكالي. تجري أحداث الفيلم في قرية أتشيندورا الخيالية الواقعة في جنوب إيطاليا، على الرغم من أنه جرى تصوير الفيلم في جبل سانتانجيلو الواقع في حديقة غارغانو الوطنية (على أعتاب بوليا) وفي ماتيرا الواقعة في مقاطعة بازيليكاتا (من فيلم «الإنجيل بحسب القديس متى»)، حيث تطارد الشرطة المحلية صبياً قاتلاً. يحقق في الأحداث صحفي من صحيفة ستاندارد الميلانية بمساعدة باتريتسيا (بربارة بوشيه)، وهي امرأة من المدينة انتقلت للحياة في الريف كي تجد أن المجتمع المحلي ينبذها. تلقى اللائمة في ارتكاب الجرائم، في بداية الأمر، على أبله القرية جيوسيبيه بورا (فيتو باسيري) قبل أن تثبت براءته بسرعة الأمر الذي يصيب مفوض الشرطة (فيرجينيو غاتسولو) وقائد الشرطة (جون بارثو) بالحنق.

لكن قاتل فولشي لم يكن هذه المرة شخصاً غامضاً يطوف شوارع المدينة بمعطفه الشبحي بحثاً عن ضحية، بل رجلاً مهووساً يجول في الريف. إذ تقع إحدى الجرائم بجوار شلالات مونتي جيلاتو، في حين تشهد خاتمة الفيلم- عندما يصارع أندريا الجاني على قمة جرف- القاتل وهو ينفذ قفزة هائلة في الفراغ. صور سرجيو دوفيتسي النتوءات الصخرية والجبال والمراعي والغابات بطريقة ساحرة مستخدما تقنية التكنيسكوب ذات الشاشة العريضة. ويمزج فولشي في الفيلم سحر الفودو بالخرافات والقبور السطحية والفن الأسود. يتمحور المجتمع المحلي في القرية الصغيرة حول الكاهن الشاب دون ألبرتو أفالونيه (مارك بوريل)- الذي يشجع صبية القرية على البقاء على سواء السبيل من خلال فريق كرة القدم الذي قام بتشكيله- ووالدته أوريليا (أيرين باباس) وشقيقته الصماء البكماء مالفينا. تشهد مالفينا وقوع الجرائم وتقوم بمحاكاتها من خلال قطع رؤوس دماها الأمر الذي يمنح أندريا وباتريتسيا فكرة عن هوية القاتل.

تشبه أتشيندورا، ببيوتها البيضاء، بلدة كيرنيغان في فيلم «اقتلي يا صغيرتي... اقتلي»، وهي مكان تتسم عقول سكانه بضيق الأفق نفسه الذي يميز شوارعه. ويشدد فولشي في الفيلم على التباين بين حياة المدينة والخرافات والأحكام المسبقة التي تسود الريف، فنرى باتريتسيا تقود سيارة شاطئية حمراء وتدخن الماريغوانا وتعيش في بيت عصري في ضواحي البلدة وترتدي ملابس أبعد ما تكون عن الحشمة، الأمر الذي يثير حفيظة السكان المحليين. تندلع التوترات في المجتمع القروي على خلفية الجرائم، فيضرب آباء الضحايا بوحشية امرأة محلية اسمها ماشيارا (فلوريندا بولكان) حتى الموت بالسلاسل المعدنية. وكانت ماشيارا تمارس السحر الأسود مع مرشدها العجوز فرنشيسكو (جورج ويلسون). وعلى الرغم من أن الجرائم لم تتوقف بعد موت ماشيارا، فإن وجوه السكان المحليين الحجرية لم تش بما يدل على الندامة. وقد كان موت ماشيارا العنيف (تم تقطيعها على صوت مذياع سيارة

هادر) أحد أكثر المشاهد وحشية وإثارة للاشمئزاز في أفلام فولشي. وبمعزل عن هذا المشهد، فإن «لا تعذب بطة» فيلم مخيف في مضمونه أكثر منه عنيفاً في صوره وقد ضاعفت قوة الفيلم الموسيقى التصويرية الموريكونية التي كتبها ريز أورتولاني. وقد ساعد تنديد فولشي، في هذا الفيلم، بالعقلية السائدة في البلدات الصغيرة وبورع الكنيسة وانعدام كفاءة الشرطة، على جعله يحقق نجاحاً كبيراً في إيطاليا، بيد أنه أخفق في اختراق السوق الأمريكية والبريطانية ولا يزال هذا الفيلم مثيراً للجدل.

ويستخدم القاتل في فيلم «بطن العنكبوت الأسود»- The Black Belly of The Tarantula (١٩٧١) أكثر الأساليب سادية في سينما الجيالي. يقتل شخص مجهول موظفات صالون تجميل وزبوناته بوخزهن في أعناقهن بحقنة تحتوي مصلاً يصيب الضحية بالشلل دون تنويمها بحيث تبقى واعية أثناء قيام القاتل بانتزاع أحشائها بالسكين في عملية تم تصوير تفصيلاتها بطريقة مروعة ودون أي تحفظ. وأسلوب القتل هذا مشتق من الطريقة التي تقتل فيها أنثى الذنبور العنكبوت قبل أن تضع بيضها في أحشائه بحيث تتغذى اليرقات على لحم مضيفها الذي يكون لا يزال على قيد الحياة. كان من الضحايا الامرأة الشبقة ماريا زاني (بربارة بوشيه) وتاجرة الكوكايين ميرتا ريتشي (أنابيلا إنكونتريرا) وفرانكا فالنتينو (روزيلا فولك) وهي ضحية عملية ابتزاز وعاملة الاستقبال جيني (فتاة بوند المستقبلية بربارة باخ) ولورا (فتاة بوند السابقة كلودين أوغر)، مالكة المنتجع التي تبتز زبائنها. يحقق في الجرائم تيليني (جيانكارلو جياني) وهو رجل شرطة شاب ينتمي إلى القوة الطائرة. وكان زوج ماريا باولو (سيلفانو ترانكويلي) المشتبه به الرئيسي حتى اللحظة التي يقع فيها من سطح بناء أثناء مطاردته المصور الفوتوغرافي ماريو (جيانكارلو بريتيه) الذي يساعد لورا على ابتزاز زبوناتها من خلال تصويرهن في أوضاع مخلة. ثم يدهس ماريو بسيارته الرياضية ويستهدف القاتل آنا (ستيفانيا ساندريلي)، زوجة تيليني قبل أن يشرح الفيلم في لحظة حل الحبكة

كيف تحول مدلك الصالون الضرير (إيزيو مارانو) إلى إنسان مجنون. صور مارشيلو غاتي الفيلم بأسلوب السبعينيات في مواقع في روما، والفيلم بالإجمال قوي ولاسيما من حيث الدعم الذي يتلقاه من موريكونيه وديلورسو.

تمثلت مساهمة إنزو كاستيلاري في حلقة الجيالي في فيلم «عيون الخوف الباردة» - Cold Eyes of Fear (١٩٧١ - «لحظات اليأس») الذي تم تصويره في ليل لندن الفاسق الذي تضيئه أنوار النيون في نوادي التعري والمراقص وبيوت المتعة. يأخذ رجل عنيف مسلح اسمه كويل (جوليان ماتيوس) وأرثر ويلت (فرانك وولف - متنكراً كرجل شرطة) المحامي العام بيتر باديل (جياني غاركو) وحبيبته الإيطالية آنا (جيوفانا رالي - بشعرها الفقاعي الثابت) رهينتين في منزل عم بيتر القاضي هوراسيو باديل (فرناندو راي) الواقع في ٣٣٦ كينغستون رود. وكان ويلت، الذي سبق لباديل أن سجنه خمس عشرة سنة بتهمة السرقة، يبحث عن دليل براءته. يزرع ويلت قنبلة على باب مكتب القاضي الذي يعمل في المحكمة حتى ساعة متأخرة. و"عيون الخوف الباردة" فيلم رديء - التمثيل فيه رديء (على الرغم من وجود ممثلين ذوي مصداقية)، ونصه رديء (غياب عناصر التوتر والتهديد التي يجب أن يتضمنها أي فيلم جيالي) ودوبلاجه رديء - لم تنقذه سوى العناية الموريكونية، ولاسيما نغمات الجاز في موسيقى الشارة التي ترافق ويلت في قيادته السيارة عبر شوارع لندن الليلية. نتابع في المشاهد الافتتاحية كارين شوبرت في مخدعها تحت تهديد معتد يحمل سكيناً، لكنها تقوم بطعنه (على وقع أزيز موريكونيه وعويله) قبل أن يتبين لنا، في لوحة معيارية في أفلام الجيالي، أن هذه الجريمة لم تكن أكثر من مشهد تمثيلي في ملهى ليلي يتابعه بيتر وآنا بشبق.

أما فيلم «المأوى الإيروتيكي» - Asylum Erotica (١٩٧٢) لفرناندو دي ليو، فهو فيلم رعب قوطي في أجواء معاصرة تدور أحداثه في بيت دعارة يديره البروفسور أوسترمان (جون كارلسن). يذكر من نزيلات البيت

مدمنة الجنس آن بالميري (روزالبا نيري) وشيريل هيوم (مارغريت لي) ذات النزعات الانتحارية وروث الذهانية (جيويا ديزيديري) ومارا (جان غاريت) التي تقيم علاقة سرية مع ممرضة (مونيكا ستريبيل). تقتل كافة النساء بوحشية، باستثناء الممرضة، على يد قاتل يرتدي عباءة سوداء ويستخدم أسلحة من القرون الوسطى (فأساً، خنجراً، قوس نشاب، مقعد العقاب) للقضاء على ضحاياه. تطارد الشرطة القاتل الذي يقتحم مساكن الممرضات ويضربهن، في نوبة سعار، بالدبوس. والواقع أن حضور كلاوس كينسكي في الفيلم بدور الدكتور فرنسيس كلاي والموسيقى (قدمها سيلفانو سباداتشينو) كانا من العناصر النادرة التي أضفت شيئاً من الجاذبية إلى فيلم وافر العري ويستغل الجنس بطريقة رخيصة. عرض الفيلم في الولايات المتحدة باسم «فندق السفاح»- Slaughter Hotel وقدمه الملصق الترويجي للفيلم من خلال عبارة تافهة لا معنى لها تقول: «مصنوع من عناوين الأخبار اليوم- شاهدوا كيف تذبح ثماني ممرضات بوحشية!».

ماذا فعلا؟ لادو ودالامانو

كان لفيلم «من رآها تموت؟»- Who Saw Her Die? (١٩٧١) لألدو لادو تأثير كبير على فيلم «لا تنظر الآن»- Don’t Look Now (١٩٧٣) لنيكولاس رويغ. إذ تجري أحداث كلا الفيلمين في البندقية ويتناولان قصة آباء قتل أبناؤهم ويتضمنان مشاهد فلاش باك تزيد تعقيد القصة. يعيش النحات فرانكو سيربيري (جورج لازنبي)، في فيلم «من رآها تموت؟»، في مدينة البندقية. تعود ابنته الصغيرة روبرتا (نيكوليتا إيلمي) من لندن لكنها تختطف ويكتشف باعة في السوق جثتها طافية في إحدى القنوات. يلوم فرانكو وزوجته إليزابيث (أنيتا ستريندبرغ) نفسيهما على موت ابنتهما- إذ كان فرانكو مع عشيقته غابرييلا (روزماري ليندت) في لحظة اختطاف روبرتا. يربط أحد الصحفيين (بييرو فيدا) موت روبرتا بحادثة اختفاء أخرى جرت

قبل عام. كانت لائحة المشتبه في ارتكابهم للجريمة كبيرة إلى درجة تربك المتفرج- بونايوتي (جوزيه كواليا)، وهو محام ثري يتحرش بالأطفال واثنين من موظفيه هما فيليب فرنون (بيتر شاتيل) وجينيفرا ستوريلي (دومينيك بوشيرو) التي تمارس الابتزاز بالإضافة إلى تاجر القطع الفنية سيرافيان (أدولفو شيلي) والأب جيمس (أليساندرو هابر)- على الرغم من أن هذه اللائحة تتقلص تدريجياً، كما هو متوقع، نتيجة سلسلة من جرائم القتل.

صور لادو، الذي سبق أن عمل مساعد مخرج لبيرتولوتشي في فيلم "الملتزم"، الفيلم في أجواء البندقية الشتوية في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس. كان الفيلم من أفضل ما صورته إيلمي ذات الشعر الأحمر- ظهرت في أفلام تشويق أخرى: «بارون الدم» و«خليج الدم» و«آثار أقدام» و«الأحمر العميق». وبدوره كان لازنبي ذو الشاربين الذي جسد شخصية جيمس بوند مرة واحدة ممتازاً. كانت الأجواء الفينيسية هي ما جعل الفيلم مروعاً- فعلى الرغم من أن المدينة هي واحدة من أكثر مدن العالم رومانسية، إلا أن لياليها الضبابية تجعلها كذلك إحدى أكثر المدن تهديداً. وقد فاقمت موسيقى موريكونيه أجواء الفيلم المثيرة. فيرنم في الفيلم كورس من الأطفال (بقيادة برونو ساماليه) كلمة "لا- لا- لاس" بصوت رخيم يتناسب ارتفاعه وحدته مع تصاعد أعمال القتل المجنونة. ويعتبر المشهد الافتتاحي في الفيلم، الذي تجري أحداثه على وقع ترنيمات موريكونيه المخيفة، أكثر مشاهد الجيالي إثارة للاضطراب، حيث نتابع فتاة صغيرة ذات شعر أحمر تلعب مع مربيتها في الثلج تحت ناظري امرأة غريبة- أرملة سوداء تضع نقاباً وتعتمر قبعة- تخطف الفتاة الصغيرة وتقتلها بحجر وتدفنها في الثلج.

أخرج ماسيمو دالامانو اثنين من أفضل أفلام الجيالي هما «ماذا فعلتم بسولانج؟»- What Have You Done to Solange? (١٩٧٢) و«ماذا فعلوا ببناتكم؟»- What Have They Done to Your Daughters؟ (١٩٧٤). يبدأ فيلم «ماذا فعلتم بسولانج» باكتشاف جثة تلميذة المدرسة هيلدا إريكسون على

ضفاف نهر التايمز وقد طعنت بوحشية. كانت هيلدا تلميذة في مدرسة سانت ميري للبنات التي يرتبط فيها معلم إيطالي متزوج اسمه إنريكو روسيني (فابيو تيستي) بعلاقة غرامية مع إحدى التلميذات وتدعى إليزابيث سيكلز (كريستينا غالبو). تعتقد إليزابيث أنها لمحت جريمة قتل هيلدا وأن القاتل كان يرتدي ملابس كاهن. ثم يتورط إنريكو في الجريمة عندما يعثر على قلمه الفضي في مسرح الجريمة وتزداد شكوك زوجته هيرتا (كارين بال) فيه. يستجوب المفتش بارت (يواكيم فوخسبرغر) من سكتلنديارد موظفي المدرسة ومنهم اثنان من المدرسين: البروفسور باسكومب (غونتر ستول) ونيوتن (أنطونيو كاساليه)، المتلصص الفاسد. ثم يقتل المزيد من التلميذات: فتخطف جانيت برايانت ويعثر على جثتها مرمية في حقل وتغرق إليزابيث في حوض استحمامها. كانت روث هولدن، المربية السابقة، أحد مفاتيح الحل، لكن عندما يصل إنريكو إلى الكوخ الذي تقيم فيه، يجد قطها مضروباً بهراوة وروث مقتولة بالمنجل. كانت التلميذات في الواقع أعضاء في جمعية سرية. وذات يوم أصبحت إحدى الفتيات وهي سولانج بورغارد (كاميل كيتون) حاملاً فتخضعها روث والفتيات الأخريات لعملية إجهاض وحشية تترك سولانج في حالة من التراجع العقلي. كان الظهور الأول لسولانج، التي بدت كحيوان ضال- أثناء نزهة لإنريكو وهيرتا في الحديقة وفي إثرها مرافقتها- مثيراً للاضطراب على نحو خاص.

تعتبر متابعة فيلم «ماذا فعلتم بسولانج؟» تجربة مزعجة بحق. صور دالامانو فيلمه، في خريف عام ١٩٧١، في مواقع في لندن مثل كنسينغتون وقصر باكنغهام وجسر وستمنستر. ونفذ أريستيد ماساتشيزي عمليات التصوير السينمائي الطلي بآلة ريفيرسالسكوب قياس ٢,٣٥:١ التي لم تدم طويلاً. أما أغنية الشارة الرومانسية الشهيرة التي كتبها إينيو موريكونيه، «ماذا فعلتم بسولانج» (Cosa Avate Fatto a Solange) فلا تعطي أي مؤشر على المحتوى السوداوي للفيلم، بل إن مقطوعة البيانو الرقيقة هذه التي تتخللها نغمات وترية

محسوبة والصوت البشري الطليق الذي قدمته إيدا ديلورسو كانت توحي للمشاهد أنه في صدد متابعة قصة حب. لم يبد فيلم «ماذا فعلتم بسولانج؟» أي تحفظ في تصوير جرائم القتل العنيفة والمزعجة التي حفل بها. وقد تعرض الفيلم، لأسباب مفهومة، لعمليات قص قاسية قبل عرضه في المملكة المتحدة كما جرى اختصاره كذلك لدى عرضه في الولايات المتحدة عام ١٩٧٦ تحت اسم «رعب في الغابة» - Terror in The Woods.

ولم يكن فيلم «ماذا فعلتم ببناتكم؟» أقل فظاعة من سابقه. تجري أحداث الفيلم في مدينة بريشيا حيث تكتشف جثة تلميذة المدرسة الحامل سيلفيا بولفيزي (شيريل لي بوكانان) مشنوقة- في جريمة قتل جرى إعدادها كي تبدو انتحاراً. تكلف مساعدة المدعي العام الدكتورة فيتوريا ستوري (جيوفانا رالي) بالتحقيق، في قضية كانت الأولى بالنسبة إليها، بالتعاون مع مفتشي الشرطة سيلفستري (كلاوديو كاسينيلي) وفالنتيني (ماريو أدورف). يكشف الثلاثة النقاب عن شبكة دعارة وفساد ومخدرات ضحاياها من المراهقين. وكان الدليل الأساسي على هذه الشبكة شريطاً جنسياً يسجل نشاطات المومسات. في ذلك الوقت، يجول القاتل المضطرب بساطوره الحاد مدينة بريشيا على متن دراجته النارية بحثاً عن ضحايا جدد. ثم يعثر على محقق خاص مقطعاً في صندوق سيارته في حين يهاجم القاتل فيتوريا في مرآب سيارتها الواقع تحت منزلها.

صور فرانكو ديلي كولي فيلم «ماذا فعلتم ببناتكم؟» في مواقع في بريشيا باستخدام عدسة تكنيسكوب في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات دير. أدت رالي ببراعة شخصية المحققة التي تتعامل مع قضية قذرة على نحو خاص كما بدا أدورف جيداً بدور رجل الشرطة الذي يكتشف أن ابنته باتريسيا متورطة في شبكة الفساد بدورها. لعب ستيفن زاكارياس دور الدكتور بلترامي، مدير حلقة الدعارة وفرانكو فابريزي دور المصور الفوتوغرافي الفاسد برونو باليا وفارلي غرينجر وماريا بيرتي دور والدي

سيلفيا المحزونين. بدا دالامانو، بعد افتتاحية واعدة، أقل اهتماماً بالجوانب المرعبة مركزاً بدلاً من ذلك على التحقيقات الشرطية، بحيث أصبح الفيلم أقرب إلى أن يكون قصة تشويق بوليسية: بل إن دالامانو صور مطاردة شوارع تلاحق فيها سيارات الشرطة دراجة القاتل النارية. قدم ستيلفيو شيبرياني عملاً موسيقياً يعتبر من أروع ما كتب. فعلى الرغم من أن موسيقى الشارة كانت أغنية بوب أوروبي متواضعة (تضمنت أصوات اللا لا المعهودة في أفلام أرجنتو)، إلا أن المقطوعات الأخرى- على وجه الخصوص تلك النغمات المترنحة ذات المغزى على آلة البراس التي ترافقها الطبول (استخدمت في وقت لاحق في فيلم «المجسات») تزود مشاهد التحقيقات بالطاقة. وعلى الرغم من أن دالامانو نجح في تقديم عدد من المفاجآت الجيدة، إلا أن فيلم «ماذا فعلتم ببناتكم؟» يبقى، على غرار فيلم «ماذا فعلتم بسولانج؟» فيلماً دموياً قاطعاً للشهية، يخلف في فم من يتابعه طعم مرارة عميقاً.

المدينة تصطبغ بالأحمر

بعد الطيور والقطط والذباب، سجل داريو أرجنتو انعطافة حادة جديدة مع فيلم صارخ عنوانه «الأحمر العميق»- Red Deep (١٩٧٥) وهو أطول أفلام الجيالي وأكثرها تعقيداً ووحشية على الإطلاق. يشهد عازف البيانو ماركوس دالي (ديفيد هيمينغز) مقتل قارئة الأفكار هيلغا أولمان (ماشا ميريل) ويتعرض لضغوط الضابط كالكابريني (إيروس باغني) المكلف بالتحقيق كي يزوده ببعض الأدلة، لكن الموسيقي بدا عاجزاً عن تذكر أي تفصيل ذي مغزى. وعلى العكس من العلاقات المبهمة والتفسيرات المقتصدة وغير المقنعة التي تواجهنا بها معظم أفلام الجيالي، كانت حبكة فيلم «الأحمر العميق» بالغة الإتقان. يتعاون مارك، في سبيل حل القضية الغامضة، مع المراسلة الصحفية جيانا بريتسي (داريا نيكولودي صديقة أرجنتو).

صور أرجنتو فيلم «الأحمر العميق»، في خريف عام ١٩٧٤، في مواقع في تورينو وروما في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس. أما الممثلون المساعدون فنذكر منهم غابرييل لافيا بدور كارلو، وهو عازف بيانو في حانة البلو بار مدمن على الكحول وذو نزعة لتدمير الذات. ولعبت كارلا كالاماي دور والدته الممثلة السابقة مارثا. وكانت كالاماي أكثر الممثلات الإيطاليات جماهيرية خلال الحرب العالمية الثانية وكان أشهر أعمالها ذلك الدور الذي أدته في مواجهة ماسيمو جيروتي في فيلم «الهاجس»- Ossessione (١٩٤٢) للوكينو فيسكونتي الجميل المقتبس من رواية «ساعي البريد يقرع مرتين». ولعب فوريو مينيكوني دور حارس فيلا متداعية تقع في ٢٤ شارع فيا سوزا تتضمن لوحات جدارية مخيفة وجثة قديمة ولعبت نيكوليتا إيلمي دور ابنته المخيفة أولغا، «الساحرة الصغيرة» التي تعذب سحلية بالدبابيس (لقطة مفقودة في أغلب نسخ الفيلم). ينتاب الوسيطة الروحية هيلغا، في أحد ظهوراتها العلنية النادرة، إحساس غامض بأن قاتلاً ما موجوداً وسط الناس، لكنها تتعرض بعد ذلك بفترة وجيزة لهجوم بساطور جزار قبل أن يجز حنجرتها زجاج النافذة التي رميت منها (طريقة في الموت مسجلة باسم أرجنتو). أما أماندا ريغيتي، مؤلفة كتاب بعنوان «الأشباح والسحر الأسود في الأزمنة الحديثة»، فتسلق حتى الموت في حوض استحمامها وقد كانت قصتها «منزل الطفل الصارخ» تتضمن مفتاحاً أساسياً ساعد على حل اللغز. كما هشمت أسنان أستاذ علم النفس جيورداني (غلوكو موري) على رف المدفأة وزاوية طاولة قبل أن يتلقى طعنة قاتلة في عنقه. ونذكر من الميتات الأخرى التي حفل بها الفيلم موت رجل يتم سحله بعربة قمامة علق بها من قدمه بواسطة خطاف (يتم سحبه بقوة على حجارة الطريق قبل أن تسحق سيارة عابرة رأسه) وضحية أخرى يفصل رأسها عن جسدها بعد أن علقت قلادتها بباب مصعد. وقد كان جيرمانو ناتالي وكارلو رامبادلي مسؤولين عن تنفيذ هذه المؤثرات الخاصة المقنعة. أما يدا القاتل المكسوتان بقفازين، فلم تكونا سوى يدي أرجنتو نفسه.

ونفذ لويجي كوفيلر تصويراً سينمائياً كان من بين الأكثر إبداعاً في عقد السبعينيات واستخدمت فيه الرموز اللونية: الأسود والأبيض والأحمر. أما موسيقى الروك التي سبق وتابعناها في فيلم «أربع ذبابات على مخمل رمادي»، فتفسح المجال هنا لمقطوعة كتبها جيورجيو غازليني وأداها فريق الروك الثلاثي غوبلين تتألف من نغمات باس جهيرة ونقرات وترية فاترة ونوطات أرغن كنسي متنافرة، تحل مكانها في لقطات الشارة تهويدة أطفال تشرف على مشهد تطعن فيه إحدى الضحايا بجوار شجرة عيد الميلاد (وهي الجريمة التي جعلت القاتل المختل يفلت من عقاله). أما الجرائم اللاحقة فترافقها نقرات باس وموسيقى الفانك - عندما يضخ الأدرينالين في شرايين القاتل.

بلغت مدة عرض الفيلم في نسخته الإيطالية التي خرجت إلى صالات العرض عام ١٩٧٥ مائة وستاً وعشرين دقيقة وتتضمن العديد من المشاهد الإضافية التي تتناول التحقيقات التي يجريها مارك وجيانا وبعضاً من الجرائم. أما النسخة الأمريكية المنقحة التي عرضت عام ١٩٧٦، فبلغت مدة عرضها ثمان وتسعين دقيقة. كما أعيد عرض الفيلم عام ١٩٨٠ باسم جديد هو «جرائم الفأس» - The Hatchet Murders. وعلى الرغم من أن تنقيح الفيلم كان مفيداً من وجهة نظر سردية، إلا أنه أدى إلى اختصار مشاهد القتل كما فقدت فيه لقطة يظهر فيها كلبان يتصارعان. وقد أسفر فيلم «الأحمر العميق» عن ذروة فاقت، من حيث المفاجأة التي قدمتها، كل أعمال هيتشكوك..

وفي فيلم «الظلمات» - Tenebrae (١٩٨٢) لأرجنتو، يصل كاتب قصص الرعب النيويوركي بيتر نيل (أنطوني فرنتشيوزا) إلى روما في إطار جولة ترويجية لرواية جديدة بعنوان «الظلمات». في ذلك الوقت، يحقق الكابتن جرماني (جيوليانو جيما) في مقتل لصة متاجر تدعى إيلسا ماني (آنيا بييروني) التي قتلت بموسى حلاقة وقام القاتل بحشو فمها بصفحات من رواية نيل. كما ذبحت تيلديه، وهي صحفية انتقدت بشدة «الهراء الجنسي» الذي تحفل به روايات نيل، مع حبيبتها ماريون (ميريلا بانتي) بأسلوب مستوحى

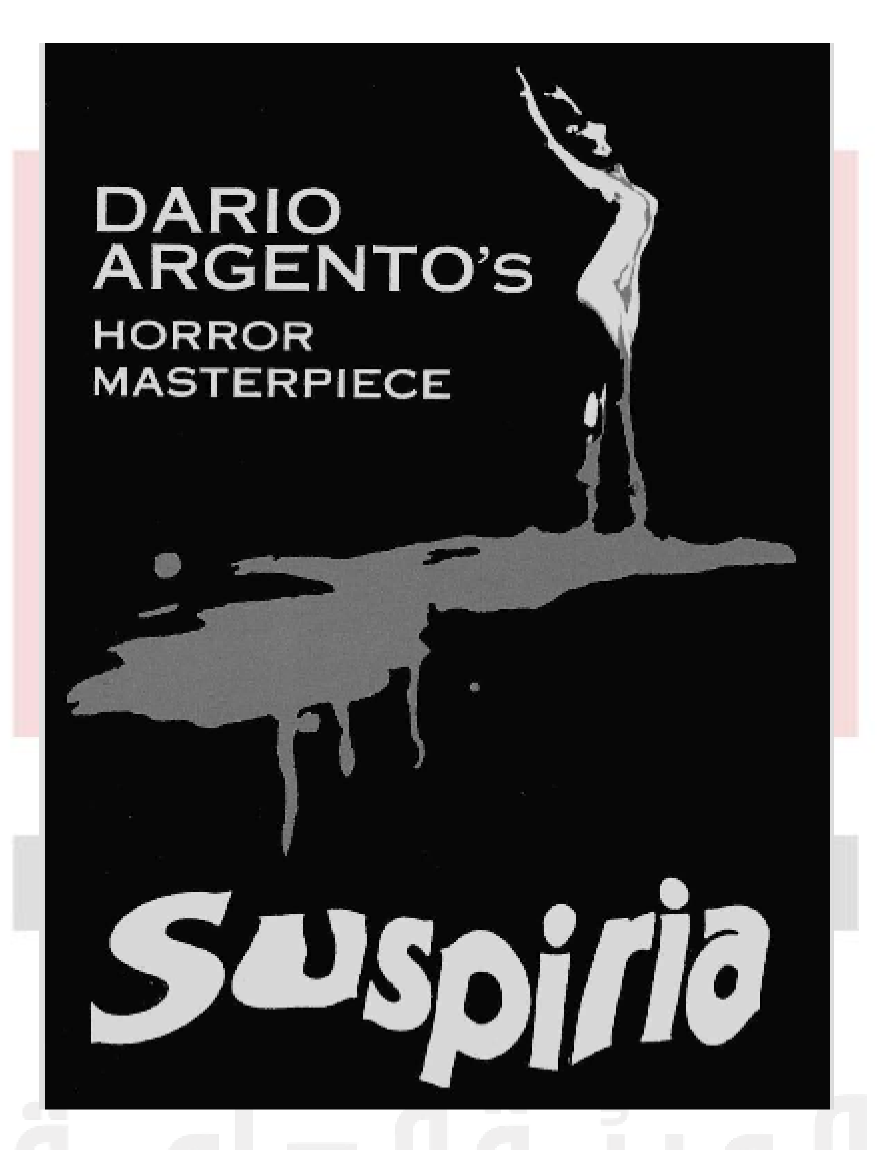
من رواية نيل. تحوم الشكوك حول كريستيانو بيرتي (جون ستاينر)، وهو مقدم برنامج توك شو صباحي وواحد من كبار المعجبين بنيل، لكن جرائم القتل تستمر حتى بعد أن زرعت بلطة في جمجمته.

صور أرجنتو فيلم «الظلمات» في مواقع في روما وفي استديوهات إيليوس وفي مطار كينيدي في نيويورك. ويجعل الدم المسال بغزارة والرقصات الأنيقة هذا الفيلم أقرب إلى أن يكون كتاب قصص مصورة. لعب جون ساكسون دور بولمر، وكيل أعمال نيل وداريا نيكولودي دور آن، مديرة علاقاته العامة وإينيو جيرولامي دور رجل أمن في أحد المتاجر وفولفيو مينغوتسي دور حمال في فندق وفيرونيكا لاريو دور جاين مكارو، زوجة نيل الانطوائية التي تقيم علاقة غرامية مع بولمر. يمهد أرجنتو لمقتل تيلديه وماريون بتحريك الكاميرا على واجهة المبنى الذي تقيمان به صعوداً باتجاه الأعلى ثم تتلصص العدسة على الفتاتين من خلال النوافذ قبل أن تتسل إلى السطح وتتخذ سلالم المبنى هبوطاً حتى الطابق الذي تقيم فيها الضحيتان، في سلسلة لقطات معقدة مستوحاة من مشهد إطلاق النار في محطة القطار في فيلم «حدث ذات مرة في الغرب» لسرجيو ليونيه. يطارد القاتل ماريا (لارا ويندل) في حديقة عامة في مشهد مخيف ينتهي بها في وكره. ويطعن بولمر في رابعة النهار في ساحة المدينة المزدحمة- في مشهد لا ينتمي إلى الجيالو قدر انتمائه إلى الأفلام البوليسية. صمم جيوفاني كوريدوري ولامبرتو بافا جرائم القتل التي تضمنت أمواس حلاقة وسكاكينَ وفؤوساً وكان ابن ماريو مساعداً أول للمخرج. تصف مشاهد فلاش باك من وجهة نظر القاتل جريمة قتل مأساوية تتعرض لها امرأة جميلة (لعب دورها الممثل المتحول جنسياً روبرتو كواني/ إيفان روبنز) ترتدي ثوباً أبيض وحذاء أحمر ذا كعب مرتفع. قدم كلاوديو سيمونيتي موسيقى الفيلم الصاخبة التي تحمل نكهة الروك. عرضت نسخة منقحة من فيلم «الظلمات» في الولايات المتحدة تحت اسم «المجنون»- Unsane عام ١٩٨٧ كما تتوفر اليوم نسخة كاملة على الأقراص الضوئية.

السحر والقتل: الأمهات الثلاث

بين «الأحمر العميق» و«الظلمات»، صنع أرجنتو فيلمين آخرين مزجا الجيالي الإيطالي بالظواهر الفائقة للطبيعة. ترتاد الطالبة الأمريكية سوزي بانيون (جيسيكا هاربر)، في فيلم «تنهيدات»- Suspiria (١٩٧٧)، أكاديمية لتعليم الرقص بالقرب من مدينة فرايبوغ في الغابة السوداء في جنوب ألمانيا تديرها مدام بلان (جوان بينيت) ويضم طاقم المدربين فيها الآنسة الصارمة تانر (أليدا فالي). تقتل طالبتان، في الليلة التي تصل فيها سوزي، بطريقة مخيفة. ثم تدرك سوزي أن المدرسة ما هي إلا مجمع للساحرات تديره الملكة السوداء هيلينا ماركوس وهي ساحرة عجوز.

كتبت داريا نيكوليدي سيناريو الفيلم بالاستناد إلى أدب الأسرار وقصص سمعتها من جدتها التي اكتشفت، عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها، أن مدرسة الموسيقى التي كانت ترتادها كانت مجمع ساحرات. أما عنوان الفيلم، فهو مشتق من كتاب «تنهيدات من الأعماق» (Suspiria Di Profundis) لتوماس ديك وينسي صاحب «اعترافات آكل أفيون إنكليزي». وقد خططت نيكولودي للعب دور سوزي، إلا أن أرجنتو اختار جيسيكا هاربر وعرض على نيكولودي دور سارة صديقة سوزي، قبل أن تصاب بالتواء في الكاحل أثناء التدريب لتحل محلها ستيفانيا كاسيني. أما النجمة الهوليوودية جوان بينيت، فكانت قد ظهرت مؤخراً في عمل تلفزيوني أمريكي اسمه «الظلال السوداء»- Dark Shadows (١٩٦٦- ١٩٧١) والفيلم التلفزيوني «بيت الظلال السوداء»- House of The Dark Shadows (١٩٧٠). ويذكر من زملاء سوزي في الأكاديمية أولغا (بربارة ماغنولفي) ومارك (ميغيل بوزيه). ولعب أودو كيير دور المحلل النفسي فرانك مانديل وظهر فولفيو مينغوتسي بدور سائق سيارة أجرة وجيوسيبيه ترانسوكي بدور بافلو، مستخدم المدرسة الشبيه بليرتش في المسلسل الكرتوني «عائلة آدامز». ولعب فلافيو بوتشي دور دانيال، عازف البيانو الضرير في الأكاديمية الذي مزق الكلب الذي يرافقه حنجرته.



ملصق رائع صممه ألموس (أنطونيو موس) لقصة السحر والقوى فائقة الطبيعة التي قدمها داريو أرجنتو «سوسبيريا» (١٩٧٧) التي تدور أحداثها في أكاديمية لتعليم الرقص في فرايبورغ

يصل الرعب الذي يقدمه أرجنتو إلى حدوده القصوى في هذا الفيلم الذي أصبح العمل الذي يذكر به أرجنتو. والفيلم، من حيث كونه يرتقي بفانتازيا الرعب التي قدمها كل من بافا وفريدا، جحيم حقيقي من الصور

المرعبة والباعثة على الدوار. صور أرجنتو أجواء قصر الغابة السوداء الأنيقة في استديوهات ديو باوليس في ستة عشر أسبوعاً ابتداء من تموز ١٩٧٦ وفي ميونيخ في مقاطعة بافاريا وفي روما. أما مناظر مدرسة الرقص الخارجية، فصورت في فرايبورغ، في حين لم يكن حوض السباحة الذي تتحرك فيه عدسة أرجنتو على سطح الماء سوى بركة سباحة عمومية في ميونيخ. استخدم أرجنتو حركات معقدة للكاميرا ولجأ إلى الكاميرات التي يتم التحكم بها سلكياً كما استخدم أجهزة إنارة معقدة للحصول على المؤثرات الاستثنائية التي قدمها. صور لوشيانو توفولي الفيلم باستخدام نظام تكنيفيجين ذي الشاشة العريضة وهيمنت على الشاشة كتل لونية- سادها بصورة رئيسية الأحمر والأسود والأبيض مع استخدام الأزرق الجليدي والأخضر بصورة عارضة- من أجل خلق أجواء السحر الغامضة في المدرسة. فعندما تتحول صالة التدريب بسرعة إلى مهجع للنوم باستخدام جدران مؤقتة تغرق الغرفة بلون أحمر خافق تتخلله ظلال سوداء. قاوم أرجنتو نزعة أفلام الجيالي لاستخدام الجنس والعري، على الرغم من أن أحداث الفيلم تدور في مدرسة لتعليم الرقص ترتادها الكثير من الحسناوات.

صمم جرمانو ناتالي مشاهد القتل التي تبعث على الصدمة. وقد تكون الجريمة الافتتاحية المزدوجة التي تذهب بات هينغل (إيفا أكسن) وصديقتها سونيا (سوزانا جافيكولي) ضحيتها من أكثر جرائم القتل إتقاناً في تاريخ السينما. إذ تدفع ذراع يكسوها شعر كثيف بات من خلال زجاج نافذة ثم تطعن في قلبها الذي كان لا يزال يخفق (لقطة مقربة) وتترك ملقاة على سطح زجاجي ملطخ بالدم. لكن وزن بات يتسبب بكسر الزجاج فتهوي من السطح الزجاجي إلى الأسفل، إلا أن أنشوطة معلقة بعنقها تمنعها من الوصول إلى الأرض وتشنقها. أما سونيا في الأسفل، فيخترق جزء من إطار النافذة جسدها ويمزق الزجاج وجهها. في حين تموت سارة ميتة شنيعة عندما تسقط في غرفة مليئة بالأسلاك الشائكة ويجز موسى حلاقة حنجرتها (لقطة مقربة لذبح

سمكة). أما اليد القاتلة التي يكسوها قفاز في هذا المشهد، فلم تكن سوى يد أرجنتو نفسه. تتسلل سوزي إلى وكر الساحرات، فتهاجمها سارة، التي عادت إلى الحياة، بسكين جزار. ثم تطعن سوزي هيلينا الساحرة في حلقها باستخدام منحوتة لذيل طاووس مصنوعة من دبابيس كريستالية مزخرفة. يؤدي موت هيلينا إلى تدمير قوة الوكر ويطلق سلسلة انهيارات تؤدي إلى دمار المدرسة. ثم تفر سوزي من المكان في قلب عاصفة كتلك التي رافقتها أثناء قدومها.

مرة أخرى تقدم فرقة غوبلين، بالتعاون مع أرجنتو، موسيقى فيلم "تنهيدات" الصاخبة، وهي واحدة من الأعمال العظيمة التي قدمت في أفلام الرعب وتتألف من شبكة من الأصوات- تتراوح بين موسيقى الفولك اللذيذة وقعقعة الطبول الهادرة. ولم تكن الموسيقى في هذا الفيلم مجرد عامل محرض على خلق المؤثرات الصادمة، بل كانت هي بحد ذاتها مؤثراً صادماً بحضورها المفاجئ الذي كان يضاعف أثر الصور التي خلقها أرجنتو. هكذا تخترق بالتدريج مؤثرات صوتية غير موسيقية تلك المقطوعات الموسيقية الجميلة التي يقدمها لنا الفيلم وتتسلل نغمات السينثيسايزر ثم ترجع صداها وتبصق أصوات يملؤها الحقد كلمة «ساحرة!» على وقع وصول سوزي إلى المطار وانزلاقها التدريجي في ظلمات السحر الأسود. في حين ترد ضربات قلب خافق على صراخ الملعونين وتمهد أصوات فحيح وعويل لقدوم عاصفة من الحقد الأسود وتقطع مشاهد التشويق غمغمات معدنية غير مفهومة. إنه باختصار تجميع صوتي متنافر في لوحة صارخة تصف الأعماق المظلمة لغرف التعذيب باستخدام الموسيقى.

احتل فيلم «تنهيدات» المرتبة السابعة في قائمة أكثر الأفلام نجاحاً في إيطاليا عام ١٩٧٧ وصمم أنطونيو موس (ألموس) ملصقه الأسطوري الذي تظهر فيه راقصة باليه مذبوحة وملطخة بالدماء تنفذ دورة كاملة على رؤوس أصابع قدميها. كما حقق الفيلم نجاحاً باهراً في الولايات المتحدة وفي بريطانيا

(صنف في البلدين على أنه فيلم للبالغين) وكانت الجملة الترويجية محقة تماماً في وصفه بأنه «أكثر الأفلام التي ستراها في حياتك رعباً على الإطلاق!».

أكمل أرجنتو في فيلم «الجحيم»- Inferno (١٩٨٠) قصة «الأمهات الثلاث»، وهو كتاب خيالي ألفه المعماري إ. فاريلي الذي صمم المنازل الثلاثة التي تقطنها الساحرات. تشتري روز إيليوت (أيرين ميراكل) في نيويورك الكتاب من السيد كازانيان (ساشا بيتوف) في متجر للعاديات وتكتشف أن الأمهات الثلاث يقمن في فرايبورغ («أم التنهيدات»- Mater Suspirorum من فيلم «تنهيدات») وروما («أم الدموع»- Mater Lachrymarum) ونيويورك («أم الظلمات»- Mater Tenebrarum)- والأخيرة تقيم في البناء نفسه الذي تقطن فيه روز. تكتب روز رسالة بهذا الخصوص إلى شقيقها مارك (ليه مكلوسكي، في دور كان جيمس وود مرشحاً له بالأصل) وهو طالب موسيقى أمريكي يتابع دراسته في روما، لكن روز كانت قد اختفت في اللحظة التي يصل فيها مارك إلى روما.

بلغت ميزانية فيلم "الجحيم" ثلاثة ملايين دولار واستغرق تصويره أربعة عشر أسبوعاً من شهر نيسان ١٩٧٩ بدءاً من نيويورك والسنترال بارك (أسبوع واحد) ثم إلى روما واستديوهات إيليوس واستديوهات دي باوليس. كتب الموسيقى التصويرية للفيلم كيث إيمرسون، العضو السابق في فرقة «ذي نايس» وعازف الكيبورد في فرقة «إيمرسون، لايك وبالمر»، وهي مزيج من المقطوعات الكلاسيكية (من غودفري سالمون) والأوبرالية وأعمال فريق غوبلن. عزفت في الفيلم، أثناء انقطاع التيار الكهربائي، مقطوعة Va Pensiero من أوبرا نابوكو لفيردي على الفونوغراف. ظهر فولفيو مينغوتسي مرة أخرى بدور سائق سيارة الأجرة وفيودور تشاليابين بدور المعماري المقعد فاريلي الذي يعيش في شقة في مانهاتن. كما ظهرت آسيا بييروني لفترة قصيرة في الفيلم بدور الساحرة الجميلة «أم الدموع» التي تتجسد في قاعة محاضرات مارك.

خيب فيلم «الجحيم» الآمال بالنظر إلى الميزانية التي خصصت له وإلى النجاح الذي حققه الفيلم الذي سبقه. فالجرائم التي حصلت في الفيلم لم ترق إلا فيما ندر إلى معايير أرجنتو كما أن القصة بحد ذاتها مرتبكة ومتشابكة، تماماً كما المبنى الذي تقع فيه شقة روز. صور رومانو ألبيني الفيلم بأسلوب بافائي توهج فيه اللونان الأزرق والأحمر. وضم الفيلم مشاهد مؤثرة نذكر منها المشهد الذي تفاجأ فيه روز بجثة عائمة أثناء غوصها متجهة إلى صالة رقص مغمورة بالماء. تقتل سارا (إيليونورا جيورجي)، صديقة مارك ورفيقها كارلو (غابريل لافيا من فيلم «الأحمر العميق») في شقتها طعناً بالسكين أثناء انقطاع التيار الكهربائي. ويضرب لوح زجاجي عنق روز عدة مرات فاصلاً رأسها عن جسدها وتموت جارتها الكونتيسة إيليز ديلون فان أدلر (داريا نيكولودي) باعتداء مجموعة من القطط الهائجة عليها وتتحول مدبرة منزلها كارول (أليدا فالي) إلى رماد. يحاول كازانيان النجاة بنفسه من القطط المزعجة، فيضعها في كيس ويحاول إغراقها في السنترال بارك، لكن جرذان المجارير تفترسه حياً ويتعرض للطعن على يد بائع هوت دوغ مهووس. تجري المواجهة النهائية بين مارك و«أم الظلمات» (فيرونيكا لازار) في الشقة التي تلتهما النيران وتتخذ خلالها الساحرة شكل الموت حاصد الأرواح ذي المنجل والوجه العظمي والعباءة. صنع جرمانو ناتالي المؤثرات الخاصة وساعده في ذلك ماريو بافا الذي عمل ابنه لامبرتو مساعداً لأرجنتو، قبل أن يقوم بنفسه بإخراج عدد من أفلام الرعب منها «الموت»- Macabre (١٩٨٠) و«نصل في الظلام»- A Blade in The Dark (١٩٨٣) و«الشياطين»- Demons (١٩٨٥) و"الشياطين-٢)- Demons 2 (١٩٨٧)- وقد أنتج أرجنتو الفيلمين الأخيرين.

عرض فيلم «الجحيم« خارج إيطاليا ورافقه شعار يقول: «رعب أحر من الجحيم!«، حيث عرضت نسخة مختصرة من الفيلم مدتها سبع وثمانون دقيقة في الولايات المتحدة عام ١٩٨٦ كما عرضت نسخة أخرى في بريطانيا مدتها مائة وست دقائق وصنف الفيلم هناك على أنه للبالغين. وتتوافر اليوم

على الأقراص الضوئية في الأسواق الأمريكية نسخة كاملة مدتها مائة وسبع دقائق يظهر فيها مشهد قط يلتهم فأراً حياً. وفي بداية الثمانينيات، وضع فيلما «الظلمات» و«الجحيم» في قائمة «الأفلام المقززة» بصورة مفاجئة في بريطانيا في حين لم تتضمن هذه القائمة فيلمين أكثر دموية هما «تنهيدات» و«الأحمر العميق». وكان على عشاق أرجنتو أن ينتظروا حتى عام ٢٠٠٧ قبل أن تكتمل ثلاثية «الأمهات الثلاث» بفيلم «أم الدموع» الذي ظهرت فيه آسيا أرجنتو (ابنة داريو أرجنتو وداريا نيكولودي) وأودو كيير وفيليب لوروا وموران أتياس (بدور «أم الدموع») وأحدث انقساماً عميقاً بين عشاق أرجنتو والنقاد. اخترق الأسلوب الذي ابتكره أرجنتو عالم الإنتاجات الهوليوودية الضخمة- ففيلم «قانون دافنشي»- Da Vinci Code (٢٠٠٣) هو، ببساطة بالغة، فيلم من أفلام أرجنتو نفذه موبتس. وبمعزل عن عودته العارضة إلى الأشكال القديمة التي عرف بها، مع «الظواهر»- Phenomena (١٩٨٥) و«أوبرا»- Opera (١٩٨٧)، فإن أياً من أفلام أرجنتو التالية لم يعرف هذا المقدار من النجاح الذي حققه فيلم «تنهدات». لكن عشاق أرجنتو لن يدعوه بالطبع يفلت بجريمته إلى الأبد.

الفصل الثاني عشر

أمر ما مضحك

الكوميديا الإيطالية

حظيت الكوميديا الإيطالية بنجاحات داخلية هائلة، لكن شعبية نجوم الكوميديا الإيطاليين، من أمثال توتو وفرانكي وإنغراسيا، لم تتجاوز الحدود الإيطالية إلا بالكاد، ولم تتخط حدود القارة الأوروبية بالتأكيد، حيث حالت دون ذلك الدبلجة الإنكليزية الرديئة لأسلوب كوميديا التهريج الذي اختطوه لأنفسهم. ولم يحدث الاختراق المنتظر إلا مع قدوم السبعينيات على يد بود سنبسر وتيرانس هيل - اللذين عملا في الأنواع السينمائية الرائجة كالوسترن والأفلام البوليسية - حيث بدأت السينما الكوميدية الإيطالية، من ذلك الحين، تتمتع بأعظم نجاحاتها العالمية. عشقت السينما الإيطالية القصص الهزلية على الدوام- كان آخر فيلم للوريل وهاردي (ستانليو وأوليو في إيطاليا) إنتاجاً إيطالياً فرنسياً مشتركاً بعنوان «أتول ك.»- Atol K (١٩٥٠- «أرض روبنسون كروزو» أو كذلك «يوتوبيا») كما تمثل أحد آخر ظهورات باستر كيتون في فيلم إيطالي آخر اسمه «الحرب على الطريقة الإيطالية»- War, Italian Style (١٩٦٥- «بحاران وجنرال») إلى جانب فرانكي وإنغراسيا.

توتو المهرج

يعتبر توتو (اسمه الحقيقي أنطونيو دي كورتيس) المولود في نابولي عام ١٨٩٨ أكثر كوميديي السينما الإيطالية شعبية على الإطلاق، حيث لا يزال زوار نابولي قادرين حتى اليوم على مشاهدة صور أكثر أبنائها شهرة. بدأ توتو حياته في برامج المنوعات وكان أسلوبه الكوميدي القائم على الحركات الجسدية مستقى من التقليد الكوميدي المسرحي الإيطالي. ويعتبر الدور الذي لعبه توتو في فيلم «ذهب نابولي»- The Gold of Naples (١٩٥٤) لدي سيكا من الأدوار التي تبقى راسخة في ذاكرة الجمهور حول العالم حيث ظهر في الفيلم إلى جانب صوفيا لورين وسيلفانا مانغانو. امتدت حياة توتو المهنية بين عقدي الثلاثينيات والستينيات وظهر في الأفلام الأخيرة التي شارك فيها إلى جانب بيبينو (الممثل بيبينو دي فيليبو). تميز الكثير من أعمال توتو بالسخرية من أفلام معروفة - «توتو العرب»- Toto of Arabia (١٩٦٥) و«توتو ضد القرصان الأسود» - Toto Against The Black Pirate (١٩٦٤) و«توتو ضد ماشيستيه» - Toto Against Machiste (١٩٦١). ويعتبر فيلم «توتو، بيبينو والدولشيه فيتا»- Toto, Peppino and La Dolce Vitae (١٩٦٠) لسرجيو كوربوتشي مثالاً جيداً على هذا الميل من حيث التقاطه الدقيق لأجواء روما فيليني وممارسات مصوري الباباراتزي وأزيز دراجات الفيسبا. نشاهد توتو وبيبينو، في أحد مشاهد الفيلم، يتعرفان إلى حسناوين إنكليزيتين هما باتريسيا وأليس، في شارع فيا فينيتو ويصطحبانهما إلى ملهى ليلي غرائبي تنحدر الحفلة فيه إلى تعاطي المخدرات والسكر الشديد وتؤدي باتريسيا (التي تشبه صوفيا لورين فتية) رقصة تعر ويؤدي توتو حركات وجه مضحكة ويرقص كالرجل الآلي.

كما ظهر توتو في فيلم السطو الفكاهي «صفقة كبرى في شارع مادونا»- Big Deal in Madonna Street (١٩٥٨- «أشخاص مجهولون»)

لماريو مونيشيلي في دور معلم اختراق الخزنات دانتي كروشياني الذي يجنده خمسة محتالين قميئين لتنفيذ «مهمة كبرى»: إفراغ خزنة مجوهرات من متجر للرهونات يقع في شارع مادونا. تتألف العصابة من الملاكم البدين بيبيه (فيتوريو غاسمان) والمصور الفوتوغرافي تيبيريو (مارشيلو ماسترورياني) واللص الصغير ماريو أنجيليتي (ريناتو سالفاتوري) والصقلي ميكيليه فيريبوتي (تيبيريو مورجيا) ولص السيارات العجوز كابانيليه (كارلو بيساكانيه). تعلم العصابة من مجرم مدان يدعى كوزيمو (ميمو كاروتينوتو) أن الجدار الفاصل بين متجر السماسرة وأحد الأبنية المجاورة ضعيف البنيان. يسخر فيلم «صفقة كبرى في شارع مادونا» من السينما السوداء وهو أحد أكثر الأفلام الكوميدية الإيطالية مرحاً، بل إن موسيقى الجاز التي كتبها بييرو أوميلياني كان يمكن أن تستخدم بسهولة في أي فيلم أسود. يسرق تيبيريو آلة تصوير من أحد المتاجر بعد أن يصرف انتباه مالكه بذراعه المجبرة المكسورة الزائفة، لكن مالك المتجر المتيقظ يكسر ذراع تيبيريو بالفعل ويجعله يظهر تيبيريو في موقع عملية السطو بذراع مجبرة. ثم يعلق توتو على تيبيريو الذي يقفز بسعادة عند فتح الخزنة قائلاً: «أداؤك فاشل كالأفلام».

صور جياني دي فينانزو الفيلم في مواقع في روما (والمناظر الداخلية في شينيشيتا) بالأبيض والأسود وقدم تفاصيل الحياة في الشوارع بطريقة تذكرنا بسينما الواقعية الجديدة لكن روح المرح فيه لم تكن محلية على الإطلاق. حظي الفيلم بمتابعة كبيرة في صحافة نيويورك ورشح لنيل جائزة الأوسكار عن أفضل فيلم أجنبي. لعبت روزانا روري دور نورما (عاهرة كوزيمو) وجينا روفيريه دور تيريزا، زوجة تيبيريو مهربة السجائر وكارلا غرافينا دور نيكوليتا، الخادمة لدى مالكي إحدى الشقق المجاورة. ولعبت كلوديا كاردينالي دور كارميلا، شقيقة ميكيليه المدللة التي تقع في حب ماريو

الأمر الذي يخلق أجواء توتر بين أفراد العصابة. وخلال عملية السطو الأسطورية، يثقب اللصوص الحمقى أنبوباً فيغرقون الشقة بالماء، بل إنهم ثقبوا، في الواقع، جداراً غير الجدار المطلوب. هكذا نراهم جالسين على الأرض وقد انتابهم الإحباط وأخذوا يأكلون وجبة باستا وفاصولياء وجدوها على الموقد. وفي اليوم التالي، كانت الصحافة تتحدث عن أن الشرطة تبحث عن «أشخاص مجهولين» ارتكبوا عملية سرقة غريبة- ثقبوا خلالها جداراً كي يسرقوا بعض الباستا والفاصولياء. أما كبير اللصوص توتو، فاستطاع سرقة الأجواء وكان هذا الفيلم أكثر أعماله قبولاً خارج إيطاليا.

ولعب توتو ونينيتو دافولي، في فيلم «صقور وعصافير» - Hawks and Sparrows (١٩٦٥) لبيير باولو بازوليني، دور أب وابنه يهيمان على وجهيهما ويلتقيان بماركسي متبجح ثرثار ينضم إليهما في رحلتهما الملحمية المتعرجة. يروي الرجل المتبجح لهما قصة القديس فرنسيس الأسيزي الذي أرسل اثنين من الرهبان هما الأخ شيتشيلو والأخ نينيتو (توتو ودافولي من جديد) كي يهديا الطيور إلى المسيحية- فيبشران بكلمة الرب في أوساط الصقور (صفيراً) وفي أوساط العصافير (حجلاً). كانت أمثولة بازوليني غير الموقرة هذه من أقل أعماله شأناً. ويتضمن الفيلم معجزات ساخرة (يقول أحد القرويين للراهبين: «لقد أنقذتماني من الزنابير») ويقص نينيتو مآثر شيتشيلو قائلاً: «[لقد حول] في زاغارولو الماء إلى خمر لأنهم يحبون الخمر هناك... أما سغورغولا، فلم يحول شيئاً، لأن كل شيء كان على ما يرام». كتب إينيو موريكونيه مقطوعة الشارة العبقرية التي مزجت الموسيقى القروسطية بالأوبرا والموسيقى الكلاسيكية والروك وغنى دومينيكو مودونيو على ألحانها أسماء الممثلين والفنيين والجهات التي ينبغي شكرها بالإضافة إلى الملاحظة التالية: «بإنتاج هذا الفيلم، يغامر ألفريدو بيني بمنصبه... وبإخراجه يغامر بيير باولو بازوليني بسمعته».



الملصق الإيطالي لفيلم «صقور وعصافير» (١٩٦٥) لبيير باولو بازوليني، بطولة توتو ونينيتو دافولي وفيمي بينوسي

كما شارك توتو في الجزء المخصص لبازوليني من فيلم «الساحرات» - The Witches (١٩٦٦)، وهو خماسية لسيلفانا مانغانو أنتجها زوجها دينو دي لورينيتس. كانت حلقة «الأرض كما ترى من القمر» عملاً سوريالياً بازولينياً تقليدياً شارك فيه توتو (بخصلتي شعر المهرجين) ونينيتو دافولي (بخصلة شعر برتقالية عملاقة) بدوري أب وابنه (من جديد) يبحثان عن امرأة مثالية لتوتو بعد وفاة زوجته غريسانتيما. يلتقي توتو ونينيتو، في ضواحي روما العزيزة على قلب بازوليني، امرأة اسمها «العبث» (مانغانو)، وهي امرأة بكماء ذات شعر أخضر وترتدي ثوباً أخضر يتزوجها توتو. أما ظهور توتو الثالث مع بازوليني فكان في الحلقة التي أخرجها من فيلم «الهوى على الطريقة الإيطالية» - Capriccio All'Italiana (١٩٦٧) الذي أخفق في تحقيق انتشار عالمي كبير وسرعان ما توفي توتو في ذلك العام عن ثمان وستين سنة.

فرانكو وشيتشيو: أحمقا السينما

كان فرانكو فرانكي وشيتشيو إنغراسيا ممثلي منوعات صقليين وصلا إلى الشهرة في بداية الستينيات عبر سلسلة لا تنتهي من أفلام السخرية والضحك من كبار نجوم السينما والأفلام التي كانت الرائجة في ذلك الوقت، فكانا بذلك الوارثين الشرعيين لتوتو والنجمين اللذين نقلا الضحك من عالم السينما الصامتة إلى السينما الجماهيرية الإيطالية. كان فرانكي الرجل القصير الأخرق ذا تعبيرات الوجه المضحكة الذي يكثر من الإيماءات أثناء الكلام ويتعثر في مشيته، في حين كان إنغراسيا ذو الشاربين والقامة الطويلة الرجل الأكثر براعة. وقد صنع الاثنان بين عامي ١٩٦٠ و١٩٨٣ أكثر من مائة فيلم - لقد «وحدهما الجوع أولاً ثم النجاح تالياً» على حد قولهما.

لم توزع الغالبية العظمى من أفلام فرانكي وإنغراسيا خارج إيطاليا، بل ولم تتم دبلجتها إلى الإنكليزية على الرغم من أن نوع الفن الذي قدماه كان

يحمل قيمة إنتاجية كبيرة. سخر الرجلان، مع سرجيو كوربوتشي، من فيسكونتي في فيلم «ابن النمر» (١٩٦٥) ومن فيليني في فيلم «ساتيريكوسيسيمو» (١٩٦٩). كما هزئا بالأفلام الحربية في «أقصر يوم» (١٩٦٣) ومن أفلام زورو في «أبناء أخي زورو» (١٩٦٩) ومن أفلام الخيال العلمي في «٠٠٢ عملية القمر» (١٩٦٥) ومن أفلام دراما السجون في «فاران من سينغ سينغ» (١٩٦٤) ومن أفلام السطو في «كيف سرقنا مصرف إيطاليا» (١٩٦٦). شاركا جين مانسفيلد بطولة فيلم «حب بدائي» (١٩٦٤)- يمكن مشاهد رقصة التعري التي أدتها مانسفيلد في هذا الفيلم في فيلم «عالم جاين مانسفيلد الوحشي» (١٩٦٨) الوثائقي. صنعا أفلاماً تسخر من الجيش مثل «المظليان» (١٩٦٥) و«كيف تورطنا بمشكلة مع الجيش» (١٩٦٥) ومن رجال العصابات مثل «عدوا الشعب» (١٩٦٤) و«قبيلة البورسالينيين» (١٩٧١) ومن أفلام الجاسوسية في «٠٠-٢ أكثر العملاء سرية» (١٩٦٤). كما وقف الرجلان في فيلم «كيف تسرق قنبلة ذرية» (١٩٦٧) ضد الدكتور يس والعملاء السريين موديستي بلف وديريك فليت وجيمس بومب.

كما صنعا أفلام وسترن بلغت في مجموعها أحد عشر فيلماً بما فيها «رقيبان لدى الجنرال كاستر» (١٩٦٥) و«ابنا رينغو» (١٩٦٦) و«ر.. ر... رينغويان من تكساس» (١٩٦٧) و«شيتشيو يسامح... أما أنا فلا» (١٩٦٨) و«ابنا ترينيتي» (١٩٧٢). ويعتبر فيلم «رجلا مافيا في الغرب البعيد» (١٩٦٥) مثالاً جيداً على أعمالهما، وهو فيلم وسترن كوميدي شارك فيه فرناندو سانشو وصمم أزياءه كارلو سيمي (الذي عمل في ثلاثية الدولارات لليونيه) واستخدمت ديكورات الوسترن في استديوهات إيليوس الأمر الذي أسبغ على الفيلم نكهة سباغيتي وسترن أصيلة. وكان يمكن لأغنية الشارة، «نار في السماء»، التي أداها جيانكارلو غوارداباسي، أن تستخدم في فيلم

وسترن فعلي. وسخر الرجلان من فيلم «من أجل حفنة من الدولارات» في فيلم «من أجل قبضة في العين» (١٩٦٦) في حين يعتبر فيلم «الوسيم والقبيح والقميء» (١٩٦٧)، الذي قدماه تحية لفيلم «الجيد والسيء والقبيح»، أفضل أعمال السخرية من سينما الوسترن التي نفذاها.

مع نجاح فرانكي وإنغراسيا في فيلم السخرية البوندي «الدكتور غ الرائع»- The Amazing Dr G (١٩٦٥- الذي يلعب فرناندو راي فيه دور غولدجينجر الشرير) وفنسنت برايس في الفيلم الأمريكي «الدكتور غولدفوت ورشاش البيكيني»- Dr Goldfoot and The Girl Bombs (١٩٦٥)، اجتمع النجوم الثلاثة في فيلم «الدكتور غولدفوت والفتيات القنابل»- Dr Goldfoot and The Girl Bombs (١٩٦٦) لماريو بافا. لعب برايس في الفيلم دور الدكتور غولدفوت، الذي أطلق عليه هذا الاسم بسبب خفه الذهبي ذي الأصابع المعقوصة. يغتال الدكتور غولدفوت، مع مساعديه الصينيين هاردجوب (ماو تاهي) وفونغ (جورج وانغ)، جنرالات بارزين في حلف الناتو باستخدام نساء آليات مغريات ينفجرن في اللحظة التي يقبلن بها أهدافهن. أما فرانكي وإنغراسيا، وبيل داكستر (مغني البوب فابيان)، فهم عملاء في قيادة الاستخبارات السرية يلاحقون غولدفوت في سياق تحقيقهم في «قضية الجنرالات المتفجرين».

كان الفيلم، الذي يمكن وضعه في مكان ما بين أفلام الخيال العلمي في حقبة الحرب الباردة وقصص الجاسوسية البوندية وكوميديا التهريج، كارثة حقيقية. فقد أدى برايس دوره بطريقة خرقاء، في حين لعبت لورا أنطونيلي دور روزانا، حبيبة ديكستر. وبدا فرانكي وإنغراسيا مهلهلين في أول ظهور لهما باللغة الإنكليزية. كما تجلت رداءة الإنتاج في مشهد مطاردة تجري فصولها في لونا بارك في روما، حين يطارد العملاء غولدفوت ورجاله في أرض أحد المعارض. إذ تزداد مشاهد الحركة سرعة ويتحول الفيلم في هذه

البرهة إلى سلسلة لقطات في فيلم صامت يتم السرد فيه من خلال لوحات مكتوبة- وهو أمر اقتضاه فقدان التسجيل الصوتي لهذه المشاهد. ثم ينتهي الفيلم بمشاهد تسخر من فيلم «الدكتور سترابنجلوف» حين يحاول فرانكي وإنغراسيا التخلص من القنبلة الهيدروجينية الخارقة الموجودة على متن قاذفة من طراز ب ٥٢، لكنهما ينطلقان من حجيرة القنابل في القاذفة ممتطيين صهوة القنبلة. تتضمن النسخة الإيطالية الأصلية من الفيلم مشاهد تيترات على الطريقة البوندية يؤدي فيها فرانكي أغنية شارة بعنوان Bang Bang Kissene (للولي غوري)، في حين تظهر في النسخة الناطقة بالإنكليزية أغنية رتيبة تؤديها فرقة سلوبيز. أما أكثر صور الفيلم تميزاً فهي تلك التي تظهر فيها ترسانة غولدفوت من الحسناوات الآليات وهن يتبخترن بأثواب سباحة ذهبية في معقل غولدفوت الواقع تحت الأرض وأطلق عليهن في النص الأصلي اسم «قنابل الحب» قبل أن يتم تعديل الاسم كي يصبح «الفتيات القنابل». يظهر بافا في الفيلم ظهوراً عابراً على شكل ملاك فوق غيمة. حاول فيلم «الدكتور غولدفوت والفتيات القنابل» استغلال الجنس بطريقة طفولية، ولكن ماذا يمكن للمرء أن يتوقع من فيلم يتم الترويج له من خلال العبارة التالية «إليك الفتيات ذوات السرات النووية الحرارية!».

خبا نجم فرانكي وإنغراسيا في إيطاليا في بداية السبعينيات مع صعود أفلام الكوميديا الجنسية إلى المراتب الأولى في شباك التذاكر. وكان فيلم «بينوكيو»- Pinocchio (١٩٧٢) للويجي كومينشيني أحد آخر أمجاد فرانكي وإنغراسيا اللذين لعبا في الفيلم دور القط والثعلب. كما ظهر إنغراسيا في فيلم «أرماكورد»- Armacord (١٩٧٣) لفيليني بدور العم تيو متسلق الأشجار وكان الظهور الأخير للثنائي في حلقة من فيلم «كاوس»- Kaos (١٩٨٣) للأخوين تافياني بعنوان «الجرة»- وبذلك يحقق «أحمقا السينما» النقلة ذاتها التي أجراها توتو قبلهما من أفلام التهريج إلى السينما النخبوية.

النجمان مجتمعين: ترينيتي وبامبينو

لا شك أن أكثر الكوميديين الإيطاليين نجاحاً بلا منازع على الصعيد العالمي هما الثنائي تيرانس هيل وبود سبنسر اللذان صنعا معاً سبعة عشر فيلماً. فقد قادتهما النجاحات المحلية التي حققاها من إيطاليا إلى الولايات المتحدة كي يستأنفا التقليد الذي بدأه قبلهما لوريل وهاردي. صنع الثنائي ثلاثة أفلام وسترن جماهيرية مع جيوسيبيه غوليتسي- «الله يغفر... أما أنا فلا» (١٩٦٧) و«آيس هاي» (١٩٦٨) و«بوت هيل» (١٩٦٩)- قبل أن يصنعا فيلمهما الكوميدي الأول بعنوان «يدعونني ترينيتي»- They Call Me Trinity (١٩٧٠) للكاتب والمخرج إنزو باروني/ إ.ب. كلوتشر ويلعب فيه هيل دور ترينيتي آكل الفاصولياء الذي يستل مسدسه بسرعة ويعيش من أجل يومه ويسافر من مكان إلى آخر على متن عربة، في حين لعب بود سنبسر دور أخيه نصف الشقيق بامبينو، نصف الأحمق، الدب الخارج على القانون الذي يتقمص شخصية رجل قانون.

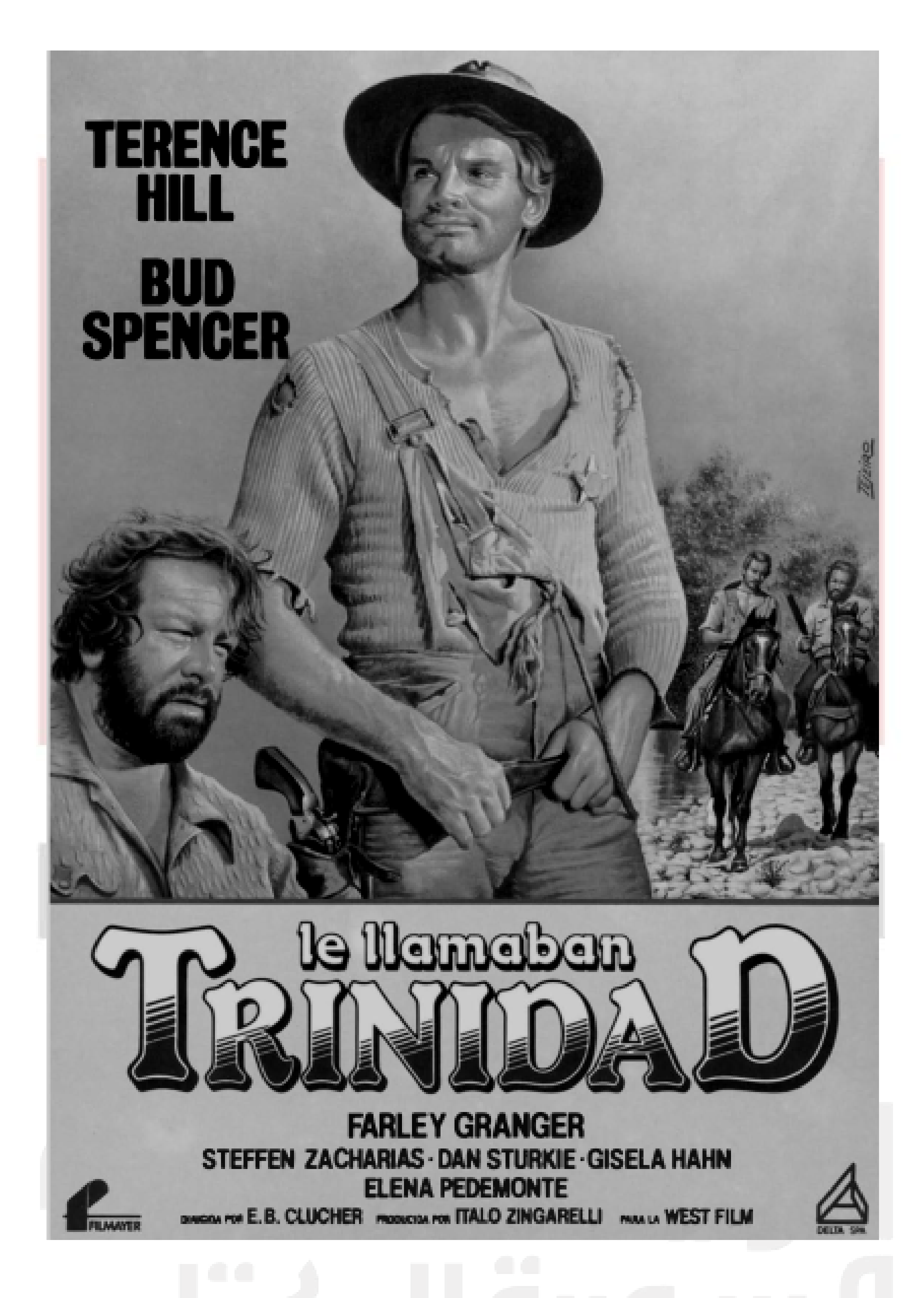
يساعد الرجلان، وفقاً لحبكة الفيلم التي تسخر من فيلمي «ريو برافو» و«الرائعون السبعة»، مجتمعاً من المورمون المسالمين بقيادة الأخ توبياس (دان ستوركي) في مواجهة الميجور هاريسون (فارلي غرينجر)، مربي الخيول الذي يطمع في أرضهم. صور فيلم «يدعونني ترينيتي» في حديقة مونتي سيمبرويني الطبيعية الواقعة بالقرب من شلالات مونتي جيلاتو وفي بلدة الوسترن الواقعة في استديوهات دي باوليس. امتلأ فيلم باربوني بمعرض لشخصيات الغرب الأمريكي التقليديين- ميسكال الشرير (ريمو كابيتاني)، وهو وغد هزلي يضحك بجنون وجوناثان سويفت (ستيفان زاكارياس)، مدبر منزل المأمور الذي يصعب إرضاؤه

وسارة (جيزيلا هان) وجوديث (إيلينا بيديمونتيه)، وهما امرأتان مورمونيتان جميلتان، ورجلا بامبينو الحقيران، ويزل (إيزيو مارانو) وتيميد (لوشيانو روسي) وسجين سابق مكسيكي سكير (ميكيليه شيماروزا). أما عصابة الميجور فتضم رجل الأعمال الخطرة ريكاردو بيتسوتي الذي ظهر في كافة أفلام هيل وسبنسر اللاحقة تقريباً. ازدادت براعة ترينيتي في استلال المسدس مع باربوني كما أن الشجارات الحافلة بتبادل اللكمات اندمجت بصورة ممتازة في سياق القصة وانبثقت من السردية كالغناء في حفلة موسيقية جميلة، في حين أن هذا النوع من المعارك كان يقحم إقحاماً في سياق أفلام سبنسر وهيل اللاحقة. كما أن موسيقى فرانكو ميكاليتسي التي يميزها الصفير وأغنية الشارة (التي يدندنها ديفيد كينغ) انسجمت مع الجو الساخر للقصة. حقق فيلم «يدعونني ترينيتي» نجاحاً ساحقاً في إيطاليا عشية عرضه في فترة أعياد الميلاد من عام ١٩٧٠ كما نال جماهيرية كبيرة في الولايات المتحدة لدى عرضه فيها على يد جوزيف ليفاين عام ١٩٧١.

ولمع باربوني والمنتج إيتالو زينغاريلي مرة أخرى مع فيلم «لا يزال اسمي ترينيتي»- Trinity Is Still My Name (١٩٧١). يظن مهربا السلاح باركر (إيميليو ديليه بيانيه) ولوبيرت (جيرارد لاندري) في بداية الأمر أن سارق الخيول بامبينو وسارق الديوك الرومية ترينيتي هما قاطعا طريق ثم عميلان فيدراليان. وكانت عصابة باركر متحالفة مع عصابة من الأشقياء المكسيكيين تمارس تجارة السلاح انطلاقاً من دير سان خوسيه. صور باربوني الفيلم برمته في إيطاليا، بما في ذلك بلدات الغرب الأمريكي في استديوهات دي باوليس ودي لورينتيس. أما حبكة الفيلم المهلهلة، فليست أكثر من سلسلة من الصور: لعبة بوكر يبرهن

ترينيتي خلالها عن براعته في خلط ورق اللعب، ثم مباراة في تبادل الصفعات تجري بينه وبين المسلح وايلدكارد هندريكس، والوجبة النهمة التي يتناولها ترينيتي وبامبينو في مطعم فرنسي أنيق، والخاتمة التي يرتدي البطلان فيها زي راهبين أثناء مباراة كرة قدم أمريكية ضد عصابة باركر في الدير. شارك منسق رجال الأعمال الخطرة جيورجيو أوبالدي في الفيلم كمساعد مخرج وهو المنصب نفسه الذي تولاه في فيلم ترينيتي الأول.

قدم غيدو وماوريتسيو دي أنجيليس موسيقى فولك نذكر منها أغنية «ترينيتي الطويل» (Trinity Stand Tall) التي أداها جين رومان (مدعوماً بكورس نورا أورلاندي). يرتدي هيل وسبنسر في معظم مراحل الفيلم زياً مخططاً وقبعة مستديرة بطريقة تجعلهما يبدوان شبيهين بلوريل وهاردي. لعبت يانتي سومر دور المستوطنة ويندي التي تبقى أهم شركاء هيل في المشاهد الرومانسية. أما شقيق ويندي الصغير، إيبينيزر، فلا يكف عن إطلاق الغازات على مدار الفيلم بسبب مشكلة في أمعائه (يلقبه بامبينو باسم «الريح الصغير»). وقد أطلق على هذا النوع من الكوميديا الريحية في إيطاليا اسم وسترن الفاصولياء. يزور ترينيتي والديه، هاري كيري جونيور وجيسيكا دبلن، فيقرعاه على عدم تواصله معهما، لكنه يبرر موقفه قائلاً: «أنا أجهل الكتابة... وأنتما تجهلان القراءة». وقد كان من جوانب السخرية المبطنة التي زرعها باربوني في الفيلم إشراك كيري جونيور، أحد المحاربين القدماء في العديد من أفلام جون فورد، بدور والد ترينيتي. وعلى الرغم من كون هذا الفيلم أقل تماسكاً وأكثر خفة من الفيلم الذي سبقه، فقد أصبح أكثر أفلام الوسترن الإيطالي نجاحاً على الإطلاق لدى خروجه إلى صالات العرض في إيطاليا عام ١٩٧١.



المضي غرباً: أسطورة الغرب القصي بامبينو وترينيتي في فيلم «يدعونني ترينيتي» (١٩٧٠) لإنزو باربوني. ملصق إسباني يظهر فيه بود سبنسر وتيرانس هيل

النجمان الساحقان: النجاحات الإفرادية

استثمر هيل النجاح الذي حققه فيلما ترينيتي، فشارك في فيلمي وسترن أنتجهما سرجيو ليونيه: الأول هو «اسمي لا أحد»- My Name is Nobody (١٩٧٣) لتونينو فاليري والثاني هو «لا أحد الأكبر»- Nobody's The Greatest (١٩٧٥) لداميانو دامياني. أبدت شخصية «لا أحد» تبايناً واضحاً مع شخصيات الوسترن الهوليوودية النمطية كالأسطورة الحية في إطلاق النار جاك بورغارد (هنري فوندا) ومالك المناجم المحتال سوليفان (جان مارتان) والميجور المختلس مبغض الهنود كابوت (باتريك ماكغوهان). وكان فيلم «اسمي لا أحد» بحق آخر أفلام الوسترن الإيطالية العظيمة. فقد كان الفيلم مليئاً بالمواقف الطريفة (يطلق هيل على نفسه في إحدى لحظات الفيلم اسم سام بيكينباه) ووظف العديدين من ممثلي الوسترن الأمريكي- نيل سامرز وليو غوردون ور.ج. أرمسترونغ وستيف كانالي وجيوفري لويس- إلى جانب نظرائهم من نجوم السباغيتي وسترن: بينيتو ستيفانيلي وأنطونيو مولينو روخو وبييرو لولي وماريو بريغا ومارك ماتسا. صور فيلما «لا أحد» في الولايات المتحدة جزئياً- صور الفيلم الثاني في وادي المونيومنت فالي- وفي ديكورات مدينة فلاغستون التي بناها ليونيه في ألميريا، كما قدم الفيلمان موسيقى تصويرية رشيقة لموريكونيه. وفي فيلم «اسمي لا أحد»، يطلق بورغارد النار مع عصابته على إيقاع موسيقى داي فالكيري لفاغنر، في حين يقود لا أحد، في فيلم «لا أحد الأكبر»، فرقة الخيالة الخامسة في رقصة عيد الميلاد في حصن فورت كريستوبيل على أنغام «افتتاحية ويليام تيل» لروسيني.

ويدين سبنسر، في تجسيده لشخصية لص الخيول حيرام كوبرن في فيلم «يمكننا القيام بذلك يا صديقي»- It Can Be Done, Amigo (١٩٧٢- «الضخم والسيء»)، بالكثير لشخصية بامبينو. يصبح كوبرن حارساً شخصياً لتشيب أندرسون (ريناتو سشستيبه) الصغير الذي ورث بيت ويلديغر المتداعي، وهو

مزرعة قريبة من ويستلاند تبدو للوهلة الأولى غير ذات شأن، لكن فرنسيسكوس (فرنشيسكو رابال)، قاضي البلدة وكاهنها ومأمورها كان يطمح إلى الاستيلاء على المزرعة، لأن المزرعة، في الواقع، تعوم على بحر من النفط. وينتهي الفيلم بمعركة بالأيدي بين كوبرن ورجال فرنسيسكوس، في حين ينبجس النفط من البئر ويصبح كوبرن هدفاً للقواد البارع في إطلاق النار سوني برونستون (جاك بالانس)، الذي يقود ماخوراً متنقلاً على شكل عربة. فقد كان سوني راغباً بتزويج كوبرن لشقيقته ماري (داني سافال) التي كانت تنتظر مولوداً منه. ظهر سبنسر في فيلم الوسترن الكوميدي اللطيف هذا بصورة ممتازة وقدم لويس إنريكويز باكالوف موسيقى تصويرية هزلية بالإضافة إلى أغنية رشيقة اسمها «في المتناول» (Can Be Done) تتردد في فترات مختلفة من الفيلم وأداها روكي روبرتس (من فيلم «دجانغو»). صور معظم الفيلم في صحراء ألميريا كما لعبت ميني هوليوود دور بلدة سيلفرستون وديكورات الوسترن في استديوهات دي لورينتيس دور بلدة ويستلاند. ولأن فيلم «يمكننا القيام بذلك يا صديقي» يسخر من «حدث ذات مرة في الغرب»، فلم يكن مفاجئاً أن يعاد استخدام منزل سويتووتر بدور مزرعة ويلديغر. كان روفوس، حصان كوبرن، في النسخة الألمانية التي حملت اسم Der Dike in Mexiko ناطقاً.

عاد سنبسر مرة أخرى إلى ألميريا للمشاركة في فيلم الوسترن الكوميدي «بودي يتجه غرباً» - Buddy Goes West (١٩٨٠) لميكيليه لوبو، وهو من الناحية العملية إعادة لفيلم «يمكننا القيام بذلك يا صديقي». يجد بودي (سبنسر) وصديقه الهندي الأمريكي كوكوا (أميدو) نفسيهما في مدينة يوكا سيتي (ميني هوليوود) التي يختبئ بودي فيها بعيداً عن قبضة القانون متقمصاً شخصية طبيب. يساعد الرجلان، هنا كذلك، المستوطنين المحليين في مزرعة سويتووتر ليونيه ضد المأمور المحتال برينتري (جو بوغنر) الذي يتعاون مع كولورادو سليم (ريكاردو بيتسوتي) الخارج على القانون وعصابته (رومانو

بوبو ولورنزو فينيسكي وجيوفاني شيانفريليا وفورتوناتو أرينا وبينيتو ستيفانيلي). قدم موريكونيه الموسيقى التصويرية للفيلم المستوحاة من أعماله التي قدمها في أفلام سابقة هي «حدث ذات مرة في الغرب» و«الموت يمتطي جواداً» بالإضافة إلى فيلمي «لا أحد».

كما شارك هيل في فيلم «رجل من الشرق»- Man of The East (١٩٧٢) لباربوني وشارك سبنسر في فيلم «حتى الملائكة تأكل الفاصولياء»- Even Angels Eat Beans (١٩٧٣) لباربوني كذلك. وقد حقق الفيلمان نجاحاً ساحقاً في إيطاليا. أعاد فيلم «رجل من الشرق» لم شمل هيل ويانتي سومر، بدور حبيبته كانديدا. لعب هيل في الفيلم دور السير توماس مور، وهو رجل إنكليزي ساذج لا ينتمي للغرب الأمريكي، فيدربه على أساليب الحياة في المناطق الحدودية النائية ثلاثة من الرجال الرحل الخارجين على القانون هم بال وهولي جو ومونكي (غريغوري والكوت وهاري كيري ودومينيك بارتو). ثم يواجه مورتون كلايتون (ريكاردو بيتسوتي) الذي ينافسه على قلب كانديدا. زود الأخوان دي أنجيليس الفيلم بموسيقى عاطفية.

أما فيلم «حتى الملائكة تأكل الفاصولياء»، فهو فيلم كوميديا عن عصابات في عصر الركود الكبير تدور أحداثه في نيويورك (تم تصويره جزئياً فيها). لعب سبنسر دور تشارلي سميث الذي يرتدي رداء أسود ضيقاً وقناعاً ويصارع مستخدماً الاسم المستعار «الرجل الغامض» ولعب جيوليانو جيما دور رجل العصابات الصاعد سوني. وكان جيما قد أثبت حضوراً شعبياً كبيراً في أفلام كوميديا رجل الكهف مثل «عندما كان للمرأة ذيل»- When Women Have Tails (١٩٧٠ أمام سينتا برغر بدور امرأة كهف لها ذيل) الذي يسخر من فيلم «عندما فقدت المرأة ذيلها»- When Women Lost Their Tails (١٩٧١) و«عندما لعبت المرأة لعبة دينغ دونغ»- When Women played Ding Dong (١٩٧١ كذلك). يثير تشارلي وسوني غضب

العراب أنجيلو (روبرت ميدلتون)- فقد انضم الاثنان إلى «عائلة» أنجيلو وتم إرسالهما لجمع مال الخوات من منطقة نفوذه، إلا أنهما يساعدان بدلاً من ذلك ضحايا أنجيلو الفقراء بمن فيهم مالك البقالية جيراس (ستيفن زاكارياس). يذكر من أفراد العصابة ريكاردو بيتسوتي (كوبرا) وبييترو شيكاريلي (ستونهيد) وجيوفاني شيانفريليا (ماك السكين) وماريو بريغا (حارس أنجيلو). ولعب فورتوناتو أرينا دور رجل شرطة وفيكتور إسرائيل دور المخبر يهوذا وجورج وانغ دور الخبير الياباني في فنون القتال ناكا تاكا وكلاوديو روفيني دور جيم باكستر، حكم المصارعة المسعور. قدم الأخوان دي أنجيليس للفيلم موسيقى جاز وأغنية شارة بعنوان «الملائكة والفاصولياء» (كتباها بالاشتراك مع سبنسر) أداها كاتي وغوليفر.

دفع نجاح «حتى الملائكة تأكل الفاصولياء» والشعبية التي حققها بول نيومان في فيلم «النحلة»- The Sting (١٩٧٣) سرجيو كوربوتشي إلى إخراج فيلم «فنانو الخدع»- The Con Artists (١٩٧٦) وهو أحد أضخم أفلام السبعينيات الكوميدية في إيطاليا والفيلم الذي يعتبر أعظم نجاحات كوربوتشي التجارية. لعب أنطوني كوين في الفيلم دور معلم الخدع فيليب بانغ. أما محميه فيليكس، فقد لعب دوره المغني الإيطالي ذو الوجه البليد أدريانو شيلينتانو، الذي صار ممثلاً كوميدياً. يشتري بانغ أرضاً مستنقعية ويصطنع فيها حفريات أثرية زائفة لما يفترض به أن يكون كنز نيبيلونجن («اكتشاف القرن»)، بما في ذلك قبر سيغفريد، كي يخدع مالك الكازينو بيل ديوك (كابوشينيه). ظهرت كورين كليري في الفيلم بدور شارلوت، شقيقة بانغ الماكرة. صور كوربوتشي بعض أجزاء الفيلم في مونت كارلو وحمل الفيلم في إيطاليا اسم «الخداع- قصة الخدع والغش»- Bluff- Storie di Truffe a di Imbroglioni.

استثمر بود سبنسر نجاحاته الجديدة فظهر في فيلم «ذو القدم المسطحة»- Flatfoot (١٩٧٣) الذي يجسد فيه شخصية رجل شرطة عنيف،

كما لعب دور المحتال في فيلم العصابات «تشارلستون»- Charleston (١٩٧٨) لمارشيلو فونداتو. ولعب كذلك دور إيتوريه فييراموسكا جندي المرتزقة في فيلم «جندي الثروة»- Soldier of Fortune (١٩٧٦) وهو فيلم مغامرات تاريخي عنيف تجري أحداثه أثناء حصار بارليتا عام ١٥٠٣ واستلهم من فيلم الكوميديا القروسطية «من أجل الحب والذهب»- For Love and Gold (١٩٦٦) الذي لعب أدوار البطولة فيه فيتوريو غاسمان وجيان ماريا فولونتيه وإنريكو ماريا ساليرنو وبربارة ستيل. كما حقق سبنسر نجاحات كبيرة في عدد من الأفلام الموجهة للفتيان بما في ذلك فيلم الخيال العلمي الكوميدي «المأمور وطفل الفضاء»- The Sheriff and The Satellite Kid (١٩٧٩) لميكيليه لوبو قبل أن يؤدي دور الجني في فيلم مصباح سحري معاصر اسمه «علاء الدين»- Aladdin (١٩٨٦) لبرونو كوربوتشي.

كما لعب سبنسر دور البطولة في فيلم «كانوا يدعونه البلدوزر»- The Called Him Bulldozer (١٩٧٨) للوبو الذي تم تصويره في مارينا بيزا، وهو منتجع شاطئي يقع غرب مدينة بيزا. يدرب نجم كرة قدم أمريكية معتزل يلقب بالبلدوزر حفنة من اللصوص المراهقين المهزولين الضعفاء وفتية الشوارع الذين يتسكعون بالقرب من حانة بابا غاليونيه في الميناء من أجل مواجهة فريق كرة قدم مؤلف من رجال ضخام الأجساد تابع لجوالة الجيش الأمريكي في معسكر كامب دوربان القريب. لعب ريموند هارمستورف دور الرقيب كيمبفر، وهو جندي جوالة ضخم الجثة- كان، بوصفه الرقيب ميلتون، قد اضطهد تيرانس هيل في فيلم «لا أحد الأكبر». كما ظهر جيجي بونوس بدور ميكانيكي القارب الذي يملكه البلدوزر ورينيه كيلدهوف بدور الكولونيل قائد المعسكر ونيلو باتسافيني بدور بواب الكازينو ورجال الأعمال الخطرة رومانو بوبو وريكاردو بيتسوتي وجيوفاني شيانفريليا بدور جنود أمريكيين. يعتبر فيلم «كانوا يدعونه البلدوزر» مماثلاً، في جوهره، لقصة فيلم «مين ماشين»- Mean Machine. إذ يعتزل بلدوزر اللعب

عام ١٩٧٣ بشكل غير منتظر بعد اكتشافه حدوث تلاعب بنتائج المباريات، لكنه يعود إلى المنافسة في المباراة النهائية كي يشد إزر فريقه الذي كان على وشك الهزيمة. أدى أغنية الفيلم الفكاهية «بلدوزر» أوليفر أونيونز (كتبها الأخوان دي أنجيليس) ويعزف سبنسر على الغيتار ويغني أغنية بعنوان «ما هو اسمك» (Como Se Llama). بدأ الملاكم البريطاني جو بوغنر حياته الفنية في هذا الفيلم بدور «الدب»، وهو بلطجي وحارس شخصي يجنده بلدوزر للعب دور لاعب مدافع في فريقه. وعلى الرغم من أن بوغنر ليس ممثلاً، إلا أنه كان عظيماً في هذا النوع من أفلام الحركة وحظي بحياة مهنية قصيرة ناجحة من خلال تعاونه مع سبنسر في عدد من الأفلام.

في ذلك الوقت، حقق تيرانس هيل اختراقاً صغيراً إلى عالم السينما العالمية الرائجة مع فيلم «قاتل أو مت»- March or Die (١٩٧٧) لديك ريتشاردز وتدور قصته حول الكتيبة الأجنبية في الجيش الفرنسي في مواجهة جين هاكمان وماكس فون سيدو وكاترين دونوف وأيان هولم وريتشارد كيل، حيث أفضى هذا الفيلم به إلى بطولته الأمريكية الأولى مع فيلم «السيد مليار»- Mr. Billion (١٩٧٧) مع جاكي غليسون وفاليري بيرين وسليم بيكنز وتشيل ويلس ولعب فيه دور غيدو فالكونيه الميكانيكي الإيطالي الذي يطالب بميراثه.

وفي فيلم «المتطفل الجبار»- Super Snooper (١٩٨١) لسيرجيو كوربوتشي الذي تم تصويره في الولايات المتحدة، يتعرض شرطي الدراجة المستجد دايف سبيد من ميامي (هيل) للبلوتونيوم الأحمر أثناء تجربة أجرتها وكالة الفضاء الأمريكية بالقرب من بلدة كريكتاون، فيؤدي الانفجار إلى تزويده بقوى خارقة متنوعة- يستطيع تحريك الأشياء عن بعد بأسلوب التخاطر، ويعدو أسرع من السيارة ويتنبأ بالمستقبل وقادر على الطيران ويلتقط الرصاص بأسنانه وهو، بالإجمال، عصي على الهزيمة- تجعل الرجل الكوغار يبدو أمامه تافهاً. لكن دايف يكتشف كذلك أن اللون الأحمر كفيل بإفقاده قواه. يحقق دايف وشريكه الشرطي ويلي دنلوب (إرنست بورناين) في

شبكة تزوير يديرها رجل العصابات طوني توربيدو (مارك لورنس) من مركب الصيد باراكودا. يصل دايف وويلي، في نهاية الفيلم، إلى شاطئ الأمان على متن فقاعة لبان صفراء عملاقة. صور كوربوتشي الفيلم في مواقع في مدينة ميامي بما في ذلك ملعب كرة القدم الأمريكية فيها. تؤدي فرقة أوشينز في الفيلم أغنية ديسكو مملة بعنوان «سوبرسنوبر» ألفها كارميل وميكيلانجيلو بيوندا. أما هيل، فنراه خارج أوقات دوامه الرسمي، يرتدي قبعة رعاة البقر وقميصاً مرقطاً على طريقة أبطال الوسترن. ظهر سال بورغيزيه في الفيلم بدور بارادايس، رجل توربيدو وجوان درو بدور نجمة السينما العجوز روزي لابوش التي تتعاون مع توربيدو وجولي غوردون بدور إيفلين، نسيبة ويلي التي يحبها دايف.

الثنائي المزعج

حقق هيل وسبنسر غالبية نجاحاتهما عندما عملا كفريق. فقد أتبعا فيلمي ترينيتي بفيلم مخيب للأمل اسمه «القرصان الأسود»- !The Black Pirate (١٩٧١) ثم اجتمعا من جديد مع جيوسيبيه كوليتسي في فيلم «على طول الخط أيها الفتية!»- !All The Way, Boys (١٩٧٢). ينقل الطياران المستقلان بلاتا (هيل) وسالود (سبنسر) شحنة فوق غابات الأمازون. وكان مالك الشحنة المحتال قد طلب منهما أن يحطما الطائرة عن عمد كي يتلقى مال التأمين، لكنه طائرتهما تتحطم بالفعل، فيحطان في غابة ويلتقيان بعمال مناجم يستغلهم السيد إيرز (رينيه كولدهوف) في التنقيب عن الزمرد ويقرران الشروع في عملهما الخاص. هكذا، يقومان بإصلاح طائرة قديمة بمقعدين ويبدآن بشحن الإمدادات إلى عمال المناجم الأمر الذي يفضي إلى تضارب في المصالح مع السيد إيرز.

ولكون هيل وسبنسر وجدا نفسيهما إلى جوار المنتج زينغاريلي والمخرج كوليتسي، فقد كانت الرداءة التي أظهرها الفيلم فاقعة. صور الفيلم في كولومبيا وتعرضت نسخته الناطقة باللغة الإنكليزية لمجزرة حقيقية

فتقلصت مدة عرضه من مائة وعشرين دقيقة إلى حوالي التسعين، لكن التفكك الذي نتج عن ذلك لم يكن في صالح القصة البليدة أصلاً. فعلى الرغم من أن هيل وسبنسر كانا جيدين- تماماً كما لو كانا ترينيتي وبامبينو على متن طائرة- إلا أن القصة نفسها شكلت تحدياً حقيقياً لبراعتهما. ألف س. دونكان سميث، مع الأخوين دي أنجيليس وسبنسر، أغنية الشارة الأخاذة «نطير في السماء». لعب الممثل المحترم سيريل كوزاك دور لوكو، الأيرلندي العجوز المتوحد الباحث عن الذهب الذي يتحالف مع الثنائي هيل وسبنسر في تقديم لحظات لا تنسى. لعب ريكاردو بيتسوتي دور مالك حانة وأنطوان سانت جون دور رجل شرير ذي لكنة ألمانية- وقد تعرض الرجلان للضرب على يد البطلين في شجار ترينيتي بالأيدي. نشاهد البطلين، في المشاهد الافتتاحية المثيرة، يحاولان الهبوط بطائرتهما المعطلة- اندلعت فيها النيران وكانت مكابحها معطلة- في مطار مزدحم حيث كان سبنسر يقرأ قصة مصورة عن باباي في حين كان هيل يحاول أخذ إغفاءة دون أن يقلقه أي شيء. تتخطى طائرتهما، بعد أن حطت على المدرج، طائرة قادمة باتجاههما قبل أن تتحطم في حظيرة الطائرات ويبرز الرجلان منها دون أن يصيبهما أي أذى. وقد قدمت هذه المشاهد، لسوء الحظ، آخر لحظات الإثارة الأصيلة في الفيلم.

كما شارك هيل وسبنسر في فيلم «انتبه، نحن مجنونان!»- Watch Out, We're Mad! (١٩٧٣) لمارشيلو فونداتو بدور سائقي سباقات الرالي المتنافسين كيد وبن، حيث يتقاسم الرجلان الجائزة الأولى لأحد السباقات وهي دراجة صحراوية حمراء رباعية العجلات من طراز بوما. يخطط رجل العصابات الملقب بالزعيم (جون شارب) ومستشاره الملقب بالطبيب (دونالد بليزانس) للاستيلاء على حديقة ترفيهية مجاورة لمرآب بن كي يبنيا عليها ناطحة سحاب. تحطم العصابة الدراجة الصحراوية التي فاز بها الثنائي. ولمساعدة الناس الذين يعملون في الحديقة ولاستبدال جائزتهما المحطمة، يشن كيد وبن هجوماً على العصابة. صور الفيلم في مدريد وفي استديوهات دي

باوليس ويعتبر أحد أفضل الأفلام الكوميدية التي مثلها الثنائي هيل وسبنسر في الحقبة التي تلت فيلمي ترينيتي. تشبه حبكة الفيلم قصة وسترن موضوعة في سياق معاصر، حيث يؤدي طاقم موظفي الحديقة المهددين في لقمة عيشهم- الذي يضم ليزا (باتي شيبرد) التي تمشي على الحبل- وظيفة المزارعين المعوزين. يرسل زعيم الجريمة باغانيني (مانويل دي بلاس)، وهو قاتل مأجور من شيكاغو يهوى الفن ويرتدي معطفاً طويلاً أسود ويخفي بندقيته في حقيبة كمان ويشبه مسلحي السباغيتي وسترن. كما يتصارع الثنائي هيل وسبنسر مع فرقة قتل تتألف من عشرة رجال يرتدون ملابس سوداء ويمتطون دراجات نارية على إيقاع موسيقى ترومبيت مكسيكية.

أما أغنية الفيلم، فهي أغنية البوب المشهورة Dune Buggy بصوت أوليفر أونيونز (الأخوان دي أنجيليس). يتحول نهم البطلين للفاصولياء في فيلمي ترينيتي إلى الجعة والهوت دوغ وينتهي الفيلم بشجار في الملهى الليلي الذي يملكه رجل العصابات وسط بحر من البالونات. وعلى الرغم من أن الشجارات بالأيدي والمواقف الطريفة في هذا الفيلم مساوية في قوتها لنظيراتها في أفلام الوسترن- بما في ذلك المشهد الذي يهاجم البطلان فيه صالة رياضية مليئة بالملاكمين- فإن ما يبرز الفيلم بحق هو مشاهد مطاردات السيارات والدراجات النارية التي أداها رجل الأعمال الخطرة ريمي جوليين. وتذكر من مشاهد السرعة في الفيلم مشهد الرالي الريفي ومشهد آخر يقود فيه هيل وسبنسر سيارة رالي حمراء اللون من طراز فورد تشتعل فيها النيران وسط شوارع المدينة باتجاه مغسل سيارات كي يخمدا الحريق. كما يخترق البطلان بسيارتهما النادي الليلي الذي يملكه رجل العصابات فيحطمان المكان في واحد من أروع مشاهد التدمير في الفيلم. حقق الفيلم لبطليه نجاحاً كبيراً آخر واستمرا عبره في حملتهما المظفرة في شباك التذاكر الإيطالي.



تيرانس هيل وبود سبنسر يجسدان شخصيتي سائقي الرالي المتنافسين كيد وبين في فيلم مارشيلو فونداتو الكوميدي الناجح «انتبه، نحن مجنونان!» (١٩٧٣)

لم يلق فيلم «المبشران»- Two Missionnaries (١٩٧٤- اسمه الإيطالي «أدر له الآخر») نجاحاً عالمياً كبيراً على الرغم من أن دينو دي لورينتيس هو من أنتجه. صور الفيلم في كولومبيا ويتحدث عن قصة مبشرين يعملان في غابات الأنتيل عام ١٨٩٠- الأب بيدرو دي ليون (سبنسر) والأب ج (هيل)- ويشتبكان مع رجال مزارع بن ثري استغلالي بقيادة مينينديز (ماريو بيلار) والمركيز والمركيزة البورجوازيين غونزاغا (روبرت لوغيا وماريا كوماني كواسيمودو). ثم يحرض المبشران السكان على الانتفاضة خلال مهرجان الفييستا كونكويستادوريس الذي يحتفي بالنظام الاستعماري القمعي.

ارتقى التصوير السينمائي الجميل للفيلم بسوية الحبكة الأمريكية اللاتينية التقليدية التي تقوم على وضع الأثرياء مقابل الفقراء (تبدو بعض مشاهد الحركة وكأنها مأخوذة من فيلم «أحرق!»)، كما كان للأداء الرفيع الذي قدمه هيل وسبنسر في هذا الدور غير التقليدي وللأزياء المتقنة ولتصميم الإنتاج أكبر الأثر في ذلك: ولاسيما سفينة المبشرين النهرية البخارية المتداعية والممرات المائية التي تخترق بيوت القرويين المصنوعة من جذوع الأشجار. كان فيلم «المبشران» أحد أجمل الأفلام التي أداها الثنائي هيل وسبنسر بفضل التصوير السينمائي المتقن الذي نفذه غابور بوغاني. لعب جان بيير أومون دور الشرير ديلغادو وتعرض ريكاردو بيتسوتي مرة أخرى لعلقة مؤلمة بوصفه أحد رجال مينينديز. لم يضم الفيلم أية محبوبة لهيل أو لسبنسر على حد سواء، الأمر الذي ساعد على الحفاظ على إيقاع الفيلم، كما أن المشاجرات بالأيدي كانت مقتصدة ولم تكن غاية بحد ذاتها: تستخدم أرجوحة في أحد المشاهد كمقلاع. قدم الأخوان دي أنجيليس موسيقى راقصة بنكهة السامبا وأغنيات مثل Manana و El Barca de San Jose أدتها فرقة باركويروس.

حول العالم

يمثل فيلم «طاردا الجريمة»- Crime Busters (١٩٧٧- «الشرطيان الخارقان») أولى محاولات الثنائي لاختراق السوق الأمريكية، من خلال جعل ميامي مسرحاً لأحداث الفيلم ومن خلال التصوير في ولاية فلوريدا (المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس في روما). اجتمع هيل وسبنسر في هذا الفيلم مع المخرج باربوني مرة أخرى. يقرر رجلان عاطلان عن العمل- البهلواني مات كيربي (هيل) وسائق القاطرة والمقطورة ويلبور والش (سبنسر)- سرقة متجر الغراند يونيون في مدينة بورت إيفرغلايدز، لكنهما يجدان نفسيهما وقد تطوعا في شرطة ميامي رغماً عنهما. يجتاز الرجلان الدورة التدريبية بنجاح وسرعان ما يصبحان نجمين من نجوم قوة الشرطة ورجلي الشرطة المفضلين لدى رئيسهما الكابتن مكبرايد (ديفيد هدلستون) عندما ينجحان في اختراق شبكة

لتجارة المخدرات تعمل انطلاقاً من أحواض السفن ومن أحد أندية البولينغ. لعب لوشيانو كاتيناتشي دور زعيم العصابة فريد «الأجعد» كلاين بالإضافة إلى رجاله المألوفين: ذي الوجه المشطوب (ريكاردو بيتسوتي) ورجال الأعمال الخطرة جيوفاني شيانفريليا وروكو ليرو وكلاوديو روفيني وفورتوناتو أرينا. تشبه حبكة فيلم «طاردا الجريمة» إلى حد كبير حبكة فيلم «لا يزال اسمي ترينيتي». يبدأ مهرجان الضحك في الفيلم حال ظهور الثنائي بالزي الرسمي كشرطيي مرور على دراجتين من طراز هارلي وديفيدسون. قدم الأخوان دي إنجيليس الموسيقى التصويرية للفيلم بأغنيتها الرئيسية ذات الطابع الريفي.

يوفر الوصف الذي قدمه الفيلم لأمريكا مفاتيح هامة لفهم كيف يرى السينمائيون الإيطاليون الولايات المتحدة بوصفها بلداً يستطيع أي إنسان أن يصنع فيه بعض المال على ما يبدو. إنها بلاد السيارات الكبيرة البراقة (يتحطم معظمها) والهوت دوغ والمأكولات المقلية التي تقدم في أكواب بلاستيكية وكرة القدم الأمريكية وصالات البولينغ. يعيش البطلان على الهامبورغر، لكنهما يقومان بالتأكيد بتدريبات بدنية مجهدة تشير إليها قسوة المعارك التي يخوضانها. لكن مقدار الأضرار ازداد في أفلام الثنائي هيل وسبنسر خلال عقد السبعينيات وأصبح الدمار أفدح على الرغم من أنهما لم يفقدا شيئاً من وحي لوريل وهاردي. إذ يقول هيل لسبنسر معلقاً على الأضرار التي تصيب سيارة الدورية التي يستقلانها: «يا لها من فوضى رائعة تلك التي صنعتها!». كما يشنان في أحد المقاهي هجوماً على مجموعة من الرجال الأشداء يقودهم إيزيو مارانو (من فيلم «يدعونني ترينيتي»)، ثم يضربان، في استاد كرة القدم الأمريكية في ميامي، عصابة من رعاة البقر يقودهم جيرونيمو الهيبي (لوشيانو روسي من فيلم «يدعونني ترينيتي» كذلك) في خضم مباراة كرة قدم أمريكية هازلة. أما خاتمة الفيلم فكانت وجبة ضرب مجانية للجميع جرت فصولها في صالة البولينغ وأرسل خلالها سنبسر كافة الأشرار عبر مسارات كرات البولينغ. بدا هيل وسنبسر بقمة أدائهما في هذا الفيلم الحافل بالنكات والتلميحات - يشرح مات لأحدهم أنه مولود في البندقية (وهي المدينة التي ولد فيها هيل في الحقيقة) ويطلب سبنسر الذي يقارب طوله المترين الحصول على زي

شرطة بقياس XXXXL- وقد لعب سبنسر فيما بعد بطولة سلسلة تلفزيونية عنوانها «المفتش إكسترا لارج». أما حبيبة هيل في الفيلم فهي الصينية سوزي لي (لورا جيمسر وهي نجمة عدد لا يحصى من أفلام حملت اسم «إيمانويل») التي أطلقت أسرتها الصينية على البطلين لقب «التنين العظيم وجرو النمر». ألقت الشراكة بين هذين النجمين «ظلاً كبيراً واحداً» وقد برهن الفيلم عن شعبية كبيرة حتى في الولايات المتحدة لدى عرضه فيها عام ١٩٨٠.

وفي فيلم «زوج فرد»- Odds and Evens (١٩٧٨)، يحقق الملازم جوني فيربو (هيل)، وهو ضابط في الاستخبارات البحرية، في سيطرة الجريمة المنظمة على عالم الميسر في ميامي، ويجند لمساعدته أخاه نصف الشقيق تشارلي فيربو (سبنسر)، وهو مقامر محترف، حيث يهاجم الاثنان العصابة من خلال سلسلة من مباريات القمار المتتابعة تنتهي بمواجهة مباشرة بين جوني وزعيم الأشرار الملقب باليوناني (لوشيانو كاتيناتشي) في لعبة بوكر على متن يخت يملكه الشرير كانت الرهانات فيها مرتفعة للغاية.

كان فيلم «زوج فرد» هو المكان الذي بدأ التعفن فيه بالظهور. إذ سمح الفيلم لهيل بالمبالغة في تجسيد شخصية جوني ذي الظل الخفيف والنشاط المفرط الذي يستخدم التهريج وتعابير الوجه ولاسيما في مشهد محرج يتكلم فيه بلغة «الدلافين». أما وجبة الثنائي المفضلة فهي الفاصولياء والبصل في فيلم تحولت مشاهد القتال المطولة فيه إلى عائق أمام تطور الحبكة التي اقتضى انطلاقها مضي نصف دقائق الفيلم المائة والاثنتي عشرة. وعندما يجلس هيل للمشاركة في لعبة بوكر مع أربعة من رجال المخاطر الإيطاليين، يكون عليك أن تتوقع أن ينتهي الأمر بأحدهم وقد امتلأ وجهه بالكدمات. ولم تتفع موسيقى الديسكو اللطيفة التي كتبها الشقيقان دي أنجيليس في تحسين الوضع. يظهر سبنسر في أحد مشاهد الفيلم بملابس طفل رضيع لكنه لم يتمكن من التفوق على هيل الذي نراه يسافر متطفلاً بزي راهبة.

صور فيلم «زوج فرد» في مدينة ميامي المشمسة (بما في ذلك ملعب كرة القدم الأمريكية والأكواريوم البحري) وفي استديوهات دي باوليس في

روما. يحمل هيل وسبنسر على عصابة اليوناني ويحطمان كازينو القمار العائم الذي يملكه ويشهد الفيلم تنافساً حقيقياً بين الاثنين في التدمير وبعض سباقات القوارب السريعة ومشاهد صفع بالحركة السريعة. لعب وودي وودبيري دور الأدميرال أوكونور، والد جوني ونجم الكوميديا التلفزيوني جيري ليستر دور مايك فيربو، والد تشارلي الذي يدعي في مشهد هزلي سريع أنه ضرير. ينتهي الفيلم بطريقة عاطفية مبتذلة عندما يستخدم البطلان المال الذي كسباه في إنقاذ ميتم الأخت سوزانا (ماريسا لوريتو) من الإغلاق. حقق الفيلم نجاحاً كبيراً في إيطاليا وكذلك في ألمانيا التي كان لهيل وسبنسر فيها جمهور كبير، لكن ذلك لا يمكن أن يخفي حقيقة أنهما كانا لا يزالان يعيدان استخدام الحبكة نفسها، حتى بعض مضي ثمانية أعوام على فيلمي «ترينيتي».

أخرج إيتالو زينغاريلي، منتج فيلمي «ترينيتي»، فيلم «من أجل أفراس النهر» - I'm for The Hippopotamus (١٩٧٩) الذي تجري أحداثه في القارة الأفريقية، في تغيير مرحب به لمسرح الأحداث قد يكون مستوحى من فيلم «قطار أفريقيا السريع» - Africa Express (١٩٧٥) الجماهيري لميكيليه لوبو الذي يتصدى فيه جون باكستر (جيوليانو جيما) والراهبة مادلين (أورسولا أندروس) والشمبانزي بيبا لتاجر العاج روبرت بريستون (جاك بالانس) وهو مجرم حرب نازي. في حين يقف سليم (هيل) وابن عمه توم (سبنسر)، في فيلم «من أجل أفراس النهر»، في وجه هواة صيد غير شرعيين وتجار عاج يقودهم الملاكم السابق جاك «المطرقة» أورموند (الملاكم السابق جو بوغنر) الذي يشحن الحيوانات لهواة اقتنائها في أونتاريو. يهاجم الثنائي هيل وسبنسر رجال أورموند المشاكسين الحمقى في معركة تلو الأخرى. نفذ ريمي جوليين مشاهد قيادة السيارات الخطرة التي تتضمن سيارة جيب تنقلب في النهر ومطاردة بين سيارة نقل وحافلة السياح العتيقة الملونة التي يملكها توم. ينظم توم رحلات سافاري لكبار هواة الصيد (لكنه يزودهم بطلقات خلبية بدل الطلقات الحقيقية) ويتحالف مع أحد السكان المحليين واسمه سنغور (ساندي نكومو) الذي يبيع

تحفاً أفريقية زائفة للسياح الغافلين. لعبت داون يورغنز دور ستيلا (التي يحبها سليم)، ابنة سنغور وبن ماسينغا دور الدكتور جيسون، هاوي جمع الفراشات. زود والتر ريتساتي الفيلم بموسيقى تصويرية مرحة نذكر منها على وجه الخصوص أغنية الشارة الأفريقية التي أداها سبنسر بدوره أثناء الفيلم.

تضمن فيلم «من أجل أفراس النهر» لحظات تقليدية تميز هيل وسبنسر: يستمتع سليم وتوم بتناول وجبة أنيقة في مزرعة أورموند (يلتهم سليم خلالها سرطاناً ومحاراً وجراد البحر ووجبات بحرية أخرى)، ويستعرض سليم في الكازينو مهاراته الخاصة في خلط ورق اللعب، ويقتحم سجناً بواسطة بلدوزر ويحرر توم. يسوق أورموند، في نهاية الفيلم، عشرات الحيوانات إلى مركب نهري بخاري كي يقوم سليم وتوم بإطلاقها مرة أخرى إلى البرية، في عمل أفضى إلى مشهد فرار جماعي لنعامة وحمار وحش وظبي إمبالا. ثم يفضل رجال أورموند القفز في نهر يعج بالتماسيح على مواجهة البطلين. تتوافر على الأقراص الضوئية في الأسواق الأمريكية نسخة من الفيلم اقتطعت منها عشر دقائق، في حين يمكن في بريطانيا الحصول على نسخة كاملة تبلغ مدة عرضها مائة وأربع دقائق.

استوحي عنوان فيلم «من يعثر على صديق يعثر على كنز»- Who Finds a Friend Finds a Tresor (١٩٨١) لسرجيو كوربوتشي من عبارة قالها هيل لسبنسر في فيلم «محاربا الجريمة». تحضر أغنية الريغي الحزينة التي ألفها كارميلو وميكيلانجيلو لا بيوندا وأدتها فرقة أوشنز المتفرجين لما هو قادم. إذ يمكن اعتبار هذا الفيلم الحضيض المهني للثنائي هيل وسبنسر وإسهاماً مؤسفاً لكوربوتشي في عالم السينما. ينطلق ألان (هيل) في الفيلم هارباً من رجل العصابات فريسكو جو (سالفاتوريه بازيليه) وعصابته (تتضمن ريكاردو بيتسوتي وجيوفاني شيانفريليا) ويأوي إلى سفينة اسمها بافين يملكها تشارلي أوبرايان- يسعى تشارلي (سبنسر) وحيداً لإتمام رحلة حول العالم على متن مركبه، لكن ألان يريه خريطة حصل عليها من عمه برادي (هيربي غولدستاين) تشير إلى كنز مدفون في جزيرة تقع في جنوب المحيط الهادي.

إلا أن الأمر ينتهي بألان وتشارلي أسيري تلك الجزيرة التي تدعى بونغو بونغو. وقبل أن تتاح للمتفرج فرصة «الإدلاء بنعوت عنصرية جارحة»، يلتقي ألان وتشارلي بقبيلة من السكان المحليين كان منهم الملكة ماما (لويز بينيت) والزعيم أنولو (رجل المخاطر سال بورغيزيه بشعر مستعار أفريقي وعقد من العشب ومئزر يستر عورته). ثم يعثر الثنائي على الكنز مدفوناً في حصن يحميه كاماسوكا (جون فوجوكا)، وهو جندي ياباني يظن أن الحرب العالمية الثانية لا تزال محتدمة، فيرتدي ألان وتشارلي زي جنديين أمريكيين ويقودان دبابة يابانية قديمة من طراز KE-GO 95 باتجاه الحصن. أما أشرار الفيلم فيضمون عصابة قراصنة من تجار الرقيق من باراكودا يرتدون ملابس استرقاق جلدية سوداء بما في ذلك القبعة والسترة. يعثر ألان وتشارلي، في نهاية المطاف، على أكثر من ثلاثمائة مليون دولار لكنهما يسلمانها للجيش الأمريكي بعد أن قيل لهما إن النقود مزورة: لكن الأمر لم يكن كذلك. أعيدت تسمية الفيلم في نسخته الأمريكية إلى «ارفع يدك عن الجزيرة» وكانت أفضل الفكاهات فيه النهاية التي يقدم الشكر خلالها لسكان الجزيرة وسلطاتها، بعد أن أكد منتجو الفيلم أنهم قدموا تعهداً بعدم الكشف عن موقع ذلك الفردوس الذي لم يتعرض للنهب. صور الفيلم في كي بيسكاين في فلوريدا الواقعة إلى الجنوب من ميامي.

اجتمع هيل وسبنسر، في فيلم «إلى الأمام» - Go for It (١٩٨٣) لباربوني، مرة أخرى مع ديفيد هدلستون من فيلم «محاربا الجريمة». وفي استعادة لفيلم «لا يزال اسمي ترينيتي»، تظن الشرطة خطأ أن روسكو فريزر (هيل) الذي يسافر متطفلاً في سيارة نقل يقودها دوغ أوريوردان (سبنسر)، السجين الذي أطلق سراحه مؤخراً هما سارقا شاحنات ثم يسود اعتقاد أنهما ستاينبرغ وميسون، عميلا وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. لعب هدلستون في الفيلم دور تايغر رئيس العميلين المزعومين في الوكالة. كان عميلا الاستخبارات الأصليان مكلفين باختراق حلقة احتيال تسلب السياح الأثرياء في شاطئ ميامي بيتش. هكذا، يظهر روسكو ودوغ متقمصين شخصيتي ثريين من تكساس يصلان إلى ميامي على

متن سيارة لنكولن كونتيننتال ذهبية اللون ثبتا في مقدمتها قرنين طويلين ووضعا في مقطورتها بقرة اسمها كالاميتي جاين. كان المحتالون بقيادة الدكتور سبايدر (ريكاردو بيتسوتي) وموسته الحسناء (امرأة الأعمال الخطرة فايث مينتون) يعملون لصالح سيد الجريمة K1 (بافي دي) الذي يخطط لتفجير المركبة الفضائية باستخدام قنبلة من النوع K وإطلاق سحابة من الإشعاعات.

أثبت فيلم «إلى الأمام» أن موهبة الثنائي هيل وسبنسر الكوميدية تبرز بصورة ممتازة عندما يعملان مع باربوني. فقد بدا بوضوح، مع هذا الفيلم، بنصه الذي يفوق المتوسط وبحبكته المتماسكة، أن البطلين قد ولدا من جديد. يتضمن الفيلم عدداً من الطرف الجيدة يستخدم روسكو فيها مهاراته في التكلم من البطن. قدم فرانكو ميكاليتسي موسيقى الفيلم وأغنية الشارة التي تتميز بموسيقى ريفية رنانة يؤديها أ. دوغلاس ميكين. صور باربوني الفيلم في ميامي- يقيم البطلان في فندق الهيلتون فونتين بلو على شاطئ الميامي بيتش. كما يشتبك هيل وسبنسر في أكواريوم ميامي البحري مع عصابة من القتلة الصينيين بقيادة تشارلي تشان (جيف مولدوفان) ومجموعة من قتلة المافيا المأجورين ببذاتهم السوداء. بقيت العثرات وحركات الوجه الغريبة في الفيلم ضمن حدودها الدنيا في حين تفوقت الطرف الذكية. تسلح البطلان في الفيلم بسيارة رياضية مضادة للرصاص كانت كفيلة بجعل سبنسر نفسه قادراً على اجتذاب الحسناوات كما استخدما لفافات أوراق مرحاض لا يمكن قطعها. يرتدي الأشرار في الفيلم قمصاناً طبعت عليها العبارة التالية: I L♥VE K1. وفي واحدة من أكثر لحظات الفيلم بوندية، تحاول ساقية حسناء (سوزان تيسدايل) قتل روسكو بكأس كوكتيل متفجر وتفر من المكان على متن طائرة شراعية يجرها زورق سريع في حين يلاحقها روسكو على متن زلاجة مائية نفاثة.

اتخذت شراكة هيل وسبنسر في كل فيلم من أفلامهما شكلاً خاصاً- فتارة يكونان سائقي سباق وطوراً كاهنين أو محتالين تحولا إلى رجلي شرطة أو طيارين أو قرصانين. أما في فيلم «الثنائي المزعج»- Double

Trouble (١٩٨٤) لباربوني، فيجسدان نفسيهما. يتحول ابنا عم من أثرى أثرياء العالم، هما باستيانو وأنطونيو كويمبرا (هيل وسبنسر)، في ريو دي جانيرو، إلى هدف لعصابة يقودها القاتل المأجور تانغو (نيلو باتسافيني) الذي يسعى إلى منعهما من توقيع عقد هام، فيستأجران خدمات شخصين يشبهانهما- رجل الأعمال الخطرة إليوت فانس (هيل) وعازف الساكسوفون من نيو أورليانز والمحتال السابق غريغ وندر (سبنسر)- كي يحلا محلهما لمدة سبعة أيام مقابل مليون ونصف المليون دولار لكل منهما. بيد أن تصرفات إيليوت وغريغ العلنية الخرقاء تجعل الرجلين الثريين يقرران أن سمعتهما قد تلطخت بما فيه الكفاية (ينتحب أنطونيو قائلاً: «لن أكون قادراً بعد اليوم على أن أظهر في نادي اليخوت»)، فيقرران الخروج من مخبئهما في نيويورك في الوقت الذي كانت فيه عصابة من المسلحين المأجورين تستعد لقتلهما. تدور أحداث ذروة الفيلم وسط شجار كبير يضع ابني العم وشبيهيهما في مواجهة القائد فان در بوش (داري رايس) وكلابه المموهة من جنود المرتزقة الذين يحملون أسماء ساخرة مثل يوم القيامة ورأس الكبريت وكوبرا ومامبا والثرثار في إسطبلات المنزل الريفي الذي يملكه المليونيران في سان خوسيه. ثم يتكشف أن الشرير الذي يقف خلف محاولات الاغتيال ليس سوى حبيبة باستيانو دونيا أولمبيا تشافيز (أبريل كلو من فيلم «محاربو الجريمة») لأن أنطونيو كان قد دفعها إلى الإفلاس.

صور فيلم «الثنائي المزعج» في مواقع في ريو دي جانيرو كان منها تمثال المسيح المخلص وجبل رغيف السكر في خليج غوانابارا. واصطبغ الفيلم بنكهة كرنفالية محلية من خلال النوادي الليلية ذات الأجواء الدخانية وممثلي الكومبارس المحليين وموسيقى السامبا التي قدمها فرانكو ميكاليتسي بما فيها أغنية Samba é Algeria. استمتع هيل وسبنسر بدور مقلدي الشخصيات المهملين اللذين يعتمران قبعات ويرتديان ملابس سهرة ويقودان سيارات ليموزين فاخرة ويرفلان بالترف. وقد سمح تقسيم الشاشة

بإظهار الشخصيات الأربع معاً حيث نتابع في أحد أشهر هذه المشاهد هيل وسبنسر يخرجان من سيارة ليموزين بيضاء (بوصفهما إيليوت وغريغ) ويتبختران في الشاطئ باتجاه قارب يبحران بواسطته إلى الجزيرة التي يختبئ فيها رجل العصابات. كان فيلم «الثنائي المزعج» الفيلم الوحيد الذي مثل فيه سبنسر وهيل وفيه إشارة إلى رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر- كانت الوكالة التي يعملان فيها قد قدمت أشخاصاً بدلاء للعديد من السياسيين من أمثال روزفلت وتشرشل وريغان وتاتشر وستالين. خففت نسخة الفيديو البريطانية جرعة العنف في الفيلم بصورة طفيفة (فقد حذفت من الفيلم كافة اللقطات التي تظهر فيها صفعات تصيب الأذنين بناء على تعليمات الهيئة البريطانية لتصنيف الأفلام) كي يكون الفيلم متاحاً لمختلف الفئات العمرية.

نهاية الشراكة

يوحي عنوان «شرطيو ميامي الجبارون»- Miami Supercops (١٩٨٥) بفيلم كوميدي خشن. يصور الفيلم، على وقع موسيقى ديسكو مسعورة وصاخبة (قدمها كارميلو وميكيلانجيلو لا بيوندا)، معالم مدينة ميامي: الدلافين والقوارب السريعة وسباقات الخيل والكلاب السلوقية ومباريات البيسبول وحسناوات الشاطئ والزلاجات المائية النفاثة والببغاوات التي تمتطي دراجات هوائية ومزالج مصغرة. لكن الفيلم لم يكن فيلم كوميديا شبابية- لأن البطلين تقدما في السن وازدادا قوة وحكمة وأصبحا أكثر ميلاً لحل المشاكل باستخدام المسدسات بدلاً من القبضات. يتلقى الشرطي النيويوركي دوغ بينيت (هيل) اتصالاً من رئيسه السابق القائد تاني (سي.بي. ساي) الذي يعمل في شرطة مدينة هياليا الواقعة بالقرب من ميامي. فقد أطلق سراح المجرم جو غاريت (ريتشارد ليبرتي) من السجن بعد أن كان قد ارتكب الجريمة الوحيدة التي لم يستطع تاني حلها أثناء خدمته مع بينيت وهي سرقة عشرين مليون دولار من مصرف

فيرست ناشيونال بنك في ديترويت. يسافر بينيت إلى ميامي التماساً للمساعدة من شريكه السابق ستيف فوريست (سبنسر)، الذي أصبح الآن مدرب قيادة مروحيات في تامبا. يتخفى بينيت وفورست بصفة رجلي شرطة في قسم شرطة هيالياه- الشرطي جيس دونيل (هيل) والشرطي ل. أ. راي (سبنسر)- ويحققان في سلسلة من جرائم القتل. إذ يقتل غاريت ويتبين أن شريكه في الإجرام رالف دوران، الذي كان يظن أنه مات محترقاً عام ١٩٧٨، لا يزال على قيد الحياة وأنه أجرى جراحة تجميلية انتحل على إثرها شخصية رجل الأعمال والمواطن الكوبي السابق روبرت ديلمان (كين شيريسنيه)، قطب صناعة البناء في ميامي.

يعتبر فيلم «شرطيو ميامي الجبارون» أكثر أفلام هيل وسبنسر الكوميدية عنفاً بفضل المخرج برونو كوربوتشي الذي اكتسب شهرته من الأفلام البوليسية التي لعب بطولتها توماس ميليان. وكان سبنسر وميليان قد تقاسما بطولة فيلم «قطط وكلاب»- Cats and Dogs (١٩٨٣) لكوربوتشي الذي تجري أحداثه في ميامي الذي يعرف بالانعطافة المذهلة التي حققها ميليان فيه بتحوله إلى نجم الروك معبود النساء ولص المجوهرات طوني روما. صنف فيلم «شرطيو ميامي الجبارون» على أنه مخصص لمن تزيد أعمارهم عن خمسة عشر عاماً على العكس من بقية أفلام هيل وسبنسر التي يسمح بمتابعتها لكافة الأعمار. وعلى الرغم من أن الثنائي هيل وسبنسر بقيا في هذا الفيلم مثابرين على روتينهما المألوف في إنجاز الأعمال الشرطية بطرق غير مناسبة، فإنه ينبغي لنا الإقرار أن الزمن أكسبهما خبرة عملية كبيرة. ينادي سبنسر هيل باسم «ذي العيون الزرقاء» (علامة فارقة في الأفلام التي مثلاها معاً) في إشارة إلى لون عينيه. يحبط بينيت عملية سطو مسلح عندما تخفى بهيئة تمثال مانيكان ويقبض الثنائي على خاطفي إحدى الحافلات بسهولة متناهية. صور الفيلم في مواقع في فلوريدا مع رحلة عابرة إلى ملعب كرة القدم الأمريكية في ميامي (في إطار حبكة فرعية تتحدث عن اختطاف نجم يلعب في مركز الظهير الربيعي) ويقيم فريق كرة القدم في فندق

سيفيل بيتش هوتيل في ميامي. والواقع أن فيلم «شرطيو ميامي الجبارون» يدفعك إلى التساؤل عن سبب عدم مشاركة سنبسر وهيل في المزيد من الأفلام الإجرامية الشبيهة التي تتقدم فيها الحركة على حساب الكوميديا. نسق مايك وارين مشاهد السيارات الخطرة. أما حبيبة هيل فهي المخبرة أيرين (جاكي كاستيلانو) التي يتبين أنها أيرين ألن العميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي في حين يغوي سبنسر سائقة سيارة النقل ذات العضلات المفتولة أنابيل (روندا س. لوندستيد) التي التقى بها أثناء مصارعة أذرع. لعب ويليام «بو» جيم دور الأمريكي الأصلي مفتول العضلات تشارو، زميل غاريت السابق في سجن سان كوينتن الذي يقول مثلاً هندياً قد يكون الشعار الذي اتخذته شراكة سبنسر وهيل على الشاشة: «كل أموال العالم لا تساوي صديقاً».



دوغ بينيت (تيرانس هيل) وستيف فوريست (بود سبنسر) ينشران الفوضى متنكرين بشخصية رجلي الشرطة في قسم شرطة هيالياه، جيس دونيل ول.أ. راي في فيلم «شرطيو ميامي الجبارون» (١٩٨٥) لبرونو كوربوتشي

وفي بداية الثمانينيات، أصبح هيل يدير شركة إنتاج خاصة به اسمها بالوما فيلمز. وقد لعب بطولة فيلم الوسترن المعاصر «المرتد»- Renegade (١٩٨٧- «يدعونني مرتداً») لباربوني بدور لوك البوهيمي كما أنتج وأخرج فيلم «لاكي لوك»- Lucky Luke (١٩٩١) وهو نسخة حية من كتب القصص المصورة الشهيرة لغوسيني وموريس كتبت زوجته لوري هيل نصه. ينقذ المأمور لاكي لوك (هيل بمئزر طويل على شاكلة «لا أحد») وحصانه الأبيض الناطق الذكي جولي جمبر (ينطق حواره روجر ميلر من فيلم "روبرت هود" لديزني) بلدة ديزي من الإخوة الأشرار دالتون. لعبت نانسي مورغان دور فتاة الحانة لوتا ليغز ونيل سامرز (من فيلم «اسمي لا أحد») دور فيرجيل مساعد لوك. صور الفيلم في نيو مكسيكو وأريزونا (بما في ذلك سانتا فيه والوايت ساندز والمونيومنت فالي). ولوك هو رام بارع إلى درجة أنه يسبق ظله في استلال المسدس، وتشبه مشاهد الحركة التي يؤديها ما سبق وشاهدناه في فيلمي ترينيتي. وقد فاقمت موسيقى ديفيد غروفر وآرون شرودر الريفية أجواء الحركة في الفيلم على الرغم من أنه يمكن للأذن أن تلتقط في الخلفية مقطوعات مأخوذة من موريكونيه في فيلم «اسمي لا أحد» دون أن يشير الفيلم إلى ذلك الاقتباس. تدور أفضل المشاهد التهكمية في الفيلم حول اشتباك مسلح بين لوك والإخوة دالتون تظهر خلاله الذبابة النشيطة نفسها التي سبق وشاهدناها في فيلم «حدث ذات مرة في الغرب». تحول فيلم «لاكي لوك»، وهو في واقع الأمر فيلم بسيط وساذج، عام ١٩٩٢، إلى سلسلة تلفزيونية صغيرة حملت الاسم نفسه ولعب هيل بطولتها.

اجتمع هيل وسبنسر في جولة أخيرة لهذا الثنائي في فيلم «صانعا المشاكل»- Troublemakers (١٩٩٤) الذي كتب جيس، نجل هيل، نصه وأنتجه جيوسيبيه بيديرسولي، نجل سبنسر. صور الفيلم تحت الاسم المؤقت «قتال قبل عيد الميلاد» ويلعب هيل (الذي أخرجه كذلك) دور الرجل المحتال ترافيس، في حين لعب سبنسر دور شقيقه موزيس، صياد الجوائز المتزوج

والأب لعشرة من الأطفال الذين يقع عبء إعالتهم على عاتقه. يجتمع الشقيقان في عيد الميلاد في مزرعة والدتهما (روث بوتسي). لعب نيل سامرز دور دودج الشرير وآن كوسبريك دور بريدجيت، البيطرية الألمانية وحبيبة ترافيس. صور الفيلم في مواقع في نيو مكسيكو بما في ذلك الوايت ساندز وبونانزا كريك رانش وإيفز موفي رانش (بوصفها بلدة كروس رودز). قدم بينو دوناجيو موسيقى الفيلم الملحمية وأدى تيري نان، من فرقة برلين، أغنية الروك الختامية، «عائد إلى المنزل»- I'm Coming Home. يتحدث الفيلم عن مطاردة الثنائي هيل وسبنسر لسام ستون (بوتس سوذرلاند) الخارج على القانون، لكن ترافيس وموزيس كانا ترينيتي وبامبينو في كل شيء باستثناء الاسم- بل إنهما يلتهمان أطباقاً كاملة من الفاصولياء.

تدور أحداث ذروة الفيلم في مزرعة الأم حيث يشارك البطلان في شجار أخير بالأيدي نظمه جيورجيو أوبالدي، قبل أن تزين أجساد الأشرار الذين فقدوا وعيهم شجرة ميلاد عملاقة تعلوها نجمة الميلاد. تميز فيلم السباغيتي وسترن المتأخر هذا بلحظات لا تنسى نذكر منها، على وجه الخصوص، المشهد الذي يسخر من حوادث الشنق في فيلم «الجيد والسيء والقبيح»، حيث نشاهد موزيس وهو يكاد يموت شنقاً، فيستل ترافيس بندقية الونشستر كي يطلق النار على حبل المشنقة، لكن كلباً يهاجم ساقه فتنحرف الرصاصة عن هدفها. ثم تفتح البوابة تحت قدمي موزيس فيهوي، لكن المشنقة تنهار تحت تأثير وزنه. ارتدى سبنسر سترة ضخمة خشنة الملمس بلا كمين مصنوعة من جلد الغنم وقبعة مستديرة سوداء (كما في أفلام الوسترن التي صنعها كوليتسي) وارتدى هيل معطفاً طويلاً (على شاكلة أفلام «لا أحد») في تحية لشراكة الوسترن الطويلة التي عاشاها على مدى السنوات السابقة. وعلى الرغم من أن فيلم «صانعا المشاكل» لا يعتبر من كلاسيكيات هيل وسبنسر، إلا أنه لم يكن فيلماً سيئاً كذلك، على الرغم من أنه كان آخر غزواتهما كفريق.

لا يلائم أسلوب هيل وسبنسر الكوميدي كافة الأذواق، إلا أن أحداً لا يستطيع أن ينكر، في الوقت نفسه، جاذبيتهما على الشاشة. فقد قدمت الشراكة التي عاشاها على مدى أربعين عاماً التسلية والترفيه لملايين المتفرجين ولا تزال أفلامهما قادرة على اجتذاب المزيد منهم حتى يومنا هذا. فمنذ بداية الثمانينيات، ساعد انتشار شرائط الفيديو المنزلي، ومن بعدها الأقراص الضوئية، على نقل الروح المرحة التي يتمتع بها هيل وسبنسر إلى جيل جديد من المتفرجين بحيث أصبح يصعب على أية مكتبة أفلام جادة أن تخلو من أعمالهما. وفي أيار ٢٠١٠، تلقى هيل وسبنسر جائزة دافيد دي دوناتيلو الإيطالية عن مجمل أعمالهما في احتفال بسيرتهما المهنية الحافلة والطويلة. وهكذا، نال هيل وسبنسر، بعد توتو ثم فرانكي وإنغراسيا، عرفان «المؤسسة» السينمائية الإيطالية.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثالث عشر

الترفيه الصاخب

السينما الإيطالية تأكل نفسها

شهد عقد السبعينيات تراجعاً مضطرداً في الإنتاج السينمائي الإيطالي. فقد صنع أدريانو شيلينتانو عدة أفلام كوميدية فظة حققت نجاحات كبيرة في إيطاليا لكنها لم تعرض خارجها- بل إن معظمها لم يدبلج إلى اللغة الإنكليزية، لأن كبار المنتجين السينمائيين في هوليوود بدؤوا يفرضون ما ينبغي متابعته في الأسواق الدولية. أصبحت أفلام الكوميديا الجنسية شائعة في إيطاليا، وكانت إيدويج فينيش أكثر نجماتها شعبية، لكنها أخفقت بدورها في كسب أي نجاح عالمي. كما ذوت أفلام الجيالي والأفلام البوليسية في إيطاليا، بعد أن تمكنت في بداية الأمر من لفت الانتباه إليها وخرجت أفلام السباغيتي وسترن بدورها من دائرة الاهتمام. لكن عقدي السبعينيات والثمانينيات شهدا، من جهة أخرى، إنتاج عدد من الأفلام تنتمي إلى أنواع سينمائية مطلوبة. فكان هنالك بعث جديد لأفلام السيف والصندل عشية ظهور سلسلة أفلام كونان لأرنولد شوارتزينيغر وأفلام تتناول العالم بعد وقوع الكارثة على نسق فيلم «ماكس المجنون»- Mad Max 2 لميل غيبسون وأفلام عصابات الشوارع المستوحاة من فيلم «المحاربون»- The Warriers لوالتر هيل وأفلام المرتزقة في الأدغال المشتقة من فيلم «الإوز البري»- The Wild Goose

و«القيامة الآن»- Apocalypse Now. في حين استثمرت أفلام الزومبي في النجاح الذي حققه فيلم «ليلة الأحياء الأموات»- Night of The Living Dead (١٩٦٨) لجورج أ. روميرو و«فجر الأموات»- Dawn of The Dead (١٩٧٩) وأفلام «الموندو» التي تتناول مختلف الثقافات حول العالم بطريقة تصويرية. كما قدمت السينما الإيطالية إضافتها الخاصة الشائنة إلى عالم سينما الرعب مع مجموعة مقززة من أفلام أكلة لحوم البشر- في لحظة كانت السينما الإيطالية فيها تأكل نفسها بالفعل.

وداعاً للوسترن

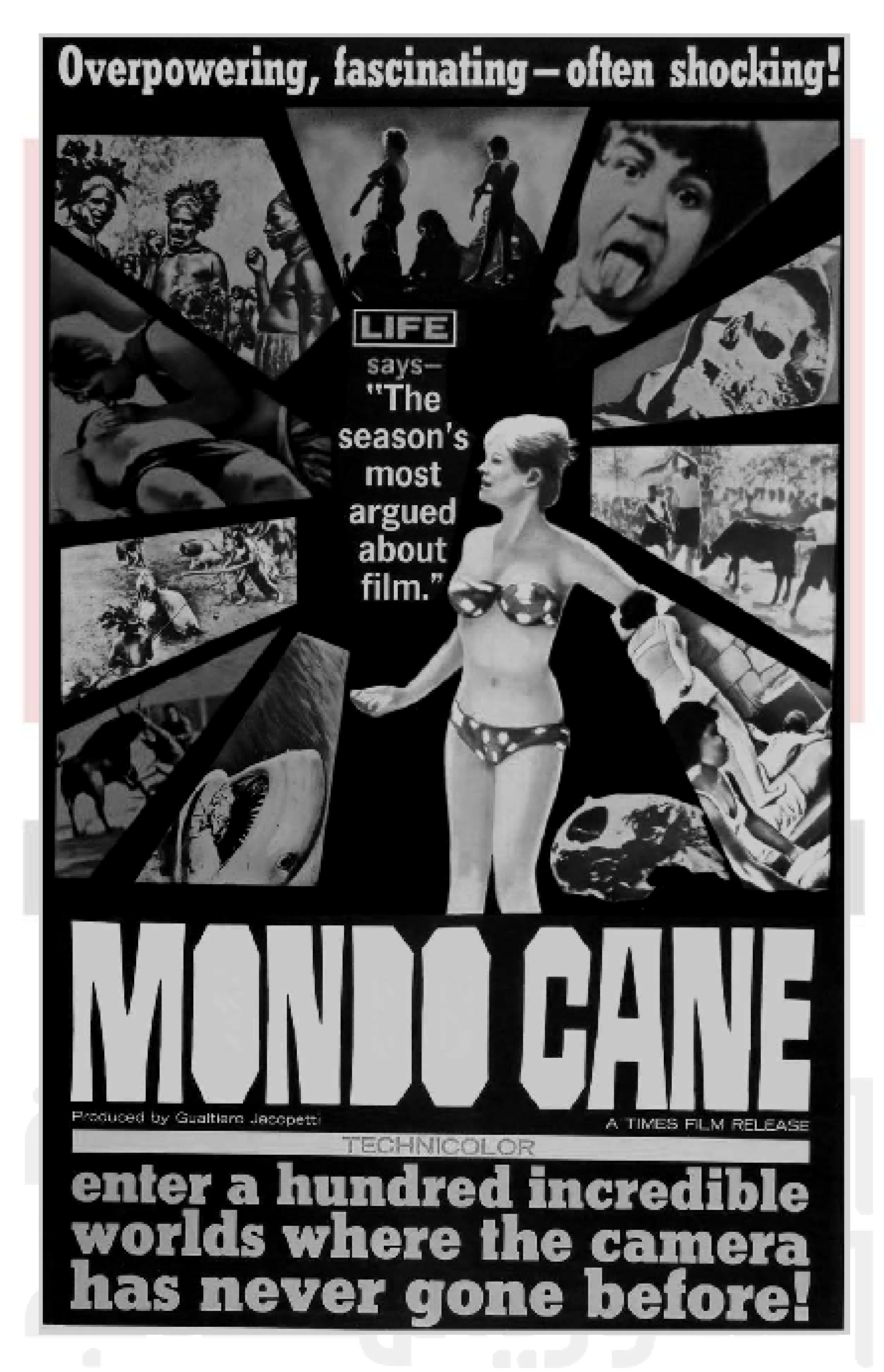
أضيفت الفنون القتالية إلى أفلام الوسترن في بداية السبعينيات، في محاولة لتجديد هذا النوع السينمائي، الأمر الذي أدى إلى ظهور نوع سينمائي جديد «يلتقي الغرب فيه بالشرق» كفيلم «الشمس الحمراء»- Red Sun (١٩٧١- مع تشارلز برونسون وتوشيرو ميفوني) لتيرانس يونغ و«الغريب والرامي»- The Stranger and The Gunfighter (١٩٧٤- «المال الدامي» بطولة لي فان كليف ولو ليه) لأنطونيو مارغريتي. أما فيلم «قبضة شانغهاي جو»- The Fighting Fist of Shanghai Joe (١٩٧٣- «اقتل أو مت») لماريو كايانو، فهو فيلم كونغ فو تجري أحداثه في جنوب غرب الولايات المتحدة. في عام ١٨٨٢، يتوجه خبير الفنون القتالية الصيني تشين هو (تشين لي) من سان فرنسيسكو شرقاً حاملاً حلمه أن يصبح راعي بقر. أما اسم شانغهاي جو، فهو لقب مهين يطلقه عليه رعاة البقر العنصريون الذين يصادفهم في طريقه. يعمل تشين لصالح المزارع التكساسي النافذ ستانلي سبنسر (بييرو لولي)، لكنه يكتشف أن سبنسر يهرب عمالاً مكسيكيين بؤساء عبر الحدود كي يستخدمهم كيد عاملة مستعبدة. فيضع سبنسر جائزة مقدارها خمسة آلاف دولار ثمناً لرأس تشين ويستأجر أربعة قتلة معروفين: بيدرو آكل لحم البشر (روبرت هوندار) وسام حفار

القبور (غوردون ميتشيل) وتريكي المقامر (جياكومو روسي ستيوارت) وجاك سالخ فروات الرؤوس (كلاوس كينسكي بسترة مليئة بالسكاكين). لكن تشين يقضي عليهم باستخدام الرز الحار وشرك شائك وباللجوء إلى فن اقتلاع العينين وانتزاع الأحشاء باستخدام المدى. يتصل سبنسر بميجوكا (كاتسوتوشي ميكوريا)، عدو تشين القديم، فيتواجه الرجلان في معركة مستعادة من فيلم «يوجيمبو» أو من فيلم «من أجل حفنة من الدولارات» تدور فصولها في ديكورات الغرب البعيد في استديوهات دي باوليس. تمتع فيلم «شانغهاي جو» بموسيقى رائعة كتبها برونو نيكولاي تتألف من نغمات مأخوذة من أعماله في «جنازة طيبة يا رفيقي... الحساب عند سارتانا» (١٩٧٠). كان فيلم «شانغهاي جو» حافلاً بمشاهد الكونغ فو المثيرة وهو الأمر الذي جعله قريباً من جذوره الأصلية (أفلام الفنون القتالية الصينية) وهو أفضل أفلام الوسترن التي أخرجها كايانو.

كما ظهرت سلالة أكثر كآبة من أفلام الوسترن الإيطالي تلقب بـــ«وسترن الشفق» (Crepuscolo) جمعت الأجواء الطينية الضبابية والماطرة من أفلام سرجيو كوربوتشي وأضفت عليها بيئة إقطاعية قروسطية بدائية وعنفاً مفرطاً. ويعتبر فيلم «مسلحو يوم القيامة الأربعة»- Four Gunmen of Apocalypse (١٩٧٥) للوشيو فولشي أكثر الأمثلة على هذا النوع من الأفلام تطرفاً، حيث يلعب توماس ميليان دور تشاكو الخارج على القانون الذي يعذب ويغتصب كل من يصادفه في طريقه ومن ضمنهم فابيو تيستي ولين فريديريك ومايكل ج. بولارد. أما فيلم «كاليفورنيا»- California (١٩٧٧) فهو حشرجة موت تجري في أجواء الخراب الذي ساد الفترة التي تلت انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية (تم تصويره في مانزيانا وألميريا) ويجد كاليفورنيا (جيوليانو جيما) فيه نفسه في مواجهة صياد الجوائز ويتاكر (ريموند هارمستورف) ورجاله (رومانو بوبو وروبرت هوندار).

وفي فيلم «كيوما»- Keoma (١٩٧٦- «الخلاسي العنيف» أو «دجانغو يمتطي جواده من جديد» أو كذلك «عودة دجانغو المظفرة»)، يلعب فرانكو نيرو دور كيوما، وهو رجل نصف خلاسي من سكان أمريكا الأصليين نشأ في كنف مربي الماشية شانون (ويليام برغر). يعود كيوما، إثر انتهاء الحرب الأهلية، إلى بلدة سكيدو سيتي المبتلاة بوباء (ديكورات استديوهات إيليوس) التي أصبح يحكمها الآن كالدويل (دونال أوبراين). يواجه كيوما إخوته نصف الأشقاء الثلاثة- بوتش (أورسا ماريا غويريني) وليني (أنطونيو مارسينا) وسام (جياني لوفريدو/ جوشوا سينكلير)- إذ يقوم كالدويل بقتل شانون، فيلقي الثلاثة باللائمة على كيوما ثم يقتلون كالدويل ويغيرون على البلدة الأمر الذي يثير مواجهة مع كيوما.

كان يفترض بفيلم «كيوما» أن يكون جزءاً من سلسلة أفلام «دجانغو» لكوربوتشي بالاستناد إلى قصة للممثل لويجي مونتيفيوري، ولم تكن هنالك من حاجة، في ذلك الوقت، لترميم ديكورات الوسترن في استديوهات إيليوس لأن كوربوتشي كان قد قام بذلك بالفعل عام ١٩٦٦. ومع أفول نجم الوسترن، أفل نجم استديوهات إيليوس كذلك وتحولت بلدة الوسترن فيها إلى خراب لا يمكن إصلاحه. صور كاستيلاري الفيلم في كامبوسيكو بالقرب من كاميراتا نووفو في لاتسيو وفي أجواء ريف كامبو إمبيراتوريه الضبابية بالقرب من لاكويلا في حديقة أبروتسو الوطنية. لعب وودي سترود دور رامي النبال جورج (مرشد كيوما) الذي قادته الأزمنة المضطربة التي عاشتها سكيدو سيتي إلى معاقرة الكحول. ولعبت أولغا كارلاتوس دور ليزا، الأم التي تنتظر مولوداً والتي يحميها كيوما من كالدويل والتي تموت أثناء الولادة. تؤدي ساحرة (غابرييليه جياكوبيه)، على مدار الفيلم، سلسلة من الظهورات المخيفة تبدو من خلالها وكأنها تتحكم بمصير كيوما.



أكثر أفلام الموسم إثارة للجدل: الملصق الأمريكي لفيلم غوالتييرو جاكوبيتي المثير للجدل «عالم كلبي» (١٩٦٢)

قدم نيرو في الفيلم أداء يختلف عن كافة أدوار الوسترن التي سبق وجسدها وكان الدافع الرئيسي لكيوما مساعدة الآخرين. وقد علق كاستيلاري على أداء نيرو قائلاً: «أظن أن الحصول على خدمات ممثل من مستوى فرانكو نيرو هو من أفضل ما يمكن أن يحصل لأي مخرج... لو كان الأمر ممكناً، لكنت صنعت كافة أفلامي معه». وإن كان لنا أن نتحدث عن نقطة ضعف في فيلم «كيوما»، فإنها، بلا شك، الموسيقى الغريبة التي كتبها الأخوان دي أنجيليس التي تستخدم أغنيات وسواسية لمرافقة الأحداث، حيث أدى كل من سيبيل وغاي أغنيتي «كيوما» (Keoma) و«في وجه يأسي» (In Front of My Desperation)- هي بصوت حاد متهدج وهو بصوت كنقيق الضفدع. حاكى كاستيلاري أسلوب سام بيكينباه في تنفيذ مشاهد الحركة محولاً الموت إلى رقصة باليه تنبجس الدماء منها، إذ يدور الأشرار الذين يصابون بالرصاص حول أنفسهم ويتمايلون بالحركة البطيئة- والواقع أن ما نشاهده في فيلم «كيوما» من دورانات يزيد عما يمكن أن نراه في باليه بحيرة البجع. حقق الفيلم نجاحاً متواضعاً في إيطاليا، في ذلك الحين، إلا أن شهرته ازدادت بصورة ملحوظة مع مرور الوقت على الرغم من أن أسلوبه الكئيب أحدث انقسامات عميقة في أوساط عشاق السينما.

ولعب ماوريتزيو ميرلي، في فيلم سرجيو مارتينو الرائع «رجل يدعى بلايد»- A Man Called Blade (١٩٧٧- «ماناجا»)، دور رامي الفؤوس بلايد (ماناجا في النسخة الإيطالية) الذي يصل إلى بلدة ساتونفيل المتداعية (استديوهات إيليوس) للانتقام من الرجل الذي تسبب بموت والده جيرالد ميرتون (ريك باتاليا). أما الجاني، فهو مالك المنجم المشلول ماكغوان (فيليب لوروا). من جهة أخرى، يطمح فولر (جون ستاينر)، مساعد ماكغوان إلى الاستيلاء على إمبراطوريته ويخطط لخطف ابنته ديبورا (سونيا جانين) بالاستعانة برجل خارج على القانون اسمه ألمان (أنطونيو كاساليه)، فيستأجر ماكغوان خدمات بلايد لاستعادتها.

قدم الأخوان دي أنجيليس موسيقى منتحبة أخرى عزفتها آلة الهارمونيكا والغيتار كان منها أغنية «الأفعى»- Snake التي أداها دانديليون. قدم ميرلي أداء

رائعاً بشخصية بلايد الرجل المتوحد وكان الإيقاع المتمهل الذي اختاره مارتينو متناسباً مع طبيعة القصة القدرية، كما هي الحال مع الأجواء الطينية المعكرة التي التقطتها عدسته السينمائية. صور فيلم «رجل يدعى بلايد» في أجواء لاتسيو الماطرة وفي كامبوسيكو وفي واد في تولفا وفي كالديارا دي مانزيانا وفي مقالع ماليانا. تدور في الفيلم حبكة ثانوية يدفن خلالها بلايد تحت انهيار صخري فيعالجه فريق من المومسات الجوالات وقوادهن جوني جوني (سالفاتوريه بونتيلو). جسد ستاينر في الفيلم شخصية الشرير النموذجي بعباءته السوداء والكلبين الشرسين اللذين يقودهما. أما العنف في الفيلم، فيعادل ما كان عليه في فيلم "كيوما": إذ يجلد رجال فولر المومسات في الشارع الرئيسي لبلدة ساتونفيل ويقتل بيرت كرافن (دونال أوبراين) الخارج على القانون في أرض مستنقعية عندما يبتر بلايد يده التي تمتشق المسدس ببلطة طائرة. ثم يدفن بلايد حتى الرأس في الرمال ويجبر على فتح عينيه في مواجهة الشمس المحرقة الأمر الذي يؤدي إلى إصابته بعمى مؤقت يشفى منه كي يكون مستعداً للمشهد الختامي الذي يقتل فيه فولر بفأس يزرعه في صدره.

يشير الاسم الذي اختاره مونت هيلمان للفيلم الذي أخرجه عام ١٩٧٨ وهو «تشاينا ٩، ليبرتي ٣٧»- China 9, Liberty 37 إلى الشاخصة الواقعة على الطريق التي تمتد بين البلدتين. يطلق في بلدة تشاينا سراح الرامي كلايتون درام (فابيو تيستي) من السجن حين يعرض عليه ويلياماس (لويس بريينديس) رئيس شركة الخطوط الحديدية العفو وجائزة مالية إذا قتل المزارع ماثيو سيبانيك (وارن أوانيس) الذي تقف أرضه حائلاً دون تقدم العمل على خط «تكساس العظيمة» الحديدي. لكن كلايتون يقع في حب كاثرين (جيني أغوتر)، زوجة ماثيو، لدى وصوله إلى المزرعة لقتل زوجها، فتقوم هي بطعنه ويفر العاشقان باتجاه بلدة ليبرتي. إلا أن ماثيو ينجو من الموت ويصمم مع أشقائه على ملاحقة كلايتون، الذي أصبح كذلك هدفاً لقتلة ويلياماس المأجورين- إذ لم يكن رئيسهم يريد أن يدفع المال المترتب عليه لقاء قتل ماثيو.

صور جيوسيبيه روتونو الفيلم في ألميريا وهو فيلم وسترن مضاد سوداوي. أهدى هيلمان الفيلم لذكرى والده بطريقة مثيرة للعواطف واستخدم تيمات ومواقع مماثلة لتلك التي ظهرت في فيلم «حدث ذات مرة في الغرب» لليونيه (رؤساء عمال بناء الخط الحديدي، طاولات النزهة في مزرعة سيبانيك، الصحراء الألميرية) وتيمات أفلام الوسترن التي صنعها بيكينباه. بل إن بيكينباه نفسه يظهر في الفيلم بمعطف طويل مجسداً شخصية روائي تافه عجوز اسمه ويلبر أولسن يعرض على كلايتون شراء قصته. لعبت بلدة تكساس- هوليوود دور تشاينا وليبرتي في حين لعبت الضاحية الهندية للديكور نفسه دور مستوطنة مكسيكية (صورت المناظر الداخلية في استديوهات دير في روما). يتدخل كلايتون، في الشرك الختامي الذي ينصبه لماثيو وكاثرين رؤساء العمال الذين يعملون لصالح ويليامس، بعدة طلقات صائبة من بندقيته ويرحل. ثم يضرم ماثيو وكاثرين النار في مزرعتهما ويرحلان في دلالة رمزية على بداية جديدة- على العكس من معظم أفلام الوسترن التي تنتهي ببناء منزل جديد. عرض الفيلم تحت اسمين آخرين هما «كلايتون درام» و«كلايتون وكاثرين». تقتطع معظم الإصدارات المتوافرة للفيلم المشاهد التي تظهر فيها أغوتر عارية وبعض المشاهد العنيفة ومشهداً جنسياً واحداً. قدم بينو دوناجيو نغمات هارمونيكا ناعسة وألحاناً رومانسية وأغنية كئيبة بعنوان China 8 Lobe Ballad أداها المغني روني بلاكلي (من فيلم «ناشفيل» «لروبرت ألتمان»).

حمى الذهب في كلونديك: تاورز ولندن

كما أنتجت إيطاليا سلسلة من الأفلام الجماهيرية الشبيهة بالوسترن تدور أحداثها في أجواء ثلجية وتتحدث عن حمى استخراج الذهب التي اجتاحت كلونديك في أواخر القرن التاسع عشر وكانت مستوحاة من روايتين لجاك لندن هما «نداء الأراضي النائية»- Call of The Wild (١٩٠٣) و«الناب

البيضاء»- The White Fang (١٩٠٦). يمثل فيلم «نداء الأراضي النائية»- The Call of The Wild (١٩٧٣) المكافئ السينمائي لحمى الرهان التي اجتاحت القارة الأمريكية الشمالية، وهو إنتاج بريطاني إيطالي ألماني غربي إسباني فرنسي مشترك- أنتج الفيلم هاري ألان تاورز وأخرجه كين أناكين- وتم تصويره في النرويج وإسبانيا. يروي الفيلم قصة باك الألزاسي وهو كلب كاليفورني يجد نفسه يجر زلاجة تشارلتون هستون في خضم حمى الذهب في كلونديك. لعب هستون دور جون ثورنتون الذي ينقل البريد مع شريكه بيت (ريموند هارمستورف) عبر طريق شاقة تمتد على مسافة ستمائة ميل بين ميناء سكاغواي وبلدة داوسن سيتي المزدهرة. يقع ثورنتون في حب مالكة الحانة كاليوب لورنت (ميشيل ميرسييه) ويصطدم بمستورد المشروبات الكحولية بلاك بورتون (لويجي مونتيفيوري/ جورج إيستمان). ينتقل باك من مغامرة إلى أخرى ومن مالك إلى آخر قبل أن يرتبط أخيراً مع نهاية الفيلم بذئبة بعد أن قتل ثورنتون وبيت على يد الهنود. لعبت ماريا روم دور وارثة تتعرض للنهب وريك باتاليا دور تاجر الكلاب هاري الهولندي وسانشو غراسيا دور تشارلي الفيليبيني شريك بيت في التنقيب عن الذهب الذي يقص حكايات عن القمر الأصفر (منجم ذهب أسطوري). جعلت مشاهد مصارعة الكلاب والبربرية المعممة التي يتعرض لها باك الفيلم أقسى من أن يسمح بمشاهدته لجميع الأعمار في بريطانيا. وقد ساعدت المشهدية المثيرة للإعجاب فيه والإيقاع الممتاز لأحداثه ونصه الذكي على الارتقاء به فوق أفلام اليوكون الأخرى، كما أضفت موسيقى كارلو روستيكيلي الرومانسية على الفيلم بعداً ملحمياً وحقق «نداء الأراضي النائية» نجاحاً عظيماً في إيطاليا. في تلك الفترة، مول المنتج الناجح تاورز اقتباساً صاخباً لقصة المغامرات الشهيرة «جزيرة الكنز»- Treasure Island (١٩٧٢) التي لعب أورسون ويلز فيها دور جون سيلفر ذي الساق الواحدة إلى جانب ليونيل ستاندر وريك باتاليا وألدو سامبريل وأنجيل ديل بوزو. كما شارك ويلز في كتابة النص تحت اسم «أ.و. جيفز».

ثم عاد تاورز إلى يوكون مع فيلم «الناب البيضاء»- White Fang (١٩٧٣) للوشيو فولشي. تبدأ قصة الفيلم من حيث انتهت قصة «نداء الأراضي النائية»، حيث يموت الكلب العجوز باك ويتبنى تشارلي الهندي (دانيال مارتن) وابنه ميتساه (ميساييلا تشيابيتا) ابنه- الذي هو نصف كلب ونصف ذئب- ويطلقان عليه اسم «الناب البيضاء». يسقط ميتساه ذات يوم في بحيرة، فيأخذه تشارلي إلى داوسون سيتي للعلاج في مستشفى تديره الأخت إيفانجيلينا (فيرنا ليزي). ثم يطعن تشارلي حتى الموت على يد تشيستر (دانييليه دوبلينو) الذي يعمل لدى طاغية البلدة سميث الجميل (جون ستاينر)، فيتبنى صحفي اسمه جيسون سكوت (فرانكو نيرو) وإيفانجيلينا كلاً من ميتساه والناب البيضاء. كان سميث يشتري الذهب الذي يستخرجه عمال المناجم مقابل سندات لا قيمة لها لكن خديعته تفضح لدى اكتشاف الذهب في مدينة نوم قبل أن يقتل في انفجار أثناء تفخيخه سداً.

يتحالف نيرو في الفيلم مع ممثل عمال المناجم كورت جانسن (ريموند هارمستورف). لعب فرناندو راي دور أوتلي، قس مدينة داوسن المدمن على معاقرة الكحول وكارول أندريه دور ابنته مغنية الحانة كريستا وريك باتاليا دور هول (رجل سميث) وموريس بولي وجون بارثو دور اثنين من رجال الدرك الكنديين. يعتبر فيلم «الناب البيضاء»، بمواقعه الثلجية الرائعة في النرويج وإسبانيا وإيطاليا ومناظره الداخلية في استديوهات شينيشيتا، أفضل أفلام الكلونادايك التي تم إنتاجها. ومرة أخرى، قدم روستيكيلي للفيلم موسيقى تقليدية مثيرة. وقد حول فولشي، وهو مخرج معروف بأفلام الرعب الدموية التي أخرجها، الفيلم إلى قصة مغامرات عائلية «للبالغين» لأن صراعات الكلاب الدموية، ولاسيما المشاهد التي يتواجه فيها الناب البيضاء مع الشيطان (كلب الصيد الشرس الأسود الذي يملكه سميث) ومع دب، صورت بطريقة واقعية الأمر الذي يجعل الفيلم غير مناسب للأطفال. حقق فيلم «الناب البيضاء» نجاحاً

ساحقاً في إيطاليا (جمع مليارين ونصف مليار لير إيطالي) ونتج عنه فيلم آخر اسمه «تحدي الناب البيضاء» - The Challenge to The White Fang (١٩٧٤) لفولشي كذلك الذي استخدم العديدين من الممثلين الذين ظهروا في الفيلم السابق وأقام الشرير سميث الجميل (ستاينر كذلك) من الموت.

تولى تونينو ريتشي، مدير الوحدة الثانية في فيلمي «الناب البيضاء السابقين»، مسؤولية إخراج فيلم «الناب البيضاء يقوم بعمليات الإنقاذ»- White Fang to The Rescue (١٩٧٤). صورت مناظر الفيلم الخارجية في بلدة كورتينا دامبيتسو (من فيلم «الصمت الكبير») المغطاة بالثلوج في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس وبلدة شيلبي المنجمية في ديكورات الوسترن التي تضمها استديوهات أ. تي. سي بعد أن ألبست غطاء ثلجياً زائفاً. يعيش عامل المناجم بيرت هالواي (ماوريتسيو ميرلي) في القفار مع شريكه بين دوفر وكلبهما الناب البيضاء. يقتل مجموعة من الأشرار (دونال أوبريان ولوشيانو روسي) بين فيتقمص بيرت شخصيته ويفتش عن قتلة صديقه. يصل كين، ابن بين، إلى المكان كي يعيش مع أبيه فيتبنى بيرت الفتى. كما ينخرط بيرت في علاقة عاطفية مع مالكة الحانة كيتي (جيزيلا هان) ويتهم خطأ بقتل بين. يسرق الأشرار خريطة كنز ويخطفون كين ويخططون للعثور على مخزون بين من الذهب. أما الأشرار فهم نيلسون (هنري سيلفا) وصديقه جاكسون (بينيتو ستيفانيلي). ولعب ريكاردو بيتسوتي وبييرو توريزي دور رجلين في عصابة نيلسون ولعب رينزو بالمر دور رقيب من أصول أيرلندية في شرطة الدرك الكندية. كتب روستيكيلي موسيقى الفيلم ولعب الكلب البديل ساكا دور الناب البيضاء في مشاهد القتال العنيف الواقعية مع أحد الدببة (دب الاستعراضات الكندي بابو). كما يخترق الناب الذهبية زجاج إحدى النوافذ في مشهد تقليدي في أفلام الكلونادايك. يشبه المشهد الافتتاحي للفيلم حين يقع بين في الشرك الذي نصب له فيلم «الصمت

الكبير». كما ينقذ الناب البيضاء، في نهاية الفيلم، كيم الذي كان متدلياً فوق هاوية لكنه يسقط في النهر الجارف. يصبح كيم في نهاية المطاف مالك منجم الذهب الثري لكنه كان مهتماً، ككل الفتيان، بمصير كلبه المفقود وهو الأمر الذي يجعل مشهد ظهور الناب البيضاء من جديد (يسير في شوارع البلدة مترنحاً) أبلغ وقعاً.

وفي فيلم «المغامرة الكبيرة»- The Great Adventure (١٩٧٥- «عواء الذئب»)، تلعب جوان كولينز دور سونيا كيندال، المغنية في حانة «الفرصة الأخيرة» وجاك بالانس دور ويليام بايتس، طاغية بلدة داوسون سيتي. وقد كان بالانس في هذا الفيلم أفضل الأشرار الذين قدمتهم سلسلة أفلام المغامرات الإيطالية هذه. يستخدم بايتس، في ذروة الفيلم، ثلاثة خبراء من بلدة سيركل سيتي (قاتل وخبير متفجرات وخبير خزنات) لإفراغ خزنة مصرف داوسون من محتوياتها عشية عيد الميلاد. صور الفيلم في إسبانيا حيث لعبت ديكورات الوسترن المدريدية في ألكوبينداس دور بلدة داوسون سيتي. لعب مانويل دي بلاس وريمو دي أنجيليس دور الشقيقين البطلين جون وهانك مكنزي اللذين يساعدان الشقيقين اليتيمين جيم وماري تشامبرز (فريد رومر ذو الوجه الذي يملؤه النمش والفتاة الصريحة إليزابيث فيرجيل) على إطلاق صحيفة اسمها ذي ناغيت. لعب خوسيه كاناليخاس دور رجل بايتس وريكاردو بالاسيوس دور ساقي الحانة الأيرلندي تشارلي. وقد ساهم الكلب الذئب باك كالعادة بقسطه من الأعمال البطولية- كانت بعض اللقطات التي يظهر فيها برفقة ذئب يطاردان أيلاً مأخوذة من فيلم «نداء الأراضي النائية». خلقت الأجواء الثلجية الجميلة وعواء الذئاب وموسيقى ستيلفيو شيبرياني (التي أعادت استخدام نغمات من فيلم «عودة الغريب») مناخاً رائعاً جرت ضمنه أحداث فيلم الوسترن الشمالي هذا الذي لم يكن فيه ما يشير إلى كونه فيلماً للفتيان سوى أغنية «صوت القفار»- The Sound of The Wild التي أداها جوزيف أليغرو.

القيامة الآن: ما قبل القنبلة وما بعدها

اتخذت الزفرة الأخيرة لأفلام الخيال العلمي الإيطالية شكل أفلام مستقبلية أمريكية مثل «ماكس المجنون ٢»- Mad Max 2 (١٩٨١- «محارب الطريق») كما تأثرت بفيلم «المحاربون»- The Warriors (١٩٧٩) و«الهروب من نيويورك»- Escape From New York (١٩٨١). فقد صنع إنزو كاستيلاري مع المنتج فابريتزيو دي أنجيليس ثلاثة أفلام أخروية: «١٩٩٠: محاربو البرونكس»- 1990: The Bronx Warriors (١٩٨٢- «محاربو البرونكس») والجزء الثاني منه «الهروب من البرونكس»- Escape from The Bronx (١٩٨٣- «محاربو البرونكس ٢» أو كذلك «الهروب ٢٠٠٠») ثم «البرابرة الجدد»- The New Barbarians (١٩٨٣- «محاربو الويستلاند»).

يبدأ فيلم «١٩٩٠: محاربو البرونكس» بهروب الوارثة الثرية آن فيشر (ستيفانيا جيرولامي ابنة كاستيلاري) من مانهاتن إلى البرونكس. وبحلول عام ١٩٩٠ أعلن الحي منطقة محظورة تحكمها عصابة من الدراجين تدعى الرايدرز يقودها تراش (مارك غريغوري). تقع آن في حب تراش الأمر الذي يثير حنق مساعده آيس (جياني لوفريدو). كانت آن، في الواقع، على وشك الاحتفال بعيد ميلادها الثامن عشر بحيث تستطيع بعد ذلك أن ترث شركة مانهاتن كوربورايشن، وهي شركة تصنع السلاح على نطاق دولي، فيرسل والدها صاموئيل فيشر (شقيق كاستيلاري، إينيو جيرولامي) ونائب رئيس الشركة فارلي (كاستيلاري نفسه) رجل الشرطة العنيف هامر (فيك مورو) للعودة بها. لكن الأمور تزداد تعقيداً عندما تخطف عصابة الأموات الأحياء بقيادة غولان (جورج إيستمان) آن، فيضم تراش وأوغر (نجم أفلام الحركة الأسود فريد ويليامسون) جهودهما لإنقاذها.



الملصق الأمريكي لفيلم «١٩٩٠: محاربو البرونكس» (١٩٨٢) لإنزو كاستيلاري يظهر في (إلى اليمين) أوغر (فريد ويليامسون) وويتش (بيتي ديسي). يظهر مارك غريغوري في الوسط بوصفه تراش، قائد الدراجين

ازداد فيلم «١٩٩٠: محاربو البرونكس»، وهو أكثر أفلام كاستيلاري جنوناً، قوة بفعل الموسيقى العصرية التي قدمها والتر ريتساتي. وعلى الرغم من أن المناظر الداخلية للفيلم الحافلة برسومات الغرافيتي الجدارية صورت في استديوهات دي باوليس، فإن معظم مشاهد الفيلم صورت في مواقع في نيويورك، في بروكلين والبرونكس- يظهر في الأفق جسر بروكلين وغيره من معالم نيويورك. توحي مشاهد المباني السكنية الخربة والمظهر العام للمدينة الذي يعمه التآكل بجو كارثي مقنع على الرغم من أننا نستطيع أن نرى في الخلفية- في المشاهد التي تجول خلالها شاحنات الشرطة ودراجاتها الشوارع- سكان المدينة يمارسون نشاطاتهم اليومية ويقودون سياراتهم في منطقة يفترض بها أن تكون محظورة.

أدى غريغوري شخصية تراش، محارب الشوارع القوي بطريقة مستوحاة من جو داليساندرو في فيلم «لحم، رعاع وحار»- Flesh, Trash and Heat لأندي وارهول. وكان المنتج دي أنجيليس قد اكتشف غريغوري (اسمه الحقيقي ماركو دي غريغوريو) وهو يتدرب في ناد رياضي. وقد بدا بوجهه المتجهم وسترته القصيرة وبنطال الجينز الضيق الذي يرتديه وشعره الطويل أشبه بنجوم الروك في السبعينيات. أما عصابته فتتألف من مجموعة من الدراجين الأجلاف من ذوي الشعر الطويل والأوشام الذين يمتطون دراجات نارية تزينها جماجم متوقدة. امتلأ الفيلم بمعارك عنيفة استخدمت فيها المدى والسيوف والرماح والأساور المدببة كما ظهرت دراجة تفصل رأس أحد الضحايا بعجلتيها المزودتين بمناجل حادة. يقود رجال عصابة ويليامسون، التي تدعى «النمور»، سيارات قديمة محسنة (مستوحاة من فيلم «الهروب من نيويورك»). لعب كريستوفر كونيلي دور سائق الشاحنة هوت دوغ الذي يصطف إلى جانب هامر وآيس المتعطش للسلطة. أما مورو، فيؤدي، بصفته رجل الشرطة العنيف هامر (الذي يوصف في الفيلم بأنه «وغد يظن نفسه إلهاً»)، عبارات على شاكلة: «لا أؤمن بشيء- أنا هامر المبيد». لعب روكو

ليرو وماسيمو فاني دور الدراجين هاوك وبلايد وأنجيلو راغوزا دور ليتش، سائق أوغر الشبيه بدراكولا وبيتي ديسي دور ويتش، صديقة أوغر الشقراء التي ترتدي عباءة وزياً مخرماً وتحمل سوطاً. أما عصابة الأموات الأحياء فهم أولئك الذين يتنقلون باستخدام الزلاجات ويعتمرون خوذات ألمانية من الحرب العالمية الثانية، في حين تتألف عصابة الكناسين من أشباه بشر يصدرون أصواتاً كالخنازير ويرتدون الأسمال. وقادت كارلا بريت عصابة الرجال الحديديين التي تتألف من راقصي برودواي يحملون عصياً ويعتمرون قبعات معدنية مستديرة ويبدون وكأنهم خرجوا لتوهم من فيلم «كل ذلك الجاز» - All That Jazz. يقود هامر، في النهاية المذهلة للفيلم، قوة نيويوركية خاصة من مطبقي القانون في عملية أطلق عليها اسم عملية الأرض المحروقة تهدف إلى اقتحام معقل أوغر. يصل رجال الشرطة بسيارات مغلقة ومروحيات في حين يعتمر مشاة الشرطة خوذات واقية ويستخدمون قاذفات اللهب للقضاء على البلطجية. يصاب أوغر وآن وويتش بالرصاص ويعلق تراش جثة هامر بخطاف ويسحلها بدراجته في جولة مظفرة- تماماً كما سحل أخيل هيكتور في قصة حصان طروادة.

تبلغ مدة عرض فيلم «١٩٩٠: محاربو البرونكس» دون أي اقتطاع اثنتين وتسعين دقيقة وتتوافر في الأسواق نسخة مشذبة بطول تسع وسبعين دقيقة ينقص منها على وجه الخصوص حوار بين تراش وآن على الشاطئ ومشهد إحراق الدراجين ساندي وسبيدي على طريقة الفايكينغ ونثر رمادهما فوق نهر هدسون. تم الترويج لفيلم «١٩٩٠: محاربو البرونكس» بالعبارة التالية: «المحظوظون هم من ماتوا في البداية!» وهي عبارة يوافق الكثير من النقاد على صحتها بلا أدنى تحفظ.

أدى النجاح الكبير للفيلم- ولا سيما في الولايات المتحدة- إلى الظهور الفوري لجزء ثان منه بعنوان «الهروب من البرونكس» يتابع مغامرات تراش التالية. تضع، في الفيلم، الشركة العامة للبناء خططاً لإعادة إعمار منطقة

البرونكس وتخبر وسائل الإعلام أن عصابات البرونكس قد أعادت تموضعها في نيو مكسيكو. لكن الواقع أن قوة التطهير والإبادة، التي يرتدي رجالها ملابس فضية ويستعملون قاذفات اللهب، كانت منخرطة في عملية قتل واسعة النطاق لسكان الحي. ثم يخطف تراش وسترايك الخائن (تيموثي برنت) رئيس شركة البناء، هنري ج. كلارك (إينيو جيرولامي) للحصول على فدية، فتشن قوة التطهير والإبادة حملة للقضاء على العصابات. لعب هنري سيلفا دور فلويد وانغلر، قائد قوة التطهير والإبادة الذي لا يرحم وأنطونيو ساباتو دور دوبلون، زعيم إحدى العصابات البرونكسية وظهرت كارلا بريت مرة أخرى بدور زعيمة عصابة الرجال الحديديين كما يمكن مشاهدة كاستيلاري نفسه بوصفه عامل اللاسلكي ذا الشاربين في مقر قوة التطهير والإبادة. قدم فرنشيسكو دي ماسي موسيقى السينثيسايزر التي تميز الفيلم الذي صور مرة أخرى في نيويورك وفي استديوهات دي باوليس في روما. ظهر رومانو بوبو في دور قصير مجسداً شخصية والد تراش الذي يحرقه وزوجته رجال فرقة التطهير والإبادة، الأمر الذي يمنح تراش تبريراً إضافياً لتحويل وانغلر إلى أشلاء.

أما فيلم «البرابرة الجدد» (١٩٨٣) فهو نسخة كاستيلاري من فيلم «ماكس المجنون» حيث أن المحارب المتوحد سكوربيون (تيموثي برنت) يشبه إلى حد بعيد ميل غيبسون في شخصية ماكس. تدمر حرب نووية كوكب الأرض عام ٢٠١٩ فتعيث عصابة فرسان الهيكل بقيادة الأوحد (جورج إيستمان) فساداً وتستهدف بهجماتها الجيوب التي يعيش فيها الناجون من الكارثة. ينقذ سكوربيون ألما (آنا كاناكيس) من فرسان الهيكل ويتحالف مع نادير (فريد ويليامسون) للتخلص من المغيرين الذين يهددون قافلة المسيحيين بقيادة الأب موزيس (فينانتينو فينانتيني).

خلق كاستيلاري عالمه المستقبلي في مقالع وورشات بناء في لاتسيو. وكانت المشاهد الليلية فعالة على وجه الخصوص (أنوار نيون ضبابية ذات ألوان خافتة) وصورت المناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس. وقد أرخى

ويليامسون بدور نادير - يرتدي ملابس جلدية سوداء ويحمل قوساً قاتلاً يرمي سهاماً متفجرة- بظلاله على سكوربيون بصورة كلية. لعب إينيو، شقيق كاستيلاري، دور الظل، صديق الأوحد وماسيمو فاني دور ماكو (أحد رجال فرسان الهيكل بشعر بتسريحة الموهوك) وأيريس بينادو دور فينيا، حبيبة نادير. كما لعب كاتسيلاري دوراً صغيراً حيث جسد شخصية كناس مصاب بجروح بليغة. ألف موسيقى السينثيسايزر التصويرية النابضة بالحيوية جيورجيو سيمونيتي من فرقة غوبلين الشهيرة ولعبت زوجته كاناسيسي، ملكة جمال إيطاليا، دور ألما. كانت الأزياء المستقبلية التي ظهرت في الفيلم منافية للمنطق بصورة تتناسب مع موضوعه وسيطرت عليها الملابس الجلدية والمطاطية والبلاستيكية مع أكسسوارات تتوافق تماماً مع أجواء ما بعد الكارثة التي يتناولها الفيلم. لكن السيارات التقليدية والدراجات النارية المخصصة كانت أروع ما في الفيلم. إذ يقود سكوربيون، في محاكاة واضحة لفيلم «ماكس المجنون»، سيارة موستانغ جبارة بسقف مقبب وجمجمة تزين مقدمتها (أعيد استخدام جماجم فيلم «١٩٩٠: محاربو البرونكس»). لم يكن تحت تصرف كاستيلاري سوى ست سيارات (بنيت من هياكل سيارات من طراز ب.م. دبليو) استخدمها ببراعة بحيث بدت أكثر عدداً. كان رجال الأعمال الخطرة بارعون كذلك وأدوا حركات بالغة الخطر. لم يصمد الناجون من الكارثة النووية طويلاً، إذ سرعان ما بدؤوا بالتساقط بفعل القنابل اليدوية والقذائف الصاروخية والعبوات الناسفة والمدافع الرشاشة وقاذفات اللهب والمسدسات الليزرية (مسدسات أطفال اشتراها كاستيلاري من متجر للألعاب). بل إن ميكانيكي سكوربيون الشاب (جيوفاني فريتسا)، يكتشف أن العطل في سيارته ناجم عن وجود أذن بشرية عالقة في محركها. كانت الأنصال الدوارة تجز رؤوس الضحايا في حين تخترق مفاتيح الزجاجات والرماح أجسادهم وتنفجر رؤوس السهام المتفجرة بالحركة البطيئة في رجال الأعمال الخطرة الذين يهوون إلى الأرض من ارتفاعات كبيرة.

ويذكر من أفلام الخيال العلمي الإيطالية الرخيصة «مبيدو العام ٣٠٠٠»- Exterminators of Year 3000 (١٩٨٣) و«الجلاد الأخير»- The Final Exterminator (١٩٨٣- يقف في موقع ما بين «الضحية العاشرة»- The 10th Victim و«ماكس المجنون») و«غزاة أتلانتيس»- Raiders of Atlantis (١٩٨٣- «معترضو أتلانتيس») و«روما ٢٠٣٣- فرقة المقاتلين»- Rome 2033- The Fighter Centurions (١٩٨٤- «المجالدون الجدد»). تدور أحداث فيلم «هي»- She (١٩٨٣) «بعد ثلاثة وعشرين عاماً من الفناء الكبير» ويمزج القتال بالسيف في أفلام كونان بعدمية «محاربي البرونكس» من خلال معارك تتواجه فيها الأمازونيات وحاملو السلاسل ومن خلال فرسان القرون الوسطى والمجالدين والرهبان المتعصبين والمستذئبين وموسيقى الروك الصاخبة من ريك ويكمان وجاستين هيوارد وفرقة موتورهيد. تواجه المحاربة الأمازونية هي (ساندال برغمان)، في الفيلم، النوركسيين، وهم عصابة من المرتدين يقودها هيكتور (غوردون ميتشيل) وهو وجه يكفي مجرد ظهوره لتحويل الفيلم إلى واحدة من ملاحم السيف والصندل.

وفي فيلم «٢٠١٩: بعد سقوط نيويورك»- 2019- After The Fall of New York لسرجيو مارتينو، يرسل رئيس الكونفيديرالية الأمريكية (إدموند برودوم)، بعد عشرين عاماً من تدمير العالم على يد الاتحاد الأوروبي الأفرو- آسيوي، بارسيفال (مايكل سبوكيو) ذا الفك المنحوت، وهو تجسيد لماكس المجنون، في مهمة إنسانية إلى نيويورك لإنقاذ ميليسا، آخر نساء العالم القادرات على الإنجاب. فقد كان معدل نمو البشرية معدوماً منذ انتهاء الحرب العالمية الثالثة. ينطلق بارسيفال في رحلته برفقة برونكس (فنسنت سكالوندرو)- الذي استبدل بيده كلاباً معدنياً- وراتشيت (رومانو بوبو)، وهو كائن نصف آلي ونصف بشري يضع رقعة على عينه. تدور معظم أحداث الفيلم في شوارع مقفرة عابقة بالدخان وأنفاق تحت الأرض تغزوها الجرذان (صورت المناظر الداخلية في استديوهات إيليوس واستديوهات دي باوليس).

يجتمع الثلاثي بقوات الكونفيديرالية الأوروبية: جوالة شرطة بخوذات رومانية ومعاطف مسلحين ببنادق ليزرية على شكل قوس نشاب. كما كان عليهم أن يصارعوا العصابات التي تجوب شوارع المدينة: صيادو هارلم وشعب المسلة (الذين يتغذون على الجرذان) والقرد الكبير (جورج إيستمان بزي قرصان ووجه يكسوه الشعر) وعصابة القردة التي يقودها (التي تذكرنا بفيلم «كوكب القردة»- Planet of The Apes). غير أن بارسيفال ينجح، بمساعدة القرد الكبير وأحد رجال شعب الصغار، وهو قزم اسمه شورتي (لويس إيكليزيا)، بالعثور على ميليسا ويفران من المدينة سوياً من خلال نفق لينكولن.

يخيل لمن يتابع فيلم «٢٠١٩: بعد سقوط نيويورك» أنه مصنوع من مخلفات الأفلام الإيطالية من مختلف الأنواع التي سبقته. فجوالة الشرطة ورماة اللهب مصدرهم «محاربو البرونكس» وبعض المسدسات من «باربارياز»، أما مقلع لاتسيو فمأخوذ برمته من ملاحم السيف والصندل والمناظر الداخلية لمركبة الفضاء من أفلام الخيال العلمي والأزياء من أنواع سينمائية مختلفة بما فيها أفلام الوسترن وأفلام القتلة المأجورين. يرتدي بارسيفال حذاء طويلاً وعصابة رأس وسترة مدرعة من السلاسل المعدنية، وتشبه بعض مشاهد الحركة فيه المشاهد الغريبة التي نراها في أغاني فريق الروك البريطاني دوران دوران. لعبت فالنتين مونييه دور جيارا، حبيبة بارسيفال وآنا كاناكيس دور آنيا (إحدى الناشطات الشريرات في الكونفيديرالية الأوروبية) وراي ساوندرز دور عازف ترومبيت متوحد يعزف لحناً لراحة نفس نيويورك. قدم الأخوان دي أنجيليس موسيقى الفيلم الأخروية ومعزوفة الهارمونيكا الجنائزية. استخدم حوض حصوي في إقليم لاتسيو لتصوير مشهد حلبة سباقات نيفادا (عندما يهاجم بارسيفال جيوفاني شيانفريليا أثناء سباق سيارات مجنون) كما يقود بارسيفال دراجته المعدلة في المونيومنت فالي في مشهد كان جون فورد ليفخر بإخراجه. وبمزجه الدماء والأحشاء والأعين المفقوءة والآذان المقطوعة ومشاهد قطع الرؤوس بحبكة تحمل بعض المفاجآت، تمكن مارتينو من إخراج فيلم مقبول. والواقع أن المشهد

يجتاز فيه الأبطال النفق الذي كان ينفجر على متن سيارة ستيشن ثبت إلى سقفها لوح فولاذي باستخدام السلاسل كان مبهراً. ينطلق الناجيان- بارسيفال وميليسا- إلى الفضاء كي يستعمرا كوكباً تابعاً للنجم رجل القنطور، دون أن يدور بخلدهما أن القرد الكبير قد جعلها حاملاً.

الانتحال المنظم: كبريات الإنتاجات الهوليوودية على الطريقة الإيطالية

كلما أنتجت هوليوود فيلماً حقق نجاحاً دولياً كبيراً، ظهرت نسخة إيطالية واحدة على الأقل- دزينة كاملة من النسخ في الأحوال الطبيعية- فعندما حقق فيلم «فرسان تابوت العهد المفقود»- Raiders of The Lost Ark (١٩٨١) نجاحاً ساحقاً، ظهرت سلسلة من المشتقات الإيطالية أخرجها أنطونيو مارغريتي منها فيلم «فرسان الأدغال»- Jungle Raiders (١٩٨٤- «الكابتن يانكي») بطولة كريستوفر كونيلي ولي فان كليف و«تابوت عهد إله الشمس»- Ark of The Sun God (١٩٨٣) بطولة ديفيد واربيك وجون ستاينر و«مجزرة في وادي الديناصور»- Massacre in Dinasour Valley (١٩٨٥) لمايكل سوبكيو وطوني أنطوني بطل فيلم «كنز التيجان الأربعة»- The Treasure of The Four Crowns (١٩٨٢). كما تحول فيلم أمريكي عنوانه «الذبابة»- The Fly (١٩٨٦) لديفيد كوننبرغ إلى فيلم عنوانه «التحول»- Metamorphosis (١٩٨٩) لجورج إيستمان. أما فيلم «الغريب»- Alien (١٩٧٩) فقد أعاد لويجي كوتسي صياغته باسم «عدوى الغرباء»- Alien Contamination (١٩٨١) بطولة أيان مكلوخ ولويز مونرو ومارتن ميز في حين كانت الموسيقى لفرقة غوبلن. وقد يكون أكثر عناوين الأفلام إبداعاً في أفلام الخيال العلمي التجارية الإيطالية الفيلم ذو الطبيعة الجنسية الذي أخرجه ماريو غاريانسو والذي حمل اسم «لقاءات وثيقة من النوع الرابع»- Close Encounters of The Fourth Kind (١٩٧٩). كما أعاد جيانيتو دي روسي إنتاج فيلم «المبيد»- Exterminator باسم «سايبورغ»- Cyborg (١٩٨٩). ويضع فابريتزيو دي أنجيليس الأمريكي الأصلي ثندر (مارك

غريغوري) في مواجهة المأمور العنصري (بو سفنسون) في فيلم مثير تجري أحداثه في أريزونا عنوانه «المحارب ثندر» - Thunder Warrior (١٩٨٣) يعتبر إعادة لفيلم «الدم الأول» - First Blood (١٩٨٢).

كما أنجب فيلم «النذير» - The Omen (١٩٧٦) فيلماً إيطالياً ذا ميزانية كبيرة أخرجه ألبرتو دي مارتينو بعنوان «هولوكوست ٢٠٠٠» - Holocaust 2000 (١٩٧٧ - «المختار» أو كذلك «أمطار من نار») وهو إنتاج إيطالي بريطاني مشترك يلعب كيرك دوغلاس فيه دور الصناعي روبرت كين الذي يخطط لبناء مفاعل نووي حراري في الشرق الأوسط (صور الفيلم في تونس). يكتشف كين أن ابنه أينجل (سيمون وارد) هو المسيح الدجال - «من بذوركم يأتي الشر» - في حين أن أبراج المفاعل التوربينية السبعة تمثل التنين ذا الرؤوس السبعة، نذير يوم القيامة. قدم موريكونيه موسيقى مناسبة مثيرة للتوتر لهذا الفيلم الترفيهي المثير الذي يظهر فيه كل من أنطوني كوايل ورومولو فالي وأدولفو شيلي وإيفو غاراني وفيرجينيا ماكينا (بدور إيفا والدة أينجل) وأغوستينا بيلي (سارة غولان حبيبة ريتشارد). أما البروفسور إرنست ماير (ألكسندر نوكس) الحائز على جائزة نوبل، فيحذر، قبل لحظات من غرقه في الموجة العملاقة ديفون، التي غمرت جزيرة بورغ، قائلاً: «لقد امتلأ كأس الكارثة حتى الثمالة».

وعندما حقق فيلم «طارد الأرواح» - The Exorcist (١٩٧٣) ثروة، سارع ماريو غارياتسو إلى إخراج فيلم ذي طابع جنسي باسم «استحواذ الشيطان» - The Devil's Obsession (١٩٧٤). أما فيلم «من أنت؟» - Chi Sei? (١٩٧٤ - «الشيطان في داخلها» أو كذلك «من؟») لأوليفيو أسونيتيس/أوليفر هيلمان - لعبت دور البطولة فيه جولييت ميلز مجسدة شخصية الفتاة المسكونة جيسيكا - فهو فيلم مسروق من «طارد الأرواح» - The Exorcist (١٩٦٨) و«طفل روزميري» - Rosemary's Baby (١٩٦٨). وقد حقق الفيلم نجاحاً

كبيراً في الولايات المتحدة باسم «الباب». كان فيلم «الصدمة»- Shock (١٩٧٧) آخر أفلام ماريو بافا وحمل في الولايات المتحدة اسم «وراء الباب ٢»- Behind The Door II على الرغم من أنه كان أقرب لفيلم «الاشمئزاز» (١٩٦٥) ولرواية «القط الأسود» لإدغار ألن بو. تعود دورا (داريا نيكولودي) برفقة ابنها ماركو (ديفيد كولين جونيور من فيلم «من أنت؟») إلى دارتها الشاطئية بعد غياب دام سبع سنوات. وكان زوج دورا الأول كارلو (نيكولا ساليرنو)، الذي هو والد ماركو المدمن على المخدرات قد اختفى أثناء رحلة بحرية في حادث تم اعتباره انتحاراً، فتعاني دورا انهياراً عصبياً وتمضي ستة أشهر في مصحة نفسية قبل أن تتماثل للشفاء وتتزوج طياراً تجارياً اسمه برونو بالديني (جون ستاينر). لكن دورا تعاني، في الفترات التي يغيب فيها زوجها الجديد عن المنزل، من ترائيات وظواهر غريبة يبدو ابنها ماركو البالغ من العمر سبع سنوات مسؤولاً عن تنظيمها. ثم يتكشف أن دورا كانت هي المسؤولة عن قتل كارلو وأن برونو دفن جثته في القبو لتجنيب زوجته المحاكمة، إلا أن روح كارلو استحوذت على ماركو الذي أصبح الآن يسعى لقتل والدته.

وعلى الرغم من أن فيلم «الصدمة» يبدو واحداً من أفلام الرعب الرخيصة التي عرفتها السبعينيات، إلا أنه تمتع بأسلوب مميز، إذ قام بافا، الذي عاد عن التقاعد كي يعمل مع ابنه لامبرتو، بإخراجه. صورت المناظر الخارجية للدارة الشاطئية في فيلا الممثل إنريكو ماريا ساليرنو في روما والمناظر الداخلية في استديوهات فيديس في روما. أما مشاهد الشاطئ والرأس البحري فصورت، كما جرت عليه العادة، في تور كالدارا. تجوس العدسة، التي تعبر عن وجهة نظر شخصيات الفيلم، أرجاء الفيلا المشمسة بشكل حاقد. وتذكرنا أرجوحة ماركو بأرجوحة ميليسا في فيلم «اقتلي يا صغيرتي... اقتلي!» (الذي يتحدث عن طفلة معتدية أخرى تسعى للانتقام). وعلى الرغم من

أن عدسة ألبرتو سبانيولي السينمائية افتقرت للألوان الصارخة التي ميزت أفلام بافا المبكرة، إلا أن الصور الكابوسية التي عرضتها كانت كفيلة بجعل المتفرج يقفز في مقعده رعباً. إذ تكتشف دورا، على سبيل المثال، أن نافذة غرفة نومها قد سدت بجدار وأن أحدهم أرسل لها أزهاراً من قبره ثم تقبض يد تخترق البساط العشبي على كاحلها أثناء قيامها بنزهة في الحديقة. كما تتسرب الدماء من خلال أحد الجدران وعبر لوحة مفاتيح البيانو، في حين تخترق سكين حادة الظلام الدامس وتهبط دمية نابضية الأدراج وتكتشف موسى حلاقة بين مفاتيح البيانو وتتسلل يد خزفية من الأريكة. وفي واحد من أفضل المؤثرات الخاصة في الفيلم، يلتف شعر نيكولودي المتمددة في السرير، أثناء إحدى ظهورات كارلو، متخذاً شكل ميدوزا.

تراوحت الموسيقى التصويرية للفيلم بين الألحان الغوبلنية الصاخبة ونغمات البيانو الشاعرية في مزج بين أفلام الرعب التي صنعها أرجنتو في السبعينيات وأعمال بافا في الستينيات. قدمت نيكولودي في هذا الفيلم أفضل أدوارها من خلال تجسيدها شخصية دورا المخبولة في حين قدم ستاينر وكولين جونيور وإيفان راسيموف (بدور المحلل النفسي الدكتور ألدو سبيديني) أداء جيداً. وعندما يحطم برونو الجدار الموجود في القبو من أجل التخلص من جثة كارلو، تقوم دورا بقتله بمعول قبل أن تذبح نفسها. ويجلس ماركو إلى طاولة في الحديقة ويصنع كأساً من الشاي لوالده الذي نفترض أنه هو من يشغل المقعد الفارغ الواقع قبالته.

القبور المائية: رعب من الأعماق

أدى النجاح الذي حققه فيلم «الفك المفترس»- Jaws (١٩٧٥) لستيفن سبيلبرغ و«بيرانا»- Piranha (١٩٧٨) لجو دانتيه إلى ظهور العديد من النسخ السمكية المشتقة من هذين الفيلمين. صور فيلم «السمك القاتل»- Killer Fish

(١٩٧٨- «كنز البيرانا المميت») لأنطونيو مارغريتي في البرازيل ولعب البطولة فيه كل من لي ميجورز وكارين بلاك ومارغو هيمنغواي وجيمس فرنسيسكوس ويتحدث عن مجوهرات مسروقة تم إخفاؤها في بحيرة مليئة بأسماك البيرانا القاتلة. أما فيلم «القرش المسخ»- Monster Shark (١٩٨٤- «السمكة الشيطانية») فلعب دور البطولة فيه مايكل سوبكيو ووليام برغر وجياني غاركو وداغمار لاساندر وأخرجه لامبرتو بافا باسم جون أولد جونيور في تحية قدمها لوالده. ويظهر في فيلم «جزيرة الرجال الأسماك»- Island of Fish Men (١٩٧٨) لسرجيو مارتينو مسوخ ضخام خلفهتم بقايا فيلم «مخلوق البحيرة السوداء»- The Creature from The Black Lagoon (١٩٥٤). يلعب جوزيف كوتون دور البطولة في فيلم "جزيرة الرجال الأسماك" مجسداً شخصية العالم البيولوجي الذي يخلق جنساً من الرجال الأسماك في حين تلعب بربارة باخ دور شقيقته. ثم عادت باخ مرة أخرى إلى الشاشة مع فيلم «نهر التمساح الكبير» (١٩٧٩- «التمساح الكبير«) وهو نسخة تجارية من فيلم «الفك المفترس» تم تصويرها في سريلانكا التي يهدد فيها تمساح عملاق منتجعاً سياحياً نهرياً يملكه ميل فيرير.

كما تم إنتاج جزء ثان غير رسمي لفيلم «السمك المفترس» تحت اسم «بيرانا ٢- القتلة الطائرون»- Piranha II Flying Killers (١٩٨١- «بيرانا الجزء الثاني: بيض السمك») وهو فيلم إيطالي أمريكي مشترك أنتجه أوفيديو أسونيتيس وأخرجه جيمس كاميرون (مخرج «المبيد» و«التايتانيك» و«أفاتار») وتم تصويره في جامايكا. تتسبب أسماك بيرانا طائرة بإثارة الفوضى في نادي إيليسيوم وهو فندق ومنتجع سياحي (تم تصويره في فندق حياة بيتش مالارد) أثناء «المهرجان السنوي الشاطئي لقلي السمك». وكانت الأسماك الطائرة هذه نتاج تجارب وراثية مارسها الجيش الأمريكي في أنهار فيتنام. تدور في الفيلم علاقة حب ثلاثية بين

مدربة الغطس آن كيمبرو (تريسيا أونيل) وزوجها رجل الشرطة غريب الأطوار ستيف (لانس هنريكسن) وتايلر شيرمان (ستيف ماراتشوك) الذي كان مشاركاً في اختبارات الجيش. لعب تيد ريتشرت دور راؤول، مدير المخيم التابع للمنتجع الذي يرفض إيقاف النشاطات المقررة أصلاً. ولعبت كارول ديفيس وكوني لين هادن دور جاي ولوريتا وهما فتاتان رشيقتان أصبحتا وجبة لأسماك البيرانا التي تتمتع بالقدرة على الطيران والتنفس خارج الماء والتي نفذت هجوماً على المهرجان الشاطئي الكاريبي لا ينبغي تفويت مشاهدته على وقع أغنية ريغي إيقاعية بعنوان «نداء إلى الأسماك» ويهتف المحتشدون قائلين: «نريد سمكاً!» في حين كانت الأسماك المفترسة تطير مقتربة منهم. ألف موسيقى الفيلم ستيلفيو شيبرياني تحت الاسم المستعار ستيف باودر على الرغم من أن عمله لم يكن على هذا القدر من السوء. وعلى الرغم من أن الفيلم تعرض للكثير من الانتقادات اللاذعة، إلا أنه تضمن، في الواقع، بعض مشاهد الرعب الحسنة ومؤثرات خاصة مرعبة صممها جيانيتو دي روسي نذكر منها مناظر ضحايا تعرضوا للقضم كفيلة بتجميد الدم في العروق. وعلى الرغم من أن أسماك البيرانا التافهة كانت تطير مستعينة بأسلاك معلقة، إلا أنها كانت على الرغم من ذلك تطير بصورة أكثر إتقاناً من طيران «رجل الكوغار».

وفي هذا السياق، لا يمكن لنا أن نغفل «فكاً مفترساً» إيطالياً بلغت فيه الوقاحة أقصاها وهو فيلم «القرش الأخير»- The Last Shark لإنزو كاستيلاري الذي لم يكن أكثر من انتحال لفيلم «الفك المفترس» لسبيلبرغ بجزأيه كان أميناً إلى حد أدى إلى سحبه من دور العرض الأمريكية بعد فترة وجيزة من إطلاقه بأمر قضائي حصلت عليه شركة يونيفرسال. وكالعديد من الأفلام الإيطالية التي تحاكي الإنتاجات الهوليوودية، تقدم مشاهدة فيلم «القرش الأخير» خبرة مطابقة لمشاهدة الفيلم الأصلي، وإن ببعد مواز. تهدد سمكة

قرش أبيض كبيرة استعدادات منتجع ساوث باي الأمريكي لإطلاق احتفالات الأسبوع المئوي للمنتجع. لكن العمدة بيل ويلز (جوشوا سينكلير) الذي يراهن على هذا المهرجان كي يصبح حاكماً كان مصمماً على المضي فيها وكأن شيئاً لم يكن، على العكس من نصيحة الكاتب المتخصص بالشؤون البحرية بيتر بينتون (جيمس فرنسيسكوس) وصياد القرش الاسكتلندي الأشيب رون هامر (فيك مورو) الذي هو تجسيد للأيرلندي كوينت (روبرت شاو) في فيلم «الفك المفترس».

يبني كاستيلاري أجواء التوتر في الفيلم بصورة بارعة. إذ يقضم الوحش القاتل قطعة من لوح تزلج شراعي ثم يتم العثور على قارب صيد مسجل في المهرجان وعلى متنه أذرع بشرية ممزقة. وعلى الرغم من أن الميناء كان مزوداً بشباك تم نصبها تحت الماء لمنع وصول أسماك القرش، إلا أن الوحش المفترس أمضى يوماً حافلاً في التهام كل ما طالته أسنانه. يحاول العمدة اصطياد الوحش بصنارة تتدلى من مروحية وقد علقت عليها قطعة من اللحم، لكن القرش يسقط المروحية ويفترس ساقي ويلز. يراقب أحد السكان المحليين قارباً مهجوراً رابضاً في الميناء ويلاحظ أنه "هنالك ما يشبه السمكة هناك" في حين يتحول حشد من ممثلي الكومبارس يحتفل على الشاطئ إلى وجبات مغلفة بمايوهات البيكيني. صورت بعض أجواء الفيلم في مالطا (المناظر الداخلية في استديوهات إيليوس) على الرغم من أنه يستحيل على المتابع أن يدرك ذلك لأن الأجواء الأمريكية التي بناها كاستيلاري كانت واقعية. قدم الأخوان دي أنجيليس موسيقى تصويرية مشؤومة من وحي جون ويليامس بالإضافة إلى ثلاث أغنيات بوب- Hollywood Big Time، The Melody Plays، You’ve Changed The World for Me (أدتها إيفون ويليكنز). لعبت ميكي بيغناتيلي، بتسريحة شعر على شاكلة فرح فاوست، دور غلوريا بنتون زوجة بيتر. ولعبت ستيفانيا، ابنة

كاستيلاري، دور جيني ابنة بنتون التي يفقدها المفترس إحدى ساقيها. ولعب إينيو، شقيق كاستيلاري، دور مات روزن، منظم الاحتفال الذي يعاني مصيراً دراماتيكياً عندما يفترسه الوحش ويلتهم زورقه. ولعب تيموثي برنت دور مراسل الأخبار الانتهازي بوب مارتن وماسيمو فاني دور مصوره جيمي. كما ظهر رومانو بوبو في نهاية الفيلم معتمراً قبعة رعاة البقر، بدور الرامي البارع برايرلي. كما تجر سمكة القرش العملاقة إلى عرض البحر حاجزاً مائياً يقف عليه عدد من السكان المحليين في مشهد مروع، قبل أن تمزق جيمي وبرايرلي بطريقة دموية. تولى كل من جيورجيو فيراري وجيورجيو بوتسي مهمة بناء نموذج سمكة القرش العملاقة وتشغيله في مشاهد كانت تتخللها لقطات لسمكة قرش حقيقية. لكن التعثر الوحيد الذي أصاب الفيلم حدث في نهايته عندما تمكن بنتون من نسف الوحش العملاق باستخدام جثة هامر المحشوة بالديناميت الأمر الذي يجعل السمكة تتمزق إرباً، إذ لم يكن ما كنا ننتظر منه أن يكون انفجاراً هائلاً أكثر بكثير من فقاعة غاز في حوض أسماك.

أما أكثر «الفكوك المفترسة» الإيطالية إمتاعاً فهو فيلم «المجسات»- Tentacles (١٩٧٦) الذي أخرجه أسونيتيس/هيلمان. تدور أحداث الفيلم على أحد شواطئ كاليفورنيا حيث يختطف طفل رضيع إلى عرض البحر ويتم العثور على صياد سمك هيكلاً عظمياً. تحث حوادث اختفاء أخرى المأمور روباردز (كلود أسكينز) على تحري المسألة بمساعدة الصحفي نيد تورنر ويستدعيان الخبير البحري ويل غليسون (بو هوبكينز) وزوجته فيكي (ديليا بوكاردو) من معهد علوم المحيطات فيخمن ويل قائلاً: «لا بد أن شيئاً ما قد تسبب بذلك» قبل أن يستنتجوا أن الجاني هو أخطبوط عملاق تستثيره موجات الراديو. فقد كانت شركة أنفاق حصان طروادة تعمل في الخليج مستخدمة الموجات الصوتية خلافاً للحدود القانونية الأمر الذي يؤدي إلى

قتل الحياة البحرية - والواقع أن الغواصين وجدوا أن قاع المحيط مليء بالأسماك الميتة.

صور فيلم «المجسات» في مواقع في ولاية كاليفورنيا منها الأوشنسايد وشاطئ بيسمو ومستتبت ميريلاند المحيطي الواقع على شاطئ المحيط الهادي (الذي أغلق منذ ذلك الحين). صمم نستور أورغانو المشاهد الرائعة التي صورت تحت الماء وهي تقدم لنا عالماً مائياً لازوردياً جميلاً. ترافق ظهور الأخطبوط العملاق بموسيقى قيثارة ألفها ستيلفيو شيبرياني الذي خص مشاهد الحركة بمقطوعات صاخبة مستقاة من فيلم «ماذا فعلوا ببناتكم؟». وقد جمع فيلم «المجسات» طاقم ممثلين مثيراً للإعجاب مقارنة بفيلم يتحدث عن أخطبوط. فقد لعب المخرج جون هستون دور نيد تورنر وشقيقته تيلي دور شيلي وينترز التي استعرضت نفسها في الفيلم بمجموعة غريبة من أردية الرأس كان منها قبعة بحار وقبعة عملاقة من القش. لعب شيزاريه دانوفا دور رئيس العمال في شركة أنفاق حصان طروادة الذي يكلفه بالمهمة الموكلة إليه مديره السيد وايتهيد الذي لعب دوره هنري فوندا. وكان هنري فوندا قد روى ذات يوم قصة اختياره من قبل سرجبو ليونيه للعب دور القاتل المأجور فرانك في فيلم «حدث ذات مرة في الغرب». فقد كان قصد سرجيو ليونيه أن يجعل الجمهور، لدى رؤيته فوندا يظهر للمرة الأولى وقد ذبح عائلة كاملة من المستوطنين، يصرخ قائلاً: «يا إلهي، إنه هنري فوندا!». ولا شك أن الظهور الأول لفوندا في فيلم «المجسات» أثار رد الفعل نفسه.

تم تنفيذ مشاهد الحركة، التي ينفث الأخطبوط فيها غمامات من الحبر الأسود ويسحق المراكب ويلتهم من هم على متنها، باستخدام نموذج مصغر لمركب وأخطبوط حقيقي ومجسات مطاطية زائفة. يأخذ ويل حادثة التهام الأخطبوط لفيكي على محمل شخصي فيهاجم الأخطبوط في وكره

برفقة حوتين قاتلين (كان قادراً على التواصل معهما) في مبارزة انتهت لصالح الحوتين بنتيجة واحد للا شيء. يظهر في المشاهد الترويجية للفيلم سباق اليخوت السنوي للفتيان الذي يقام في شهر آب على شاطئ سولانا بيتش والذي شارك فيه خايمي ابن تيلي وصديقه تومي وكان الخطأ الأكبر الذي ارتكباه خلاله استخدام جهاز اللاسلكي. أما محاولة خفر السواحل تحذير المشاركين في السباق فقد كانت متأخرة. ركز أسونيتيس على ردود فعل أولياء الأمور- الذين كانوا يستمتعون بالنزهة غافلين عن الكارثة الوشيكة- على المجزرة التي تتكشف فصولها في عرض البحر عندما يعيث الأخطبوط (كانت عيناه تجوبان المياه بسرعة كزورق آلي) فساداً ويحطم المراكب ويقلبها في الماء، في مشهد كان محركاً للعواطف. قدم صاموئيل ز. أركوف فيلم «المجسات» في السوق الأمريكية باستخدام العبارة الترويجية التالية: «إنه يحول الشاطئ إلى مقصف» وتولت توزيع الفيلم شركة AIP التي بنت سمعتها على المخلوقات التي قدمها روجر كورمان في الخمسينيات من خلال مجموعة من الأفلام يعتبر فيلم «المجسات» وريثاً حقيقياً لها.

أما فيلم الخيال العلمي البحري الغريب «لقاءات في الأعماق»- Encounters in The Deep (١٩٧٩) فيركز على نوع آخر من الروايات لاقى رواجاً كبيراً في السبعينيات - حوادث اختفاء السفن في مثلث برمودا. يكلف السيد مايلز (غابرييل فيرزيتي) ثلاثة من علماء المحيطات هم بيترز (مانويل زارزو) ومايك (جياني غاركو) وبوبس (ألفريدو مايو) الأكبر سناً بتقصي حادثة اختفاء ابنته ماري (كارول أندريه) أثناء رحلة بحرية. كانت لدى بيترز نظرية مؤداها أن مخلوقات من خارج الأرض تعيش في أعماق المحيط، وهو هراء ثبتت صحته عندما اكتشفت مجموعة من الغطاسين وجود جنس غامض من المخلوقات الغريبة ذات الرؤوس المنتفخة تعيش في كهف تحت الماء.

وفي نهاية الفيلم، تقلع سفينة فضاء على متنها كافة الممثلين باستثناء بوبس الذي خلفته السفينة وهو يتساءل، مثلنا تماماً، عن ماهية ما شاهده. كانت الموسيقى التصويرية التي وضعها شيبرياني أعلى سوية من الفيلم الذي رافقته. وقد تحول هنكي جيمس كان، شبيه أندريه غارسيا- بطل التنس الافتراضي الذي يبدو أن شركة أديداس قد رعته- إلى لازمة في هذا النوع من أفلام المغامرات حيث ظهر في فيلم القرش «تينتوريرا!»- Tintorera! (١٩٧٧) وفي فيلم «كهف أسماك القرش»- Cave of The Shark (١٩٧٨) لتونينو ريتشي ثم في فيلم «مثلث برمودا»- Bermuda Triangle (١٩٧٨) مع جون هستون وكلودين أوغر.

الجحيم الأخضر: مرتزقة الأدغال وثوريوها

صنع المخرجون الإيطاليون سلسلة من أفلام الحركة مشتقة من «صياد الأيائل» و«الإوز البري» و«القيامة الآن» قاموا خلالها بإرسال مرتزقتهم من «كلاب الحرب» في مهمات لإنقاذ سكان محليين يعيشون في بلاد عجيبة من الاضطرابات المحيقة بهم. ويعتبر المخرج الرحالة أنطونيو مارغريتي/ أنطوني داوسون رائد هذا النوع السينمائي الفرعي مع أفلام مثل «الصياد الأخير»- The Last Hunter، و«رمز العملية: الإوز البري»- Codename Wildgeese و«الكوماندوس النمر»- Commando Leopard و«القائد»- The Commander.

تدور أحداث فيلم «الصياد الأخير» (١٩٨٠- «صياد يوم القيامة») عام ١٩٧٣ في فيتنام ويلعب ديفيد واربيك دور الكابتن هاري موريس الذي يكلف بمهمة سرية ذات أولوية قصوى تهدف إلى نسف محطة إذاعية تبث بروباغندا الفيتكونغ. تماثل رحلة موريس باتجاه هدفه أوديسا «القيامة الآن» باستثناء الظهور الختامي لمارلون براندو. كما قلد مارغريتي في «الصياد

الأخير» فيلم «صياد الأيائل» بأمانة بلغت حد سجن موريس في قفص نتن من قصب البامبو مغمور جزئياً بالماء في نهر تهاجمه فيه الجرذان. كما يعاني موريس كوابيس ليلية يتذكر فيها حادث انتحار صديقه الحميم ستيف. وكان الرجلان يحبان امرأة واحدة هي كارول (مارغي إيفيلين نيوتن) التي يتكشف في لحظة انعطاف سخيفة أنها الصوت الذي يبث دعاية الفيتكونغ.

صور فيلم «الصياد الأخير» في الفيليبين التي قتل فيها المصور السينمائي الإيطالي ريكاردو بالوتيني بتحطم طائرة أثناء التصوير بعد حياة مهنية طويلة. يعتبر فيلم «الصياد الأخير» أكثر أفلام مارغريتي عنفاً حيث يقوم مقاتلو الفيتكونغ بنصب الكمائن عند كل منعطف وتكاد المراسلة الحربية جاين فوستر (تيسا فارو) تقتل على يد جندي أمريكي كان تحت تأثير المخدرات وتتدلى جثة متعفنة لمظلي من شجرة وتمزق أشراك القصب أجساد الجنود الأمريكيين في هذا الجحيم الأخضر بالإضافة إلى مشاهد رهيبة أخرى تظهر فيها مآق تتدفق منها الدماء وأطراف مبتورة وأجساد تلتهمها نيران قواذف اللهب. لعب إدواردو، ابن مارغريتي، دور الجندي ستينكر سميث الذي ينتزع شرك من القصب أحشاءه ولوشيانو بيغوتسي دور طبيب عسكري وطوني كينغ وبوبي رودز دور جورج واشنطن وكارلوس وهما اثنان من عناصر فرقة موريس السود. ظهر جون ستاينر في دور قصير يؤدي فيه شخصية الكولونيل ويليام كاش، الضابط المجنون الذي يقود مربض مدفعية أمريكي في أحد الكهوف والذي يبدو بوضوح أن شخصيته قد صيغت على مثال شخصية المقدم كيلغور (روبرت دوفال) في فيلم «القيامة الآن». قدم فرانكو ميكاليتسي للفيلم موسيقى فانك كانت بعيدة كل البعد عن مضمونه.

أثبت الممثل البريطاني لويس كولينز أنه مناسب تماماً للاشتراك في هذا النوع من مغامرات الأدغال. وكان كولينز قد ظهر في السابق في السلسلة التلفزيونية البوليسية البريطانية «المحترفون» وفي فيلم «الفوز لمن يجرؤ»-

Who Dares Wins (١٩٨٢- «الخيار النهائي») الذي يتحدث عن القوات الخاصة البريطانية. ألهم نجاح فيلم المرتزقة الهوليوودي «الإوز البري» (١٩٧٩) فيلم «رمز العملية: الإوز البري» (١٩٨٤) لمارغريتي. وبمناسبة الحديث عن الإوز البري، فلا بد لنا من التذكير أن هذا الاسم كان يطلق على مرتزقة أيرلنديين تاريخيين. يستأجر رجل الأعمال الثري الهونغ كونغي تشارلتون (كلاوس كينسكي) خدمات الكابتن روبين ويسلي (كولينز) من أجل تنفيذ غارة على المثلث الذهبي تهدف إلى «إحراق بعض الأفيون». أما الخصم فكان زعيم الحرب الجنرال خان وجيشه المتوحش. وقد ضم مرتزقة ويسلي كلاً من كلاين (مانفريد ليمان) وستون (فرانك غلوبريخت) وقائد المروحية تشاينا ترافرس (لي فان كليف). يدمر فريق المرتزقة معمل الأفيون الذي يشغله الجنرال لكن مروحيتهم تتحطم ويغادرون البلاد سيراً على الأقدام برفقة كاثي روبسون (ميمسي فارمر) التي كانت أسيرة في المعمل وأصبحت مدمنة على المخدرات. لكنهم يكتشفون وجود مستودع آخر تكشف بيانات مخزنة على قرص حاسوبي أنه عائد لتشارلتون- الذي كان يخطط لرفع أسعار الهيروين. هكذا يجد فريق المرتزقة الذي كان عديده يتناقص باستمرار نفسه عالقاً وسط تبادل نيران بين جيش الجنرال وتشارلي، في موقف لم ينج منه سوى ويسلي وتشاينا وكاثي.

صور فيلم «رمز العملية: الإوز البري» في هونغ كونغ والفيليبين. وتضمنت المؤثرات الخاصة الواقعية التي قدمها مارغريتي سقوط قطار عن جسر واحتراق مروحية باستخدام قاذف لهب. لعب إرنست بورناين دور عميل مكافحة المخدرات فليتشر وهارموت نيوغباور دور ويليام برينر رئيس ويسلي المتورط بدوره في تجارة المخدرات. وكان ابن ويسلي قد توفي نتيجة تعاطيه الهيرويين وكان ويسلي يريد اجتثاث المسؤولين عن هذا الحادث المأساوي. قدم جان نيميك مقطوعة سينثيسايزر عزفها فريق الروك التقدمي

الألماني إيلوي (هـ. أركونا وهـ. ل. فلوبرت وك.ب. ماتاتزويل) على آلة من طراز ياماها. أما المقطوعة ذات النكهة الشرق آسيوية (تشبه موسيقى البوب اليابانية في الثمانينيات) فقدمت نغمات غيتار باس جوفاء وموسيقى فلوت خفيضة ونغمات سينثيسايزر. كما تظهر على فيلم «رمز العملية: الإوز البري» علامات التأثر بفيلم «القيامة الآن» (يمخر رجال ويسلي عباب النهر على متن قارب مدرع مزود بمدفع رشاش) ويقدم للجزء الثاني من فيلم «رامبو» (١٩٨٥) حيث يظهر المرتزقة المتعرقون مسلحين حتى الأسنان ومتسربلين بأحزمة الذخيرة. كما يرتدي فان كليف قبعة رعاة البقر ويناديه الناس باسم وايات إيرب وبدا عليه السرور بعودته إلى العمل في الأدوار التي ألفها. بدا كينسكي قوياً بدور تشارلتون الذي يموت محاطاً بالنيران وسط إمبراطورية الأفيون التي كان يديرها والتي كانت تلفها سحب كثيفة من الدخان على الرغم من أن اللكنة الإنكليزية التي استخدمت في دبلجة حواره في النسخة الدولية للفيلم كانت غير ملائمة. وقد ظهر لوشيانو بيغاتسو/ ألان كولينز بدور صغير لا ينسى أدى فيه شخصية جندي مرتزق سويسري يساعد المرتزقة ويصلبه الجنرال حياً. حقق فيلم «رمز العملية: الإوز البري» نجاحاً كبيراً حول العالم وقدم دعماً كبيراً لمتاجر شرائط الفيديو في الثمانينيات.

التقى كينسكي وكولينز مرة أخرى في فيلم «الكوماندوس النمر» (١٩٨٥) لمارغريتي الذي تمتع بمؤثرات خاصة تفوقت على تلك التي استخدمت في الفيلم الذي سبقه ونفذها مارغريتي (الذي يعمل اليوم مساعد مخرج مع والده) وابنه إدواردو باستخدام النماذج المصغرة. نتابع في المشهد الافتتاحي للفيلم مجموعة من رجال العصابات تغير على أحد السدود على إيقاع موسيقى مناسبة للجو قدمها غوران كوزميناك: أنغام مزامير وآلات وترية وأصداء أصوات الأدغال. يفجر المهاجمون السد بإطلاق النار عليه من مدفع رشاش لمروحية فتكنس المياه المتدفقة قافلة حكومية كانت تعبر جسراً.

لم يحدد الفيلم البلد الذي تجري فيه الأحداث باستثناء كونه بلداً في أمريكا اللاتينية مبتلى بثورة- صور مارغريتي الفيلم في الفيليبين وفنزويلا. لعب كولينز دور الثائر المثالي كاراسكو بامتياز. أما عصبة الثوار العنيدين التي يقودها والتي تضم ماريا (كريستينا دوناديو) ورجل المرتزقة الاسكتلندي سميثي (جون ستاينر)، فتقاتل القوات الحكومية التي تمشط الأدغال بحثاً عن معارضي الرئيس الديكتاتور رامون هوموزا (سوباس هيريرا). ويقود الميليشيات المناهضة للحكومة كولونيل متحمس يدعى سيلفيرا (كينسكي). لعب لوشيانو بيغوتسي دور رفيق قديم لوالد كاراسكو وهانز لوتنغير دور الرجل ذي الشاربين واليد اليمنى لسيلفيرا ومانفرد ليمان دور والد جوليا الذي يدير مستشفى في سان خوان.

خصص لفيلمي «رمز العملية: الإوز البري» و«الكوماندوس النمر» موارد مالية كبيرة بحسب رواية المنتج إيروين ديتريش: إذ تكلف كل منهما خمسة عشر مليون فرنك سويسري أنفق نصفها، في حالة فيلم «الكوماندوس النمر» على المؤثرات الخاصة. فبالإضافة إلى مشهد نسف السد الافتتاحي، نشاهد قاذف لهب لطائرة مروحية يهاجم قرية عزلاء كما كانت هناك غارة على خزان النفط في ماربيا (يفجره كاراسكو باستخدام قطار) وتبادل إطلاق نار في دير مهجور يقاتل كينسكي خلاله كالمجنون. عبر الفيلم عن وجهة نظره السياسية الراديكالية بوضوح تام وسط مشاهد الحركة التي حفل بها. إذ نشاهد بلطجية الحكومة يحرقون مستشفى ويطلقون النار على اللاجئين العزل الذين علقت حافلتهم في حقل ألغام. وفي أحد المطارات، يخطط كاراسكو لإسقاط طائرة ركاب تقل الرئيس هوموزا لكنه يتراجع عن هذه العملية، إلا أن أحد رجال سيلفيرا يسقط الطائرة بصاروخ مضاد للطائرات ليتبين أن الطائرة كانت تقل في الواقع مائة وخمسة وثمانين طفلاً ولم يكن الرئيس على متنها كي يتحول كاراسكو في نظر سيلفيرا إلى إرهابي. أضفت الموسيقى

التصويرية المزيد من العمق على الحدث الدرامي: فبالإضافة إلى موسيقى كوزميناك الأصلية، يستخدم الفيلم مقطوعات لموريكونيه، دون الإشارة إلى اسمه، مأخوذة من فيلم «حرب الجزائر»، في حين يؤدي الثنائي بوب ديلان وجوان بايز الأغنية الختامية.

ولعب كولينز وفان كليف دور البطولة في فيلم «القائد» (١٩٨٥) لمارغريتي كخصمين. وكان هذا الفيلم، كـــ«رمز العملية: الإوز البري»، إنتاجاً إيطالياً ألمانياً مشتركاً تم تصويره في الفيليبين. يرسل مهرب السلاح الكولونيل ماتساريني (فان كليف) مرتزقته بقيادة الميجور جاك كولبي (كولينز) إلى كمبوديا لمهاجمة مستودعات الأفيون التابعة للجنرال دونغ. بيد أن الأمر لم يكن أكثر من خديعة لأن ماتساريني كان في الواقع حليفاً لدونغ. لكن كولبي ورجاله، الذين يضمون وايلد بيل هيكوك (مانفريد ليمان)، ينجحون في مهمتهم ثم يقتلون ماتساريني. ضم الممثلون المساعدون كلاً من دونالد بليزانس وبريت هالسي وجون ساتينر وبول مولر وورومانو بوبو (الممثل البديل لفان كليف من أيام السباغيتي وسترن) في حين كانت بعض التفجيرات مأخوذة من فيلم «رمز العملية: الإوز البري».

كما أخرج مارغريتي فيلم «إينديو»- Indio (١٩٨٨) و«إينديو ٢: الانتفاضة»- Indio II: The Revolt (١٩٩٠) وهما فيلما مغامرات على طريقة رامبو تدور أحداثهما في أمريكا اللاتينية. وقد لعب فرنشيسكو كوين (ابن أنطوني كوين) بطولة الفيلمين بدور جندي مارينز سابق. وظهر الملاكم مارفن «الرائع» هاغلر بدور الرقيب أيرون ولعب بريان دينيهي دور المقاول الشرير في فيلم «إينديو» وتشارلز نابيير دور مقاول الطرق في الجزء الثاني. تميز الفيلمان بمقولاتهما «الإيكولوجية»: إذ نشاهد إينديو يحاول حماية الغابات المطرية من الدمار على يد الشركات الاستثمارية الشرهة التي تشق طريقها عبر هذه الغابات بالبلدوزرات والمناشر المجنزرة. حمل الفيلمان ما يمكن

تسميته بصمة رامبو من خلال البذات العسكرية المموهة التي يرتديها الأبطال ومن خلال جذوعهم المتعرقة التي تلتف حولها شرائط الذخيرة. عرف هذا النوع من المغامرات الحربية المليئة بالذخيرة والتمويه شعبية كبيرة حول العالم الأمر الذي جعله عرضة للمعالجة على الطريقة الإيطالية التي وصل بها الأمر إلى حد جعل المرتزقة واللاجئين في فيلم «حافلة الحرب»- Warbus (١٩٨٥) لفرديناندو بالدي، يفرون عبر أراض يسيطر عليها المتمردون على متن حافلة مدرسية صفراء اللون.

هرقل لم يتغير: الرجل المفتول العضلات يبعث حياً

حاول المخرجون الإيطاليون، طيلة السبعينيات والثمانينيات، إحياء سينما البيبلوم. ويعتبر فيلم «حسناء البرابرة»- The Beauty of The Barbarian (١٩٧٣- «حرب الأمازونيات») لألفونسو بريسكيا/ آل برادلي نموذجاً لهذه الفكرة المعتوهة كما أنه يعتبر إعادة لفيلم «الرائعون السبعة» الذي برز في حقبة الأفلام التاريخية. أما هنا، فالحقبة التي تدور فيها أحداث الفيلم هي مزيج غير محدد من اليونان القديمة وعصور الظلمات. يتم تجنيد زينو (لينكولن تات) مع ثلاثة من قطاع الطرق يقودهم ميدونتيس (ريكاردو بيتسوتي) لحماية إحدى القرى من الأمازونيات الهائجات. يضم طاقم الممثلين المساعدين فرانك برانيا وألبرتو ديلاكوا وبينيتو ستيفانيلي وابنه ماركو. يعتبر هذا الفيلم من ذلك النوع من الأعمال الذي يسيء لجنس سينمائي كامل، ليس بسبب إخراجه الرديء وأداء ممثليه السيء فحسب، بل لأنه يرتكب خطيئة البلادة الأصلية. ولم ينهض الفيلم من غفوته إلا في النهاية عندما تهاجم الأمازونيات القرية. ترتدي الأمازونيات أقنعة تغطي وجوههن الأمر الذي سمح لجيش من رجال الأعمال الخطرة بأداء مشاهد القتال بدلاً من الممثلات وهو أمر كان يمكن له أن ينجح لولا الشعر الذي يغطي سيقان الممثلين البدلاء وافتقارهم إلى الصدور الناهدة.

منح نجاح فيلمي أرنولد شوارتزينيغر «كونان البربري»- Conan The Barbarian (١٩٨٢) و«كونان المدمر»- Conan The Destroyer (١٩٨٤) المنتجين الإيطاليين الفرصة لإعادة تناول أفلام البيبلوم من منظور جديد. استخدم شوارتزينيغر في فيلميه بطلي بناء الأجسام ستيف ريفز وميكي هارغيتاي، وصور فيلم «كونان البربري» في إسبانيا (بما في ذلك كويداد إنكانتادا بالقرب من كوينكا). وكانت البداية السينمائية لشوارتزينيغر في فيلم «هرقل في نيويورك»- Hercules in New York (١٩٧٠) تحت اسم أرنولد سترونغ. لعبت بريجيت نيلسن دور البطلة وأرنولد شوارتزينيغر دور كاليدور الرجل البارع في استخدام السيف في فيلم «سونيا الحمراء»- Red Sonja (١٩٨٥) الذي أنتجه دينو دي لورينتيس، وصور الفيلم في تلال لاكويلا وفي لاتسيو وصمم أزياءه دانيلو دوناتي وكتب الموسيقى التصويرية الكورالية موريكونيه.

أما أقرب الأفلام الإيطالية إلى أفلام كونان، فهي سلسلة أفلام أتور التي لعب دور البطولة فيها مايلز أوكيف الذي عرف الشهرة من خلال أدائه لدور طرزان في فيلم «طرزان الرجل القرد»- Tarzan The Ape man (١٩٨١) الذي أخرجه بو ديريك. كان فيلم «أتور النسر المقاتل»- Ator The Fighting Eagle (١٩٨٢) لأستيريديه ماساتشيزي/ ديفيد ميلز أول أفلام تلك السلسلة وأفضلها. صور الفيلم في إيطاليا بما في ذلك شلالات مونتي جيلاتو وكهوف دي سالونيه. تدور أحداث الفيلم في «عصور الظلمات» حيث ينخرط أتور (أوكيف) في سلسلة من الأعمال الثأرية رداً على دمار قريته واختطاف عروسه سانيا (ريتزا براون) على يد داكار، كاهن العنكبوت الأكبر (يلعب دوره ممثل البيبلوم داكار). نفذ التصوير الفوتوغرافي للفيلم بطريقة مثيرة للإعجاب المصور السينمائي السابق ماساتشيزي ويتمتع الفيلم بأزياء ومؤثرات خاصة مبدعة وبممثلين حسني المظهر. فعلى الرغم من أن أوكيف بجسده الضخم وفكه الصلب يتمتع بالكاريزما التي تخوله لعب وحش زومبي،

إلا أنه بدا بشعر الأسد المستعار والدرع والسيف العريض مناسباً تماماً للدور والأمر نفسه ينطبق على ريتزا براون التي لعبت دور المرأة المحبوبة بجسدها الرشيق وتنورتها القصيرة وإدموند برودوم الذي لعب دور غريبا مرشد أتور. أما رفيقة أتور في رحلته فهي الأمازونية الشقراء رون التي لعبت دورها الممثلة الجميلة سابرينا سياني في حين ظهرت لورا جيسمر في دور الساحرة الجذابة المتزينة بالمجوهرات إيندون التي تكمن لأتور. أما أفضل ما في الفيلم فهو صديق أتور، الدب الرضيع كيوب الذي يتدحرج في خلفية الشاشة ويسرق الأضواء بخفة ظله في كل مشهد يظهر فيه.

يقاتل أتور في طريقه إلى مقصده أمازونيات وقطاع طرق وفرسان الملك العنكبوت السود ومحارباً ظلاً (كان بالفعل مجرد ظل على الجدار). يخترق أتور بجرأة أرض الأموات الأحياء (حيث يواجه مخلوقات الزومبي) نحو بركان الظلال للحصول على درع مودور (الذي يكسبه مناعة لا تقهر) وإلى كهوف المحاربين العميان الذين يكدون في أعمال الحدادة. وفي نهاية الفيلم، تقع سانيا في أسر شباك دمية العنكبوت الملكة التي تمد سيقانها مهددة قبل أن يهاجم أتور المسخ في مدرج معبد القدماء الخرب. وضع كارلو ماريا موسيقى الفيلم الملحمية كما لحن أنشودة تافهة بعنوان «الآن وقد وجدتك» تعزف عند ظهور التيترات الختامية للفيلم. تلت هذا الفيلم ثلاثة أجزاء: «سيد النصال»- Blade Master (١٩٨٢- «أتور الذي لا يقهر») و«المحارب الحديدي»- Iron Warrior (١٩٨٥- «أصداء السحر») و«البحث عن السيف الجبار»- Quest for The Mighty Sword (١٩٨٩- «أتور ٣: الغول»).

يبدو فيلم «يور- الصياد القادم من المستقبل»- Yor- The Hunter from The Future (١٩٨٣) لأنطونيو مارغريتي للوهلة الأولى قصة رجل كهف. إذ يبدأ الفيلم بيور الذي يرتدي مئزراً ويضع حول عنقه ميدالية (لاعب كرة القدم السابق الأشقر والملاكم السابق ريب براون) محتجزاً في

سيناريو شبيه بفيلم «مليون عام قبل الميلاد» وهو ينقذ امرأة الكهف البطلة كالا (كورين كليري) قبل أن تصبح وجبة غداء للديناصورات. يخوض يور وكالا وحارسها بيغ (ألان كولينز) غمار الأرض المهجورة- سيراً على الأقدام ثم على متن طود وقارب- طلباً لاكتشاف أجداد يور في رحلة تقودهم إلى صحراء أرض الموبوئين وإلى جزيرة يحكمها «الإقطاعي» (جون ستاينر) وجيشه المؤلف من رجال نصفهم بشر ونصفهم آلات (يشبهون دارث فادير). ثم يتبين لنا أن الأمر لا يدور حول عالم ما قبل التاريخ، بل يتناول حقبة تلي كارثة نووية دمرت العالم ونجا منها سكان الكهف وسكان الصحراء. يخطط الإقطاعي لغزو الأرض الرئيسية بجيشه وإعادة ملء العالم بذرية يور وكالا، حيث يقول الإقطاعي ليور بلهجة احتفالية: «سوف تموت بعد أن تخصب هذه المرأة!».

استطاع فيلم «يور- الصياد القادم من المستقبل»، بحبكته المتقنة على نحو مباغت أن يجمع الهمين التوأمين اللذين يشغلان بال صانعي السينما الإيطاليين وهما البيبلوم والخيال العلمي. صور مارغريتي الفيلم في تركيا. ويستطيع المشاهد أن يتكهن منذ سماعه الأغنية الافتتاحية لديفيد بوي وفرقة دوران دوران أن يدرك أن يور واقع في ورطة. وقد حملت هذه الأغنية اسم «عالم يور» ووضع الأخوان دي أنجيليس لحنها. كان «عالم يور»- Il Mondo Di Yor في الأصل سلسلة تلفزيونية إيطالية من أربع حلقات تم اختزالها إلى فيلم ناطق بالإنكليزية مدته ساعة ونصف. وقد استبدلت هذه النسخة المختصرة جزئياً بالموسيقى التصويرية الأصلية ألحاناً جديدة لجون سكوت. يتعلق يور في هذا الفيلم بساقي خفاش عملاق محولاً إياه إلى طائرة شراعية ويؤدي برفقة باغ حركة تأرجح جسورة تهدف إلى تخطي هوة سحيقة. أما ذروة الفيلم فيعود خلالها الناجون من انفجار آخر إلى الأرض الرئيسية على متن طائرة مقاتلة نفاثة. لعبت كارول أندريه دور إينا المتمردة التي تخطط للإطاحة بالإقطاعي وعايشة غول دور أميرة الصحراء

ريا، حبيبة يور في الأوقات التي لا يواعد فيها كالا. وقد أصبح لهذا الفيلم، كالعديد من أفلام الثمانينيات الإيطالية على هذه الشاكلة، عدد كبير من العشاق الذين يتابعونه بداعي الإحساس بالذنب فحسب.

نال بطل كمال الأجسام لو فيريغنو بطولة العالم عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤ وحظي بشهرة كبيرة من خلال تجسيده شخصية هالك في السلسلة التلفزيونية الأمريكية الشهيرة. كما ظهر في إيطاليا في إعادة لفيلم "الرائعون السبعة" حملت اسم "المجالدون الرائعون السبعة" (١٩٨٣) الذي وظف العديد من رجال البيبلوم الأقوياء (براد هاريس، جيوفاني شيانفريليا، سال بورغيريه، دان فاديس) وماندي رايس ديفيس (التي عرفت الشهرة بعد تورطها في فضيحة بروفومو). كما لعب فريغنو دور هرقل في استعادتين لاثنين من كلاسيكيات ستيف ريفز. يتخذ فيلم "هرقل"- Hercules (١٩٨٣) للويجي كوتسي شكل كتاب قصص مصورة مبهرج يجمع البيبلوم بالخيال العلمي ويدين بالقليل إلى عالم الميثولوجيا اليونانية وبالكثير إلى ولع كوتسي بالمؤثرات الخاصة التي تستخدم أضواء الديسكو. تدور أحداث الفيلم «في طيبة أثناء العصر البرونزي قبل أربعة آلاف سنة» حيث يستدعى هرقل لإنقاذ كاسيوبيا (إنغريد أندرسون) وسيف طيبة المقدس من جزيرة ثيرا التي يحكم فيها الملك مينوس (ويليام برغر) مدينة أتلانتيس مع صديقته الشريرة أدريانا (الأمازونية كلية الحضور سيبيل دانينغ المعروفة بأدائها أدواراً كثيرة من هذا النوع).

كان فيلم «هرقل» تجربة سينمائية سوريالية تم فيها إيقاف كل أشكال المنطق عن العمل كما لو أن كتاب السيناريو وضعوا عناصر أحضروها من عشرين فيلماً مختلفاً في قبعة ثم بدؤوا يخرجونها منها بصورة عشوائية، فنجد في الفيلم إشارات إلى كونان وسيف الملك أرثر الأسطوري وسفر التكوين وقصة موسى في الكتاب المقدس و«حرب النجوم» وأفلام البيبلوم والوسترن

ومقادير متفاوتة من قصص ميثولوجية منتقاة (بما في ذلك صندوق باندورا). كما يعيش الإله زيوس (كلاوديو كاسينيلي) وهيرا (روزانا بوديستا) وأنتيا (ديليا بوكاردو)، بحسب فيلم «هرقل» هذا، على سطح القمر وليس في جبل الأولمب.

صور فيلم «هرقل» في استديوهات دي باوليس وإيليوس ومختبر فالكودا وفي مواقع شهدت في السابق تصوير أفلام البيبلوم: معبر تولفا وكهوف سالونيه. يذكرنا تصميم الإنتاج الزاهي والتصوير السينمائي المبهرج بفيلم «فلاش غوردون» - Flash Gordon (١٩٨٠) لدينو دي لورينتيس. كما تذكرنا الموسيقى المدوية التي صنعها بينو دوناجيو بموسيقى فيلم «حرب النجوم» وتكاد الحقول النجمية والكواكب والنيازك تكون مأخوذة من فيلمي «اصطدام النجوم» و«باربابريلا» لكوتسي. إذ كان الفيلم غارقاً بالتشكيلات اللونية التي يظهر فيها قوس قزح وكهوف ضبابية بالإضافة إلى ميناء مدينة أتلانتيس الغارق بالخضرة وتمثال ضخم على شاكلة تمثال رودوس. أما أحداث الفيلم، فيتناولها بانتظام مقيت صوت وقور يصف كل جزء من أجزاء الحبكة. يقاتل هرقل في رحلته عبر المجرات ذبابة آلية عملاقة وهيدرا آلية ثلاثية الرؤوس وعنقاء بركانية وسنتوراً ميكانيكياً. ثم يزور جبل الجمجمة الواقع في الجحيم ويقذف الدببة إلى الفضاء الخارجي ويطير عبر الكون مستخدماً عربة بروميثيوس المجنحة ويتسبب بحصول انزياح قاري ينجم عنه انفصال أوروبا عن أفريقيا.

وقد ضمنت الشعبية التي اكتسبها فيريغنو والمؤثرات الخاصة الأنيقة والأزياء الكاشفة (الزي القرباني القصير الذي ترتديه كاسيوبيا والأثواب الكاشفة للصدر التي ارتدتها دانينغ) استمرار الاهتمام بشخصية «هرقل». والواقع أن فيرينغو يتمتع بحضور طاغ لا ريب فيه على الشاشة جعل فيلم «هرقل» أفضل أفلام البيبلوم المتأخرة تلك، ودفع كوتسي إلى تصوير كافة

الأعمال البطولية التي يؤديها بالحركة البطيئة. ويذكر من مجموعة الممثلين المساعدين الذين شاركوا في الفيلم براد هاريس (الملك أوجياس) وميريلا دانجيلو (الساحرة سيرس) وجياني غاركو (فالكيوس الشرير) وراف بالداساريه (سوستراتوس) وإيفا روبينز (ديدالوس، معبودة مينوس). وقد أضفى حضور عدد من ممثلي البيبلوم في الفيلم مثل غاركو وبالداساريه وهاريس وبوديستا (هيلين في نسخة عام ١٩٥٥ من فيلم «هيلين طروادة») المزيد من المرح على الفيلم.

قتل الملك مينوس إثر مبارزة عنيفة ومثيرة بالسيف، لكن كوتسي أقامه من الأموات في فيلم «مغامرات هرقل»- The Adventures od Hercules (١٩٨٤- «هرقل ٢») الذي يكون على هرقل (فيريغنو) فيه أن يستعيد صواعق زيوس السبعة التي سرقها الآلهة المرتدون، فلورا (لورا لينتزي) وهيرا (ماريا روزاريا أوماجيو) وأفروديت (مارغي نيوتن) وبوسيدون (ناندو بوجي)، الذين يحيون مينوس، أحد الأسلاف الأوائل لـــ «العلماء الأشرار»، الذي يتحالف مع ديدالوس (إيفا روبينز) ويضع القمر على مسار تصادمي مع كوكب الأرض. وعلى الرغم من أن فيلم «مغامرات هرقل» يستخدم الكثير من اللقطات المأخوذة من سابقه، إلا أنه لم يكن مسلياً بقدره. إذ تتسبب أضواء الديسكو البراقة بإصابة المتفرج بالصداع وهو الأثر نفسه الذي تتركه موسيقى دوناجيو الصاخبة (تم أخذها بالكامل من الفيلم الأول). يقاتل هرقل مجموعة من المسوخ كان منها إله النار الكهربائية أنتيوس وشعب الطين وقرد عملاق وامرأة بالغة الدمامة تدعى أورياليه (سيرينا غراندي) والفارس تارتاروس في غابة الأرواح المتدلية (في مشهد يشبه فيلم «مونتي بايثون») وسكان كهف مضاء بالفوسفور ومقاتلات أمازونيات بقيادة الملكة العنكبوت أراكنيه (باميلا براتي). يرافق هرقل في رحلته كل من أورانيا (ميلي كارلوتشي) وغلاوشيا (سونيا فيفياني)، آخر عذراوات فاجيستا، على الرغم من أنهما عجزتا عن سد

الثغرة التي خلفها غياب دانينغ. عاد كاسينيلي إلى الفيلم بدور زيوس وراف بالداساريه بدور المحارب غوروس وفينانتينو فينانتيني بدور كبير كهنة أنتيوس وكارلا فيريغنو (تحت اسم كارلوتا غرين المستعار)، زوجة فيريغنو ومديرة أعماله، بدور الإلهة أثينا. كما قدم الفيلم الشكر للنادي الصحي الأمريكي في روما على الجهد الذي بذله في تدريب لو وهذا النادي هو على ما يبدو المكان الذي أضاع فيه صانعو الفيلم نصه.

وظهر في تلك الفترة فيلم آخر يقلد أفلام البيبلوم هو فيلم «كاليغولا» (١٩٧٩) لتينتو براس الذي مولت إنتاجه شركة بنتهاوس. يحاكي هذا الفيلم، الذي يمكن تصنيفه على أنه فيلم «جنس وصندل»، فيلم فيليني «ساتيريكون» بطريقة تجارية ويشارك فيه مالكولم ماكدويل وبيتر أوتول وجون جيلغود وهيلين ميرين وتيريزا آن سافوا. وقد أدى نجاح هذا الفيلم إلى ظهور سلسلة من الحلقات كما هو متوقع- فقد أعاد برونو كوربوتشي استخدام ديكورات كين آدام في استديوهات دير وأزياء دانيلو دوناتي في فيلم كوميدي جنسي بعنوان «ميسالينا، ميسالينا!»- Messalina, Messalina! (١٩٧٧- «كاليغولا: خطايا روما» أو كذلك «كاليغولا ٢»). ويعتبر فيلم «الملكة المحاربة»- Warrior Queen (١٩٨٦) الذي تلعب سيبيل دانينغ فيه دور بيرنيس وهي سفيرة تزور بومبيي في الثاني والعشرين من آب عام ٧٩ للميلاد نموذجاً على هذا النوع من الأفلام. لعب دونالد بليزانس دور الحاكم كلوديوس وريتشارد هيل دور البطل مفتول العضلات ماركوس وماركو توليو كاو دور خصمه جولياث، كما ضم الفيلم طاقماً من فتيات البلاي بوي يرتدين ملابس مختصرة وعارضين طليت أجسادهم بالزيت. وعلى الرغم من أنه لا يوجد في حبكة هذا النوع من الأفلام ما يميزها بصورة جوهرية عن حبكات أفلام البيبلوم في الستينيات- من عبيد وحفلات مجون ومعارك تدور بين المجالدين- إلا أن العري والدماء في أفلام «الجنس والصندل» هذه كانت

أكثر صراحة. وأخيراً نذكر أن مشاهد الثوران البركاني في فيلم «الملكة المحاربة» مأخوذة برمتها من فيلم «آخر أيام بومبيي» (١٩٥٩) وتم استكمالها بلقطات لستيف ريفز.

أسعدني التهامك: الموندو وأكلة لحوم البشر

تعتبر أفلام أكلة لحوم البشر أكثر حلقات السينما التجارية الإيطالية إثارة للجدل. فقد صنفت بريطانيا، وكانت محقة في ذلك، الكثير من هذه الأفلام على أنها أفلام «شنيعة» وهي لا تزال حتى اليوم قادرة على استفزاز المشاهدين وإثارة الغضب والانقسام في أوساطهم. تدور أحداث أفلام أكلة لحوم البشر في أدغال غير محددة وتضع أبطالها البيض في مواجهة «أقوام مفقودة» أصلية حين يقوم الأجانب المتطفلون باستغلال السكان الأصليين ومعاملتهم بوحشية فيكون انتقامهم مريعاً ويقوم في غالبية الأحيان على طهو المعتدين والتهامهم.

ولدت أفلام آكلي لحوم البشر الإيطالية من جنس من الأفلام الوثائقية مثير للصدمة ظهر في الستينيات يتناول سلوكيات البشر والحيوان حول العالم- ومن هنا جاء مصطلح موندو - ويصور كل ما يمكن تصوره من أشكال الحياة البرية والطقوس القبلية وممارسات الطهو المروعة وصولاً إلى صيادي البشر وأسواق الرقيق وراقصات التعري والمتشبهين بالنساء. يعتبر فيلم «عالم كلبي»- Mondo Cane (١٩٦٢) لغوالتييرو جاكوبيتي الصاعق الذي أطلق هذه الموجة من الأفلام. وقد رشحت أغنيته «المزيد» لريتز أورتولاني- التي تناوب على غنائها فرانك سيناترا وألما كوغان وروي أوربيسون ودوريس داي، لجائزة أوسكار أفضل أغنية. أتبع جاكوبيتي هذا الفيلم بجزء ثان بعنوان «عالم كلبي ٢» (١٩٦٣). عرض العملان في الولايات المتحدة بأسلوب «فيلمان بسعر فيلم واحد» وقدمهما جيري غروس على أنهما «أكثر الأفلام الحسية

فضحاً للجوانب الغريبة من الحياة». إذ يفخر فيلم «عالم كلبي» بتقديم «جرائم السحر العاري» في حين يعد الجزء الثاني بـــ «تقديم كهنة تلتهمهم النيران!» و«طقوس أكل لحوم البشر في عالم اليوم».

جال مخرجو أفلام الموندو بكاميراتهم حول العالم في بحث محموم عن أكثر اللقطات تطرفاً. فقد صنع جاكوبيتي فيلم «وداعاً أفريقيا»- Africa Addio (١٩٦٦) الذي غير اسمه لدى عرضه في الولايات المتحدة إلى «الدماء والأحشاء في أفريقيا». ويذكر من أفلام الموندو الأخرى فيلم «تابوهات العالم»- Taboos of The World (١٩٦٣- التعليق لفنسنت برايس) و«عالم مجنون»- Mondo Balordo (١٩٦٣- التعليق لبوريس كارلوف). وتزعم الإعلانات المفرطة لفيلم «كواهيري»- Kwaheri (١٩٦٥) أن الفيلم «أفضل من عطلة تكلف عشرة آلاف دولار!» وتعد الجمهور بـــ«برؤية ما لم يروه من قبل» في «أرض الجنون وأكواخ القش». ويعرض فيلم «تجارة الرقيق في العالم اليوم»- Slave Trade in The World Today (١٩٦٤) صور هياكل عظمية لعبيد فارين قذفها الموج إلى الشاطئ وتجرها سرطانات عملاقة. أما باولو كافارا الذي شارك في إخراج «عالم كلبي»، فأزال الفواصل بين اللقطات الحقيقية واللقطات التمثيلية، في تصرف مثير للجدل كان كفيلاً بإطلاق أفلام آكلي لحوم البشر من عقالها. فقد لعب فيليب لوروا، في فيلمه «عين برية»- Wild Eye (١٩٦٧) دور مخرج يزيف مشاهد موندو من أفريقيا وآسيا وفيتنام.

وإلى جانب هذا النوع من الأفلام الوثائقية، برزت سلسلة من أفلام العالم في الليل التي تضمنت، بدورها، لقطات واقعية. وقد ساهم جاكوبيتي في هذا النوع من الأفلام في فيلم «أوروبا في الليل»- Europe by Night (١٩٥٩) ثم كتب فيلم «العالم في الليل»- The World by Night (١٩٦٠) الذي عرض ملهى الحصان الجامح في باريس وملهى ملكة النحل في طوكيو.

أما الجزأين الثاني والثالث من هذا الفيلم، فقد دمجا في الولايات المتحدة تحت اسم «إيكو»- Ecco (١٩٦٥). وتنتمي إلى النوع السينمائي نفسه بصورة أو بأخرى أفلام مثل «نساء العالم»- Women of The World (١٩٦٣) و«العالم العاري»- Mono Nudo (١٩٦٣) و«التحريم المثير»- Sexy Proibitissimo (١٩٦٣) و«إلى الأمام أيها العالم!»- Go! Go! Go! World (١٩٦٤) و«عالم أحمق»- Malamondo (١٩٦٤) و«عالم إيروتيكي»- Mondo Erotico (١٩٧٧) والوثائقي المعروف الذي يتناول سيرة الممثلة الأمريكية جاين مانسفيلد «عالم جاين مانسفيلد الوحشي» (١٩٦٨). مزجت أفلام آكلي لحوم البشر مكونات متنوعة من أفلام الموندو- العري، الأدغال، الحيوانات، الدم، الطقوس- في وعاء واحد مريع.

يعتبر فيلم «متوحشو النهر»- Deep River Savages (١٩٧٢- «رجل النهر العميق» أو كذلك «الأضحية») لأومبرتو لينزي أول أفلام آكلي لحوم البشر ذات الشأن. يفر المصور الفوتوغرافي البريطاني جون برادلي (إيفان راسيموف) المتخصص بالحياة البرية من بانكوك بعد أن طعن رجلاً أثناء شجار في إحدى الحانات باتجاه الأدغال حيث تلقي القبض عليه قبيلة بدائية تعيش على ضفاف النهر وفي ظنها أنه مسخ مائي بسبب بذة الغطس والزعنفتين التي يرتديها فيتم تقييده ووضعه في شبكة. لكن برادلي ينال الاحترام من خلال علاقته بإحدى فتيات القبيلة وتدعى مارايا (مي مي لاي) إلى أن يتزوجها ويتحول إلى زعيم قبلي.

يعتبر فيلم «متوحشو النهر» من حيث المبدأ إعادة لفيلم الوسترن الشهير «رجل يدعى الحصان» (كان يمكن لاسم الفيلم أن يكون «رجل يدعى التمساح») بسبب المحاكمات المتنوعة التي يخضع لها برادلي. إذ يتم صلبه على آلية دوارة مصنوعة من القصب مع تقييد رأسه في حين يرميه المحاربون بنبال صغيرة من أنابيب نفخ. يضم الفيلم مشاهد عديدة يتم فيها تعذيب الحيوانات

وقتلها (أزيلت من الطبعة البريطانية) والكثير من العري تقدمها على وجه الخصوص مقدمة البرامج التلفزيونية السابقة لاي التي يدير جمالها الأوراسي رؤوس كافة رجال القبيلة. أما مشاهد أكل لحوم البشر فكانت قليلة على الرغم من قسوتها وتتركز على وجه الخصوص في المشاهد التي تقوم خلالها قبيلة مجاورة من «الهمج» آكلي اللحوم بإحراق القرية تاركين لبرادلي مهمة إعادة إعمارها بعد موت ماريا. كانت موسيقى البوب الأوروبي العذبة التي قدمها دانييليه باتوكي لتكون مناسبة أكثر لملهى ليلي في حين قدمت عدسة ريكاردو بالوتيني السينمائية تايلند على شكل كتاب رحلات مصور.

وأخيراً، اشتد عود مغامرات أكل لحوم البشر في «العوالم المفقودة» وازدهرت مشاهدها التشريحية مع فيلم «عالم آخر آكلي لحوم البشر»- Last Cannibal World (١٩٧٧- «الناجي الأخير» أو «آكل لحوم البشر!» أو كذلك «محرقة الأدغال») لروجيرو ديوداتو الذي تفتش فيه شركة نفط عن منقبين فقدت آثارهم في إحدى جزر الفيليبين وتعثر على ما لم يدر في خلدها. إذ وقع رجال الشركة في قبضة رجال قبائل بدائيين عذبوهم بوحشية ثم التهموهم. ومرة أخرى تلعب لاي دور إحدى فتيات القبيلة في حين لعب ماسيمو فوسكي وإيفان راسيموف دور البطلين.

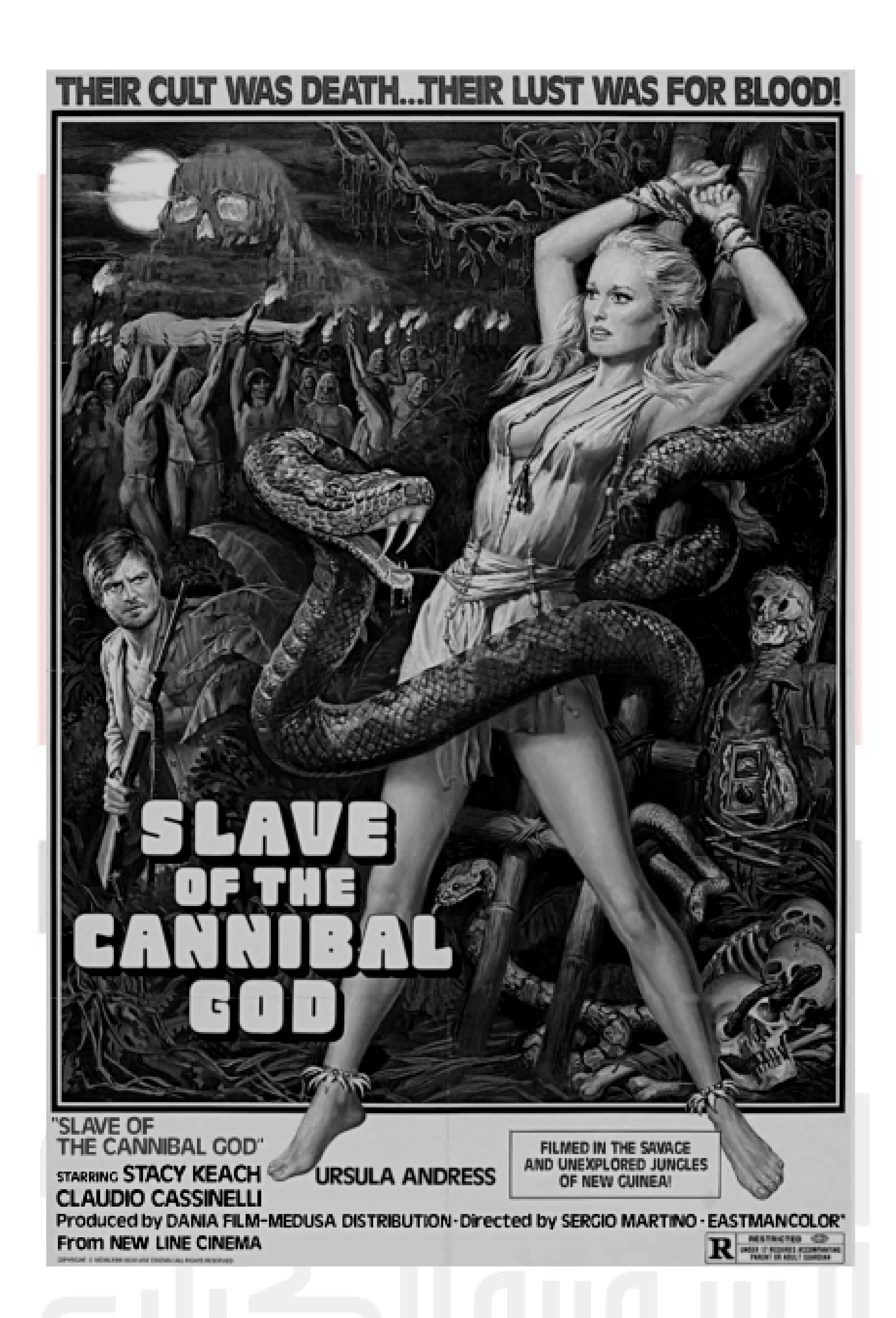
وأتبع ديوداتو فيلمه هذا بفيلم آخر هو «محرقة آكلي لحوم البشر»- Cannibal Holocaust (١٩٧٩) الذي يختفي فيه طاقم كان يعمل على تصوير فيلم وثائقي- ألان ياتيس (غابرييل يورك) وفاي دانييلز (فرنشيسكا شيرادي) ومارك تاماسو (لوكا باربارسكي) وجاك أندريس (بيري بيركانن)- في إحدى غابات الأمازون، قبل أن يكتشف الفريق المكلف بالبحث عنهم بقايا الصحفيين واللقطات التي صوروها والتي تؤرخ تفاصيل موتهم المريع على يد آكلي لحوم البشر- إذ كان الصحفيون قد حرضوا الرجال القبليين على ارتكاب العنف فانقلب السحر على الساحر. يعتبر فيلم «محرقة آكلي لحوم البشر« فيلماً تجارياً بامتياز

يقوم على استغلال العنف والقسوة اللذين بلغا فيه حدوداً غير مسبوقة أحدثت صدمة كبيرة في أوساط المتفرجين ولا تزال تحتفظ بهذا الأثر الصادم حتى اليوم. أعاد فيلم «مشروع الساحرة بلير»- The Blair Witch Project (١٩٩٩) استخدام تقنية «فيلم في قلب فيلم» بنجاح أقل من خلال العدسة المهتزة التي تصور بأسلوب وثائقي على الرغم من أن هذا الأسلوب يعود في الواقع إلى فيلم «كالتيكي- الوحش الخالد» (١٩٥٩) لماريو بافا. أثار فيلم ديوداتو موجة من الغضب لدى عرضه وصنف في بريطانيا على أنه أحد الأفلام الشنيعة الرئيسية وهو تصنيف عزز سمعته بوصفه أعنف أفلام العنف الدموي وأشدها إثارة للجدل وتعرض الفيلم للكثير من النقد القاسي في وسائل الإعلام على الرغم من زعم ديوداتو أن كل ما أراده كان مجرد إخراج فيلم عن آكلي لحوم البشر.

كانت مخاطر التجوال في الأدغال والعنف القوي والتصوير القريب والدماء والأحشاء من العناصر الشائعة في أفلام آكلي لحوم البشر. وكانت المشاهد الترويجية لهذه الأفلام تتضمن أعمال عنف واعتداء وتعذيباً يتعرض لها أبطال الفيلم البيض على أيدي آكلي لحوم البشر- في مزيج رهيب من استئصال الأعضاء وبتر الرؤوس والأطراف والجماع وانتزاع الأحشاء والكثير من الممارسات المشابهة. وعاد لينزي إلى النوع نفسه مرة أخرى مع فيلم «أكل حياً!»- Eaten Alive (١٩٨٠- مع راسيموف ولاي مرة أخرى) الذي يروي قصة بحث شيلا موريس (جانيت أغرن) ورجل المرتزقة مارك باتلر (روبرت كيرمان) عن شقيقة شيلا التي اختفت في غينيا الجديدة. كما أخرج لينزي فيلم «المفترس» Cannibal Ferox (١٩٨١) الذي هو نسخة طبق الأصل عن أفلام سابقة تدور حول القصص المهلهلة نفسها وعرف كذلك باسم «دعهم يموتون ببطء». وبدوره التحق مارغريتي بالقطار المنطلق مع فيلم «قيامة آكلي لحوم البشر»- Cannibal Apocalypse (١٩٨٠) الذي دمج فيه رعب آكلي لحوم البشر بإثارة الحرب في فيتنام. كما لم يستطع خيسوس فرانكو- ككل الآخرين- أن يدع

هذا النوع السينمائي يمر دون أن يضع لمسته عليه من خلال فيلم «عالم آكلي لحوم البشر»- Mondo Cannibale (١٩٧٩) و«صياد البشر»- The Man Hunter (١٩٨٠). ولعبت لورا جيمسر دور الصحفية إيمانويل في فيلم «إيمانويل وآخر آكلي لحوم البشر»- Emanuelle and The Last Cannibals (١٩٧٧- «مغامرة إيمانويل في الأمازون») إلى جانب زوجها غابرييليه تينتي ودونال أوبريان ونييفيس نافارو/ سوزان سكوت الذين يبحثون عن قبيلة مفقودة من آكلي لحوم البشر في أدغال الأمازون.

وحقق فيلم «جبل الإله آكل لحوم البشر»- The Mountain of The Cannibal God (١٩٧٨- «سجين الإله آكل لحوم البشر» أو كذلك «عبد الإله آكل لحوم البشر») لسرجيو مارتينو نجاحاً تجارياً معقولاً مقارنة بهذه الفئة من الأفلام، وتبحث فيه سوزان ستيفنسون (أورسولا أندرس) مع شقيقها أرثر (أنطونيو مارسينا) عن زوجها في إحدى جزر غينيا الجديدة برفقة مرشدهما الدكتور إدوارد فوستر (ستايسي كيتش). كتب الأخوان دي أنجيليس الموسيقى التصويرية للفيلم الذي يقدم الشكر لملبوسات ألبانيزيه على «لباس الآنسة أندرس الجلدي». وقد أعلن، في هذا الفيلم، الرجال المحليون بأجسادهم التي يكسوها الطين وشعرهم الأشعث عن أندرس بوصفها إلهة آكلي لحوم البشر التي يكسو جسدها العاري طلاء بني. تحول الفيلم بنسخته المنقحة إلى فيلم مغامرات أدغال عادي- لم يكن ينقصه سوى طرزان. لم تعش موجة سينما آكلي لحوم البشر على قسوتها طويلاً إلا أن مقص الرقيب كان حاسماً بشأنها. فالعنف في هذا النوع من الأفلام وافر وقوي ومشاهد المعاملة الوحشية للحيوانات حقيقية ومثيرة للحنق. وعلى الرغم من أن أشكال الرعب الإيطالية الأخرى- كأفلام الزومبي وأفلام الجيالي- كانت مفعمة بالعنف الدموي، لكن المتفرج كان قادراً على الدوام أن يعزي نفسه قائلاً: «إنه مجرد فيلم. ولا بد أن أياً من مخلوقات الزومبي هذه لم تصب بأذى أثناء تصويره».



الملصق الأمريكي لفيلم «جبل الإله آكل لحوم البشر» (١٩٧٨) لسرجيو مارتينو تحت أحد الأسماء البديلة الذي تخوض فيه أورسولا أندرس حملة بحث في غينيا الجديدة المبتلاة بالأفاعي

جثث متحركة: الأموات الأحياء

كانت أفلام الزومبي الإيطالية أقل عدداً من أفلام آكلي لحوم البشر على الرغم من أنها لم تكن أقل تنفيراً من الناحية البصرية. أرانا فيلم رعب بعنوان «طاعون الزومبي»- Plague of The Zombies (١٩٦٦) أمواتاً تحييهم طقوس الفودو في أحد المناجم البريطانية المهجورة، لكن فيلم «ليلة الأحياء الأموات»- Night of The Living Dead (١٩٦٨) لجورج روميرو أثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك وجود حياة بعد الموت عندما نشاهد بأم أعيننا جثثاً مهترئة تعود إلى الحياة وتبدأ بالتهام الأحياء. ويضع فيلم «الأحياء الأموات في مشرحة مانشستر»- The Living Dead in The Manchester Morgue (١٩٧٤) الإيطالي الإسباني رجل الشرطة أرثر كينيدي في مواجهة راي لوفلوك في مقاطعة لايك التي يعود الأموات فيها إلى الحياة بسبب مبيد حشري قيد التجربة. كانت مانشستر، بالنسبة إلى المنتج الإيطالي إدموندو أماتي، «مكاناً نائياً غامضاً»، على الرغم من أن المخرج جورغ غراو رغب في تصوير الفيلم في غلاسكو. وقد صورت غالبية مشاهد مقاطعة لايك المخيفة في مقاطعة بيك في الواقع. وحمل الجزء الثاني من فيلم «ليلة الأحياء الأموات» لروميرو اسم «فجر الأموات»- Dawn of The Dead (١٩٧٨) وكان إنتاجاً إيطالياً أمريكياً مشتركاً موله جزئياً كل من كلاوديو أرجنتو وألفريدو كوومو. شارك داريو أرجنتو في الفيلم بصفة مستشار في كتابة النص، إلا أن عبارة «داريو أرجنتو يقدم» تصدرت ملصقات الفيلم الإيطالية. قدمت فرقة غوبلين موسيقى الفيلم التي برزت بصورة خاصة في الطبعة الإيطالية والتي حملت اسم «زومبي».

طلب منتجا شركة فاريتي فيلم أوغو توتشي وفابريتزيو دي أنجيليس من إنزو كاستيلري إخراج جزء آخر من فيلم روميرو لكنه رفض ذلك، فتولى المهمة لوشيو فولشي وهو مخرج معروف بأفلامه المزعزعة مثل «لا تعذب بطة». حمل الفيلم في بداية الأمر اسم «جزيرة الأحياء الأموات»، قبل أن يعرض في إيطاليا



الملصق الإيطالي لفيلم «زومبي ٢» (١٩٧٩) - المعروف كذلك باسم «الزومبي آكلو لحوم البشر» للوشيو فولشي. ويظهر في الملصق محجر عين تقطنه الديدان صنعه سيد المؤثرات الخاصة جيانيتو دي روسي

عام ١٩٧٩ باسم «زومبي ٢» وفي ألمانيا باسم «فودو» وفي الولايات المتحدة باسم «زومبي» وفي المملكة المتحدة بأكثر العناوين استفزازاً وهو «الزومبي آكلو لحوم البشر».

تجنح سفينة غامضة إلى مرفأ نيويورك فيتحراها خفر السواحل، لكن مخلوق زومبي بدين يهاجمهم (الكابتن أرثر هاغيرتي) ويقتل رجلاً واحداً قبل أن يختفي. يقوم رئيس تحرير إحدى الصحف (فولشي نفسه) بإرسال الصحفي بيتر ويست (أيان ماكلوخ) للتحقيق في الأمر. يلتقي ويست آن باولز (تيزا فارو شقيقة ميا) التي كان والدها الذي يملك سفينة قد اختفى في جزر الأنتيل الكاريبية بعد زيارة لجزيرة مانتول التي لا يرد ذكرها على الخرائط. هكذا يتطفل بيتر وآن على اثنين من المصورين البحريين هما بريان هال (بيير لويجي كونتي/ آل كليفر) وزوجته سوزان (أوريتا جيانونيه/ أوريتا غاي) لإيصالهما إلى مانتول التي كان الدكتور ديفيد مينارد (ريتشارد جونسون) يكافح فيها وباء ينحي المحليون بلائمته على سحر الفودو- يبعث الأموات بنتيجته أحياء. تقتل باولا (أولغا كارلاتوس) زوجة مينارد في منزلها ويتم افتراسها (في مشهد وحشي تم حذفه في الكثير من الطبعات). ومع وصول بيتر وصحبه، يحاصر الأموات مستشفى مينارد.

يعتبر فيلم «الزومبي آكلو لحوم البشر» تحفة الأفلام التي صنعها فولشي: فهو فيلم رعب بارع يبعث على الإقياء ويتميز بمؤثرات خاصة استثنائية وبمشاهد واقعية. صور فولشي الفيلم في أجواء غرائبية- فلا مركز تسوق هنا، بل أشجار نخيل تملأ تلك الجنة الاستوائية. صور سرجيو سالفاتي الفيلم بعدسة عريضة قياس ٢,٣٥:١ بين شهري حزيران وتموز ١٩٧٩ في نيويورك وفي جزيرة سانتو دومينغو في الأنتيل في حين صورت المناظر الداخلية في استديوهات إيليوس في روما. تعرض لنا مشاهد فلاش باك ما كان عليه مستشفى الدكتور مينارد قبل حلول الوباء- نظيف ولماع يعمه البياض. أما الآن، فقد صار مكاناً نتن الرائحة تعمه القذارة وتنتشر فيه جثث ملفوفة بالأكفان. تراوحت الموسيقى التي قدمها فابيو فريتسي وجيورجيو توتشي بين أنغام الفودو النقرية المخيفة وموسيقى الشارة البطيئة التي تبدأ

بنبرة شبه ترتيلية مخففة تتطور بالتدريج إلى موسيقى إلكترونية ذات طابع غوبليني. يذكر من الممثلين المساعدين داكار بدور لوكاس مساعد مينارد وستيفانيا داماريو بدور ممرضة وفرانكو فانتازيا بدور الأب ماتياس. أما مخلوقات الزومبي فقد لعب دور العديد منهم الإخوة ديلاكوا - ألبرتو وأرنالدو وروبرتو وأوتافيانو - وهم جميعاً من رجال الأعمال الخطرة.

نفذ المكياج المهترئ للزومبي على يد جيانيتو دي روسي الذي سبق وعمل في أفلام مثل «كليوباترا» و«النمر» و«حدث ذات مرة في الغرب» و«١٩٠٠». كان الأموات الأحياء في فيلم فولشي الأكثر إثارة للاشمئزاز في سينما الزومبي على الإطلاق حتى اليوم، فالعنف في الفيلم واقعي تماماً: فإن قدر لك ذات يوم أن تكون شاهداً على شخص يتعرض للعض والافتراس، فلا يمكن للأمر أن يكون خلاف ما يعرضه فيلم «الزومبي آكلو لحوم البشر». وهنالك في الفيلم مؤثرات خاصة تفقأ العينين - بكل ما للكلمة من معنى في ذلك المشهد البغيض الذي تفقأ شظية خشبية حادة عين أولغا كارلاتوس في لقطة مقربة. كما تشهد سوزان أثناء غوصها في الماء مخلوق زومبي ينتزع قطعة لحم من سمكة قرش في مشهد تهيمن عليه زرقة الأعماق. أعد فولشي وطاقمه الفني المشاهد التي «تبصق الأرض فيها الأموات» بأسلوب رائع يبقى للذكرى. ففي مقبرة قديمة مرقشة بضوء الشمس وظلال الأشجار، يشق فاتحون إسباناً ماتوا منذ مدة طويلة، بعيونهم التي تعيث الديدان فيها فساداً وبجثثهم العفنة المتفسخة، التربة إلى الخارج ويجولون في شوارع القرية المقفرة ويهاجمون المستشفى الذي تلتهمه النيران، كما يبعث المرضى الذين وافتهم المنية في المستشفى. ولم يتمكن من النجاة سوى بيتر وآن وبريان الذي كان قد تعرض للعض بالفعل. وفيما كان الناجون يشقون طريقهم عائدين إلى الشاطئ، تورد أخبار عاجلة تقارير عن مخلوقات زومبي تجتاح نيويورك في حين نتابع في المشهد الأخير جسر بروكلين وقد ملأته كائنات ميتة حية تتحرك بتثاقل.

لم يعرض فيلم «الزومبي آكلو لحوم البشر» في الصالات بقدر عرضه تهريباً. فقد وصل الفيلم إلى الصالات الأمريكية عام ١٩٨٠ ترافقه حملة نظمها جيري غروس تقول: «الأموات صاروا بيننا!» و«سنأكلك!» وقد حصل الفيلم على عائدات إجمالية حول العالم بلغت ثلاثين مليون دولار - وهو مبلغ تفوق به حتى على فيلم «فجر الأموات» - على الرغم من أنه تعرض لصعوبات رقابية جمة ولاسيما في نسخة الفيديو المعروضة في بريطانيا التي رمته في سلة الأفلام الشنيعة التي يمنع عرضها. ومنذ ذلك الحين، ظهرت على الأقراص الضوئية نسخة غير منقحة للفيلم مدتها إحدى وتسعون دقيقة تتضمن الزومبيات الأكثر تنفيراً - وهي أقل كلمة يمكن قولها - التي عرفتها السينما.

وكما هو متوقع، تلت الفيلم موجة من الأعمال تحاول محاكاته، على الرغم من أن أياً منها لم يبلغ درك الدموية الذي بلغه فولشي، كان منها فيلم «ليالي الرعب» - Nights of Terror (١٩٨٠) لأندريا بيانكي الذي عرض في بعض الدول باسم «زومبي ٣» لكنه أخفق في مجاراة الفيلمين اللذين سبقاه على الرغم من الجهد الذي بذله دي روسي في إعداد المكياج. كما صنع فولشي نفسه عام ١٩٨٨ جزءاً آخر أقل سوية باسم «زومبي ٣» - Zombie 3 كذلك. كما شهد فيلم «مدينة الأحياء الأموات» - City of The Walking Dead (١٩٨٠) لأومبرتو لينزي حمولة طائرة ركاب من مخلوقات الزومبي يجتاحون مدينة أمريكية، ومزج مارينو جيرولامو في فيلم «محرقة الزومبي» - Zombi Holocaust (١٩٨٠)، بطولة أيان ماكلوخ وألكسندرا ديلي كولي، الزومبي وآكلي لحوم البشر وعمليات الازدراع الاختبارية، وصنع برونو ماتي فيلماً باسم «آكل البشر» Zombie Creeping Flesh (١٩٨١) تدور أحداثه في الأدغال. ويعالج فولشي في فيلمين هما «مدينة الأحياء الأموات» - City of The Living Dead (١٩٨٠) و«المنزل المجاور للمقبرة» - The House by The Cemetery

(١٩٨١) موضوع الأموات الأحياء من خلال سرديات معاصرة تشوبها القوى فائقة الطبيعة حيث يجول الأموات الأحياء هنا في شوارع أمريكا الحديثة وينتزعون الأدمغة ويخرجون الأحشاء.

يمكن رؤية أثر أفلام الرعب الإيطالية على السينما الأمريكية في أفلام جورج روميرو وجون كاربنتر. إذ يدين فيلم «الشيء»- The Thing (١٩٨٢) لكاربنتر مثلاً بالكثير للأفلام الإيطالية الشهيرة: بياض الثلج الذي يميز فيلم «الصمت الكبير» والذي يتخلله اللونان الأزرق والأحمر الفاقعان اللذان يميزان بافا وأرجنتو والدموية المفرطة التي تميز أفلام فولشي.

كما صنع فولشي فيلماً آخر بعنوان «العالم الآخر»- The Beyond (١٩٨١) يعتبر فيلماً إيطالياً دموياً بامتياز. يسقط عامل طلاء من إحدى السقائل في فندق قديم في لويزيانا تقوم ليزا ميريل (كاتريونا ماكول) بتجديده ويختفي سباك في قبو المبنى الذي تغمره المياه. تنجح ليزا، بمساعدة الدكتور جون ماكيب (ديفيد واربيك)، بحل الغموض الضعيف- الذي يقوم على كتاب عنوانه «إيبون» والغرفة الغامضة رقم ٣٦- وتكتشف أن قبو الفندق ليس سوى واحدة من البوابات السبع التي تفضي إلى الجحيم: أي إلى العالم الآخر. يتحول الفندق ومشفى ماكيب إلى مسرح للعديد من الأحداث التي تقشعر لها الأبدان تزداد فيها قوى الشر بروزاً- كما تزداد الدماء والرؤوس المقطوعة والعيون المفقوءة والعناكب. كما كانت إحدى المكتبات مسرحاً لأحد أكثر مشاهد الفيلم حدة عندما تلتهم العناكب المهندس المعماري مارتن أفيري (ميكيليه ميرابيلا) في لقطة مقربة. وقد ظهر فولشي نفسه هنا بصورة عابرة بدور أمين المكتبة. يتمتع فولشي بموهبة خاصة في تنظيم الصدمات (التي يحفل بها الفيلم) ويقدم للمتفرج بعضاً من الصور الكابوسية التي لا تنسى كالظهور المفاجئ للمرأة الضريرة إيميلي (شينزيا مونرياليه/ سارة كيلر) وكلبها الألزاسي وسط طريق مقفرة.

صور فولشي الفيلم في لويزيانا (والمناظر الداخلية في استديوهات دي باوليس) التي قدمت لأحداث الفيلم الغريبة بيئة ملائمة. يعتبر «العالم الآخر» عملياً فيلم دماء بلا حبكة صور العنف فيه بأدق تفاصيله بالاستعانة بالمؤثرات الخاصة المتقنة والمخيفة التي يعود الفضل فيها لجيانيتو دي روسي في فيلم تجاوز فولشي فيه كل حدود الذائقة السليمة وقدم عنفاً مثيراً للاشمئزاز. تدور أحداث الفيلم في «الأيام الحاضرة» (لعام ١٩٨١)، لكنه يبدأ بمشاهد تمهيدية تطغى عليها الألوان البنية كما في الصور الفوتوغرافية القديمة، حين يصلب مشعوذ (أنطوان سانت جون) ويحرق بالجير الحي على يد سكان قرية يحملون المشاعل في قبو الفندق. وكان هذا الساحر صاحب لوحة غريبة تمثل منظراً طبيعياً مليئاً بالجثث- «بحر الظلمات»- كانت في الواقع مفتاح حل غموض أسرار الفندق. وفي خاتمة الفيلم الغريبة، يجد جون وليزا، اللذان كانا يحاربان العائدين من الموت، نفسيهما فجأة في قبو الفندق من جديد يتلمسان طريقهما وسط الضباب باتجاه المنظر الطبيعي الذي تصوره اللوحة- وهي أرض خلاء لا مهرب منها- في نهاية عبقرية لفيلم مجنون. وقد صور فابيو فريتسي دخولهما العالم الآخر بطريقة جميلة مستخدماً مقطوعة تعزف على البيانو والفلوت في حين حملت معزوفة البداية طابعاً كنسياً على خلفية من موسيقى الفانك. عرض الفيلم في الولايات المتحدة عام ١٩٨٣ باسم «أبواب الموت السبعة» بعد اختصاره وتزويده بموسيقى لميتش وأيرا توسبيه في حين يمكن الحصول على نسخة كاملة غير مجتزأة للفيلم مع موسيقى فريتسي الأصلية على قرص ضوئي.

ووضع أريستيد ماساتشيزي/جو داماتو نقطة نهاية مميزة لسينما الرعب الإيطالية مع فيلم «آكل لحوم البشر»- Anthropophagus (١٩٨٠- «المسخ آكل لحوم البشر» أو «آكل البشر» أو كذلك «الحصاد الضاري») وهو فيلم آخر تم تصنيفه في بريطانيا على أنه فيلم شنيع يلعب فيه لويجي مونتيفيوري/

جورج إيستمان دور آكل لحوم بشر متوحد يجوب جزيرة يونانية بحثاً عن ضحايا. أما ذروة الفيلم التي ينتزع منجل أمعاءه فيها، فنرى الوحش يلتهم أحشاءه في تعبير تصويري غريب عن الأسلوب الذي كانت السينما الإيطالية تأكل نفسها فيه.

عاشت السينما الإيطالية أيام مجدها في الخمسينيات حيث بلغ عدد متابعيها حول العالم ثمانمائة وعشرين مليوناً عام ١٩٥٥ (وهي سنة الذروة). غير أن هذا العدد بدأ يتراجع تدريجياً خلال الستينيات واستقر في أواخر السبعينيات على حوالي مائتي مليون متفرج في العام. كما تغذى التلفزيون وسوق الفيديو المنزلي على الأفلام الإيطالية. فقد مثل الفيديو في بداية الأمر وسطاً انتشرت الأفلام الإيطالية من خلاله في كافة أرجاء العالم، لكن ذلك لم يدم طويلاً. فمع استمرار جمهور السينما الإيطالية في التراجع ومع ارتفاع تكاليف الإنتاج وتراجع العائدات العالمية في الثمانينيات، أغلقت الاستديوهات الإيطالية أبوابها وتوقفت القاطرة عن المسير بعد أن استنفدت كل الأنواع السينمائية وبعد أن استغلت كافة النجوم. هكذا انتهت وليمة مذهلة امتدت على مدى خمسة وعشرين عاماً من أعوام القرن العشرين بعد أن قدمت لنا وجبات شهية لا تنسى.



n

الصفحة

الصفحة

الفصل الثالث

سقوط الإمبراطورية

الفصل الرابع

حكايات من القبر

الفصل الخامس

حرب العوالم

الفصل السادس

الحياة على الطريقة الإيطالية

الفصل السابع

أطلق النار أيها الغرينغو

الفصل الثامن

جوازات سفر إلى الجحيم

الفصل التاسع

الفوضى والاستعارة

الفصل العاشر

المهمة غير المستحيلة

الفصل الحادي عشر

خنجر في الظلام

الصفحة

الفصل الثاني عشر

أمر ما مضحك

الفصل الثالث عشر

الترفيه الصاخب





الطبعة الأولى / ٢٠١٤م

عدد الطبع ١٠٠٠نسخة

THE COMPLET GUIDE FROM CLASSICS TO CULT

CINEMA ITALIANO

HOWARD HUGHES

إماطة اللثام عن كنز دفين من الأفلام الإيطالية من «النمر» إلى «الرجل الكوغار»

صنع المخرجون الإيطاليون بعضاً من أكثر الأفلام سحراً وحركة وعنفاً وإثارة للجدل في السينما العالمية. ففي فترة الذروة التي عرفتها في القرن العشرين، احتلت صناعة السينما الإيطالية المرتبة الثانية بعد هوليوود كواحدة من مراكز مصانع الأفلام الأكثر رواجاً ومركزاً لتصدير الأحلام السينمائية إلى مختلف أرجاء العالم. فمع تمتعهم بموارد مالية دولية كافية وقدرتهم على اجتذاب النجوم من مختلف أنحاء العالم، استطاع صناع السينما الإيطاليون معالجة طيف واسع من الأجناس السينمائية بذائقة رفيعة وأسلوب فذ لا يضاهى. يعتبر كتاب «السينما الإيطالية» هذا الكتاب الأول الذي يناقش، بصورة شاملة، السينما الإيطالية «الجماهيرية» منها و«النخبوية» في عصرها الذهبي.

يقيّم كتاب «السينما الإيطالية» ما يزيد عن أربعمائة فيلم ويسلط الضوء على أفضل ما قدمته هذه السينما. هكذا، يتحرى الكتاب أفلام التشويق (المعروفة باسم الجيالي) التي صنعها داريو أرجنتو وأفلام السباغيتي وسترن التي صنعها سرجيو ليونيه إلى جانب أفضل أعمال لوكينو فيسكونتي وفيديريكو فيليني وبيير باولو بازوليني وميكيلانجيلو أنطونيوني. ويناقش كل فصل من فصول الكتاب صعود جنس سينمائي بعينه ثم أفوله كالملاحم الميثولوجية وأفلام الرعب القوطي والخيال العلمي وأفلام الجاسوسية والأفلام الحربية والمغامرات التاريخية وأفلام الزومبي وأفلام القتلة المأجورين والسينما السياسية والسباغيتي وسترن والأفلام البوليسية. كما يتابع الكتاب المسيرة الإخراجية لمبدعين من أمثال ماريو بافا وسرجيو كوربوتشي وفرنشيسكو روزي ولوشيو فولشي ودوتشيو تيساري وإنزو كاستيلاري وبرناردو برتولوتشي وجيلو بونتيكورفو وأهم الأفلام التي صنعوها. يعتبر هذا الكتاب دليلاً أساسياً لهواة اقتناء الأفلام السينمائية على الشرائط أو الأقراص الضوئية ولمحبي السينما عموماً على حد سواء وهو يضم مجموعة من الصور النادرة وملصقات من مختلف دول العالم تعود إلى تلك الحقبة المجيدة في تاريخ السينما العالمية.





www.syrbook.gov.sy

E-mail: syrbook.dg@gmail.com

هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤م

سعر النسخة ٨٦٠ ل.س أو ما يعادلها